د. تاج محمد بريسيك
Dr. TAJ MOHAMMAD BRESEEG

القومية البلوشية
أصولها وتطورها

BALOCH NATIONALISM
ITS ORIGIN AND DEVELOPMENT







ترجمة وتعليق: أحمد يعقوب
TRANSLATED AND COMMENTED BY
AHMED YAQOUB

مؤسسة الانتشار العربي

أسماء الشخصيات البلوشية على الغلاف:

من العمود الأيمن، الصورة الأولى: الجالس من الجهة اليسرى، مير دوست محمد خان باركزئي (بارانزئي). ثم أسفله، الشخص الثاني من جهة اليسار، شير محمد مَري (جنرال شيروف). ثم أسفله، من اليمين، مير غوث بَكش بيزَنجو.

د. تاج محمد بريسيك

Dr. TAJ MOHAMMAD BRESEEG

القومية البلوشية

أصولها وتطورها

BALOCH NATIONALISM

ITS ORIGIN AND DEVELOPMENT

ترجمة وتعليق: أحمد يعقوب

TRANSLATED AND COMMENTED BY
AHMED YAQOUB

مؤسسة الانتشار العربي

د. تاج محمد بريسيك
Dr. TAJ MOHAMMAD BRESEEG

القومية البلوشية

أصولها وتطورها

BALOCH NATIONALISM

ITS ORIGIN AND DEVELOPMENT

ترجمة وتعليق: أحمد يعقوب

TRANSLATED AND COMMENTED BY
AHMED YAQOUB

الانتشار العربي
ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffiusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-337-0

الطبعة الأولى 2013

المحتويات

الإهــداء

أهدي الترجمة العربية للكتاب
إلى شهداء أرض بَلوُشستان
الذين جسدوا حكاية ألف عام
من الكفاح في سبيل الحرية.

كلمة المترجم

«تشعر الولايات المتحدة بقلق شديد حيال أعمال العنف الجارية في بلوشستان، وخصوصاً عمليات القتل المستهدف، وحالات الاختفاء القسري وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان».

فيكتوريا نولاند، المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأميركية، 13 يناير 2012

«قوات الأمن الباكستانية متورطة في حملة «الانتهاكات من دون راع» في بلوشستان، مع اختفاء أفراد من القومية البلوشية ومن المشتبه في كونهم مسلحين، وفي حالات عديدة يتم إعدامهم (من دون محاكمة). لم تبذل الحكومة الوطنية جهداً يُذكر لوضع حد لمأساة بلوشستان، مما يثير التساؤلات حول قابليتها أو استعدادها للسيطرة على الأجهزة العسكرية والاستخبارية».

هيومن رايتس ووتش، يوليو 2011

«الدولة هي المسؤولة أساساً عن هذا الوضع بسبب عدم قدرتها أو عدم استعدادها لحماية المدنيين من انتهاكات حقوق الإنسان أو تقديم الجناة إلى العدالة».

منظمة العفو الدولية، 8 فبراير 2012

«تبرز بلوشستان لأكثر من سبب واحد حتى في وضع حقوق الإنسان المروع في جميع أنحاء باكستان اليوم. اتهم جهاز أمن الدولة في الإقليم بانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان. حيث أن عدد حالات الاختفاء القسري التي تم الإبلاغ عنها في بلوشستان هي الأكبر حتى الآن من أي إقليم آخر في البلاد».

لجنة حقوق الإنسان الباكستانية، يونيو2011

عكفت على ترجمة الكتاب الذي بين أيديكم في ظروف قاسية عشتها في رحلة زمنية جبت في خلالها أغوار السفر إلى أرض قريبة وبعيدة في آن واحد. وتعرفت في تلك الرحلة

إلى حكاية شعب ينشد الحرية ويتخذ الإباء زاداً ويخط في البطولة ملحمة خالدة. يستعرض هذا الكتاب الرحلة التاريخية التي عبرها الشعب البلوشي من تليد الزمن إلى القرن الواحد والعشرين، ويرسم ملامح تشكل الهوية القومية البلوشية التي تبلورت في خضم هذا الترحال التاريخي، الذي قادها إلى الثورة البلوشية الخامسة منذ عام ألفين وأربعة.

منذ عام ألفين وأربعة، أصبحت بلوشستان بقسميها الشرقي والغربي أرض معركة بين الجيوش الباكستانية والإيرانية ضد مقاتلي البلوش الساعين لنيل حقوقهم السياسية والاقتصادية والانسانية إلى حد الاستقلال. وكان بين الطرفين البلوش المدنيون العزل من القادة السياسيين والموظفين والأدباء والعلماء والمحامين والصحفيين، وغيرهم من فئات المجتمع المدني التي وقعت ضحية لآلة البطش العسكرية.

حين وجدت هذا الكتاب في أثناء سفري إلى أرض بلوشستان شعرت بعد قراءته بضرورة نقله إلى قرّاء العربية، ليشاركوني في معرفة حكاية أرض قريبة جغرافياً ولكن مجهولة بأناسها وحكاياتها وأحوالها السياسية إلى حد كبير في الأوساط العربية. ولا أقول هذا من باب الشكوى على عادة المترجمين في تبيان ما لاقوه في ترجمة هذا الكتاب أو ذاك؛ فذلك أمرٌ ألِفه القارئ العربي ومَلّه حتى صار مستهلكاً لا ينبغي الانشغال به. ولكن للتعريف بأنه جزءٌ في سبيل تحصيل المعرفة ونشر الوعي الإنساني.

تعرّفت إلى مؤلف هذا الكتاب الدكتور تاج محمد بْريسيگ أثناء فترة عمله أستاذاً في جامعة بلوشستان عام ألفين وتسعة، ورأيت به الباحث الأكاديمي الجاد الذي يصبو إلى طرح القضايا العلمية بمنهج لا يحيد به عن النزاهة العلمية، والشغف الذي يبدو من أبحاثه المكرسة لفهم الأطر التي تشكلت فيها الحركات القومية الإثنية السياسية وبيئة تطورها وانعكاساتها على السياسات الإقليمية والدولية.

وكان هذا الكتاب نتاج بحثه في المكتبات البلوشية والفارسية والأوردية والإنكليزية والسويدية والعربية والكوردية، بالإضافة إلى العمل الميداني ومعايشة مجرى الأحداث، لجمع خيوط النسيج القومي البلوشي الذي تشابك عبر قرون متتالية من الزمن على أرض ارتبط اسمها باسم شعبها (بلوشستان). يقدم هذا الكتاب الأطروحة التي نال عليها الأستاذ تاج محمد بْريسيگ درجة الدكتوراه من جامعة لندن، كلية الدراسات الشرقية والإفريقية SOAS، في عام ألفين واثنين. وكان لهذا الكتاب صدى مهم لكونه من أهم الأعمال الأكاديمية التي صدرت حتى الآن عن تاريخ البلوش السياسي.

لقد مضى ما يقارب العقد على كتابة هذه الأطروحة، وقد تبدلت وتغيرت بها الكثير من موازين القوى السياسية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الدول التي تتقاسم المسألة البلوشية. غير أن بريق هذا الكتاب لم يخفت قط؛ لكونه ممهداً لا بُدَّ منه لفهم القضية البلوشية بأبعادها التاريخية والثقافية، وفهم صيرورة الأحداث الجارية حالياً في بلوشستان. وقد أثبت هذا الكتاب أن المؤلف قد صدق في نظرته المستقبلية التي أثبتت أن الحركة القومية البلوشية لم تضعف، وإنما زادت في اتساعها وتأثيرها في بلوشستان الشرقية والغربية وما زالت تتوقد.

وفي نهاية المطاف أقدم جهدي في ترجمة هذا الكتاب الذي حرصت به على نقل المعاني من دون قصور أو تعقيد للغة الكتاب، وراجعت تهجئة الكلمات والمصطلحات البلوشية والفارسية والأوردية والإنكليزية من مختلف المصادر وأبقيتها على شكلها الأصلي حتى ينتفع بها الباحث عند البحث في المصادر الأولية. وبثثت في جنبات الكتاب تعليقات أردت بها التوضيح والإضافة، مع صنع فهرس عام للأشخاص والأقوام والجماعات والأمكنة والموضوعات، وقد غيرت موضع الخرائط وجعلتها في آخر الكتاب، وهو بذلك مختلف عن الأصل، وتمت بإذن المؤلف، الذي أشكره على موافقته وتعاونه لترجمة هذا العمل. ولا أدعي أنني أوفيت الكتاب حقه الكامل، حيث أرجو أن ينال جهدي استحسان القارئ وقبوله.

ولا يسعني في النهاية سوى أن أقدم شكري وتقديري لكل من ساندني وآزرني في هذا العمل، وأخص بالذكر الأخ العزيز يحيى عيسى إبراهيم طاهر زئي البلوشي لمراجعته نص الكتاب وصداقته التي أعتز بها، والأخ علي شاهو زئي الكاروانى وفاروق جَدگال بلوچ وأصغر زَهير وأختر تگراني وعبدالحليم نور محمد، والمناضلين أبو خالد، ع. ص. أميري، صديق آزاد، جان محمد دَشتي، وميجر مجيد، وصلاح البلوشي، لتشجيعهم المتواصل والعاضد، والدكتور أحمد الداوودي على اقتراحاته القيمة، ولا أنسى أن أشكر عائلتي على تفهمها ودعمها الذي لا يمكنني إيفاء حقه.

أحمد يعقوب الهُوُتي البَلوُشي
2012/7/1
للتواصل على تويتر: Ahmed_Yaqoub

نبذة عن المؤلف

الكاتب والباحث البلوشي الدكتور تاج محمد بْريسيگ من مواليد منطقة بْريس على ساحل مَكُران في بلوشستان إيران عام 1954؛ أنهى دراساته الأولية في مدرسة محمد رضا شاه الثانوية بمدينة چابهار عام 1977. انتقل بعدها إلى بلوشستان باكستان، ليكمل دراسته الجامعية في التاريخ والعلوم السياسية؛ وحصل على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة كراچي عام 1980 مع مرتبة الشرف. ثم حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة كراچي عام 1982. غادر بعدها إلى أفغانستان ليعمل محاضراً في قسم العلوم السياسية بجامعة كابول في الفترة 1984 ـ 1986.

دفعته الأحداث السياسية في المنطقة في نهاية المطاف ليهاجر إلى مملكة السويد حيث يعيش الآن بعاصمتها استوكهولم. وعمل بعد استقراره في بلدية بوراس غربي السويد محاضراً للغته الأم البلوشية 1988 ـ 1990. وقضى عقداً من الزمن يقرأ ويبحث ويحاضر في مختلف الجامعات عن القومية البلوشية، ونشر في خلالها عدداً من الأبحاث الأكاديمية المحكمة. وتوج ذلك بحصوله على درجة الدكتوراه من جامعة لندن، كلية الدراسات الشرقية والأفريقية SOAS، في 1998 ـ 2002. وكان عنوان أطروحته؛ «القومية البلوشية: أصولها وتطورها حتى 1980»(*).

وعمل بعدها محاضراً عن الأقليات الإثنية، والثقافة والقومية في جامعة أوپسالا في السويد، Uppsala University، في الفترة 2002 ـ 2007. وحطت بعدها رحاله في بلوشستان باكستان، ليعين أستاذاً زائراً للتاريخ والدراسات الباكستانية بجامعة بلوشستان، كويتا، باكستان، في قسم التاريخ، 2008 ـ 2011. ومنذ عام 2011 انتقل ليعمل أستاذاً لمادة «دراسات بلوشستان» في معهد لغات الأعمال في ميونيخ، ألمانيا.

(*) Taj Mohammad Breseeg, Baloch nationalism: its origin and development up to 1980, Thesis (Ph. D.), University of London. School of Oriental and African Studies, 2001, Main Library, Thesis 2330.

كما يتبين من هذا السرد، فقد عكس مسار حياته ارتباطه بالحركات القومية البلوشية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، وسنوات من العمل والدراسة في عدد من الجامعات في أجزاء مختلفة من العالم (المملكة المتحدة والسويد وألمانيا وأفغانستان وإيران وباكستان). ومنح كل ذلك عمله في مجال البحث الأكاديمي منظوراً فريداً في الدراسات الإثنية والقومية الإثنية.

يتحدث الدكتور تاج محمد باللغات البلوشية، والفارسية، والدَّرية، والأوردية، والانكليزية، والسويدية بطلاقة، مما مكنه من الاطلاع على ما حوته هذه اللغات المختلفة من المعارف العلمية، وقد أثرى ذلك بحثه في الدراسات البلوشية، ويتبين ذلك في نشاطه البحثي في مجال تخصصه، الذي أثرى به مجال الدراسات البلوشية النامي.

وهذه قائمة مختارة من كتبه وبحوثه الأكاديمية المُحكمة:

2010	«Future of the Baloch Nationalism», in: Abid Mir & Parveen-Naz (ed.), The Baloch, A book series, Published by Balochistan Volunteer Foundation, Volume No.1, June 2010 (pp. 65 - 94).
2009	«Heterogeneity and the Baloch Identity», in: Hanken, Annual Research Journal from the Department of Balochi, Faculty of Languages and Literature, University of Balochistan, Quetta, Volume No. 1, 2009.
2004	Baloch Nationalism: Its Origin and Development, Karachi, Royal Book Company, 2004. 444 - page book published in 2004.
1995	«Den baluchiska rörelsen (The Baloch National Movement): Separatism versus integration». Stockholm University, 1995 (Swedish).
1995	«Alefba» the question of orthography in Balochi, Monthly Gvank, No. 4, Published by Baloch Association in Norway (Balochi).
1992 - 1994	«The Baloch National Questions» articles and research papers, Monthly Bahowt, Borås, Sweden (Swedish).
1989	«Balochi va Masaala - e - Ketabat» an essay about the Historical development of Balochi language, Borås (Persian).

يمكن التواصل معه على العنوان التالي: info@balochistanstudies.com

كلمة شكر

من المستحيل بالنسبة إلي أن أشكر كل من ساعدني ودعمني خلال البحث، الذي أسفر في نهاية المطاف عن هذه الأطروحة. وأولاً وقبل كل شيء، أنا مدين وإلى حد كبير في إعداد هذه الأطروحة إلى مشرفي الدكتور ديفيد تايلور، في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن. وأود بداية، أن أشكره لما قدمه من دعمه الصبور، وتشجيعه ولطفه المتواصل، وكذلك لاقتراحاته العديدة التي لا تقدر بثمن. ولقد كان كريماً لدرجة تزويدي «بالملجأ الآمن» في أي وقت شعرت به بالإنهاك وجفاف الإبداع. وإنني مدين أيضاً للدكتور جون سيدل لتطويره مختلف النظريات حول القومية. وساعدتني تعليقاته النقدية وتحفيزاته في كثير من الأحيان على إعادة شحن ملكة الإبداع، التي تراخت أحياناً وكادت تختفي.

وأعرب عن امتناني لموظفي مكتبة مكتب الهند ومكتبة SOAS، لما قدموه من مساعدة، وجزيل شكري إلى كل شخص هناك، من الذين ساهموا في إنجاح عملي الميداني وأثروا تجربتي الشخصية. وعلى وجه الخصوص الدكتور عناية الله بلوچ (جامعة هايدلبرگ)، والدكتور صابر بدل خان بلوچ (جامعة ناپولي)، والبروفسور عبد الله جان جمال ديني (جامعة بلوشستان)، والدكتورة كارينا جهاني(جامعة أوپسالا)، لمساعدتهم على جمع المعلومات الضرورية.

وأنا ممتن أيضاً لخالد آذرپيرا وناصر أفراز وتاج محمد محتشمي والدكتور عبد الستار دوشوكي وعلي رئيسي (في لندن). وعبد الوهاب كريم زئي وعبد القاسم أرجُمندي (في السويد) لمساندتهم ومساعدتهم/ فإنهم يستحقون إشارة خاصة لدعمهم وتشجيعهم الذي أبقاني مستمراً في العمل. وأود أن أشكر عبد الله سياهوئي على ملاحظاته وتشجيعه. وبالمثل أود أيضاً أن أعرب عن عميق امتناني للمتحدث السابق لبرلمان بلوشستان، محمد أكرم بلوچ (دشتي)، ويار محمد باديني لتوفيره السكن لي

في كراجي وكويتا، والتأكد من أنني لا أحتاج إلى شيء. وأعاد يار محمد باديني على وجه الخصوص، تعريف الصداقة من خلاله دعمه وكرمه.

وأخيراً وليس آخراً، أنا في غاية الامتنان لزوجتي لطيفة أماني لتقديمها الصبر الجزيل وتفهمهما لساعات طوال قضيتها منطوياً على نفسي للعمل في المنزل، يوماً بعد يوم لمدة أربع سنوات. فعلت كل ما يمكنها القيام به لمساعدتي وتشجيعي وتعهدها العناية بي خلال هذا المشروع. وبالمثل، أنا ممتن لابنتي سعيدة وأبنائي سعيد ودودا وميران، الذين وفي عالمهم الصغير حرصوا على التحقق من ملاحظتي لوعيهم بـ«العمل المهم» الذي كان والدهم يقوم به.

نبذة عن الأطروحة

هذه الأطروحة هي دراسة حالة في الإطار القومي. وبدراسة الكتابات النظرية حول هذا الموضوع، تخلص إلى أن القومية هي: شعور جماعة من البشر بالهوية المشتركة، وهم مترابطون إما من خلال مواطنة إقليمية وإما عن طريق رابطة عرقية ـ لغوية، ويعتقدون أن أفضل وسيلة لحماية مصالحهم المشتركة هي أن تكون لهم السيادة على دولتهم.

الموضوع الرئيسي للأطروحة يدور حول مسألتين أساسيتين:

1 ـ هل هناك صفة قومية للبلوش مع وعي قومي متطور بما فيه الكفاية وخصائص متمايزة مشتركة من قبل أعضاء هذه القومية؟

2 ـ إذا كان الأمر كذلك، هل الوعي القومي لدى البلوش، وعزمهم على الحفاظ على هويتهم القومية، ورغبتهم في الاستقلال السياسي، متين بما يكفي لكي نقول إن هناك حركة قومية بلوشية؟

تخدم هذه الأطروحة عدة مقاصد؛ إنها تملأ فجوة في معرفتنا عن القومية البلوشية في باكستان وإيران، وتستكشف بدقة تطورها في الفترة 1920 ـ 1980. وباتباع منهج المقارنة فإنها تساهم في فهم أفضل للحركات القومية الإقليمية في كلا الدولتين. والمدخل الرئيسي لهذه الدراسة هو المنهج التاريخي: باستخدام المصادر الأولية والثانوية؛ لوصف وتحليل قواعد وديناميات التطور والآثار المترتبة على القومية البلوشية.

ملاحظة حول الترجمة والتقويم

ترجمة الأسماء والموضوعات البلوشية والأوردية والعربية والفارسية في الأطروحة كان وفقاً لكلا النظامين العلمي والصوتي. وحاولت في العموم الحفاظ على الاتساق في النطق. قبل عام 1990، كانت ترجمة الإثنية «Baloch» تتم بعدد لا يحصى من الطرائق مثل«Baluch»، «Baloch»، «Belooch»، «Biloch» وكان أكثرها شيوعاً في اللغة الإنكليزية هو «Baluch: البلوش». حكومة إقليم بلوشستان الباكستاني أصدرت مرسوماً يقضي بأن التهجئة الرسمية للكلمة في اللغة الإنجليزية هي «Baloch»، وأصبح هذا المعيار هو المقبول في باكستان. ولذلك اخترت هذه التهجئة. وقد وحد كل ذكر لهذا المصطلح في هذه الأطروحة، إلا عندما يستخدم كاسم شخصي، أو في عنوان الكتاب، أو في اقتباس مباشر.

التواريخ التي تظهر بجانب التواريخ الميلادية في الهوامش والمراجع هي للكتب التي نشرت في إيران وأفغانستان، والتي تتوافق مع التقويم الشمسي المدني. والكتب المنشورة في الدول العربية مؤرخة بالتقويم القمري الإسلامي، ولكن في هذه الأطروحة قد استُخدم التاريخ الميلادي المعادل لهما.

المقدمة

لقد تيقظ الحس القومي لدى الشعب البلوشي في وقت متأخر نوعاً ما، وفي هذا تكمن مأساته، ومأساة الشعوب التي يعيش بينها. وهو يسعى الآن إلى انتزاع ما يعتبره وطنه المقسم بنجابياً وأفغانياً وفارسياً، وهو تعهدٌ صعب وخطير. البيئة البلوشية، التي شكلت شخصية البلوش كأفراد، شكلت كذلك مصيرهم كشعب. منعزلين بواسطة الحواجز الجبلية الوعرة، ومقسمين على الاختلافات اللغوية والطائفية، ومتفرقين بين الولاءات القبلية الضيقة، ومتمزقين بين الحدود الدولية، يتوقون الآن إلى ما عليه غيرهم من الشعوب الأكثر حظاً، أي إلى دولة قومية.

يقطن البلوش في منطقة مهمة جداً تقع في قلب مسار النفط العالمي. وعلى الرغم من فشل الثورات البلوشية العديدة على مدى العقود الماضية في باكستان وإيران، فالقومية البلوشية لا تزال تشكل مصدر قلقٍ بالغ لحكومات هذه الدول. أصبحت القومية البلوشية المتيقظة بنجاح القوميات المحيطة مثل الهندية، والفارسية، والتركية، وبعيدة عن اليأس من فشلها، في ستينات وسبعينات القرن العشرين، على نحو متزايد راديكالية ومتصلبة. ولهذه الأسباب، أصبح البلوش يلعبون دوراً متزايد الأهمية في شؤون جنوب ـ غرب آسيا. وسلوكهم هو أحد العوامل الهامة في مستقبل الاستقرار والأمن ليس في الدول التي يسكنها البلوش فحسب ولكن أيضاً في المنطقة بأسرها. وهكذا، فمن المهم التعرف إلى البلوش وفهم غاياتهم وتوجهاتهم السياسية، وبالطبع المسار الذي من المرجح أن يواصلوا سلوكه.

في بداية القرن العشرين، أيد القوميون البلوش فكرة «بلوشستان الكبرى»، التي تغطي مساحة ما يعادل في الوقت الحاضر باكستان[1]. ولكن لم يأخذ هذه الفكرة أي

---

(1) The Islamic Republic of Pakistan: 310403 sq. miles.

زعيم لحركة كبيرة منذ الحرب العالمية الثانية على محمل الجد. وشكلت أوضاع التطور الاجتماعي، والتداخل العرقي، والإذعان لأوضاع تاريخية مختلفة، والهيمنة الفارسية في إيران، والحكم البنجابي في باكستان مجموعة ظروف مختلفة جداً. وعلى الرغم من استمرار الحركة القومية البلوشية في إيران في عهد السلالة البهلوية، وكذلك في إطار الجمهورية الإسلامية، فإن مركز تنمية الهوية البلوشية السياسية والثقافية كان قائماً بشكل رئيسي في ما يعرف الآن باسم بلوشستان الباكستانية. تبلغ مساحة بلوشستان الشرقية (بلوشستان الباكستانية)، أكثر من مئة وخمسة وثلاثين ألف ميل مربع، وهي لا تضم أكثر من أربعين في المئة من مساحة باكستان ككل فحسب، ولكن ديموغرافياً أيضاً يسكن الجزء الأكبر من الشعب البلوشي فيها. غير أن الأهم من ذلك، هو السياق التاريخي والمناخ السياسي اللذان تأصلت وتطورت فيهما القومية البلوشية في هذا الجزء من البلاد. حيث كانت بلوشستان الشرقية مركز كونفدرالية الرِند واللاشار القبلية في القرن الخامس عشر، ولاحقاً دولة (خانية) كلات، التي شملت فيما بعد وحكمت بلاد البلوش بأكملها، بما فيها بلوشستان الإيرانية منذ القرن السابع عشر وحتى مجيء البريطانيين في منتصف القرن التاسع عشر[1].

يتجه هذا التحليل لفهم المحددات التاريخية للقضية البلوشية. وهكذا، فإن المحور الرئيسي في الدراسة هو القومية البلوشية في بلوشستان الشرقية (الباكستانية)، وليس الغربية (الإيرانية). وينبغي أن يضاف إلى ذلك أنه منذ ظهورها في عشرينيات القرن العشرين، حققت القومية البلوشية في باكستان من حيث التنظيم والنمو أهمية أكبر بكثير من بلوشستان الإيرانية. لما مكنته القوة السياسية والعسكرية للقومية البلوشية في باكستان في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين أن تكون القائد بلا منازع والمتحدث باسم القومية البلوشية ككل، كما سيتم مناقشته في الفصول التالية.

وبينما اختلفت وسائل وحجم القمع بالمكان والزمان، فإن ظروف البلوش تشترك في بعض الميزات الهامة. وذلك أولاً لكون المناطق البلوشية تتجاوز حدود دول قومية، وهي بالتالي تكتسب أهمية بالنسبة إلى «الأمن القومي»، ما يجعلها عرضة للتدخل والتلاعب من قبل القوى الإقليمية والدولية. ثانياً مناطق البلوش في هذه الدول عادةً ما تكون الأكثر فقراً والأقل تطوراً، ومهمشة بشكل ممنهج من قبل مراكز القوة

(1) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan, vol. 4, pp. 88-92.

الاقتصادية. وديناميةُ الإدماج هي مزية مشتركة ثالثة، فقد أثر القمع والمقاومة البلوشية في كل دولة، باتجاه ونتائج النضال البلوشي في الدول المجاورة.

اهتمامي بهذه الدراسة يعود إلى شبابي في سبعينيات القرن العشرين. عندما علمت بتضحيات الشعب البلوشي من أجل قضية تحرير بلوشستان. ومنذ عام 1978، عندما كنت طالباً في قسم العلوم السياسية، شاركت في النشاطات السياسية ضد نظام الشاه. ولكوني موجوداً في مشهد الثورة الإيرانية عام 1979، شاهدت شخصياً في البداية تصاعداً غير مسبوق للأنشطة القومية بين مختلف القوميات الإيرانية بما في ذلك البلوش. وما جعل ذلك ممكناً البيئة السياسية المفتوحة، التي كانت سائدة آنذاك في إيران عقب انتصار الثورة الإسلامية.

أكثر المواد التي تستند إليها هذه الأطروحة تم جمعها في باكستان، والسويد وإنجلترا في خلال عامي 1996 و1997. حيث كنت في ذلك الوقت قادراً على استخدام مرافق المكتبة البريطانية، ووثائق مكتبة مكتب الهند، ومكتب السجلات العامة، وكلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، ومكتبة جامعة لندن (مجلس الشيوخ). ولقد تم جمع معلومات إضافية في وقت لاحق في السويد، لا سيما من مكتبة جامعة استوكهولم، Kungllia Biblioteket (المكتبة الملكية)، Vitter hetsak ademiens Bibliotek، وأوبسالا Univesitets bibliotek (مكتبة جامعة أوبسالا). وبالإضافة إلى ذلك، بدأت بجمع الوثائق المتعلقة بالقومية البلوشية من نشطاء البلوش السياسيين.

إنهم لم يقدموا إلي سجلاتهم الشخصية، والصحف القديمة، وسجلات الأحزاب السياسية فحسب، ولكن أيضاً أجابوا عن أسئلة حساسة. فانتسابي إلى الحركة القومية البلوشية (بلوچ راجي زرُمبِش ـ إيران) كان عاملاً حاسماً في كسب ثقتهم.

تشير معاينة للأدبيات الموجودة عن هذا الموضوع إلى أن المعلومات القديمة عن البلوش هي قليلة وتنتشر في أعمال المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى (سواء أكان مصدرها عربياً أم فارسياً). ومن أهم المصادر عن تاريخ البلوش القديم أعمال المؤرخين العرب مثل البلاذري (توفي 892م)، والطبري (توفي 932م)، والمسعودي (توفي 943م)، والاصطخري (توفي 951م) وابن حوقل (توفي 977م)[1]. وتبعتهم

(1) لمزيد من المعلومات انظر،
M. Longworth Dames, The Baloch Race, p. 29 and N. Frye, Remakes on Baluchi History, p. 46.

مجموعة واسعة من الدراسات التي أنتجها العلماء والمستكشفون، والمسؤولون البريطانيون في خلال الحقبة الاستعمارية.

ويمكن ربط بداية الدراسة الرسمية لبلوشستان من قبل البريطانيين بالمنافسة التي لم يمكن تجنبها بين روسيا وإنجلترا على أجزاء من آسيا. ولهذا، فإن الأعمال المبكرة عن البلوش دونها جواسيس بريطانيين أرسلوا إلى المنطقة. وفي هذا الصدد، يعد كتاب هنري پوتنگر رحلات إلى بلوشستان والسند (1816)، هو أكثر الأعمال المنشورة في الغرب أهمية. وجاء كتابه مفصلاً عن جغرافيا وتاريخ وسياسة بلوشستان في بدايات القرن التاسع عشر. وبنفس القدر من الأهمية، المعلومات التاريخية التي جمعها جاسوسان بريطانيان آخران، يدعيان ن. پ. گرانت (1809) وحاجي عبد النبي من كابول (1844) على التوالي. ولا تعطينا أعمال پوتنگر وگرانت وعبد النبي صورة عن الحياة الاجتماعية والسياسية للبلوش قبل مجيء البريطانيين فقط، ولكن أيضاً عن علاقاتهم السياسية مع جيرانهم من الفرس والأفغان والهنود.

وبالنظر في مسألة فقه اللغة كأساس للاستشراق بصفة عامة والدراسات الهندية على الخصوص، ينبغي التذكير بأن مفهوم اللغة كان مهماً في تطور النزعة القومية بأوروبا. وأصبحت تشكل اللغات الهندو ـ إيرانية كما صنفها فقهاء اللغة، الأساس لدراسة تاريخ المنطقة وموضوعات أخرى واسعة في السياق القومي كذلك. الفقيه اللغوي، لانگوُرث ديمز، في كتابيه أصل البلوش (1904)، والشعر الشعبي البلوشي (1907)، صنف اللغة البلوشية لغة إيرانية، وقد أصبح تصنيفه فيما بعد أرضية هامة للنقاش حول تاريخ البلوش وأصلهم العرقي، من قبل كثير من العلماء. ووفر كتاب چارلز ماسون، سردية رحلات متعددة في بلوشستان وأفغانستان والبنجاب، (1844)، وكتاب هوگس، بلاد بلوشستان، (1877)، وكتاب گ. پ. تات، حدود بلوشستان، (1909) وكتاب ر. اي. داير، مغيرو سَرهَد، (1921)، معلومات هامة حول تاريخ وسياسة بلوشستان في مطلع القرن العشرين.

وفضلاً عن ذلك، فإن مذكرات المسؤولين البريطانيين الذين خدموا في المنطقة موظفين في الخارجية والخدمة السياسية (للإمبراطورية الهندية) تستمر في الظهور على شكل كتب ومقالات وخطب. وعلى سبيل المثال فكتاب كونراد كورفيلد، الهند الأميرية التي عرفتها: من القراءة إلى مونتباتن، (1975)، وكتاب إدوارد ويكفيلد،

حتمية الماضي: حياتي في الهند 1927 ـ 1974، (1966)، تحتوي على فصول عن بلوشستان، ودولة كلات، حيث خدم البعض منهم كوكلاء للحاكم العام والوكلاء السياسيين، وما إلى ذلك.

وعلى الرغم من أنهم بشكل عام تجاهلوا النقاش المفصل عن القومية البلوشية، فإنهم مع ذلك وفروا المواد الأساسية لفهم «الحكم غير المباشر» للبريطانيين في المنطقة. المساهمات المذكورة أعلاه، التي هي أولى الدراسات النظامية من نوعها، التي شملت الدراسات التاريخية والجغرافيا السياسية والأنثروبولوجية واللغوية والأثرية، حول هذا الموضوع. وبجانب هذه الكتب المنشورة المهمة، هناك سجلات غير منشورة مهمة متاحة في مكتبة مكتب الهند، ومكتب السجلات العامة، ومكتبة الوثائق البريطانية. وبين السجلات التي لم تنشر، والتي هي قيمة في فهم القومية البلوشية في ظل الفترة البريطانية، الملفات التالية الهامة لفهم التغير والوضع الدستوري لبلوشستان، وهي:

IOR: L/P+S/13/1846 - 47, L/P - S/12/3174, R/3/1/155+166. وتقدم سجلات وزارة الخارجية، ومذكرات عن بلوشستان وأفغانستان كتبها ساندمان ورامزي معلومات تتعلق بأواخر القرن التاسع عشر والعشرين.

ومن بين المصادر البلوشية، كتاب گُل خان نصير، تاريخ بلوشستان، 1952/ 1954، في مجلدين، وهو على ما يبدو الأفضل والأكثر أصالة في رواية الأحداث، والأنشطة والشخصيات ذات الصلة بالتاريخ البلوشي والقومية والحركة القومية. وكان نصير من بين كبار قادة الحركة القومية البلوشية. كما كان، خلال ثلاثينيات القرن العشرين، أحد الوزراء القليلين من السكان الممثلين في مجلس وزراء دولة كلات قبل استقالته وانضمامه إلى الحركة القومية. وأصبح في عام 1971، وزير التربية والتعليم داخل بلوشستان ذات الحكم الذاتي في فيدرالية باكستان. وفي الوقت نفسه، كان عضواً منتخباً في المجلس التشريعي للإقليم الذي هيمنت عليه الحركة البلوشية تحت مسمى حزب عوامي القومي.

ومن الأعمال الهامة أعمال محمد سردار خان بلوچ، البلوش أمة، (1947)، وتاريخ العرقية البلوشية وبلوشستان. (1958)، وعمل مير خدا بكش مَري، أضواء كاشفة على البلوش وبلوشستان (1974). حصل سردار خان بلوچ، على درجة

الماجستير من جامعة عليگره، وهو من بين منظري القومية البلوشية خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وكان أيضاً قريباً من دَربار (بلاط) الخان، كوزير التربية والتعليم لدولة كلات لفترة قصيرة. وأعد سردار خان وعبد العزيز كورد معاً أول خريطة لبلوشستان الكبرى تظهر جميع المناطق التقليدية للبلوش. ويبدو أنه كان عملاً مشتركاً، وهو لا يزال يستخدم بطرائق مختلفة. وكان خدا بكش مَري قاضياً في المحكمة العليا الباكستانية (بار في القانون العام). وهو ينتمي إلى أكبر قبائل البلوش وأكثرها ثورية (مَرّي). ومثل كتاب سردار خان، يعاني كتاب خدا بكش مَري القيود السياسية المفروضة. وكذلك أضفى مير أحمد يار خان لوناً مشوشاً على سيرته الذاتية السياسية، داخل بلوشستان (1975)، بإصراره الساذج على تبرير مطالبته ببلوشستان ذات سيادة وفي الوقت نفسه نياته الحسنة تجاه جمهورية جناح الاسلامية، باكستان . ومع ذلك، ومع كل أوجه القصور فيها، توفر هذه الأعمال مواد أساسية مفيدة تمثل خلفية للقارئ المتنبه والراغب في الاطلاع.

في الغرب، أجريت بعض الأبحاث الأصيلة عن اللغة البلوشية والتاريخ، والقومية بعد ستينيات القرن العشرين. وهذا يشمل أطروحات الدكتوراه، والكتب، وتقارير الصحفيين التحقيقية. وقد ساهم برايان سبونر (1989) وريكاردو ريدالي (1997) في عملين رئيسيين لفهم المسألة البلوشية، في مطلع القرن العشرين.

وقد أكملت نينا سويدلر أطروحة دكتوراه عن نشأة دولة كلات، الهيكل السياسي للفيدرالية القبلية في عام 1969. والمنشورات الأخرى الهامة بهذا الصدد هي كتاب جان محمد دَشتي، مقالات عن النضال القومي البلوشي في باكستان، (1989) وكتاب سيد إقبال أحمد، بلوشستان: أهميتها الاستراتيجية، (1992)، وكتاب روبرت ورسينگ، البلوش والپتان (1987).

وإلى جانب ذلك، كانت الأعداد الماضية المتاحة من الجبهة الشعبية، لندن (أحياناً مع بعض المواد بالبلوشية)، حيوية أكثر من المصادر الأخرى لأبحاثي، ومذكرات قادر بكش نظاماني في المجلة الشهرية نداي بلوچستان (صوت بلوشستان، بالبلوشية والأوردية) لندن، بعد أن انضم إلى الحركة القومية البلوشية في أربعينيات القرن العشرين، مرافقاً الأمير الثائر آغا عبد الكريم، الذي قاد الثورة ضد الاحتلال الباكستاني لبلوشستان في عام 1948. وهو على ما يبدو المشارك الوحيد الذي ينتقد علناً عدم جاهزية العمليات غير العلمية للحركة القومية البلوشية.

وقدم العالمان السوفياتيان عملين رائدين حول موضوع القومية البلوشية، وهما العالمان يو. ف. گَنكوفسكي (1971)، وم. گ. پيكُلين (1959). يقول گنكوفسكي (1971) منطلقاً من وجهة نظر ماركسية تقليدية بشأن المسألة القومية: إن الرأسمالية خلال الفترة البريطانية بدأت بتحويل القوميات الإقطاعية في البنگال والبنجاب والسند والإقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان. وإن السنود والپشتون (شعب الإقليم الحدودي الشمالي الغربي) في باكستان بعد الاستقلال، إلى جانب البنگاليين والبنجابيين، هم الذين شكلوا الأمم البرجوازية، وكانوا أكثر تقدماً من البلوش في طريقهم إلى أن يصبحوا أمماً. ومع ذلك، فإن أبحاث گَنكوفسكي عن باكستان، تغطي بشكل كامل فترة ما قبل الاستقلال. وبالمثل في كتابه البلوش (1959)، يحلل پيكُلين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلوش، وبصورة رئيسية في بلوشستان الإيرانية، التي أدت إلى عدة ثورات بلوشية تحت حكم رضا شاه بهلوي (1925 ـ 1941).

سيكون من المستحيل أن لا نذكر هنا العالمين الأكثر إثارة للاهتمام في التاريخ البلوشي السياسي والقومي، وهما عناية الله بلوچ وسليگ س. هاريسون. فمن خلال دراساتهما المثابرة ومعرفتهما ذات المصداقية، قد حافظا على المنهجية الوطنية: عناية الله عن التاريخ القومي وهاريسون عن القومية البلوشية الحديثة. يعد عناية الله مع أعماله العديدة في التاريخ السياسي للبلوش وبلوشستان العالم الأكثر أصالة واطلاعاً. ولكونه تلقى تعليمه في ألمانيا، حصل عناية الله على إلهامه الأكاديمي من المصادر الأوروبية في مجال السياسة والتاريخ. وقد قدم المنهجية الغربية، ونماذجها للتعاطي مع التأريخ والتاريخ البلوشي. وكانت أعماله مركزية في مساهمتها في ترسيخ المعتقدات القومية في بلوشستان. في كتابه مسألة بلوشستان الكبرى، (1987)، يحلل عناية الله الحركة القومية البلوشية انطلاقاً من المنهجية التاريخية. ويثبت أن وجهة الحركة البلوشية حتى تقسيم شبه القارة إلى الهند وباكستان كانت في اتجاه المطالبة بالاستقلال وبلوشستان الكبرى.

سيلِگ س. هاريسون، كما ذكر أعلاه، هو شخص مهم آخر في هذا الموضوع. أنتج هاريسون أهم عمل حول القومية والحركات القومية البلوشية، لأنه كان على اتصال وثيق بقيادة الحركة القومية البلوشية في سبعينيات القرن العشرين، واطلاعه على وثائق ثمينة ونادرة تتعلق بتاريخ وسياسة بلوشستان.

في كتابه تحت ظلال أفغانستان، (1981)، يحلل هاريسون الحركة القومية البلوشية خلال سبعينيات القرن العشرين، التي أدت إلى الصراع المسلح خلال 1973 – 1977، بين حكومة بوتو ومقاتلي البلوش، كنتيجة لفشل البلوش في الحصول على حكمهم الذاتي في ظل نظام بوتو.

قد يكون من المفيد جداً ملاحظة أن مسألة حق البلوش في تقرير المصير أثيرت في الاطار القومي بعد الإدماج الجبري لبلوشستان في إيران (1928) وباكستان (1948)(1). ومن ناحية أخرى، فإن معظم العلماء الباكستانيين والإيرانيين ينكرون مع ذلك حتى مجرد وجود للقومية البلوشية، وفي الواقع يرفضون هذا الحق للبلوش.

فعلى سبيل المثال، لا يوجد في كتابي فيروز أحمد، تركيز على مسألة البشتون وبلوشستان، (1975)، وكتاب الإثنية والسياسة في باكستان (1998)، حتى مجرد طرح نظري للقومية البلوشية. ويقول فيروز أحمد: «من الصعب تحديد ما يشكل الأمة البلوشية، فمن ناحية هناك سكان من أصل أفريقي، وبسبب التركيز الحصري على التراث الأبوي، يُعدون من البلوش . . . ومن ناحية أخرى، يُعد ولا يزال أي شخص من «العرق» البلوشي الذي قد يكون تم استيعابه ثقافياً واقتصادياً وسياسياً بين السنود أو البنجابيين كذلك من البلوش، ويتوقع منه أن يدعم القومية البلوشية»(2).

وفضلاً عن ذلك، يقول فيروز أحمد إن مختلف القبائل البلوشية والبراهوئية المؤلفة للبلوش ليست ملتحمة في بنية اجتماعية واقتصادية أكبر، وتفتقر إلى الشعور بالوحدة في ما يتجاوز الهوية القبلية. وباختصار، يرفض فيروز أحمد أي قواعد لغوية وتاريخية وجغرافية وعرقية مشتركة للقومية البلوشية. ويشدد على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمسألة البلوشية. وعلى الرغم من أن العوامل المذكورة أعلاه لها أهمية كبيرة في تنمية القومية، ولكن ما يكمن في جذور القومية البلوشية، هو إلى حد كبير سياسي ونفسي في طبيعته. وبهذا يستمد فيروز أحمد تحليلاته وتلميحاته من الرواية الباكستانية الرسمية للأحداث الواردة في الكتاب الأبيض حول أزمة بلوشستان.

(1) Baloch, Inayatullah, The Problem of Greater Baluchistan, Stuttgart: Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987, p. 9.

(2) Feroz Ahmad, Ethnicity and Politics in Pakistan, Karachi: Oxford University Press, 1998, p. 180.

وبالمثل، يؤكد الباحث الإيراني القومي، حامد أحمدي رافضاً الخصائص الاثنية للأمة البلوشية، في كتابه، الاثنية والقومية في إيران: من الأسطورة إلى الواقع، (1999)، أن البلوش جزء من الأمة الإيرانية. ونقلاً عن شاهنامة الفردوسي، يقول حامد أحمدي إن البلوش هم من أصول إيرانية(1). ويضع المسؤولية واللوم على البريطانيين وزعماء القبائل ورضا شاه بهلوي في خلق الشعور القومي الحالي لدى البلوش في بلوشستان الإيرانية. ووفقاً له، كان الهدف من نشر المستشرقين الغربيين وخصوصاً البريطانيين لفكرة القومية في بداية القرن العشرين هو لتقسيم إيران. واستغل زعماء القبائل الرجعيون، هذه الفكرة (القومية) لمقاومة الدولة الحديثة لرضا شاه بهلوي وكسلاح لحماية مصالحهم الشخصية(2). وهكذا، يرى حامد أحمدي أن القومية البلوشية أنشئت كنتيجة لهذه العوامل المشتركة الثلاثة بتعاون (بريطانيا وزعماء القبائل والدولة الإيرانية الحديثة)(3).

يلقي الكتاب الإيرانيون والباكستانيون بتجاهلهم السمات البارزة المشكلة لبنية الأمة البلوشية (التجارب التاريخية، الرابط العرقي، اللغة، المعتقدات الدينية، الأرض المتمايزة، البنية الاجتماعية والاقتصادية، والنفسية المشتركة)، اللوم على العوامل الخارجية مثل نشر المستشرقين الفكرة القومية، ومعارضة زعماء القبائل لعملية التحديث والنخبة المنافسة كأسباب رئيسية لظهور القومية البلوشية(4). وللدفاع عن قوميتهم (الإيرانية والباكستانية) يكون الاهتمام المشترك لهؤلاء المثقفين هو حماية وحدة أراضي دولهم، ومكافحة أي ميول انفصالية(5). وربما كنتيجة لهذا الواقع أشار ريتشارد كوتام عام 1979، إلى أن معظم «الإيرانيين» الليبراليين، وهنا يعني الفُرس، يحبذون حظر المنشورات غير الفارسية(6).

ومع ذلك، ففيروز أحمد (1975)، وحامد أحمدي (1999) على السواء يدينان سياسات حكوماتهما المركزية الوحشية، ويعترفان بحقيقة أن البلوش يتم إهمالهم

(1) Hamid Ahmadi, Qaumiyyat wa Oaumgarai dar Iran: Az Afsaneh ta Waqiyyat (Ethnicity and Nationalism in in Iran From myth to reality), Tehran, 1378/1999, pp. 112-113.

(2) Ibid., pp. 182-85.

(3) Ibid., p. 375.

(4) Ibid.

(5) Ibid., p. 375.

(6) W. Richard Cottam, Nationalism in Iran, p. 32.

اقتصادياً وسياسياً، ولكن في الوقت نفسه، ومن خلال رفضهما مقومات الأمة البلوشية، فإنهما يتجاهلان حقها في تقرير المصير. ففي رأي فيروز أحمد، تقع مسؤولية نشوء المسألة البلوشية على التخلف الاقتصادي في المنطقة وسوء حكم الحكومات[1]. وإن كانت العوامل المذكورة أعلاه لها آثارها في إطلاق سراح نمو القومية البلوشية، فإن مما لا شك فيه أن جوهر هذه المسألة كما سيتم مناقشتها في الفصول التالية، متأصلة في الاثنية البلوشية، مع خلفيتها التاريخية والثقافية والإقليمية والنفسية.

خصص العديد من المقالات لتحليل الاثنية والتغيير في كتاب بلوشستان ما بعد الاستعمار، لمحرره پول تيتوس، (1996). تجمع مقالات الكتاب بين أعمال العديد من العلماء الرواد في أوروبا وأميركا وباكستان في الكتابة عن بلوشستان، وتعوض عن نقص كبير في الأعمال العلمية عن البلوش. وعالجوا بهذه المقالات مختلف جوانب الحياة الاجتماعية للبلوش التي تبرز فيها الاثنية، ودرسوا الكيفية التي تتحول بها الهوية البلوشية بوجود عوامل مثل الطرق والأسواق ومؤسسات الدولة.

مع وجود استثناءات قليلة مثل أعمال، م. گ. پيكُلين، سليگ س. هاريسون وإلى حد ما عناية الله بلوج، توجه معظم هذه الأبحاث تركيزها نحو تحليل القومية البلوشية في باكستان أكثر عنها في إيران. والأعمال التي تتناول في معظمها القومية البلوشية في بلوشستان الغربية هي، كتاب إيران وقومياتها: القضية القومية البلوشية، لمؤلفه محمد حسن حسينبور، (1984)، وكتاب بحث حول التاريخ المعاصر لبلوشستان: قصة داد شاه، لمؤلفه عظيم شاه بكش، (1995).

لكن وكما أشير سابقاً، فإن عمل حامد أحمدي (1999) ذو أهمية كبيرة. وعمل محمد حسن حسينبور هو في المقام الأول وصف تاريخي للقومية البلوشية في إيران. وعظيم شاه بخش كما يصف ثورة داد شاه البلوشي، يصف الوسط الاجتماعي والاقتصادي وتأثيره في الحركة القومية البلوشية في بلوشستان الغربية خلال خمسينيات القرن العشرين. وبالتالي، يمكن وصف كل من هذه الأعمال بأنها تواريخ سياسية للقومية البلوشية في بلوشستان الإيرانية.

(1) See Feroz Ahmad, Ethnicity and Politics in Pakistan, Karachi: Oxford University Press, 1998.

وهناك أيضاً عدة أعمال عامة كتبها مؤلفون إيرانيون باللغة الفارسية، وهي تتعامل تحديداً مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية العامة للبلوش في بلوشستان الغربية. وتشمل هذه الأعمال كتاب الجنرال أمان الله جَهانباني، (1957- 1959)، والجنرال حسين علي رزمآرا (1940)، وس. م. سيد سجادي (1374/ 1996)، وايرج أفشار (السيستاني) (1371/ 1993). ومع ذلك فإن هذه الأعمال تتعامل مباشرة مع قضايا القومية البلوشية، وعلى هذا النحو، فهي لن تُعاين هنا. ولكن سيتم استخدامها بشكل واسع في الفصلين الثاني والثالث لمعالجة الأسس التي قامت عليها القومية البلوشية وخصوصاً في خلفيتها التاريخية في الفصل الثالث.

تم تنظيم التحقيقات التجريبية في هذه الأطروحة من حيث التحليل المقارن والتاريخي لنشوء وتطور القومية البلوشية في إيران وباكستان. وتم ايلاء اهتمام خاص لتأثير الاستعمار البريطاني في الخريطة السياسية الحالية في المنطقة. وقد عُرفت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر في القومية البلوشية، وحللت الظروف التي تطورت فيها القومية البلوشية في بلوشستان البريطانية، ودولة كلات، وبلوشستان الغربية (بلوشستان الإيرانية). قد تكون مطالبة جماعات كبيرة إلى حد ما (الپشتون، والبلوش، وغيرهم) خلال النضال ضد الاستعمار البريطاني وحتى اليوم بحق تقرير المصير، والتي ضمت لاحقاً في إطار مفهوم الأمة الإيرانية أو الباكستانية مع اختلافاتها في التاريخ، ومستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتقاليد الثقافية والدينية، مؤشراً على حاجة حقيقية إلى تعديل أو تغيير جذري في الإطار السياسي الذي وجدوا فيه أنفسهم. وذلك مصدر اهتمامي الكبير بتحقيقي، لإعطاء نضالات من هذا القبيل معنى من حيث الحق في تقرير المصير.

وكما يوحي عنوان هذه الأطروحة، فقد اخترت تغطية الأحداث التي لا تتجاوز عام 1980. وبحلول هذا الوقت، سحقت آخر بقايا النضال البلوشي للحكم الذاتي داخل بلوشستان من قبل نظام آيات الله. غير أن الحملة الحقيقية جاءت خلال الصراع على السلطة بين الرئيس السابق بني صدر وخصومه من رجال الدين خلال عام 1981. وبالمثل وبعد فشل عدة لقاءات مع الجنرال ضياء الحق في 1977 و1978، فرض الزعيمان البارزان للحركة القومية البلوشية، السردار عطاء الله مينگل والنواب خير بكش مَري، على نفسيهما النفي السياسي الاختياري، بعد أن يئسا من نيات الجنرال ضياء

الحق والطريق المسدود سياسياً في باكستان. وفي مطلع ثمانينيات القرن العشرين تبددت الحماسة المتوهجة في بلوشستان المستوحاة من القومية البلوشية خلال فترة السبعينيات.

وكما سيتضح في هذه الأطروحة، وحتى حلول الثمانينيات من القرن العشرين، نجحت الحكومات المركزية في باكستان وإيران على السواء في إخماد الحركات البلوشية من خلال استخدامهم القوة العسكرية الكاسحة. وقد ساعد ذلك، من ناحية أخرى، المنافسات المستمرة فيما بين قبائل البلوش وأحزابهم.

قبيلة البُگتي وبعض القبائل الأخرى لم تتعاون مع القوى القومية في ثورة 1973 _ 1977. وبالمثل، في بلوشستان الإيرانية، دعم بعض زعماء القبائل نظام الخميني في ثورة 1979. وكان لإسلام آباد وطهران نجاح جدير بالاعتبار في العثور على قبائل بلوشية كانت على استعداد للتعاون معها ضد القوات القومية البلوشية في مقابل اعتراف حكوماتهم ومكافآتهم.

في حين أن الرغبة في وجود دولة بلوشية أو منطقة حكم ذاتي للبلوش لا تزال تعيش في تصريحات القوميين المنشورة في الخارج، فإن النضال داخل باكستان وإيران قد تدهور منذ بداية ثمانينيات القرن العشرين. حيث كان البلوش غير قادرين على اكتشاف مراكز الثقل في باكستان وإيران، ولم يظهروا أن لديهم القدرة على مهاجمة هذه المراكز إذا فعلوا. وبالنسبة إلى المستقبل القريب، فمرة أخرى هُزمت القومية البلوشية في كل من باكستان وإيران. وينبغي التذكير أن البلوش وإلى حد كبير منعوا من أي مناصرة خارجية، فقد عززت طهران وإسلام آباد التقسيم بين البلوش على طول الحدود بين إيران وباكستان في محاولة لـ(فرق تسد)، من خلال مختلف الاتفاقات والسيطرة على العبور منذ قيام الجمهورية الاسلامية في إيران.

الهدف من هذه الدراسة هو ملء الفراغ في الكتابات المتعلقة بالبلوش من خلال تقديم أكمل صورة للقضية البلوشية في الوضع الراهن المتوافر للبحث. وفضلاً عن ذلك، فإن هذه مساهمة أصيلة في العلوم السياسية المقارنة لأنها المرة الأولى التي يطبق فيها النظرية القومية القائمة على البلوش، لأن الدراسات السابقة في هذا الموضوع قدمت معلومات قيمة كثيرة عن مختلف جوانب المشكلة. ولكن، حتى الآن لم تقدم أي محاولة للتعامل مع المشكلة برمتها بطريقة مفصلة بما في ذلك تطورها التاريخي. وبالتالي، فمن خلال دراسة الكثير من الأدلة غير المستكشفة حتى الآن سيتم تتبع

جذور القومية البلوشية إلى الحقبة الاستعمارية، حيث حاولت هذه الأطروحة دفع حدود البحث في هذا الموضوع وراء حدوده المألوفة.

هناك شقان لأهمية البلوش كحالة دراسية. فأولاً يمثل البلوش أكثر من عشرة ملايين نسمة، وهم متفرقون عبر باكستان وإيران وأفغانستان ودول الخليج. وتشكل التطلعات القومية البلوشية تحدياً مباشراً لسيادة هذه الدول (باكستان وإيران وأفغانستان). وفهم هذه الظاهرة يؤدي إلى الحصول على نظرة ثاقبة للعناصر المحتملة لعدم الاستقرار في المنطقة. ثانياً، نجد أن الحركات القومية مرة أخرى في ازدياد في جميع أنحاء أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق. ويمكن للنتائج المستخلصة من دراسة البلوش أن تطبق على الشعوب الأخرى.

تم تقسيم هذه الأطروحة إلى سبعة فصول، تسبقها المقدمة الحالية. وتم عرض المسألة التي يجري البحث فيها في هذا القسم. ويتبع ذلك مناقشة المفاهيم في الفصل الأول. ويصف الفصل الثاني البلوش من خلال التسميات والتركيبة السكانية والموقع الجغرافي والخصائص اللغوية والانتماء الديني والتنظيم الاجتماعي والتعبير الثقافي والوضع الاقتصادي. ومن أجل وضع المسألة في سياقها التاريخي السليم، تم التعاطي مع التطورات التاريخية للقومية البلوشية على حدة، في الفصل الثالث. والعوامل السياسية التي تؤثر في البلوش هي موضوع الفصل الرابع والخامس والسادس. أما الفصل الأخير أو الفصل السابع فيحتوي على الملاحظات الختامية للأطروحة.



خريطة بلوشستان

الفصل الأول

نظريات القومية

المقدمة

كتب جان جاك روسو: «قبل النظر في [كيفية] إخضاع شعبٍ نفسه لملك، دراسة ذاك الذي أصبح شعباً؛ كون أن هذه [الدراسة] يجب أن تكون قبل النظر في الفعل الأول بالضرورة، أي الأساس الحقيقي لأي مجتمع»[1]. بتوظيف البلوش كحالة دراسية، سوف تتبع هذه الأطروحة نصيحة روسو وتبحث في ما يجعل البلوش أمة، والسبب وراء مطالبة هذه الأمة بدولتها.

القومية، لأغراض هذه الأطروحة، هي شعور جماعة من الناس بارتباط إما عن طريق الرابط الإثني أو الإقليمي، والاعتقاد بأن أفضل طريقة لحماية مصالحهم المشتركة هي أن تكون لهم السيطرة على دولتهم. ومع ذلك، فإن علماء الاجتماع وعلماء السياسة الذين درسوا القومية انقسموا بشأن مسألة ما يوحد الجماعة: فيناقش بعضهم بأنه التقارب الايديولوجي المبني على أساس التاريخ المشترك أو الايمان بجماعة سياسية توحدها، في حين يرى آخرون أنها سيادة السمات الإثنية مثل الأصل واللغة واللون المشترك، وإلى ما هنالك[2]. ومهما يكن، فعلماء الاجتماع يتفقون على أنه ما إن يتم إنشاء الجماعة الأولى، التي تختلف عن الآخرين ممن يفتقرون إلى السمات التي توحدهم، فإنه سيكون للجماعة الأولى مصالح مشتركة، تحتاج إلى أن يدافع عنها. وغالباً ما يشار إلى الجماعة كأمة. وتعبّئ النخبة المثقفة مشاعر الجماعة

[إن جميع الهوامش المشار إليها بإشارة (*) هي من وضع المترجم، أما الهوامش المرقمة تسلسلياً فهي من أصل الكتاب].

(1) Jean Jacques Rousseau in: Robert Maynard Hutchins (ed.), Great Book of the Western World. Chicago: Encyclopaedia Brittannica, Inc., 1982, vol. 38: Montesquieu, Rousseau, p. 391.

(2) A. D. Smith, The Ethnic Origins of Nations, pp. 22-31.

السياسية الناشئة أي «الأمة»، ضد من يقف في وجه نهوضها أي أفراد من «الأمة» المنافسة المتحكمة في آليات الدولة. فالنخبة المثقفة لديها هدف إقامة دولة قومية مستقلة لحماية مصالح الجماعة المشتركة في عالم عدائي. وهذا من شأنه أيضاً أن يمنح المثقفين القدرة التي حرموا منها، وهي النهوض[1].

وقد تم تحديد الأمثلة الأولى للقومية الحديثة بأشكال مختلفة كما تظهر في التوترات التي أدت إلى الحرب الأهلية الإنجليزية (Greenfeld1992)، وحركات الاستقلال في أميركا اللاتينية (Anderson 1983)، والثورة الفرنسية (Best 1988)، وفي رد فعل الألمان والرومانتيكية (Kedourie 1994). ومن الصعب تسوية هذه الخلافات تجريبياً، لأنها تعكس بشكل طيف تعريفات متنوعة. ولغرضنا يكفي الإشارة إلى أنه بحلول نهاية القرن الثامن عشر، كان التشكيل الاستطرادي يطبق تماماً على الثورة الفرنسية وآثارها. واقترحت نظريات الإثنية في مجتمعات ما بعد الصناعة والاستهلاك الشامل، أن التفاعل بين الجماعات الثقافية، منظم عمودياً مع أنظمتها الخاصة في الترتيب، كمقياس موثوق به أكثر للسلوك الاجتماعي منه في الطبقة الاجتماعية[2]. وفي فترة ما بعد الحرب الباردة، اكتسبت القومية الإثنية أهمية لأن بعض البلدان الجديدة تشكلت على أساس اثني، مما زاد في توقعات العديد أن الجماعات الإثنية قادرة على تحقيق هدفها المنشود بإنشاء دولة جديدة على أساس الإثنية والقومية.

إن القومية اليوم هي المبدأ المهيمن على النظم السياسية في العالم. وترتكز دعوتها على الشرعية السياسية المستمدة من مطالب المجتمع القومي، وهي تمثل غالبية التفاعلات السياسية. هذا وينبغي التذكير أن الشرعية هي المفتاح في ما إذا كانت الدولة سوف تحكم بنجاح أم لا. والمصادر الرئيسية للشرعية في الشرق الأوسط تنبع من ولاء السكان إلى جماعات أكبر من وحدة الأسرة، وهي الديانات التقليدية والقومية[3]. وهذه الدراسة هي حول أحد مصادر الشرعية، ألا وهو القومية.

زعمت دائماً الدول التي يهيمن عليها البنجابيون (باكستان) والفرس (إيران) أن

(1) Paul R. Brass, Ethnicity and nationality: Theory and Practice. New Delhi:Sage Publications, 1991, pp. 23-26.

(2) Paul R. Rrass, «Ethnic Groups and Ethnic Identity Formation», in: JohnHutchinson & Anthony D. Smith(ed.), Ethnicity. Oxford University Press 1996,pp. 85-86.

(3) G. Hossein Razi, «Legitimacy, Religion, and Nationalism in the Middle East», in:American Political Science Review. 84, no. 1 (March 1990), p. 75.

البلوش ليسوا بأمة، لكونهم يرفضون بإصرار حقهم في الحكم الذاتي، وحجتهم بأنهم [البلوش] مجتمع قبلي مع الخصائص التقليدية للقبلية، وبالتالي يفتقرون إلى الشرعية للحصول على حق الحكم الذاتي وتقرير المصير[1]. أما القوميون البلوش، وعلى العكس من ذلك، فيرفضون هذه المزاعم، ويبرهنون أنهم يشكلون مجتمعاً قومياً، بأقصى ما للكلمة من معنى، ويحتلون إقليماً واضح المعالم نسبياً (وتلك هي أقوى حجة يستطيع أحد تقديمها لحق تقرير المصير)[2]. وبمعزل عن الروابط الإثنية والتجارب التاريخية المشتركة، فإن التراث الثقافي للبلوش مشترك، ويشمل اللغة والدين، وجميع المظاهر الأخرى مثل الغذاء والملبس، وربما كامل نمطهم في الحياة. ومنذ القرن السابع عشر وحتى عامي 1928و1948 على التوالي، حافظت بلوشستان على وضعها المستقل. وحافظت الدولة البلوشية على علاقات دبلوماسية مع مغول الهند وتركيا العثمانية وإيران وأفغانستان وعُمان والهند البريطانية[3]. وأدى احتلالها من قبل الجيوش الحديثة لإيران في عام 1928، وباكستان في مارس عام 1948، إلى ولادة حركة التحرير البلوشية[4].

منذ مطلع القرن العشرين، والحركات القومية البلوشية في محاولة لتأسيس شرعيتها بنشدان القومية في جميع أنحاء بلوشستان، التي تشكل إقليم بلوشستان الباكستاني، وإقليم سيستان وبلوشستان الإيراني، ومناطق متجاورة في جنوب أفغانستان. بذلك تعاين هذه الأطروحة كيفية تأثير القومية في قدرة هذا الشعب على الحصول على الحكم الذاتي. ومن أجل طرح هذه المسألة، سيتناول هذا الفصل في البداية المفاهيم بسياق متناسق مع نقاش مفاهيمي عن الإثنية والأمة والقومية، وسيلي ذلك مناقشة حول حق «تقرير المصير».

يلقي هذا الفصل الضوء على النظرية الأنسب لتقديم تحليل مناسب للعديد من

(1) Selig S. Harrison, «Ethnicity and Politics in Pakistan: The Baluch Case», in: John Hutchinson, & Anthony D. Smith, (ed.), Ethnicity. New York: Oxford University Press 1996, 298.

(2) Inayatullah Baloch, «Resistance and National Liberation in Baluchi Poetry», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.

(3) Ibid., and see also, Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan: A Study of Baluch Nationalism. Stuttgart: Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987, pp.164-65.

(4) For more detail see, Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan. Emergence Dimensions Repercussions. Quetta: Gosha - e -Adab, 1989 (Chapter Four).

القضايا التي تخص مفهوم القومية في السياق البلوشي، وهي بالتأكيد نظرية أنثوني دي. سميث عن القومية. وكما سيتم مناقشتها في الأقسام التالية، فنظرية سميث تقدم استجابة قوية للمفاهيم التي تعتمد عليها القومية، وذلك أقله في الحالة البلوشية.

الإثنية

لوحظ أن البشر يتصرفون عموماً بشكل فردي أو في جماعات سعياً لتحقيق أهدافهم ومصالحهم. وبالتالي فمن المؤكد أن ولاء المرء لجماعته له أصولٌ قديمة. وهذا البعد الذي لدى القومية واضحٌ في دعواه أنه بدائي، وموجود منذ ما قبل الذاكرة، وقبل تدوين الإنسان للتاريخ. ولكن يمكن أن يتخذ ولاء الجماعات أشكالاً عديدة، وليس للقومية أن تتشكل أو أن تفسر ذاتها من تلقاء نفسها. ووفقاً لماكس فيبر، فإن «الانتماءات العقلانية تحل محل الوعي الاجتماعي القائم على أواصر المودة في المجتمع الصناعي الحديث». ويقول إن الأمة تحل محل الهوية البدائية[1].

صورت الكيانات الإثنية في الأبحاث الحديثة، على أنها الجماعات التي يربطها وعيٌ مشترك بالأسلاف أو الدين أو اللغة أو الإقليم أو التقاليد التاريخية ونضال من أجل مصالح أعضائها. لا تضم الإثنية القوة المحتملة للتعبئة في الديمقراطية فقط، ولكن أصبحت أيضاً أهم مظهر من مظاهر السعي إلى هوية من خلال الأصل المشترك في أواخر القرن العشرين. وظهر مصطلح (الإثنية: Ethnicity) باللغة الإنجليزية في خمسينيات القرن العشرين[2]. ولكن الكلمة (Ethnic) هي أقدم بكثير وهي من الإغريقية (Ethnos).

يصف مايكل بانتون الإثنية على أنها ضرب من ضروب القومية، التي يسعى بها القادة «إلى دفع أتباعهم ليشكلوا وعياً عن سمة مشتركة»، ولإقناعهم أن للسمة أهمية لم يدركها أعضاء الجماعة سابقاً[3]. ووفقاً لبانتون فهذه السمة المشتركة هي جسدية وثقافية، وتتكون الإثنية بسببها. ولكن لا يحدد بانتون نوع السمة الجسدية أو الثقافية

(1) Max Weber, «The Origin of Ethnic Groups», in: John Hutchinson & Anthony D. Smith (ed.), Ethnicity. New York: Oxford University Press 1996, pp. 35-36.

(2) Thomas H. Eriksen, «Ethnicity, Race, Class and Nation», in: Ibid., p. 28.

(3) Michael Banton, «Ethnic Bargaining», in: Dennis L. Thompson and Dov Ronen (ed), Ethnicity. Politics, and Development. Boulder, Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1986,p. 14.

التي تحتاج إليها الجماعات. وعلى الرغم من ذلك فإنه يجادل بأن ما أن تستقر جماعة على سمة، حتى تتكون لها هوية ذاتية تتفاعل سلباً مع الجماعات الأخرى المفتقرة إلى السمة ذاتها[1].

أما لدى ريموند هول، فالخلافات بين الإثنية والقومية هي مجرد مسائل توقيت. ويكتب أنه قبل تأثير المنظومة الأوروبية في الشعوب غير الأوروبية، كانت هذه الشعوب أقليات إثنية. وحولت تلك الجماعات، التي لا تزال تحتفظ بالحكم الذاتي في الدول السياسية الحديثة الكبرى إلى «أقليات قومية»[2].

وهكذا، فوفقاً لتحليل هول، خلق الاستعمار الأوروبي من انهيار الإمبراطورية العثمانية «أمم» كُلٍ من تركيا والعراق وسوريا، إلخ. وبقيت الجماعات التي لم تحقق استقلالها في ذلك الوقت أقليات إثنية. ويبدو بالتالي أن الفرق في هذا التحليل بين الإثنية والقومية يكمن في الوقت الذي وصلت به الإمبريالية الغربية إلى الأرض الأجنبية، وهو بالكاد يشكل فرقاً نظرياً.

بشكل عام، طورت كبرى المدرستين نظريتين حول جذور الإثنية: فهناك تلك التي تؤكد على البدائية، والأخرى التي تشدد على الظرفية وعواملها. أصحاب النظرية البدائية ينظرون إلى الهوية الإثنية كأمر مفروغ منه، بسبب أن الانتماءات البدائية مستمدة من لون البشرة والعرق والقبيلة والدين والطائفة واللغة، وعوامل أخرى من هذا القبيل، ولكل جماعة إثنية تجربة تاريخية مختلفة. ويجادل أصحاب النظرية البدائية أن البشر لطالما كانوا في جماعات على أسس معينة من الخصائص البدائية[3]. بينما الكتاب الآخرون، الذين يمكن أن يطلق عليهم أصحاب الذرائعية، يشيرون إلى الطابع الظرفي للهوية الإثنية. بكون الهوية متعددة الأبعاد وغالباً ما تحتوي على أكثر من مُعلِم موضوعي: مثل لون البشرة وهيكل الوجه والقبيلة واللغة والدين، وهلم جرا. وهذا يتيح مرونة للتكيف مع حالات محددة.

(1) Ibid.

(2) Hall, Raymond L., «Introduction», in Hall, Raymond L. (ed.), Ethnic Autonomy Comparative Dynamics: The Americas. Europe and the Developing World. New York,1979, p. xix.

(3) Clifford Geertz, «The integrative revolution: Primordial sentiments and civil politics in the new states», in: C. Geertz (ed.) Old Societies and New States: The Quest for Modernity in Asia and Africa. New York: Free Press, pp. 110-11.

يقدم لنا أنتوني دي. سميث أبلغ تعريف للمجتمع. فيصف المجتمع بأنه تجربة مشتركة متعاقبة الزمان(1). فالمجتمع وحدةٌ سكانية واعية بحركتها الجماعية من ماضٍ الذكريات المشتركة والأساطير(2)، وعبر حاضر من التجارب المشتركة(3)، وإلى مستقبل ذي مصير مشترك(4). وبحسب سميث، فالجماعة الإثنية لها ست سمات وهي: اسم جماعي مميز؛ وأسطورة عن أصل مشترك، وذكريات تاريخية مشتركة، وثقافة مشتركة؛ وارتباط بوطن معين، وشعور بالتضامن الإثني(5). وبذلك تشكل روح المجتمعات الإثنية تراكيب من الأسطورة والقيم والذكريات والرموز (وهي المحرك غير العقلاني، الأسطو محرك: mythomoteur). وهي من أدت دوراً حاسماً في الحفاظ على الهويات الإثنية من الماضي السحيق حتى قدوم الحداثة. حيث تتحول المجتمعات الإثنية القديمة إلى أمم حديثة تحت تأثير الحداثة والثورات الثلاث المتلازمة معها في مجالات الثقافة والاقتصاد والإدارة. وقد حافظت الهويات القومية على روح الهويات الإثنية القديمة، ولكن أضافت إليها مبدأ المواطنة(6).

وبالتالي، تستند الهويات القومية إلى عنصرين: عنصر إثني؛ ينبع من الموروثات الثقافية والتاريخية، وعنصر مواطنة إقليمي؛ ينبع من الحداثة. وعلى الرغم من حدة التوتر بين هذين المبدأين فإنهما ضروريان لتشكيل هوية قومية مكتملة. إذ يجب على المجتمع الإثني من أجل أن يكون أمة، أن يقيم مجتمعاً مدنياً قائماً على المواطنة السياسية، وأمة إقليمية تعتمد على أسطورة الأصل المشترك والذكريات التاريخية لتمييز نفسها من جيرانها(7).

لدى سميث العوامل التي تنتج الشعور بالانتماء إلى المجتمع هي الذكريات والأساطير والرموز المشتركة، وقبل كل شيء، التاريخ الإثني. ويكتب أن كل مجتمع حديث تم تأطيره من تراثه السابق للعصر الحديث(8). وفي مرحلة ما قبل الحداثة، يجد

(1) A. D. Smith, «National Identity and the Idea of European Unity», p. 58.

(2) Ibid., p. 58.

(3) Ibid., p. 68.

(4) Ibid., p. 58.

(5) A. D. Smith, The Ethnic Origins of Nations, pp. 22-31.

(6) bid.

(7) Ibid.

(8) A. D. Smith, «National Identity and the Idea of European Unity» in: International Affairs 68. no.1, 1992, p. 62.

المجتمع عنده مستودعاً من التقاليد المشتركة والتجارب التي تخلق الشعور بالأصل المشترك، مما يضفي إطاراً موحداً على طبيعة الحياة العصرية المتجزئة على نحو متزايد. وربما تكون نينا سويدلر هي أفضل من أبرز أهمية المُعلِمات الإثنية في سياق القومية البلوشية. فتكتب أن الذكريات والأساطير والتجارب التاريخية المشتركة، تشكل الأساس المتماسك للقومية البلوشية(1). وبلحاظ ذلك، فتصور سميث هو أفضل تعريف مناسب لدراسة القومية.

الأمة، القومية، والدولة

طرح إرنست رينان بشكل مؤثر السؤال «ما هي الأمة؟» في ورقة له تحمل العنوان نفسه، في عام 1882(2). وكتب رينان مُقدماً تعريفاً مُلهماً للأمة:

«إن الأمة هي روح ومبدأ روحي. وما يشكل هذه الروح أو المبدأ الروحي هما شيئان، ولكنهما في الحقيقة شيء واحد. أحدهما يكمن في الماضي، والآخر في الوقت الحاضر. أحدهما هو امتلاك إرث غني مشترك من الذكريات، والآخر هو الإجماع في الوقت الحاضر على الرغبة في العيش المشترك»(3).

وبالتالي، فقد عرف الأمة باعتبارها موضوعاً تاريخياً. وبالنسبة إلى رينان فهي جماعة من الناس قد عبرت بشكل جماعي في خلال الأحداث التاريخية عن نفسها. وربما أفضت مشاركتها للدين والجغرافية واللغة إلى هذه المشاركة التاريخية. ويمكن العثور على المحتوي الأساسي للأمة في هذه المشاركة.

يعرف سميث الأمة بأنها «جماعة كبيرة مندمجة عمودياً ومتنقلة إقليمياً وتتميز بحقوق المواطنة المشتركة والشعور الجماعي جنباً إلى جنب مع واحدة (أو أكثر من الخصائص المشتركة) التي تميز أعضاءها من الجماعات المماثلة، والتي هم معها على علاقات تحالف أو صراع»(4). ووفقاً لسميث فإن الجذور الإثنية للأمم الحديثة، يمكن أن يُقتفى أثرها إلى ذكرياتهم وأساطيرهم المشتركة.

(1) N. Swidler, «Beyond Parody», p. 169.

(2) Ernest Renan, «What is a Nation?» in: Bhabha, Homi (ed.), Nations and Narration. London: Routledge, 1990, pp. 8-22.

(3) Ibid., p. 19.

(4) A. D. Smith, Theories of Nationalism, p. 175.

الهوية الإثنية المستمدة عبر التاريخ هي بمنزلة أساس تشكيل الأمة في حركة التغيير الثوري. وبالتالي، يمكن عد الأمم بشكل مناسب أكثر؛ جماعات اثنية مُسيسة خلال التحديث[1].

وفقاً لسميث فإن الأمم من الظواهر الحديثة، ولكن لوازمها الثقافية (الأساطير والقيم والذكريات والرموز) قديمة[2]. ويقول إن الأمم نشأت من المجموعات الإثنية القديمة، وأيديولوجيتها متماثلة «للنزعة الإثنية» دون أن تكون متطابقة معها. ويضيف سميث أن القومية كأيديولوجيا وحركة قد نشأت منذ القرن الثامن عشر، ولكن الاعتقاد «بأصل الأمة الإثني» أقدم من ذلك بكثير. ويركز سميث على الإثنيات العرقية وعلى أساطيرها ورموزها، ويؤكد على وجودها في كل من المرحلة الحديثة ومرحلة ما قبل العصر الحديث، ومع استمرارية قوية لها عبر التاريخ. ويكتب:

[لأن] الإثنية وإلى حد كبير في شخصيتها «أسطورية» و«رمزية»، ولأن الأسطورة والرموز والذكريات والقيم تعبر بأشكال وأنواع من المصنوعات اليدوية والأنشطة التي تتغير ببطء فقط، لذلك فإن الإثنية، بمجرد تشكيلها، تميل إلى أن تكون بشكل استثنائي دائمة تحت التقلبات «العادية»، وتستمر على مدى أجيال عديدة، وحتى قرون، مشكلة «قوالب» يمكن أن تتكشف في خلالها كل أنواع العمليات الاجتماعية والثقافية، التي تعتمد على كل أنواع الظروف والضغوط وتأثيراتها[3].

من ناحية أخرى يفترض علماء الأنثروبولوجيا الثقافية تسلسلاً هرمياً من خمس طبقات لمثل هذه الجماعات بدءاً بالأسرة، ثم عدد من العائلات التي تشكل الفرقة، والعديد منها (الفرق) تنضم في النهاية لتشكيل عشيرة. والعشائر بدورها تتحد لتشكيل القبيلة، والقبائل بمرور الوقت تنضم معاً لتشكيل الأمة[4].

وحسب براس[5] عندما تدرك جماعات متمايزة هويتها المنفصلة بموضوعية (أي

(1) Ibid., see, chapter 7.

(2) A. D. Smith, National Identity. London: Penguin Books, 1991; See also, A. D. Smith, The Ethnic Origins of Nations. Oxford: Blackwell, 1986.

(3) Ibid., p. 16.

(4) See Roger Pearson, Introduction to Anthropology. New York, 1974, pp. 175-90.

(5) Paul R. Brass, Language. Religion and Politics in North India. Cambridge: Cambridge University Press, 1974, pp. 8-9.

تلك التي تتقاسم الخصائص الإثنية المشتركة)، تنظم نفسها سياسياً لتصبح مستقلة سياسياً أو أمة لتحقيق الحكم الذاتي أو الحصول على دولة مستقلة. ويشدد على دور النخبة المنافسة كأساس لكي تطور جماعة إثنية وعيها الذاتي وتحدث مطالبها السياسية[1].

بينما يؤكد أندرسون على حداثة الأمة. ويصف الأمة باعتبارها «جماعة متخيلة»[2] ومثل هذه الجماعة تأتي إلى حيز الوجود نتيجة لتوسع مجال الاتصالات. ويرى الأمة على أنها «جماعة سياسية محدودة بطبيعتها وذات سيادة مُتخيلة ومتصورة»[3] وهي محدودة لأن الدول الأخرى تحدها. وهي ذات سيادة، بمعنى أن الأمة تستمد شرعيتها من سلطة الشعب وليس من السلطة الدينية. وأنها متصورة، بمعنى أن معظم أعضاء الأمة لا يعرفون بعضهم بعضاً، ولن يعرفوا. وفضلاً عن ذلك، فإن فكرة الأمة تنطوي على رفاقية أفقية بين أعضائها، وهي بذلك تخفي العلاقات الاستغلالية الحقيقية.

ويضيف أندرسون أنه يفترض في المخيلة القومية للأمة أن تكون قديمة. وترتبط هذه القدامة بالأجيال القادمة. وهذه الاستمرارية توفر الأمن الوجودي ضد القدر والموت والحوادث تحت ظروف أفول السلطة الدينية[4].

ويقول أندرسون إن تراجع اللغات المقدسة، التي ادعت احتكار الباب إلى الحقيقة، وتراجع الولاء إلى السلطة الدينية، وفصل التاريخ عن علم الكونيات، قد خلق كل ذلك مساحة فارغة لظهور القومية. ويؤكد على الدور الذي أدته ثورة الطباعة والرأسمالية في تشكيل الأمة الحديثة. ووفقاً لأندرسون فإن الطبقات الوسطى المتعلمة هي حاملة الوعي القومي، وبدء تمحور التحول إلى اللغة المحلية بدلاً من اللاتينية، التي كان يتعهدها الكهنة والطبقات الأرستقراطية. وفي رأي أندرسون، فالناس الذين يعيشون في أماكن معزولة، وتفصلهم مسافات بعيدة، ويقرأون الكتب والصحف ذاتها؛ سيشعرون بأنهم معاصرون لبعضهم البعض. وهذا النوع من الاتصالات المجردة (على

(1) Paul R. Brass, Ethnicity and nationality: Theory and Practice. New Delhi: Sage Publications, 1991, pp. 2326.

(2) Benedict Anderson, Imagined Communities. London: Verso, 1983, pp. 5-7.

(3) Ibid., p. 6.

(4) Ibid., p. 36.

خلاف الاتصالات التي تتم وجهاً لوجه كما يختبرها الناس في المجتمعات الصغيرة) مهد للكلمة المطبوعة المتداولة أن تكون الوسيلة في تخيل المجتمعات ذاتها أنها مثل الأمم[1].

وساهمت اللغات المطبوعة في تشكيل القومية من خلال ثلاث طرائق. أولاً، أنشأت نماذج موحدة للتبادل والاتصالات. ثانياً، أعطت الرأسمالية المطبوعة استمرارية جديدة للغة، مما كان مفيداً في تخيل قِدم الأمة. وثالثاً، أدت إلى إنشاء لغات مركزية سلطوية، تختلف عن اللهجات واللغات المحلية السابقة. وفي حين أن هذه العمليات كانت تدريجية في أوروبا، فإنها كانت متسارعة بشكل مقصود في بقية أنحاء العالم لخلق الأمم. وإلى جانب الكلمة المطبوعة، كانت العناصر الأخرى هي عمليات التعداد السكاني، والخرائط والمتاحف، التي ساهمت جميعها في خطاب تخيل الأمم[2].

صب العلماء مثل كارل دويتش[3] تركيزهم على الاتصالات باعتبارها العامل الرئيسي في عملية التحديث. فالوحدات الأصغر من المجتمع، يتم تغذيتها برمز موحد للاتصالات، وخصوصاً اللغة، لتصبح شعباً. ويصبح الناس مستقلين سياسياً عندما ينضمون إلى العمل السياسي للحصول على قدر من التحكم الفعال في الأعضاء. وعندما يكتسبون القوة لدعم تطلعاتهم؛ تتدرج الجماعة المستقلة سياسياً حتى تصبح أمة. ووفقاً لكارل دويتش فإن الاكتمال حتى الدولة الكاملة يحدث عندما تحقق الجماعة وضعاً ذا سيادة في دولتها[4].

جدالية دويتش الصارمة تشير إلى أن الأمة، هي تلك الجماعة من الناس الذين يسهل التواصل فيما بينهم على خلاف الآخرين من خارج الجماعة. ويشير إلى أنها «التواصلية التكاملية»، ويوضحها على النحو الآتي: «اختبار التكامل بين أي مجموعة من الاتصالات. . . هو فعالية الاتصالية. ومدى سرعة ودقة الرسائل التي تعبر؟ ومدى تعقد وضخامة المعلومات التي يمكن أن تنتقل؟ ومدى فعالية تنقل العمليات في جزء واحد من شبكة إلى أخرى؟»[5].

(1) Ibid., pp. 37-46.

(2) For more detail see Ibid., Chapter 10.

(3) Karl Deutsch, Modern Nationalism and Social Communication. Cambridge, Mass: MIT Press,1966, pp. 86-106.

(4) Ibid.

(5) Ibid, p. 96.

ما هي السمات البارزة للأمة؟ في الغرب كانت كلمة «الأمة» كما نعرفها اليوم، تستخدم في البداية لتشكيل دول ذات سيادة في أوروبا. ولكن الكلمة تستخدم اليوم من قبل الجماعات الإثنية داخل هذه الدول ذات السيادة، في مطالبها بالحكم الذاتي والانفصال والاستقلال. وفي هذا الصدد، أوضح ستالين المتحدث الرسمي باسم اللينينية ولاحقاً رئيس لينين لمفوضية القوميات، المسألة القومية، بأن الأمة هي مجتمعٌ مستقر من الناس تطور تاريخياً، وتشكلت على أساس وجود لغة وأرض وحياة اقتصادية وتركيب نفسي مشترك، ويتجلى كل ذلك في الثقافة المشتركة[1]. فالأمة إذاً ليست قبلية ولا عنصرية. وتتشكل معظم الأمم الحديثة من مختلف القبائل والأعراق، فعلى سبيل المثال الأمة الأمريكية تشكلت من الأفارقة والبريطانيين والإسبانيين والهنود الحمر، الخ. وينطبق الشيء نفسه على الأمم الأخرى.

وتؤكد الماركسية ـ اللينينية على أهمية العوامل المذكورة أعلاه، ولكن يتم التشديد أكثر على جوانب التماسك الاقتصادي والطابع الجماعي أو الثقافي ـ النفسي للوعي القومي. حيث يمكن أن يعيش أناس على الأرض نفسها ولكن لا تكون لديهم لغة وثقافة مشتركتان، أو رابط اقتصادي قوي. ولذلك، يجب أن تكون جميع الخصائص موجودة لجميع المجتمعات ليتم تسميتها أمماً. ومع ذلك، فإن هناك أوقاتاً عندما لا تكون جميع الخصائص المذكورة أعلاه بارزة بالتساوي. وقد تكون واحدة أو اثنتان من الخصائص أكثر بروزاً من غيرهما، ولكن كل العوامل يجب أن تكون متوافرة.

الماركسيون التقليديون في المركز يؤكدون على اللغة المشتركة باعتبارها دعامة ضرورية للأمة. وبالمناسبة، فإن النمو المستمر لعدد اللغات ظاهرةٌ لا تنقطع. ومنذ القرن الثامن عشر، تسيطر ثلاث لغات على الثقافة والحضارة والعلوم الأوروبية، وهي الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ولكن هذا لم يمنع من نمو قياسي في لغات أوروبا المعيارية من ست عشرة لغة في عام 1800 إلى ثلاثين لغة في 1900 وثلاث وخمسين لغة في 1937[2]. وقد تؤدي المطالبة بأن تكون للغة الجديدة مكانة وطنية إلى تشكيل

(1) Stalin, Marxism And The National Question. Moscow: F.L.P.H., 1947, p. 15.

(2) For more information see, Benedict Anderson, Imagined Communities. London:Verso, 1983,(chapter five).

جماعة إثنية جديدة تطالب بالاعتراف بهويتها المستقلة. وبالتالي، فالحكومة قد تعارض مثل هذه المطالب التي قد تؤدي إلى مواجهة بين الجانبين. وفي بعض الأحيان، قد يصبح التحريض على الاعتراف بلغة جديدة كلغة وطنية عنيفاً وجاذباً لاهتمام المجتمع الدولي. وفي الواقع، فكثير من الدول المستقلة ذات السيادة والأقاليم داخلها، تختلف بعضها عن بعض تحديداً بسبب أن شعوبها تتحدث بلغات مختلفة. ومثال ذلك الهند التي شكلت فيها العديد من الولايات بسبب اللغات المحكية المختلفة.

وكان ستالين محقاً حين أشار إلى أن الأمة هي جماعة من الناس تطورت تاريخياً، وكنتيجة مباشرة لتأثير الأوضاع المادية في وجود الشعب ونمو هوية جماعته. ولكن، بوضعه الخصائص الموضوعية مثلاً للغة والأرض والحياة الاقتصادية على قدم المساواة مع السمة الذاتية «التركيب النفسي» فقد جسد على نحو فعال السمة الأخيرة، وانتهى بتعريف ثابت، تجاهل به التفاعل الديناميكي بين الموضوعية والذاتية. واستبعد «المثالي» على أنه «شيء ذو معنىً روحي غير مادي وخارق للطبيعة». وفشل في إدراك أن المثالية والمادية تسيران جنباً إلى جنب، وبذلك ليس لإحداهما الأولوية.

وقد كتب ستالين عام 1913 مقالة لتفنيد الرأي القائل بأن اليهود يشكلون أمة. ولكن بعد خمسة وأربعين عاماً، أقام اليهود الدولة اليهودية إسرائيل. فالعزيمة والإرادة الذاتيتان للشعب اليهودي، المتأصلتان في التراث القديم والمعاناة أدتا إلى توحدهم وتكاتفهم المتعاظم، وأسفر عنصر نهضة اللغة العبرية، في نهاية المطاف، عن أرض الميعاد. وفي النهاية، ثبتت صحة قول ثيودور هرتزل، وليس ستالين. وفي عام 1882، أشار هرتزل:

«نحن شعبٌ واحد، أعداؤنا جعلوا منا شعباً واحداً. فالمحن ربطتنا معاً، وبالتالي وحدتنا، واكتشفنا فجأة قوتنا. نعم، نحن أقوياء بما يكفي لتشكيل دولة، بل دولة نموذجية. نحن نمتلك كل الموارد البشرية والمادية لهذا الغرض»[1].

وبذلك تبنى القومية على آمال الأمة ومخاوفها، وإثارة الدعم الشعبي بمناشدات لزرع الاعتزاز القومي والوطنية، وبشكل مألوف تعدهم بعصر ذهبي، وفي كثير من الأحيان تُحيي وجهة نظر شعبية لبعض الحوادث التاريخية أو حتى الأسطورية في نضال

(1) Theodor Herzel, «The Jewish State», quoted in: Wittamayer Baron, Modern Nationalism and Religion. New York 1947.

الأمم لتحقيق الاستقلال. ويعرف سميث القومية باعتبارها حركة أيديولوجية لتحقيق الاستقلال والحفاظ عليه والوحدة والهوية الممثلة لمجموعة من السكان، التي تعتبر من قبل بعض أعضائها أنها تشكل «الأمة» الفعلية أو المحتملة[1]. ووفقاً لسميث فالفرضيات المركزية المقترحة لهذه الأيدولوجية أو «المبادئ الاساسية» هي أربع، كالتالي:

1 - ينقسم العالم إلى أمم، ولكل من هذه الأمم ذاتها، وتاريخها، ومصيرها الخاص.

2 - الأمة هي مصدر جميع القوى السياسية والاجتماعية، والولاء للقومية يتجاوز كل الولاءات الأخرى.

3 - يجب على البشر التماهي مع الأممية إذا كانوا يريدون أن يكونوا أحراراً ويفهموا أنفسهم.

4 - يجب أن تكون الأمة حرة وآمنة إذا أُريد للسلام والعدالة أن يسودا العالم[2].

ويؤكد سميث أن القومية لا يمكن أن تُفهمَ في عزلةٍ عن جذور المكون التاريخي والثقافي للأمة: «[فالقومية] تعتمد على البواعث السابقة والرؤى والمثل العليا. وما نطلق عليها القومية، تعمل على عدة مستويات، ويمكن اعتبارها شكلاً من أشكال الثقافة بقدر ما هي نوعٌ من الأيدلوجيا السياسية»[3].

التحليل الذي قدمه ماكس فيبر للأمة يبدو مماثلاً لذلك الذي قدمه سميث. ومثل سميث يؤكد «قد تكون الهوية القومية قبل كل شيء، مرتبطة بذكريات المصير السياسي المشترك»[4]. غير أن فيبر أكثر تحديداً في وضع الخطوط العريضة لتطور الشخصية التاريخية للأمة. فوجود الأمة هو بمنزلة كيان مميز ثقافياً من الناس المتشاركين في شعور مرتبط بمكانة ثقافتهم، ويترتب على ذلك ضرورة ضمان الحفاظ عليها[5].

وتجدر الإشارة إلى أن القومية في النهج الحداثي للأمة، هي التي تخلق الهوية القومية وليس العكس. ويؤكد على ذلك إرنست گلنر[6]: «القومية هي في المقام الأول

(1) A. D. Smith, National Identity, p. 73.

(2) Ibid., p. 74.

(3) Ibid., p. 71.

(4) Max Weber, «The Nation.» In: H.H. Gerth and C. Wright Mills (ed.) From Max Weber: Essays in Sociology. London: Routledge, 1991, pp. 173.

(5) Ibid., p. 176.

(6) Ernest Gellner, Nations and Nationalism. Oxford: Basil Blackwell Ltd, 1983, p. 1.

مبدأ سياسي يذهب إلى أن الوحدة السياسية والقومية ينبغي أن تكون منسجمة». وقد نشأ المصطلح في خلال عهد التحديث والتصنيع ولا يمكن العثور عليه في مجتمعات ما قبل الحداثة. ويوجز گِلنر هذه المسألة عندما يعلن: «القومية ليست هي صحوة الشعوب بوعيها الذاتي، بل هي التي من يخترع الأمم التي لا وجود لها، ولكنها تحتاج الى بعض المُعلمات المتمايزة التي توجد مسبقاً للعمل عليها، وهي سلبية تماماً...»[1] وعلى المنوال نفسه يرى كِدوري أن القومية هي في ذاتها «مذهب مخترع»: «القومية هي مذهب اخترع في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر»[2]. ولكن كيف يمكننا فهم مثل هذا «الاختراع»؟ وبأي معنى تخترع أو تنشأ القومية الأمم، التي «لا وجود لها»؟

وفقاً لجون برويلي، فإن وضع النزعة القومية في الإطار الثقافي مضللٌ للتفكير. فالقومية هي في المقام الأول سياسية، وتلك السياسة هي القوة. والقوة في العالم الحديث هي قبل كل شيء حول السيطرة على الدولة[3]. ويصف رينهارد بندكس كيفية تحصيل النخبة المثقفة للروح القومية:

«نجد أن الأقلية المتعلمة أو النخبة المثقفة ترى بلدها بلداً متخلفاً بمقارنته ببعض أو بكل الدول المتقدمة. وهذا تصورٌ مضطرب، لكونه يحدد القوة إن لم يكن الخير مع القوى الغربية، ويرى الضعف إن لم يكن الشر في الأرض التي يولد المرء فيها. وفي هذا الإطار، تستخدم الأفكار لتحديد وحشد القوى التي ستكون قادرة على إحداث التغيير، وبالتالي معالجة هذه المحاسبة غير المرغوب فيها من الناحية النفسية»[4].

ومتفقاً مع تحليل بنديكس، يعتقد سميث أن مثقفي العالم الثالث يخضعون لعملية شرعنة مزدوجة في كلا المحيطين، الثقافي التقليدي الذي ولدوا فيه، وفي الثقافة الحداثية التي تلقوا تعليمهم فيها. وعندما يحاول المثقفون مواءمة هاتين الثقافتين المتنافستين، تنشأ لديهم استراتيجية ثالثة محتملة وهي: الاندماج في الثقافة الحداثية، ومحاولة المزج بين الثقافات الحديثة والتقليدية، أو رفض التحديث لمصلحة القيم

(1) Ernest Gellner, Thought and Change. London: Weidenfeld & Nicolson, 1964, p.168.

(2) Elie Kedourie, Nationalism. 4th edn. Oxford: Blackwell (first published 1960),1994, p. 1.

(3) John Breuilly, Nationalism and the State. Manchester: Manchester University Press, 1982, pp. 1-2.

(4) Reinhar Bendiz, Kings or People: Power and the Mandate to Rule. Berkeley: University of California, 1978, p. 271.

التقليدية. فالقومية الإثنية ولدت نتيجة لهذه الاستراتيجية الثالثة: «ولدت القومية بين المثقفين عندما قام المنقذون الاندماجيون في محاولة لتحقيق رؤيتهم السابقة بإعادة تشكيل التجديد الدفاعي من خلال اعتماد الحل الإثني»[1].

وكان الاتحاد السوفياتي السابق يدعي لوقت طويل تمثيله لنوع خاص من الأممية، ويدعو إلى وضع حد للقومية والصراع التاريخي بين القوميات في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي. فعلى سبيل المثال يدعي نيناروكوف وبروسكورين في سلسلة الدولة المنشورة لنوفوستي بشأن التجربة السوفياتية ما يلي:

«عندما اختفت التناقضات الاجتماعية في ظل الاشتراكية، اختفى كذلك الصراع القومي واللامساواة والاضطهاد العنصري بكل أشكاله. . . وقد أثريت الثقافة الاشتراكية المتعددة القوميات من خلال التبادل المكثف للقيم الثقافية والفكرية. وشكلت الأمم الاشتراكية المندمجة والمشكلة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، مجتمعاً تاريخياً جديداً للشعب، أي شعب الاتحاد السوفياتي. . . واليوم ليس من المبالغة القول إن الشعور السائد بين الشعب السوفياتي هو بأنه عائلة واحدة»[2]. وبعد عام 1989 كشفت موجة من الحركات القومية في الاتحاد السوفياتي السابق زيف هذه الادعاءات، ورغم ذلك لا ينبغي لنا أن نتجاهل حقيقة أن النزاع الإثني والقومي تقلص إلى حد كبير في ظل الحكم الشيوعي.

وناقش العلماء السوفيات القومية في العالم الثالث باعتبارها تناقضاً نشأ عن الإرث الاستعماري. ولسوء الحظ، لم يكتب لا ماركس ولا إنجلز عن المسألة القومية بشكل متوسع. ولذلك تُرك الأمر إلى لينين وستالين لوضع الإطار النظري للتعامل مع تعقيدات المسألة القومية. وظفت مفاهيم مثل الأمة والقومية والجماعة الوطنية (وضعت أصلاً من قبل ستالين) للتمييز بين المستويات المختلفة للتنمية الاقتصادية والثقافية التي حققتها التكوينات الاجتماعية المختلفة[3].

تناول ستالين نظريات الأمة في سياق أهميتها بالنسبة إلى الأممية الشيوعية.

(1) A. D. Smith, Theories of Nationalism, p. 255.

(2) Albert Nenarokov and Alexander Proskurin, How the Soviet Union Solved the Nationalities Question. Moscow: Novosti Press Agency Publishing House, 1983, p. 44. 57 For more detail see, Stalin, Marxism And The Nationalities Question. Moscow: F.L.P.H.,1947.

(3) For more detail see, Stalin, Marxism And The National Question. Moscow: F.L.P.H.,1947.

وكتابه الماركسية والمسألة القومية، المنشور عام 1913، هو مساهمة مهمة في دائرة النقاش فيما يتعلق بالموقف المناسب الذي يجب اتخاذه من قبل الشيوعية (مع تطلعها نحو التضامن البروليتاري المتخطي للحدود الوطنية) نحو الحركات القومية، التي بدت بوضوح في كثير من الحالات مناضلة من أجل حقوقها البروليتارية، وإن كان ذلك داخل الحدود الوطنية[1].

مع تأكيد النظريات الماركسية/ الماركسية الجديدة على أولوية الطبقة، فإنها تشير إلى أن الاستغلال المتمايز والمتباين للمجتمعات التي تميزت بالعرق أو الدين، أو غيرهما من العوامل، جزء لا يتجزأ من النظام الرأسمالي. ولذا فوعي الجماعة قد لا يكون تشويهاً أيديولوجياً، بل تعبيراً عن الحدود التي يقع فيها الاضطهاد الطبقي بكل الحالات[2]. المفهوم الماركسي يعتبر القومية ظاهرة تاريخية ومظهراً متزامناً مع عصر الرأسمالية. وهذه المدرسة تقسم الأمم إلى فئتين هما «القوميات الباغية» و«القوميات المَبغي عليها»، وهو انقسام يفترض أن يختفي فقط مع اختفاء الرأسمالية عندما تحل محلها الاشتراكية.

وتجدر الإشارة إلى أن القوميين البلوش فضلاً عن العديد من اليساريين البنجابيين والناطقين بالأوردية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، تأثروا بمذهب ستالين الماركسي في القوميات الباغية والمَبغي عليها، وعدوا تعريف الماركسية للقومية حجر الزاوية لفهم المسألة القومية في باكستان. وكان يُعَد البنجابيون والمهاجرون الناطقون بالأوردية، هم المهيمنون على أجهزة الدولة، وبالتالي الباغون على الآخرين، في حين شكل البنگاليون والسنود والپشتون والبلوش القوميات المَبغي عليها. وكان هذا هو الرأي السائد في حزب عوامي القومي (NAP) المتعدد الإثنيات، وكذلك في المنظمات القومية الأخرى في باكستان[3].

الدولة القومية هي النظام السياسي الذي يطالب به مذهب القومية. والأمة، بإعادة الاشارة إلى تعريف رينان لها، تتكون من الرغبة في العيش بصورة جماعية، وبالتالي فالدولة القومية ينبغي أن تكون الإطار المؤسسي الذي يُسهل ذلك، أو عليه

(1) Ibid.

(2) J. M. Blaut, The National Question. London: Zed Books Ltd.,1987.

(3) Cf., Feroz Ahmed, «Ethnicity, Class and State in Pakistan» in: Sangat. March1997.

تسهيله. بل هو أشبه بأمر لا مفر منه، فالنتيجة الطبيعية للأمة هي رغبة أفرادها في العيش معاً، وهذه الأمة نفسها لا ترغب في العيش تحت غمرة الأمم الأخرى أو أفرادها.

يؤكد سميث أن الأمم توجد كجزء من الطبيعة البشرية، ويجب بالتالي وجود دولة تتلاءم مع هذه الطبيعة. وهو يعرف حاجة الأمم إلى حيازة دولة باعتبارها أحد مكونات عملية التحديث[1].

وكتب هيگل معلياً من شأن الدولة: «إن نظرنا في تاريخ العالم، فالشعوب التي بإمكانها حيازة اهتمامنا هي تلك التي تشكل دولة . . . والدولة هي الفكرة الإلهية كما هي موجودة على الأرض»[2]. ورغم أن البلوش يشكلون أمة، ولكنهم منذ عام 1948، لا يملكون دولة. ومع ذلك، فإن هناك فرقاً بين الأمة والدولة. فالأمة التي تعرفنا إليها هي جماعة من الناس، والدولة هي هيكل سياسي. في هذا الصدد كتب علي بنو عزيزي ومايرون وينر أن: «الدولة تنطوي على سلطة سيادية، والسيادة قائمة على حد سواء بالموافقة أو بالإكراه. . . ومرتبطة بإقليم معين يحددها، تمارس عليه احتكار السلطة القسرية»[3].

يصف ووكر كونور الدولة كمفهوم «قانوني يصف فئة اجتماعية تحتل منطقة معينة ويتم تنظيمها في إطار المؤسسات السياسية المشتركة والحكومة الفعالة»[4]. في حين أن الأمة هي «جماعة اجتماعية تتقاسم أيدولوجية ومؤسسات وعادات مشتركة، وشعوراً بالتجانس»[5]. ويكتب كونور أن هذه «الأمة» يمكن أن تكون جزءاً من دولة، أو ذات حدود مشتركة مع دولة، أو تمتد إلى أكثر من دولة واحدة. وفي حين أن كونور يُعَرف كل من الكيانين بفئات اجتماعية، فإنه يصب التركيز بشكل واضح على الدولة وعلى الشرعية والمؤسسات السياسية والحكومة. غير أن الأمة بنظره لا تحتاج لوجودها إلى أي من هذه الأشياء.

(1) Anthony D, Smith, The Ethnic Origins of Nations, p. 157

(2) Georg Wilhelm Friedrich Hegel, Lectures on the Philosophy of History, tr., by J Sibree, London: G. Bell & Sons, p. 40., as quoted by Kohn, Nationalism, pp. 110-111.

(3) Ali Banuazizi and Myron Weiner (ed.), The State. Religion, and Ethnic Politics: Afghanistan, Iran and Pakistan. Syracuse: Syracuse University Press, 1986, p. 7.

(4) Walker Connor, «Nation-Building or Nation-Destroying?», in: World Politics 24 (April 1972):333.

(5) Ibid.

لماذا أصبحت الدولة مهمة؟ في رأي جوزيف روتشيلد، الدولة هي البنية التي تتنافس فيها قوات متعددة ومتنازعة على توزيع الموارد الشحيحة. ويكتب: «يجب أن تدخل الجماعات الإثنية الساحة السياسية لحماية مصالحها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتعبير عن المظالم والمطالبات والهموم والتطلعات... وهذا يعني، في الواقع، لا بد من إعطائها (الجماعات الإثنية) السيطرة السياسية الحصرية أو المشاركة على الدولة أو فيها... وإذا ثبت أن محاولة جماعة إثنية في نيل السلطة السياسية والإدارية في دولة متعددة الإثنيات غير مجدية، فلها التنصل منها، لكونها غير قابلة للتفاوض، أو ما شابه ذلك، ومن ثم تقوم بمحاولة انفصالية لإقامة دولة خاصة بها»[1].

وهكذا، فالمجموعات الإثنية التي تتحكم في أجهزة الدولة تجني الفوائد؛ بينما الجماعات الإثنية غير القادرة على الحصول على منفذ إلى جهاز داخل الدولة بحاجة إلى بناء هيكل دولتها الخاصة.

وشارحاً لهذه النقطة يضيف إلى ذلك، ميلتون ج. ايسمان وايتامار رابينوفيتش: «الدولة الإقليمية هي الإطار المؤسسي للدفاع عن مصالح المجموعة الإثنية في الشرق الأوسط وتعزيزها، كما في أماكن أخرى من العالم الحديث»[2].

وكما سيتم مناقشته في الفصول التالية، فالحكم البنجابي في باكستان والهيمنة الفارسية في إيران أديا إلى ظهور الحركات القومية البلوشية. ويقول عن هذا هاريسون في كتابه تحت ظلال أفغانستان، (1981)، بعد أن درس القومية البلوشية في إيران وباكستان، أن البلوش في سعيهم للدفاع عن النفس ضد الأغلبية المهيمنة، يسعون لتفكيك هذه الدول وخلق دولتهم الخاصة بهم، ومتوسعاً حول هذا التحليل كتب هاريسون: «ليس من قبيل الصدفة أن لا ترى أصغر الأقليات [في باكستان] وهم البلوش، أي أمل في تشكيل قوة كبيرة في السياسة الباكستانية وذلك حتى في ظل نظام

(1) Joseph Rothschild, Ethnopolitics: A Conceptual Framework. New York: ColumbiaUniversity Press, 1981, p. 232.

(2) Milton J. Esman and Itamar Rabinovich, «The Study of Ethnic Politics in the Middle East», In: Milton J. Esman and Itamar Rabinovich (ed.), Ethnicity. Pluralism, and the State in the Middle East. Ithaca: Cornell University Press, 1988, p. 3.

ديمقراطي، نتيجةً لضعفهم العددي، وهم الأكثر نفوراً من إسلام آباد والأكثر استجابة للنداءات الانفصالية»[1].

البلوش ومفهوم الإثنية والأمة

في مطلع عام 1980، كتب هاريسون أن إسلام آباد وطهران تتجاهلان انبثاق القومية البلوشية. وأعتبر أنهما «تميلان في تفكيرهما في المجتمع البلوشي إلى النظر في طابعه وأنماطه التنظيمية القبلية التقليدية فحسب»[2]. فهل يحمل البلوش الخصائص المميزة للأمة على النحو الذي حدده علماء القومية؟ الأمة وكما هو موضح أعلاه، جماعة من الناس يرجعون إلى المنطقة نفسها ويتقاسمون تاريخاً مشتركاً، وقد يتقاسمون ثقافة وتقاليد ولغة مشتركة، وهذا ينطبق ويصح في حالة البلوش. وتجدر الإشارة إلى أن البلوش كانت لهم دولتهم الخاصة بهم، «خانية: دولة كلات» حتى عام 1948.

يقدم سميث القومية كارتباط في سلسلة متصلة، وهي منطقية وتاريخية على السواء، وترتبط بشكل لا يمكن فصله عن الأمة وتاريخها الثقافي. التاريخ الثقافي أي الذكريات والأساطير والرموز والعادات، وما إلى ذلك، يوثق ويسهل نشوء الأمة. وبقدر ما يسهل نشوء الأمة فهو يوفر الموارد التي تشكل الروابط القومية للتشابه الثقافي والمجتمعي. فالروابط الإثنية المشتركة المتأصلة في الحكايات والأساطير تشكل أهم مكون للأمة البلوشية، التي تنطلق بدايتها من عصور أساطير الخلق والعصور القديمة للتاريخ البلوشي. وعلى هذه الخلفية كتب ريتشارد سليمباتش، أن الأساطير والذكريات شكلت القواعد المتماسكة للمقاومة البلوشية عبر المئة والخمسين سنة الماضية في ظل حاكم الاستعمار وحكام مرحلة ما بعد الاستعمار[3].

وبدراسته للمسألة البلوشية، يخلص هاريسون إلى أنه من أجل تقييم القومية

(1) Selig S. Harrison, «Ethnicity and Politics in Pakistan: The Baluch Case», in: John Hutchinson, & Anthony D. Smith, (ed.), Ethnicity. New York: Oxford-University Press 1996,p. 295.

(2) Harrison, Selig S., «Ethnicity and Politics in Pakistan: The Baluch Case», p. 298.

(3) Richard A. Slimbach, «Ethnic Binds and Pedagogies of Resistance: Baloch Nationalismand Educational Innovation in Karachi», in: Paul Titus, (ed.), Marginality and Modernity:Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan. Karachi: Oxford University Press, 1996, p.140.

البلوشية، من الضروري أولاً فهم نظرة البلوش إلى المشهد البانورامي الكبير لتاريخهم المبكر المحاصر بالعداء[1]. فقد طور البلوش إحساساً بالهوية المشتركة عبر الألفي عام الماضيين[2]. وبصرف النظر عن الحكايات والأساطير المشتركة بينهم، فالتجارب التاريخية المشتركة عبر الألفية الماضية كان لها تأثير كبير في نشوء الأمة البلوشية، حيث ومنذ القرن الثاني عشر للميلاد يشكل البلوش فيدراليات قبلية قوية. فكونفدرالية الأربع والأربعين قبيلة تحت حكم مير جلال هان في القرن الثاني عشر، وكونفدرالية الرند واللاشار في القرن الخامس عشر، ودول المَلِك(*) والدودائيون، والبُليدئيون، والگچكيون في مَكُران، وخانية بلوشستان(**) في القرن السابع عشر، وحدت وأدمجت جميع قبائل البلوش في فترات مختلفة. وعلاوة على ذلك، ساهمت غزوات المغول والتتار، والحروب والهجرات الجماعية في القرنين الثالث والرابع عشر، والتحالفات القبلية عبر المصاهرة، في تشكيل الهوية البلوشية[3].

والقومية هي أيضاً تعبير عن وجهات النظر الشخصية، وتعبير الأمة عن آمالها وأحلامها التي ترتبط بها. وكانت الموسيقى والأغاني والرقصات عن الوطن، أحد مصادر الإلهام الأكثر شعبية للوطنية والقومية دائماً. والموسيقى البلوشية المتجانسة ورقصات البلوش تشكل سمة مشتركة أخرى هامة للأمة البلوشية[4]. الموسيقى، وكما لاحظ الدكتور صابر بدل خان، كانت دائماً تحظى بمكانة عالية في المجتمع البلوشي. فهي لا تعزف لتكون مرافقة للغناء وكإيقاع لتأدية الرقصات فقط، ولكن أيضاً لعلاج الأمراض المرتبطة بالاضطرابات النفسية[5]. الموسيقى والرقصات والأغاني ليست

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 5.

(2) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, Quetta:Khair - un -Nisa, Nisa Traders, Third Edition 1984, p. 26.

(*) وهو لقب ملوك الهُوت في مَكُران.

(**) خانية كلات أو خانية بلوشستان هو ما أطلقه الإنجليز على الدولة البلوشية، بسبب النظام السياسي الذي يكون فيه الخان أو الملك هو رأس السلطة، ويعبر المؤلف في نصوص كتابه عن دولة كلات بخانية كلات.

(3) For more detail, see Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p 89-125.

(4) Sabir Badalkhan, «Balochi Songs Genres, Balochi Dances, Instrumental Musicians, Singer,- Musical Instruments», in: A. Arnold (ed.), The Garland Encyclopaedia Worlds Music, in10 vol., vol. 5, (South Asia: The Indian Subcontinent), New York, London, 2000, p. 773.

(5) Ibid.

وسائل للتعبير عن الثقافة والرومانسية والبطولية وحب الاستقلال البلوشي فحسب، ولكن هي أيضاً شكل فعال لما يطلق عليه الفنانون «الأدب القتالي»[1].

المجتمعات الإثنية عادة ما «تمتلك» أرضاً معترفاً بها، ويُربطون بها عادةً. وتظهر الجماعات الإثنية أيضاً في كثير من الأحيان ضنينة وذات ارتباط عميق الجذور بمناطق أو أقاليم معينة داخل الدولة الواحدة أو في دول متعددة. «ولا يمكن تصور أمة من دون وطنها»[2]. وبالتالي، فللأمة ارتباطٌ قوي بالأرض، فتسعى إلى ممارسة السيطرة المطلقة على مساحات من الدولة التي تعتبر فضاء حيوياً للعيش. وعادة ما يكون للأرض مكانة بارزة في أيقونية الأمة، والتعلق بها يُعبر عنه في الشعر والغناء مع شخصنة الوطن باسم «الوطن الأب» أو «الوطن الأم»، ومع الاقرار أن تسليم أي جزء منها أمرٌ مرفوض. لأن الإنسان لديه شعور قوي بالإقليمية في نشأته، والبعد الإقليمي هو العنصر الأقوى في الأيقونية الوطنية، وينعكس [الوطن] في صورة ذهنية [للشعوب] مثل (Die Heimat) للألمان، و(Matka Rossiya) بالنسبة إلى الروس، أو (مُلْكْ بَلُوچي) لدى البلوش.

اللغة، كما هو مبين أعلاه، تؤدي دوراً هاماً بين مُعلمات ثقافية كثيرة تميز الجماعة الإثنية الواحدة من الأخرى[3]. وعند سميث، «إحدى الأساطير الملازمة للقومية هي تحديدها باللغة»[4]. ويقتفي أثر هذه الأسطورة إلى مفاهيم القرن الثامن عشر عن القوة العاطفية للغة المطورة في فرنسا وألمانيا. واللغة البلوشية على الرغم من سياسات الاستيعاب وإعاقة نمو الثقافة البلوشية، وعلى الرغم من عدم وجود [صناعة] منشورات حديثة وتداولها الهزيل، والتبادل الواسع بين البلوش وجيرانهم، حافظت على ضرب من النقاء مثيرٍ للإعجاب، ولا تزال المفردات البلوشية تستخدم في التداول اليومي. وهذا النقاء واضحٌ لا سيما في حديث الأميين الذين يشكلون الغالبية العظمى من الشعب.

ومن الواضح بجلاء أن للغة المشتركة أهمية محورية بالنسبة إلى الأمة. وكارل دويتش (انظر أعلاه) الذي يُعرف الأمة بإطار التواصل الاجتماعي، لا يقيد مفهومه

(1) Franz Fanon, The Wretched of the Earth. New York: Grove Press, 1963, p. 240.

(2) Anthony D. Smith, The Ethnic Revival. Cambridge: Cambridge University Press, 1981, p.63.

(3) Benedict Anderson, Imagined Communities, p, 145.

(4) Anthony D. Smith. The Ethnic Revival, p. 45.

بالاتصالات اللسانية ـ اللفظية. وفي تأكيده على دور «الذكريات المكتسبة، والرموز والعادات» نرى سميث يُرجع مفهومه إلى الظاهرة الثقافية الأوسع(1). في هذا الصدد، فالمتحدثون باللغة البراهوئية في المنزل ببلوشستان هم مندمجون على كل الصعد، بما في ذلك التنظيم العشائري، مع متحدثي اللغة البلوشية، الذين لم يَعدوهُم شيئاً سوى كونهم من البلوش. إذن، في هذه الحالة، تكون الأولوية للذكريات والعادات المشتركة بدلاً من اللغة. وربما مع أخذ هذا في الاعتبار، يرى طارق رحمن أن «أسطورة الأصل المشترك»، هي ما يشكل الرمز المركزي للقومية البلوشية وليس اللغة(*)(2).

وللدين أهمية لا تقل عن غيره في تطور بنية الأمة. حيث لم يكن دور الدين تشكيل القيم والتطلعات فحسب، ولكن أيضاً تشكيل هوية الجماعة من خلال الاحتكاكات بين المعتقدات المختلفة. فكانت الخلافات داخل العقيدة المسيحية في أوروبا دافعاً قوياً للتجمعات ذات الشعارات القومية. وبالمثل، فإن الانقسام الرئيسي في الإسلام بين شيعة وسنة، ترك الأثر العميق في القومية الفارسية الشيعية والبلوشية السنية. ومنذ أن فرضت الإمبراطورية الصفوية المذهب الشيعي كدين رسمي للدولة الفارسية في القرن السادس عشر، بدأ توسع الشيعة تدريجاً على حساب السنة، بمن فيهم البلوش. وبالتالي، ولمواجهة التزايد المستمر لنفوذ الحكام من الفرس الشيعة، لجأ كثيرٌ من البلوش، الذين ينتمون إلى المذهب السني الحنفي من الإسلام، إلى المذهب السني من أجل تعزيز شعورهم بالهوية البلوشية(3).

من ناحية أخرى، فإن الماركسيين التقليديين يرفضون أن يكون الدين أو الأصل الإثني المشترك هو الأساس الوحيد للأمة، بل يشددون على الاقتصاد المشترك(4).

---

(1) Karl Deutsch, Nationalism and social Communication, p. 96.

(2) Tariq Rahman, «The Balochi/Brahvi Language Movements in Pakistan», p. 88.

(*) تجدر الإشارة إلى أن متحدثي اللغة البراهوئية يشكلون أقلية صغيرة من مجمل الشعب البلوشي، وأغلبهم ثنائيو اللغة بحيث يتقنون اللغتين البراهوئية والبلوشية، ويعيشون ضمن محيط جغرافي محاصر متحدث بالبلوشية فقط، ونتيجة لذلك فأكثر مفردات البراهوئية مستعارة من اللغة البلوشية، ونصف المتحدثين بها هم من حلف الرند البلوشي ولا يتمايزون من بقية البلوش في شيء سوى هذه اللغة المتجذرة تاريخياً في المنطقة والموروثة من الحضارات السابقة، ولذلك فاللغة البلوشية لا تخرج على كونها من الرموز المركزية للقومية البلوشية.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 71.

(4) Stalin, Marxism And The National Question. Moscow: F.L.P.H., 1947, p. 15.

وعلى النقيض، فالعلماء الآخرون لا يعلقون أي أهمية على سمة الاقتصاد المشترك، ولكن كما ذكر أعلاه، يعتبرون العرق والدين اثنين من العناصر المهمة في تشكيل الأمة. وعلى الرغم من ذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن باكستان اختبرت الإسلام كأيديولوجيا لشرعيتها من عام 1947 إلى 1971. وعلى الرغم من ذلك، نشأ من البنگال الشرقية المسلمة دولة بنگلاديش المستقلة في حربها الثالثة مع الهند، مما يؤكد وجهة النظر الماركسية، فلم يكن عامل وجود الدين قوياً بشكل كافٍ لإضفاء الشرعية وللتغلب على الضغوط الملحة الأخرى نحو الانفصال.

يعبر گنكوفسكي عن رأيه متوسعاً في النظرية الماركسية عن الأممية عن طريق إضافة المعايير الذاتية للثقافة الروحية والوعي العرقي والموضوعية المشكلة للأممية، وكتب أن البلوش طوروا هوية إقطاعية مع قدوم الغزو البريطاني: «يبدو لي أن تشكيل وتطور هوية البلوش الإقطاعية بدآ في القرنين الثالث عشر والخامس عشر»(1).

فالبلوش إذن ليسوا مجرد «أقلية إثنية»، متناثرة هنا وهناك، ولكن يشكلون أمة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى(2). وهم مجتمع مستقر يقطن إقليماً محدد بشكل واضح نسبياً (على الرغم من تقسيمات الحدود التعسفية) في جنوب ـ غرب آسيا، ويتحدثون بلغة مشتركة (الغالبية يتحدثون بالبلوشية)، ويمتلكون أساساً اقتصادياً وطنياً واحداً(3).

مُنِعَ الاقتصاد البلوشي بشكل استبدادي من العمل بشكل طبيعي. فالحدود السياسية المصطنعة، التي تقسم بلوشستان إلى أقاليم مختلفة، عرقلت تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية. ومع ذلك، فإن قوام الاقتصاد المشترك واضح. وكلما كان ذلك ممكناً، تجاهل البلوش «الحدود» تماماً وشاركوا في التجارة غير الرسمية، التي توفر مصدر دخل ثابتاً للسكان، بل تقوم عليها معيشة الآلاف من الذي يعتمدون على حركة التجارة العابرة للاتجاهين عبر «الحدود»، ويتم هذا على الرغم من القيود المشددة. وبالتالي فبالفعل هناك نوع من العلاقات الاقتصادية بين أقاليم بلوشستان المختلفة.

ويؤكد الباحث في القومية ـ الإثنية ووكر كونور الطابع الجماعي للأمة. حيث أن

---

(1) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan: An Ethnic History. U.S.S.R. Academy of Sciences. Institute of Oriental Studies, p. 147.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 200-201.

(3) Ibid., pp. 19-20, and 59-50.

جوهر الأمة لدى كونور، هو شعور نفسي شديد التشابه أو التماثل النوعي، الذي من وجهة نظر الجماعة، يميزها من غيرها من جميع الجماعات الأخرى بطريقة حيوية. ويعتقد كونور أن هذا الشعور أو الوعي مشتقٌ من أسطورة الأصل المشترك. حيث يشعر أعضاء الأمة أو يحسون بشكل حدسي بارتباطهم بعضهم ببعض. كتب كونور منوهاً بأهمية الجانب النفسي للأمة:

«على الرغم من أن السمة المميزة للأمة هي مسألة تصور الجماعة لذاتها نفسياً، فإن أي أمة لديها خصائصها الملموسة بالضرورة. ويمكن وصف أي تجمع إنساني بمجموعة من الصفات العلنية: الإحصاءات الحيوية وتوزيع السكان والتشكيلة الدينية واللغوية، وهكذا دواليك. ولكن هذه الخصائص هي ذات صلة بمفهوم الأمة بالدرجة التي تساهم في الإحساس الحدسي بالقرابة، وكذلك بالشعور الحيوي بالفرادة عن غير الأعضاء»[1].

ولكي لا تترك غير مذكورة، فهناك علماء اجتماع يرفضون أو يقللون من أهمية دور «الشخصية القومية» في توليد المشاعر القومية المشتركة والترابط بين أفراد الأمة[2].

فمثل المزايا الست البارزة الأخرى لمقومات الأمة، أي التجارب التاريخية والرابطة العرقية واللغة والمعتقدات الدينية والأرض الواضحة المعالم والبنية الاجتماعية والاقتصادية المشتركة، فالطابع الجماعي للبلوش يؤدي دوراً هاماً في التمييز بين البلوش والأمم المجاورة لهم. وقد أثرت إقامتهم لأكثر من ألفي سنة، كشعبٍ مهيمن على بلاد ذات جغرافيا وعرة ومناخ قاسٍ، في طريقتهم في الحياة بشكل أو بآخر. وبالمثل، فإن الموجات المدمرة للجيوش الغربية والهجرات والحروب الداخلية بين القبائل تركت بصماتها على جوانب المجتمع البلوشي كافة.

ومن الواضح، أن البيئة نفسها في جميع ضروب التفاعل بين الناس والأرض، تشكل بقوة تاريخ وعادات وشخصية الأمة ونمط حياة أفرادها. وهكذا شكلت البيئة

(1) Walker Connor, Ethnonationalism: The Quest for Understanding. New Jersey: Princeton University Press, 1994, p. 145.

(2) Roy E, H. Mellor, Nation, State and Territory. London and New York: Routledge, 1989, pp.19-20.

البلوشية بتأثيرها في الثقافة والهيكل الاجتماعي ـ الاقتصادي والمؤسسات وسيكولوجيتها السياسية، الطابع الجماعي الخاص بالبلوش أو البنية النفسية في السياق الزمني[1]. وكما يتجلى في بَلُوُچْ مَياز (قواعد الشرف البلوشي) والتقاليد والعادات، فالطابع الجماعي للبلوش يميز بينهم وبين جيرانهم بشكل كبير، ويشكل بذلك سمة أخرى بارزة للأمة البلوشية.

لا توجد هناك أمم ذات جذور عرقية نقية. وسيكون من الأصدق أن نقول إن مفهوم العرق النقي هو مفهوم وهمي[2]. وهذا ينطبق كذلك على البلوش. «كما يظهر من» قول أندرسون: «منذ البداية ولدت الأمة بولادة اللغة، وليس بصلة الدم، التي يمكن أن توجه إليها دعوة للانضمام إلى المجتمع المتخيل»[3]. والبلوش احتضنوا واستوعبوا ضمنهم المجموعات الصغيرة الأخرى لتوسيع قوتهم. فالبلوش في الوقت الحاضر ليسوا من سلالة عرقية واحدة، ولكنهم أمةٌ ذات مشارب عرقية مختلفة، تنتمي لغتها إلى عائلة اللغات الإيرانية(*). وهم على تواصل مع العرب في الجنوب، والهنود في الشرق، ومع

(1) Henry Field, An Anthropological Reconnaissance in West Pakistan. 1955. p. 17; seealso Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 7-8.

(2) Benedict Anderson, Imagined Communities, p, 145.

(3) Ibid.

(*) تنتمي اللغة البلوشية إلى عائلة اللغات الإيرانية والتي هي جزء من العائلة الأكبر الهندو ـ أوروبية (اصطلاح لغوي ـ جغرافي). وقد قسم علماء اللسانيات هذه العائلة إلى أفرع حسب الخصائص اللغوية، وقد أطلق على كل فرع الجهة الجغرافية التي نبع منها وتركز بها. فقسمت اللغات الإيرانية إلى مجموعة غربية وأخرى شرقية، ثم تتفرع إلى غربية شمالية وجنوبية، وشرقية شمالية وجنوبية، وهكذا. فالجنوب ـ غربية، هي: الفارسية، الدَرية، اللرية، الاجمية، البشاكردية، البَختيارية، وغيرها. والشمال غربية، هي: الميدية، البَلوُچية (البَلوُشية)، الگيلكية، الكوردية، الگبرية، المازندرانية، التالشية، الزازاكية، السَمنانية، السيوندية، وغيرها. والشرقية، وهي: البَشتونية، السَغدية، الآسية، الپاميرية، وغيرها. ومن حيث أن جميع اللغات الإيرانية التي تحيط بالبلوش وتحدهم ليست من المجموعة الشمال ـ غربية حتى يتأثروا بها، فذلك الفصيل اللغوي يقع في المنطقة الواقعة بين جنوب بحر قزوين إلى كوردستان، فيستلزم ذلك الصلة بين الأغلبية الأصلية المتحدثة بالبلوشية والواردة إلى بلوشستان الحالية وبين تلك المنطقة اللغوية، كما أن بقايا هذا الامتداد اللغوي ما يزال ملموساً حتى اليوم. ولذلك يُرَجَح أن تكون منطقة (حَلَب: هَلب بالبلوشية) الواردة في القصائد البَلوشية التاريخية عن كونها موطن البلوش الأول، ليست هي حلب السورية، حيث أنه لم يأت في المشجرات، والتقاليد، والأدب البلوشي القديم الذي بين أيدينا اسم سوريا أو بلاد الشام أو أي من البلاد العربية، بوصفها الموطن البَلوشي الأول، وإنما هو تخمين بعض الكتاب. حيث ذكر مجرد مسمى (حلب) دون تحديد أي (حَلب) هي المقصودة. ونرجح اعتماداً على الأدلة اللغوية التي تشير إلى منبع الفصيلة اللغوية البلوشية، وتبعاً لخط الهجرة الواردة في القصائد الشعبية، والتي تشير إلى جهة الهجرة المتجهة إلى بلوشستان، وهي ليست من البحر جنوباً، أو الشرق، وإنما من الجهة الغربية لبلوشستان والعابرة لبلاد فارس. وعلى ضوء هذه المعطيات يلزم =

التركمان والجماعات الألطية الأخرى في الشمال الغربي. والبلوش على طول منطقة الساحل (مَكُران) هم من السلالات الإيرانية، ثم الآشورية، والسوداء[1]. وكان موقف البلوش نحو إدماج الغرباء في ثقافتهم خطوة إيجابية في تنمية القومية[*].

يدرس برنارد نيتشمان الأمم عن طريق القياس على رؤى سميث (انظر أعلاه)، باعتبارها مناطق محددة جغرافياً لشعب متشارك ويُعَرّف على أساس الأسلاف المشتركين والتاريخ والمجتمع والمؤسسات والأيدولوجيا واللغة والأرض و(غالباً) الدين المشترك. ويقدر أن هناك ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف من هذه الأمم. وأما الدولة فعلى النقيض من ذلك، هي «نظام سياسي مركزي»، معترف به من قبل الدول الأخرى، وتستخدم البيروقراطية المدنية والعسكرية لفرض مجموعة واحدة من المؤسسات والقوانين، وأحياناً اللغة والدين داخل حدودها المزعومة. ويتم ذلك بغض النظر عن وجود الأمم التي قد يكون لها قوانينها السابقة ومؤسساتها المختلفة. وعلى نحو مألوف تدعي الدول حقها في الحكم على الكثير من الأمم التي قد لا توافق على أن تكون محكومة من قبلها ومأسورة بحكومة مركزية فرضت عليها بأيدي شعب مختلف»[2]. وإذا كان أحد يقبل تعريف نيتشمان بأن المعايير الإثنية هي التي تحدد الصفة القومية،

= أن تكون المنطقة المقصودة واقعة بين گيلان ـ مازندران وكوردستان، حيث تقع عدة مناطق تطابق أو تقارب الاسم (حَلبچه، كوردستان الجنوبية)، (الحَلب، شرقي بغداد، مناطق الكورد الفيليين)، (حَلب، إقليم زَنجان، مناطق الكورد)، (حَلبجك، على طريق پَنجَوين وسُليمانية، كوردستان الشرقية). ومما يقوي هذا الترجيح وجود منطقة اسمها (كوه بَلُوچ: جبل البَلُوش) شمال غربي كرمانشاه بكوردستان الشرقية، وهي تفصل وادي بلوار وكاميران عن كرمانشاه. وهناك منطقة أخرى قربها اسمها (بيلو) بين قلعة مريوان ومنطقة پَنجَوين، وذلك يبين أن الاسم الإثني (بَلُوچ) ترك أثره في المنطقة التي انحدر منها متحدثي اللغة البلوشية الأوائل. وهنا الحديث عن النواة الأولى المكونة للشعب البلوشي وهويته الإثنية، وليس العناصر المنضمة، والتي اندمجت واكتسبت الهوية القومية البلوشية عبر الحقب الزمنية الطويلة، وبذلك غلبت الهوية البلوشية على جميع العناصر الأخرى في منطقتها. وسيأتي تفصيل هذا البحث في كتابي القادم (ألف عام من الأدب البلوشي). انظر،
Gernot Windfuhr, The Iranian Languages, London and New York: Routledge, 2009, pp. 634-692.
Ludwig W. Adamec, Historical Gazetteer of Iran, Austria: Akademische Druck-u Verlagsanstalt, 1976, Vol. 1, pp. 85-89, 104, 219, 382.

فقير شاد، ميراث، تربت: بلوچستان اكديمي، 2008، ص. 45 ـ 46.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، الوراق، ج. 2، ص. 107.

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 41.

(*) لمزيد من المعلومات حول الأصول البلوشية انظر: د. سعد بن سعيد الحميدي، بلوتشستان فصول علمية في الهيئة والسكان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2010، ص105 ـ 155. وأحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج 1515 ـ 1908، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2012، ص134 ـ 148.

(2) Bernard Nietschmann, «The Third World War», in: Cultural Survival Quarterly. 11, No. 3, 1987, p. 1

فالجماعات التي تحوز القومية الخاصة بها موجودة في معظم بلدان العالم. وكان هذا الواقع معترفاً به في إيران في ظل النظام الملكي عن طريق إعطاء الحاكم لقب شاهنشاه، الذي يعني حرفياً «ملك الملوك». وهو لقب شرفي يعترف بأن الحاكم في طهران هو الحاكم الأعلى على أكثر من شعب واحد، ولكل من هذه الشعوب سيادة ذاتية خاصة بها. ومن هذا القبيل فالشعب البلوشي هو أحد هذه الشعوب.

الأمم الحديثة كما يناقش سميث، غالباً ما يكون لها جذورها التاريخية في هويات عرقية قديمة[1]. القوميون البلوش يتلاعبون بالرمزية التاريخية القوية للكفاح من أجل البقاء الممتد تعرجه إلى أكثر من ألفي سنة. ولكن القومية هي طريقة مختلفة للتفكير عن الهوية الجماعية للإثنية، والإثنية نفسها ليست سوى جانب من جوانب الطريقة التي نظمت بها معظم الهويات الجماعية في الماضي. ويمكن اعتبار القومية السمة الأكثر أهمية، التي توفر للأمة هويتها الحقيقية والإرادة الملهمة.

ويقول الباحث في القومية الكوردية، عمر شيخموس، مقدماً مثال القضية الكوردية في العراق وإيران وتركيا، إن النداء القومي أو الإثني لا يعتمد أبداً على الانتماءات مثل الحداثة[2]. وسوف تبقى الاختلافات الثقافية والقومية على الرغم من الاتصالات بين الأعراق والاعتماد عليها. في الهند، الاختلافات اللغوية والثقافية للأقلية الدينية السيخية مع الشعوب الهندية الأخرى ضئيلة، ولكن العديد من أعضاء هذه الأقلية يعرب عن تضامنه العاطفي مع جماعته الخاصة. الكورد في إيران والعراق وتركيا ليسوا مجتمعاً معزولاً تماماً عن جيرانهم غير الكورد، ولكن هذا لم يكن قوياً بما فيه الكفاية بالنسبة إليهم للتخلي عن مطالبتهم بالدولة المنفصلة. وبالمثل فغالبية البلوش كانوا أجزاءً من باكستان وإيران منذ عدة عقود. وعلى الرغم من تأثرهم «بالثقافات الوطنية» الباكستانية والإيرانية، فإن الشعور القومي للبلوش ومطالبهم بالاستقلال القومي هي الكاسحة.

ينمي المشاعر القومية النضال المشترك ضد الغزاة الأجانب، في وقت تعزيز الروابط المشتركة. ووفقاً لبيتر كلووس: «لأسباب لا تزال غير واضحة تماماً، واجهت الشعوب القوى الجبارة، التي تكمن وراء أفقهم، وبالتأكيد خارج نطاق سيطرتهم، فهي تميل إلى الالتفات إلى روابط بدائية، بحثاً عن روابط مشتركة لخلفيتهم العرقية. ومن خلال ذلك

(1) See A. D. Smith, The Ethnic Origins of Nations, see, chapter 7.

(2) Omar Sheikhmous, Kurdernas kamp for sjalvstyre: i serien Varldspolitikens Dagfragor. Stockholm: Utrikespolitiska Instituted 1991, p. 12.

يحاولون الاستحواذ على هوية خاصة بهم، تارة بالعودة إلى مبادئ دينهم، أو إلى لغة غير مستخدمة منذ أجيال، أو إلى حنين وراحة كنف الوطن، الذي ربما كان لهم في الماضي. بالقيام بذلك، فإنهم يبنون هوية جديدة». هذه الهوية الجديدة هي في الواقع ذلك البناء الذي في كثير من الأحيان يشبه بشكل ضعيف ما يعتقد أنه واقع الماضي. الهوية الجديدة من حيث العلاقات البدائية مطروحة، وهي ظاهرة حديثة تماماً. إنها تحتاج فقط إلى مجموعة صغيرة من الناس لتحويل هذه المشاعر إلى حركة قومية[1].

يرى الدكتور عبد الحي بَلوُج، زعيم حزب «حركة بلوشستان القومية» (BNM) وعضو الجمعية الوطنية الباكستانية (1994 ـ 1999)، بعد معاينته لفرض إسلام آباد نظام الوحدة الواحدة (1955 ـ 1969) وتهديدات البشتون في بداية تسعينيات القرن العشرين ضد البلوش، أنه على الرغم من الاستقطاب الداخلي، توحد البلوش دائماً عندما واجهوا تحدياً خارجياً[2]. وكما نوقش في الفصل السادس، كان التوتر الأساسي بين المركز المهيمن عليه بنجابياً والمصالح الإقليمية هو أصل السخط الذي أدى إلى تفكك باكستان عام 1971. وكان هذا التوتر أيضاً السبب الأساسي لتنمية حركة القومية البلوشية في سبعينيات القرن العشرين، والانتفاضة في إقليم السند في الثمانينيات من القرن العشرين، وظهور «حركة المهاجرين القومية» (MQM) في تسعينيات القرن العشرين.

وكما أن السياسات القمعية للاستعمار الكلاسيكي أشعلت الحركات القومية الأولى في العالم الثالث، فكذلك فعل الاستعمار الداخلي معطياً دافعاً لنشوء قوميات الإثنيات المُضطهَدة. وفي إشارة إلى الاستعمار الداخلي داخل الدول المتعددة الإثنيات في العالم الثالث، باسم استعمار «الشعوب الفقيرة»، وصف عصمت شريف وانلي أثرها في الإثنيات التي تم إخضاعها، مثل الكورد، على النحو التالي:

تمارس العديد من دول العالم الثالث داخل الحدود المصطنعة الموروثة من الامبريالية، «استعمارية الشعوب الفقيرة». وهي موجهة في كثير من الأحيان ضد أقليات كبيرة، وهي على السواء أكثر شراسة وأكثر ضرراً من الاستعمار الكلاسيكي. حيث تأثير الاستغلال الاقتصادي يكون على مستوى القمع الوطني، وتغذيها الشوفينية،

(1) See Peter Kloos, «Secessionism in Europe in the Second Half of the 20th Century» in:Tahir, Nadeem Ahmad (ed.), The Politics of Ethnicity and Nationalism in Europe and SouthAsia. Karachi, 1998.

(2) Dr. Abdul Hayee, quoted in: The Herald, March 1992, p. 64.

وغير مقيدة بالتقاليد الديمقراطية، التي كانت في الماضي عادة تقتصر على شكل أكثر تطرفاً من الظلم تحت الاستعمار القديم[1].

في كثير من الأحيان تستمد القومية من شعور حقيقي أو محسوس بالحرمان والتهميش[2]. إنها مسألة علاقة مراقبة طردية، فكلما زاد قمع نظام الدولة قومياتها، زاد توقد الرغبة عند الأخيرة في الانفصال عنها، والعكس بالعكس. ففي خلال الحرب ضد البريطانيين، نما الوعي البلوشي القومي بشكل أقوى تحت ذلك المؤثر[3]. وكانت دولة باكستان القمعية منذ نشأتها مسؤولة عن عدة حملات مسلحة متعاقبة ضد البلوش، بما في ذلك الصراع الوحشي بين 1973 ـ 1977. وبالمثل، فإن النزعة القومية البلوشية في غرب بلوشستان (إيران) نمت نمواً مطرداً كرد فعل على القومية الفارسية العدوانية. إذ اتبع شاه إيران سياسة إنهاء كل الهويات القومية غير الفارسية. وهذه هي الحال أيضاً بين إيران والعراق وتركيا مع أقلياتها الكوردية.

عند الماركسيين، ترتبط القومية في المقام الأول بالقاعدة الاقتصادية[4]. فعندما تصبح علاقات الإنتاج والتبادل الرأسمالية النمط السائد في الإنتاج، تخطو القوميات الأقل تقدماً قدماً لتصبح أمماً. ومن ناحية أخرى يرفض العلماء الآخرون هذا الرأي الماركسي، ويعتقدون أن القومية لا يمكن أن تُعزى أبداً إلى المستوى الاقتصادي فقط. فهناك حالات بدأت فيها مثل هذه الحركات بين الشعوب رغم كونها ميسورة الحال من الناحية الاقتصادية. فالباسك والكتالانيون يتمتعون بارتفاع مستويات المعيشة أكثر من القشتاليين، والصينيون (في ماليزيا) مستوى معيشتهم أعلى من الملايو، وكذلك الكروات والسلوفينيون في يوغسلافيا كانوا يعيشون في مستويات معيشية أعلى من الصرب[5]. وكما بين ووكر كونور، يبدو أن لا علاقة هناك بين درجة شدة القومية ـ الاثنية وجميع أنواع العوامل الاقتصادية[6].

(1) Ismet Sheriff Vanly, «Kurdistan in Iraq», in: Gerared Chaliand (ed.), People Without a Country: The Kurds and Kurdistan. London: Zed Press (1980. pp. 204-205.

(2) E. Cashmore, Dictionary of Race and Ethnic Relations. London: Routledge, 1988, pp. 97- 102.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 126-145.

(4) Stalin, Marxism And The National Question. Moscow: F.L.P.H., 1947, p. 15.

(5) Walker Connor, Ethnonationalism: The Quest for Understanding, p. 148.

(6) Walker Connor, «Eco - or ethno-nationalism?», in: Ethnic and Racial Studies 7. No.3,1984, pp. 342-59.

وعلى النقيض من الخصائص النفسية للأمة، يقلل كونور من أهمية العوامل الاقتصادية. فلدى كونور تشكل الإثنية مع تركيبها النفسي معظم الأسس المفروضة للقومية. وتجدر الإشارة إلى أن النزعة القومية العرقية ليست ظاهرة جديدة. ففي مقال له عن الحكومة التمثيلية، يصل جون ستيوارت إلى هذا الاستنتاج: «وفي العموم فالشرط اللازم للمؤسسات الحرة هو أن تكون حدود الحكومات متوافقة بشكل رئيسي مع القوميات»[1]. ومع ذلك، يقبل كونور أن الاعتبارات الاقتصادية قد تكون مصدراً مهيجاً يعزز الوعي القومي. لكن العوامل الاقتصادية من المرجح أن تأتي في لحظة ضعف عندما تتنافس مع عواطف القومية العرقية[2]. ويمكن أن لا يكون لتحقيق المطالب المادية أي تأثير واضح في إثارة مشاعر القومية، ولكن معظم الشعوب، ولا سيما الشعوب المقهورة التي تعيش في دولة إقليمية تهيمن عليها الأغلبية، تشعر بالاستياء الشديد نحو ما تعتبره إنكاراً وتهميشاً لحقوقها الاقتصادية. ومثل هذا التفكير عادةً ما يؤدي إلى نشوء الشعور الوجداني القومي[3].

يعلق سميث أهمية أقل أيضاً على الدور الذي تؤديه العوامل الاجتماعية والاقتصادية الحديثة بينما يعطي الأولوية للأبعاد التاريخية والثقافية للقومية. فيكتب: «دعواي ليست أن [هذه] العوامل تؤدي دوراً صغيراً في تكوين ومسلك. . . القوميات. فإنها تفعل ذلك بوضوح، حتى وإن كانت في كونها محفزات»[4]. في باكستان أحد العناصر الرئيسية المساهمة في قومية البلوش هو استغلال مواردهم من قبل البنجابيين المهيمنين. والبنجاب على الرغم من طابعها الذي هو في جوهره إقطاعي، فهي أكثر تحضراً، وتحتوي على أنظمة الري المتطورة وبعض النشاط الصناعي، فضلاً عن كونها ممثلة تمثيلاً زائداً في الجيش والبيروقراطية. وبلوشستان، من ناحية أخرى، هي أقل الأقاليم نمواً بين الأقاليم المكونة لباكستان.

فعلى الرغم من مواردها الطبيعية الغنية، لا تزال بلوشستان بعد الضم عام 1948،

(1) John Stuart Mill, Representative Government. London: J.M. Deut and Sons, 1910, p.362 as quoted in David Welsh, «Domestic Politics and Ethnic Conflict», in: Survival, vol.35,No.l, Spring 1993, p. 65.

(2) Walker Connor, Ethnonationalism: The Quest for Understanding. p. 47.

(3) E. Cashmore, Dictionary of Race and Ethnic Relations. London: Routledge, 1988, pp. 97-102.

(4) A. D. Smith, Nations and Nationalism in a Global Era. Cambridge: Polity, 1995, p. 73.

إجمالاً وإلى الآن هي الأكثر حرماناً. فعلى سبيل المثال تم العثور على مخزونات الغاز الطبيعي في عام 1952، وتم استخراجها من منطقة سيوي ودخلت في حيز الاستخدام في الأقاليم الأخرى من باكستان منذ أكتوبر 1955[*]. وكما قدم ساحل بلوشستان لباكستان إمكانيات لبناء ميناء جديد. ومع ذلك فإن الفوائد التي تعود على الشعب البلوشي من هذه المشاريع كانت ضئيلة، وكما بدأ وعيهم بالتطور، بدأ استشعارهم بطبيعة الاستغلال الذي اضطروا إلى معاناته. ووسع هذا الاستغلال الاقتصادي الشعور القومي البلوشي في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين[1].

كما هو مبين أعلاه، فالأمة لدى أندرسون هي جماعة متخيلة. ووفقاً له فالحداثة هي ما تجعل تخيل الأمة ممكناً، وخصوصاً «رأسمالية الطباعة»، فيقول أندرسون، «ربما لم يعجل شيء أكثر هذا البحث، ولا جعله أكثر فائدة، من رأسمالية الطباعة، التي جعلت من الممكن لأعداد متزايدة من الناس التفكير في أنفسهم، وربط بعضهم ببعض، بطرائق قوية وجديدة»[2]. وبالمقارنة بالهند البريطانية، كانت بلوشستان متخلفة كثيراً عن التطورات الثقافية. إذ كانت صناعة الطباعة في خلال الحكم البريطاني معدومة في بلوشستان. ومع ذلك، فبمرور الوقت ظهرت طبقة مثقفة بلوشية على الرغم من ظهورها المحدود. وخدم افتتاح المدارس على النمط الغربي في بداية العشرينيات من القرن العشرين، التي وصلت إلى أربع وعشرين مدرسة بحلول عام 1902، كقناة أخرى للوعي الجديد[3]. وبحلول منتصف القرن العشرين تشكلت طبقة مثقفة بلوشية[4]. «وعلى الرغم من المشاكل»، كتب نيك بُزدار: «شهدت ستينيات القرن العشرين للمرة الأولى عدداً كبيراً نسبياً من

(*) يعد حقل سيوي أو سوي هو الأكبر في باكستان، حيث يغطي أكثر من ربع الاحتياجات الباكستانية من الغاز. غير أنه لم يصل إلى كويتا العاصمة الإقليمية لبلوشستان حتى عام 1986 وبكميات قليلة، ولا تزال معظم أرجاء بلوشستان محرومة منه، حيث ما زال الأهالي يحرقون الحطب للطبخ والتدفئة في الشتاء، في المنطقة ذاتها التي تنتج الغاز، بينما يصل إلى أقصى أرجاء البنجاب.

(1) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, A Judge May Speak. Lahore: Ferozsons LTD,1990, p. 166.

(2) Ibid.

(3) Moulai Shaidai, «Educatiion During British Rule in Balochistan», in: Ouman. Karachi, August1951, pp. 9-10.

(4) Yu. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 208.

البلوش الذين يتلقون الدراسة الثانوية والتعليم الجامعي وينخرطون في النشاطات الأدبية والقومية البلوشية الرائدة»[1].

ووفقاً لأنطونيو گرامشي، وجد المثقفون قبل تحول كل فئة اجتماعية في التاريخ من الهيكل الاقتصادي الذي هي عليه. وهؤلاء وفقاً لگرامشي، هم المثقفون «التقليديون»، الذين يعتبرون أنفسهم مستقلين وفوق كل الصراعات الطبقية دوماً. ويطلق على المثقفين في المجتمعات الصناعية اسم المثقفين «العضويين» المقيدين بالطبقة، التي هي المسؤولة عن التنمية الصناعية وتوجيهها، ذلك لأن الطبقة تملك وسائل الإنتاج. وهؤلاء المثقفون العضويون يعطون الطبقة الرأسمالية سيطرة ووعياً بوظيفتها الخاصة ليس في المجالات الاقتصادية فحسب ولكن أيضاً في المجالات السياسية والثقافية[2]. ونظريته مرتبطة بمفهوم أوسع بكثير «للهيمنة» التي طورها گرامشي تماماً، في أن للمثقفين دوراً يؤدونه لتأسيس الهيمنة.

وعلى الرغم من أن نظرية گرامشي عن المثقفين، وضعت لتعكس الظروف السائدة في إيطاليا، فإنها تنطبق أيضاً على المثقفين في العالم الثالث. فعملية الهيمنة / الإخضاع بين النخبة البنجابية والنخبة البلوشية، التي تباطأت عندما كان ذو الفقار علي بوتو (من إقليم السند) رئيس السلطة التنفيذية في البلاد بين 1971 ـ 1977، ازدادت حدة بشكل كبير بعد انقلاب الجنرال ضياء الحق. وفي خلال فترة ما بعد الانقلاب، بحسب تعبير گرامشي:

[. . .] الحكومة تعمل كـ «طرف»، يحدد لنفسه مكانة مغايرة وفوق كل الأطراف، وليس للمواءمة بين مصالحهم وأنشطتهم داخل الإطار الدائم للحياة ومصالح الأمة والدولة، ولكن لتفكيكهم، وللفصل بينهم وبين الجماهير العريضة والحصول على قوة الأفراد غير المتحزبين المتصلين بالحكومة بعلاقات أبوية من نوع البونابرتية - القيصرية[3].

(1) Nek Buzdar, «Social Organization, Resource use, and Economic Development in Balochistan» in: Monthly Balochi Labzank. Hub (Balochistan), March-April 2000.

(2) For more detail see Antonio Gramsci, Selections from the Prison Notebooks, (edited and translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith), International Publishers, New York,1971.

(3) Ibid., p. 224.

وبالتركيز على دور منافسة النخبة كأساس لتنمية الوعي الذاتي لمجموعة إثنية، يعتقد براس على سبيل المثال، أن النخبة هي حارس هوية الجماعة، وناقل الوعي الإثني وصناع المطالب السياسية[1]. وفي رأي حامد أحمدي، فالقومية البلوشية هي اختراع اخترعه نخبة البلوش[2]. ويجادل أحمد أحمدي الذي يستند في دراسته بشكل رئيسي إلى البلوش الإيرانيين، أن نخبة البلوش عندما حرمها رضا شاه الامتيازات والسلطة بعد عام 1928، نظمت الشعب البلوشي على أساس اثني[3]. ولكنه لا يهتم بالدور الذي أدته العوامل التاريخية والثقافية في ظهور القومية البلوشية[4].

من الواضح، أن النخبة المثقفة تشعر بعدم الارتياح في المجتمع التقليدي الذي نشأت فيه، وذلك لأنها جماعة تكونت في الدولة المحكومة على يد جماعة ثانية، وذلك بسبب التنشئة الاجتماعية المزدوجة المسار. وهذه النخبة تحوز وعي الجماعة[5]. وعلى الرغم من الإنماء الذي تقدمه المجموعة المكونة من النخبة في الأوساط الأكاديمية والحكومية والأعمال التجارية، يحد من تنقل المثقفين الصعودي انتسابهم إلى هذه المجموعة بسبب موقف المجموعة التابعة. وللتعويض، تحشد النخبة المثقفة مشاعر الجماعة من أجل إقامة دولة منفصلة، لن يتم فيها إعاقة صعودهم الارتقائي، من خلال إقناع أعضاء الجماعة التي ستتم حماية مصالحها المشتركة من نيات المجتمع الأكبر المعادي لها[6].

وكما سيتبين ذلك في الفصول التالية، ينطبق هذا على وصف البلوش. فالبلوش لديهم هوية جماعة، ولكن لديهم أيضاً موقع أدنى منزلة بالمقارنة بالبنجابيين والفرس الذين يسيطرون على الحكومات المركزية في باكستان وإيران. وتُمنع النخبة المثقفة البلوشية من تحقيق أهدافها بسبب خلفياتها البلوشية. وبالتالي ينظمون مقاومة ضد

(1) Paul R. Brass, Ethnicity and nationality: Theory and Practice. New Delhi: Sage Publications,1991, pp. 23-26.

(2) Hamid Ahmadi, Qaumiyyat wa Oaumgarai dar Iran: Az Afsaneh ta Waqiyyat (Ethnicity and Nationalism in Iran: From myth to reality), Tehran, 1999, pp. 258-259.

(3) Ibid., 260-61.

(4) Ibid., p. 117.

(5) Joseph Rothschild, Ethnopolitics: A Conceptual Framework, New York: Columbia University Press,1981, p. 43.

(6) Joanne Nagel, and S. Olzak, «Ethnic Mobilization in New and Old States: An Extension of Competition Model», In: Social Problems. 30, no.2, 1982, p. 130.

الحكومة المركزية من خلال إقناع الجماهير أنه من خلال دعم حركتها يمكن حماية مصالح البلوش المشتركة.

ومعطياً أهمية لدور النخبة، يقول سميث إن الصراعات الإثنية المعاصرة لا تنتج من منافسة النخبة في السلطة فحسب ولكن أيضاً من المنافسة بين الأسطو محركات (Mythomoteur) المختلفة. ويشرح سميث انتشار ومتانة الهويات الإثنية والقومية من حيث حنين الإنسان العام إلى الماضي من أجل التغلب على الفناء. فيقول سميث إن الرابط بين الحاضر والماضي السحيق من خلال الأسطورة والذكريات يؤسس نوع الأجيال المقبلة، وبالتالي علاقة الأجيال المقبلة بالمستقبل. ونحن بتذكرنا لأجدادنا نعزز تقليداً من خلاله سوف يتذكرنا أحفادنا، وبالتالي سيتم حفظنا من النسيان[1]. وكما لوحظ من قبل أروين أوريوال، فإن المَعلم الإثني «بَلُوُجْ: البلوش»، هو الذي يوحد المجتمع البلوشي، مما يؤكد رأي سميث في هذا الصدد أكثر أو أقل[2].

العولمة والقومية

وفقاً لمنتقدي القومية من أصحاب العولمة، فالقومية هي ظاهرة تحتضر. التعددية الثقافية والتعقيد المعزز داخل أراضي الدول القومية هما نتائج لعمليات العولمة. فالعولمة وما يصاحبها من تعقيد ثقافي يجعلان من وجود ثقافات قومية ودول قومية أمراً مُشكلاً[3]. وقد قيل إن القوى القومية العابرة للحدود (الشركات متعددة الجنسيات، الاتصالات السلكية واللاسلكية وأنظمة النقل العالمية، والهجرة الدولية)، التي تتحدى بشكل عميق المفاهيم السابقة للحدود القومية والسياسية والثقافية، ومتلازمة مع قدوم مرحلة جديدة في التاريخ، هي «مجتمع ما بعد الصناعة»[4]. القاعدة التكنولوجية لهذه المرحلة الجديدة هي

---

(1) A. D. Smith, The Ethnic Originsof Nations, p. 208.

(2) Erwin Orywal, «Periphery and Identity: Process of Detribalization Among the Baloch of Afghanistan», in:Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity. Karachi: Oxford University Press, 1996, p. 79; E. Mockler, «Origin of the Baloch», in: Journalof the Asiatic Society of Bengal. Calcutta, 1895, p. 36; Ibrahim Bashmi, Qaus al-Khalii al-Mashdood. Bahrain, 1998.

(3) A. H. Richmond, «Ethnic nationalism and post-modernism», in: Ethnic and Racial Studies 7:1, 1984, pp. 5-16; A. Appadurai, «Disjuncture and Difference», in: Global Cultural Economy. Public Culture, 2:2, 1990; B. Turner, Orientalism, Postmodernism and Globalism.London and New York: Routledge, 1994.

(4) D. Bell, Coming of the Post Industrial society, no detail, 1973.

ثورة المعلومات. وهم يعطون الاتحاد الأوروبي مثالاً للتطور في هذا الاتجاه. ومع ذلك، ينبغي الإشارة إلى أنه لم تظهر هوية قومية عابرة لأوروبا حتى الآن[*].

ويؤكد سميث في سؤاله بعد أن لاحظ زيادة في كل من النشاطات العابرة للوطنيات، وكثافة شبكات الاتصالات العالمية: «السؤال هو ما إذا كان هناك أي شيء جديد في مثل هذه العمليات والنشاطات المتجاوزة للحدود، وعما إذا كانت تساهم في توحيد السكان المتمايزين بشكل يتعدى النواحي السطحية . . . وهل يمكن أن تكون هناك ثقافة عالمية حقيقية، بأن تكون بشكل غير زائف «ما بعد قومية؟»[1] ومن الواضح أن الأفضلية بالنسبة إلى الحركات الانفصالية هي أنه يمكنها تفادي القوات الحكومية التي تعارضها عن طريق وسائل الاتصال الحديثة. وإذا لم تستطع ذلك، فقد يكون الاستقلال سبيل الحل من أجل الانضمام إلى نظام ما بعد القومية (كالاتحاد الأوروبي). وعلى هذا المنوال تبرر الحركة الاسكتلندية من أجل الاستقلال تحركاتها: فإذا كانت «لندن» لا تدافع عن المصالح الاسكتلندية في «بروكسل»، فسيكون الحل الوحيد للاسكتلنديين هو أن يذهبوا إلى بروكسل بأنفسهم، ولكن هذا يفترض مُقدماً الاستقلال. وبهذه الطريقة يمكن للنظام المتخطي للحدود القومية انتزاع الانفصال.

كما تم التأكيد على أنه في عصر التقارب العلمي والثقافي قد تفسح الفروق الطائفية والإثنية والفئوية في المجال لتقارب السمات الثقافية ـ الاجتماعية، التي سوف تكون في النهاية امتحاناً للنزعة القومية المتشددة بين الأمم أو الجماعات داخل الدولة الإقليمية. وعلى العكس من ذلك، يوضح الاستطلاع العالمي الجديد أن الوعي القومي هو بالتأكيد المهيمن كقوة سياسية، وأن حدود الدول، كما هي محددة في الوقت الحاضر، يجري تحديها على نحو متزايد بهذه النزعة. ولدى كونور[2] يميل التحديث والتقدم في الاتصالات أيضاً لزيادة الوعي الثقافي للأقليات من خلال جعل أعضائها

(*) ومصداق ذلك مستمر حتى اليوم في الأزمة المالية في اليونان التي انقسم الاتحاد الأوروبي بشأن كيفية التعامل معها، مع نداءات كثيرة في اليونان ضمن الاحزاب اليسارية التي سعت في انتخابات عام 2012 إلى الانفصال عن الاتحاد الأوروبي لتفادي إجراءات التقشف الاقتصادي. وتقدم حركة استقلال كتالونيا والباسك عن اسبانيا، والحركة الفلمنكية في بلجيكا، والحركة الاسكتلندية في المملكة المتحدة أمثلة جيدة. للمزيد انظر، Janet Laible, Separatism and Sovereignty in the New Europe: Party Politics and the Meanings of Statehood in a Supranational Context, Palgrave Macmillan, 2008.

(1) Anthony D. Smith, «National Identity and the Idea of European Unity» in: International Affairs 68. no. 1, 1992, p. 65.

(2) Walker Connor, Ethnonationalism: The Quest for Understanding. p. 37.

أكثر وعياً بالتمايز بين أنفسهم وغيرهم. وأضاف كونور: «إذا قادت عملية التحديث إلى خفض الوعي القومي لمصلحة التماهي مع الدولة، فإن ذلك من شأنه أن يجعل عدد الدول التي تعاني التنافر القومي في تناقص مستمر»[1]. ولكن، خلافاً لهذا، فالصراعات القومية تزداد حدة في جميع أنحاء العالم. فيذكر ريتشارد مانباتش[2] ما مجموعه ثلاثة وخمسون من الصراعات القومية الإقليمية في عام 1994.

الثورة الرقمية لم تُسرع عملية العولمة فقط، ولكن أيضاً التمركز والمساعدة على صياغة جديده للتقارب الثقافي والاقتصادي بين الشعوب، حتى وإن تم تقسيمها بين مختلف الدول. وعلاوة على ذلك، فإن الحركات القومية تستخدم الاتصالات الالكترونية الحديثة لمواجهة المعلومات الأحادية الصادرة عن الحكومة التي يعارضونها. واكتشفت حركات عديدة، مثل إيتا الباسكية، الامكانيات التي تقدمها شبكة الانترنت لنشر الأخبار التي لا يمكن أن تكون خاضعة للرقابة. وبالتالي، فليس من قبيل الصدفة أن يقول الدكتور ماركوس قائد مقاتلي حرب العصابات تشياباس في المكسيك، في مقابلة له: «يعجبني جهاز حاسوبي أكثر من كلاشينكوفي»[3].

اليوم، لم يصبح البلوش من مختلف أنحاء بلوشستان أقرب إلى بعضهم البعض فحسب، ولكن أيضاً من تركمانستان إلى شرق أفريقيا عبر الاتصال يومياً من خلال شبكة الانترنيت. وهكذا، أصبح من السهل على نحو متزايد اختراق حدود الدولة، وليس سوقها فقط ولكن أيضاً المعلومات وحقوق الإنسان، وتجد علاقات القرابة العميقة الجذور سبلاً جديدة للتعبير. في العصر الحاضر قد تحاول الأقليات الإثنية بوسائل الإعلام الإلكترونية في أي بلد تضخيم قضيتها من خلال نشر قضية انتهاك

(1) Ibid., p. 35.

(2) R. Mansbach, The Global Puzzle: Issues and Actors in World Politics. Boston, 1994, pp. 567-568.

في هذا الصدد يقول المناضل البلوشي الدكتور الله نذر في مقابلة له مع الصحيفة البلوشية الالكترونية الأولى بالإنكليزية «بلوچ هال»، «أود أن يكون لدي كلاهما، ولكن إذا خُيرت بين المسدس والكتاب فسوف أفضل الكتاب، لأن الكتاب هو الذي يوجه مسدسي». ويشار إلى أن الحركة القومية البلوشية تشهد زخماً على شبكة الانترنت منذ منتصف العقد الأخير، حيث يوجد اليوم العشرات من المواقع على الشبكة العنكبوتية والتجمعات البلوشية على الشبكات الاجتماعية باللغات البلوشية والانكليزية والفارسية والأوردية والعربية، مما دعا الدولة الباكستانية والإيرانية إلى حظر المئات من هذه المواقع، انظر على سبيل المثال، Malik S. Akbar, The Redefined Dimensions of Baloch Nationalist Movement, Xlibris Corporation, 2011, pp. 13-16.

(3) Marcus, quoted in: Daily Iran Emrooz. 12 December 2000.

حقوق الإنسان في محل إقامتها. وخلافاً لمزاعم نقاد القومية، كانت القومية البلوشية، كما لوحظ من قبل سيلگ هاريسون، تتقدم باطراد في العقود الأخيرة بالمقارنة بماضيها. فكتب هاريسون: «في منتصف عام 1980، وجدت أن الترقب هو المزاج السائد بين البلوش، ورغبة واسعة الانتشار في حماية شرف البلوش العُرفي، والاستعداد لتجديد النضال عندما تبدو الظروف مواتية»[1].

وبالتالي، فمن الصعب تصديق أن ثورة المعلومات كما يدعي المعارضون للقومية، ستؤدي إلى التقليل من شأن القومية، أو أقله من القومية الاثنية. في الذكرى الخمسين للثورة الرقمية (الثالث والعشرون من ديسمبر، 1997)، وصف الصحفي والتر آيزاكسون، هذه الثورة بأنها قوة لامركزية، بدلاً من أن تكون قوة مركزية[2]. ووفقاً لآيزاكسون، عندما اخترع الترانزستور، توقع جورج أورويل في كتابه عام 1984، أحد أسوأ التوقعات في قرنٍ مملوء منها: ستكون التكنولوجيا ذات تأثير مركزي واستبدادي. وبدلاً من ذلك أصبحت التكنولوجيا قوة من أجل الديموقراطية والتمكين الفردي. فشبكة الانترنيت تسمح لأي شخص أن يكون الناشر أو الناقد، وقد هدم البريد الإلكتروني الهرمية الجامدة، ومنحت الثورة التي جلبها الابتكار الرقمي منافذ من غير الموافقة الرسمية، وذلك سيخاطر بمعركة مع شركات الهاتف الضخمة. «ورمز العصر النووي، الذي يميل إلى مركزية السلطة»، كما يقول آيزاكسون، «كان نواة عقدت مع الإلكترونات في مدار ضيق، ورمز العصر الرقمي هو الشبكة، مع عدد لا يحصى من مراكز السلطة جميعها متشابكة على نحو متساوٍ»[3].

يبدو أنه كلما زاد اتصال المرء المباشر بالثقافات المختلفة، زاد إدراكه لهويته الثقافية الخاصة. وعلى الأرجح كان ضد خلفية الاستنتاج هذه ما جاء به بيتر كلووس، ومفاده أن الحركات الانفصالية في أواخر القرن العشرين متصلة بالعولمة بطريقة معقدة[4]. ومن وجهة نظره، فصعود القوى المتخطية للحدود القومية بطريقتين متعلقة

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow: Baluch Nationalism and Soviet Temptations. New York: Carnegie Endowment for International Peace, 1981, pp. 3-4. 131

(2) Time. New York, December 19, 1997-January 5, 1998.

(3) Ibid.

(4) Peter Kloos, «Secessionism in Europe in the Second Half of the 20th Century» in: Nadeem Ahmad Tahir (ed.), The Politics of Ethnicity and Nationalism in Europe and South Asia.Karachi, 1998.

بصعود الهويات الإقليمية، وهي بذلك توفر الأساس للحركات الانفصالية. ففي المقام الأول، هناك التأثر المتزايد للقوى المتخطية للحدود القومية على الحياة اليومية للناس. فيعي الناس هذه الحال ويشعرون أكثر فأكثر بأنهم يفقدون سيطرتهم على ما يحكم حياتهم اليومية.

وبشكل متزايد يحدد حياتهم قوى من خارج الدولة. وفي رأيه، في الماضي كانت الحركات الانفصالية تقوم بالمهمة وحدها تماماً. وفي هذه الأيام قد تسعى لدعم من خارج حدود الدولة التي ترغب في الانفصال عنها، وهنا تأتي العلاقة الثانية بين الحركة القومية والقوى العابرة للحدود الوطنية[1]. وحتى هذه النقطة، وخلافاً لحجج أصحاب العولمة، فعولمة أواخر القرن العشرين والأهمية المتزايدة للقوى المتخطية للحدود الوطنية أضعفتا سلطة الدول المتعددة القوميات، وعززت التضامنيات المحلية في سياق القومية.

نقد نظريات القومية القائمة

كما نوقش في هذا الفصل، إحدى المناقشات الرئيسية في أدبيات القومية هي بين أولئك الذين يرون أنها مجرد امتداد للهويات الإثنية القديمة، وأولئك الذين يرون أنها حديثة بامتياز. ولدى النظرية البدائية موطن ضعف لأنها تفترض الخلود في القومية، مما لا وجود له، فالقومية لم تظهر إلا في وقت متأخر بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. بينما منظرو الحداثية، على الرغم من أنهم يقدمون شرحاً دقيقاً لأصول الأمم، فإن لديهم أيضاً أوجه قصور لأنهم يصرون على أن الأمم سوف تأفل وتضعف في نهاية المطاف من حيث الأهمية.

تفترض المدرسة الماركسية أن القومية سببها التفاوت في تطور الرأسمالية بين البلدان. ويفشل أصحاب الفكر الماركسي في تفسير السبب خلف عدم وجود حركات قومية عنيفة لدى كل الدول المتخلفة، بينما كثيرٌ من الدول المتطورة لديها مثل هذه الحركات. وعلى الرغم من أن تحليل الماركسية للقوميات المُضطَهدة طور في الأصل لمعاينة الشعوب المستعمرة، يمكن كذلك أن تكون حتى الآن مفيدة في فهم الأمم الإثنية الخاضعة.

(1) Ibid.

وبقدر ما، فالنظريات القومية العامة المعنية بدراسة القوميات الاثنية في العالم الثالث، معظمها يعاني وجهين قاصرين رئيسيين. فأولاً تستند أغلب هذه النظريات إلى مظاهر ظاهرة القومية كما عوينت في الغرب أولاً. وقدم الأكاديميون مثل كدوري وگلنر وكونور وأ. دي. سميث، النظريات المختلفة كما نوقشت في وقت سابق. وأسندوا تفسيراتهم للحركات الإثنية في أوروبا إلى نقاط الضعف في المجتمع الصناعي، ومركزية الدولة السياسية. وهذه التحليلات ليست بالضرورة وثيقة الصلة ببلوشستان.

ثانياً، يتمحور هؤلاء الأكاديميون حول الدولة، بمعنى أنهم يتوجهون في أكثر الأحيان إلى القومية الإقليمية، مما يتناقض مع قومية القوميات الإثنية، فالقومية سمة مفاهيمية من سمات الأمة، التي هي كيان سياسي وثقافي يمكن تحديده «بشخصيتها»، وحقوقها الجماعية، وليس بالدولة، التي هي كيان سياسي وقانوني يمكن تحديده عن طريق حقها في السيادة على إقليم.

ومع ذلك، فإن تحليلهم لمختلف الاستراتيجيات التي تستخدمها الحركات الإثنية في أوروبا، وثيقة الصلة جداً. وقد حاول هؤلاء الكتاب تحديد الخطوط العريضة لمختلف الاستراتيجيات المستخدمة من قبل المجموعات الإثنية الأوروبية للحصول على السلطة. وهم يشيرون إلى أن القوميات الاثنية الحديثة اضطرت في تأسيس طموحاتها إلى الحجج الناشدة للمبادئ العامة مثل السيادة الشعبية والحقوق المطلقة والاختلاف الثقافي. وبناءً على ذلك، فالمفاهيم والموضوعات والمنهجيات التي وضعتها هذه النظريات هي مع بعض التعديلات المفاهيمية، مفيدة لدراسة القومية العرقية في جنوب ـ غرب آسيا.

حق تقرير المصير

مع الاحتلال البريطاني لأرض البلوش (عام 1839)، والإدماج القسري (إيران عام 1928، وباكستان عام 1948)، طرحت مسألة حق تقرير المصير. ما هو حق تقرير المصير؟ إنه كما عرفه علماء القومية، ما يعني أن لكل قومية الحق في أن تقرر لنفسها، كيف ستُحكم ومن سَيحكُمُها[1]. وكانت حركة تقرير المصير مطلباً مشروعاً لتحرير

(1) A. D. Smith, National Identity, pp. 73-74; Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 8-10.

البلاد من نير الحاكم الاستعماري. وفي الواقع، فقد «خدمت جيداً الذين سعوا إلى حل الإمبراطوريات»[1]. والآن كثيراً ما انتشر مبدأ تقرير المصير للحصول على دولة مستقلة ذات سيادة لجماعة اثنية في دولة متعددة الإثنيات.

وقد تم قبول مبدأ تقرير المصير على نطاق واسع منذ ظهور الأيديولوجيات الديمقراطية في الثورات الأميركية والفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر. وقد روج مصطلح «تقرير المصير» وودرو ويلسون، رئيس الولايات المتحدة من 1913 ـ 1921، ورئيس عصبة الأمم. وكانت عصبة الأمم في حيز الوجود بين 1919 ـ 1946، وكانت الأساس الذي قامت عليه منظمة الأمم المتحدة في وقت لاحق. وقد شرحت فكرة «تقرير المصير» لأول مرة في عصبة الأمم، وقد تبنته لاحقاً الأمم المتحدة. وتم تضمينه إعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، الذي يقول إن من حق جميع الشعوب تقرير مصيرها. ولذلك فإن مفتاح السؤال هو: من هو «الشعب». فاضطرت الأمم المتحدة بعد ذلك إلى تقديم تعريف. وعرفت الشعب الذي يحق له «تقرير المصير» بأنه ذاك الذي يعيش تحت الحكم الاستعماري[2].

وبالتالي، فالشعوب التي تُحكم ديمقراطياً في الدول ذات السيادة، لم يكن يحق لها علاوة على ذلك «تقرير المصير». وقد اتخذ هذا القرار في حُكمين للجمعية العامة، وهي: «إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة (1960) وإعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية بين الدول (1970)»[3]. وأكدت هذه التصريحات على وحدة أراضي الدول ذات السيادة. فمبدأ «تقرير المصير» لا ينبغي أن يفسر بطريقة مثل تقسيم الأراضي أو فك الوحدة السياسية للدول ذات السيادة، التي كانت تتصرف وفقاً للامتثال لمبدأ المساواة في الحقوق، ولديها حكومة تمثل الشعب كله مع عدم وجود تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون[4].

وعوداً على مفهوم الحق في تقرير المصير، فبينما قد يكون للأمم أيديولوجيات

(1) Amitai Etzioni, «The Evils of Self-Determination», in: Foreign Policy, no. 89, Winter1992-93, p. 21.

(2) Per Ahlin, och Pal Wrange, Folkens Sialvbestammanderatt. (Right of Self-determination of People), i serien «Varldspolitikens Dagfragor», Stockholm: Utrikespolitiska Institutet, 1990, pp. 8-9.

(3) Ibid., p. 4.

(4) Ibid., pp. 7-8.

الأصل والقرابة المشتركة، فهي منظمة في المقام الأول في فئات عضوية فردية، ومعرفة على أساس سمات ثقافية مختلفة مثل اللغة والدين والعادات والأسماء المشتركة وما إلى هنالك. وبالإضافة إلى ذلك، فهم يعدون كأفراد على حد سواء بالمعنى الحرفي بكونهم قابلين للتجزئة، ومجازاً ككائنات فردية تتحرك عبر التاريخ كما يتحرك الناس العاديون في خلال دورة سير حياتهم الذاتية، ومع ذلك فهم عرضة للانشطار. فتقارن حقوق الأمة في المجتمع الدولي بهؤلاء الأفراد في المجتمع.

فإذا ما كان للأفراد الحق في الحكم الذاتي، فعن طريق القياس فالأمم أيضاً لها الحق في تقرير المصير[1]. ويدعي القوميون عادة أنه لا يمكن لأفراد الشعب إدراك حريتهم الشخصية ما لم يكن الشعب «حُراً» بمعنى تقرير المصير السياسي، والنداء في الوقت نفسه أن أعضاء الأمة المفترضة يتمسكون ببعض المعايير الثقافية والسلوكية المشتركة[2].

أهمية الفردانية ليست مجازية فحسب، ولكن كأساس للفكرة المركزية أن الأفراد بشكل مباشر هم أعضاء الأمة، وذلك من شأنه أن يُعطي كل واحد منهم هوية متأصلة يتحدون معها على الفور ككل. وفي خطاب القومية، فالمرء ببساطة صيني أو فرنسي أو أريتيري. فالفرد لا يحتاج إلى وساطات من العائلة والمنطقة والمجتمع أو الفئة ليكون عضواً في الأمة. فالقومية تُفهم على وجه التحديد كسمة للفرد، وليس كرابطة وسيطة. وتعزز هذه الطريقة في التفكير فكرة القومية كنوع من بطاقة ورقة رابحة في لعبة الهوية. في حين أنها لا تحول دون غيرها من التفاهمات الذاتية، فهي يفترض تجاوزها ضمن معظم الأيديولوجيات القومية من جهة أخرى، أقله عند الأزمات والحاجة القومية. وكما هو في تعريف ميشيل فوكو، تفهم القومية كدمغة في جسد كل فرد حديث[3]. فالشخص من دون دولة لا يفتقر إلى مكان في العالم الخارجي فحسب ولكن أيضاً إلى ذاتٍ تامة[4].

(1) B. Wittrock, «Kulturellidentitetoch den modemastaten», in: G. Winai-Strom (ed.), Konfliktlosning i det flerkulturella samhallet. Uppsala: Uppsala Universitet, 1988, p. 299. 141 Friedrich Meinecke,Cosmopolitanism and the National State. Priceton: PrincetonUniversity, 1970, pp. 89.

(2) Friedrich Meinecke, Cosmopolitanism and the National State. Priceton: Princeton University, 1970, pp. 89.

(3) Michel Foucault, Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings. 1972-1977. New York: Pantheon, 1977, cited in, Craig Calhoun, Nationalism. Buckingham:Open University Press, 1997, p. 46.

(4) William Bloom, Personal Identity, National Identity and International Relations. Cambridge: Cambridge University Press, 1990, cited in, Craig Calhoun, Nationalism. Buckingham: Open University Press, 1997, p. 46.

التعبير عن حق تقرير المصير استناداً إلى حقيقة الانقسامات اللغوية والطائفية داخل المسيحية دخلت في الفكر السياسي الأوروبي، نحو نهاية الفترة الإقطاعية[1]. ثورة 1688 في إنجلترا والثورة الفرنسية أقصتا النظام الإقطاعي في أوروبا. ووجدت القومية الألمانية أول تعبير قوي لها في ظل بسمارك. ولاحقاً، ظهرت الاشتراكية القومية باعتبارها شكلاً مرعباً للنزعة العسكرية والتوسعية والعنصرية. بالتالي فالقومية الألمانية نشأت بوصفها ردة فعل دفاعية ضد الهيمنة الفرنسية، وتحولت بدلاً من ذلك في وقت لاحق إلى عقيدة عسكرية حقيقية للتوسع والغزو.

يجب أن يؤخذ في الاعتبار أنه لا تزال هناك خلافات بين العلماء حول زمان ومكان ظهور الأمة. ووفقاً لإيلي كدوري اكتشف، مذهب الأممية في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر[2]. وفي جهة نظر أخرى، يقول بنديكت أندرسون إن الأمة الحديثة المستندة إلى مفهوم المساواة في الحقوق بين جميع المواطنين والديمقراطية، ظهرت كمشروع سياسي في أميركا اللاتينية أولاً وليس في أوروبا كما هو شائع[3]. ويمكن أن يقال حول تصريحات أندرسن أن زعماء أميركا اللاتينية القوميين أعلنوا المساواة في الحقوق بين جميع المواطنين، ولكن المغزى العملي لهذا الإعلان هو إلغاء الرق؛ وهو فعل ثوري بهذا النحو. وفي رأي كارل رينر، فإن «عام ميلاد فكرة الأمة السياسية وعام ولادة هذا الوعي الجديد هو عام 1789، وهي سنة الثورة الفرنسية[4]». وفي عام 1862، رأى اللورد أكتون في مقال عن «القومية»، أنه قبل الثورة الفرنسية لم يكن حق تقرير المصير والحكم الذاتي للقوميات مُعترفاً بهما، وكانت مصالح الطبقات الحاكمة هي التي تحدد حدود الدول بدلاً من قوميات الشعوب[5].

ينتمي التعبير عن القومية كمطالبة من أجل تقرير المصير في أوروبا، إلى الفترة الممتدة إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر فصاعداً. عندما قدم الإيطاليان مازيني وگاريبالدي القومية في إطار الإنسانية الليبرالية وكوطنية ثورية على التوالي،

(1) G. H. Sabine and T. L Thorson. A History of Political Theory. Hinsdale: Dryden Press,1973, pp. 271-346.

(2) Elie Kedourie, Nationalism. 4th edn. Oxford: Blackwell (first published 1960), 1994, p. 1.

(3) Benedict Anderson, Imagined Communities, p. 52-65.

(4) Karl Renner, Staat und Nation. Vienna 1899, p. 89.

(5) Lord Acton, Essay on Freedom and Power. London, 1965, pp. 144-146.

وكجزء لا يتجزأ من الديمقراطية والعدالة الاجتماعية المنصوص عليها في مفهوم الحكم الذاتي. ويتبع ذلك التنظير منطقياً أن أعلى مستوى من الحكم الذاتي هو في الحصول على السلطة السيادية. وباختصار، فإن السمة المميزة للأمة هو تحقيق إقامة الدولة. ومع ذلك، فإن المنظرين الليبراليين الذين يؤيدون فكرة تقرير المصير القومي دار في خلدهم الحد من سياق الحجم عندما أيدوا أو عارضوا حق تقرير المصير. فالقومية الكبيرة، التي بإمكانها الحفاظ على دولة كبيرة وضمان التنمية، لها الحق في إقامة دولة مستقلة، ولكن ليس الجماعات الصغيرة، التي كان يعتقد أنها تؤدي دوراً مسبباً للخلاف والشقاق والسلبية. ولذلك عارض مازيني القوميات الإيرلندية، والصقلية، والويلزية الصغيرة[1].

القومية كعقيدة سياسية لتقرير المصير وضعت لاستخدامها على نطاق واسع في أوروبا في فترة متأخرة نوعاً ما من التاريخ: في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وكما ذكر سابقاً، ففي أوائل القرن العشرين، جاء وودرو ويلسون وفلاديمير أوليانوف لينين بقوة لدعم حق تقرير المصير القومي [للجماعات] اللغوية والشعوب المستعمرة[2]. وأدت الحرب العالمية الأولى إلى تفكيك الامبراطورية المجرية - النمسوية والقيصرية والألمانية والعثمانية. وبحلول عام 1922، ظهرت العديد من الدول المستقلة إلى حيز الوجود في أوروبا الوسطى والشرقية. ومن مكان مؤتمر برلين جاءت عصبة الأمم، التي لم تستبعد غير الأوروبيين. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت عملية إنهاء الاستعمار بشكل جدي. وبين عامي 1945 و1960، حصلت أجزاء كبيرة من آسيا وأفريقيا على حريتها بمختلف الوسائل، السلمية منها والعنيفة. ومنذ ذلك الحين، نما عدد الدول المستقلة إلى ما يقارب الخمسين في المئة، وما يقرب من مئة وعشرين إلى مئة وتسعين [دولة] في منتصف تسعينيات القرن العشرين[*][3].

ووفقاً لهوبسباوم، فإن الحركات الاستعمارية اختارت لغة القومية الأوروبية. وقال:

(1) E. J. Hobsbawm, Nations and Nationalism Since 1780. Cambridge: Cambridge University Press, 1992, p. 31.

(2) V. I. Lenin, The National Liberation Movement in the East. Moscow: Progress Publishers, 1974, pp. 233-37; G. E. Fasnacht, Acton's Political Philosophy. An Analysis. London, 1952, pp. 126-139.

(3) Greerups Forlag AB, Gleerups Skolatlas. Uppsala: Gleerups, 1993.

(*) زاد عدد الدول المستقلة بانضمام دولة جنوب السودان إلى مئة واثنتين وتسعين دولة.

تحدث قادة أيديولوجيات حركات تحرير المستعمرات وشبه المستعمرات باللغة القومية الأوروبية بصراحة، التي غالباً ما تعلموها من الغرب، حتى عندما لم تكن مناسبة لوضعهم. وكما طغت راديكالية الثورة الفرنسية على الثورة الروسية، دخلت الأيديولوجيا الرئيسية للتحرر العالمي، والحق في تقرير المصير، في نصوص ستالين، ووصلت إلى أولئك الذين كانوا خارج نطاق مازيني. وينظر الآن إلى التحرير في كل مكان من العالم الثالث على أنه «تحرير وطني» أو بين الماركسيين «التحرر الوطني والاجتماعي»[1].

بالتحول إلى دول العالم الإسلامي خصوصاً، يدون سيد حسين نصر أنه منذ غزا الغرب العالم الإسلامي (الذي انعكس في النهاية على الوعي الإسلامي مع استيلاء نابليون على مصر في عام 1798)، شهد العالم الإسلامي الغربي نموذجاً تم قبوله بكل إخلاص من قبل العديد من القادة. ونتيجة لذلك، نظمت الدول الإسلامية التي نالت استقلالها، أنفسها وفقاً لنموذج دول أوروبا، مثل محاولة استخدام القومية بوصفها قوة الشرعية[2]. ونتيجة لذلك قاتلت جبهة التحرير الوطنية من أجل تحرير الجزائر، وليس لتحرير المغرب. وبالمثل، فإن جبهة التحرير الفلسطينية تسعى إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وبهذا سبق أن رفضت على وجه التحديد نماذج القوميين العرب أو السوريين للشرعية. وبالطبع، فقد بقيت الأيديولوجيات الأقدم مثل الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية بين مختلف الشعوب في منطقة الشرق الأوسط.

على الرغم من كونهم وحدويين وطنيين (عموم القوميين العرب والإسلاميين)، فالكتاب المسلمون مثل ساطع الحصري، من أوائل المؤيدين للقومية العربية، والسيد جمال الدين الأفغاني (1838 ـ 1897، المعروف أيضاً باسم الأسد آبادي) كتبوا أن أساس القومية هو اللغة. وذهب الحصري إلى حد الافتراض بأن القوميات موجودة قبل أن تحصل على الهوية الوطنية[3]. وذلك المعيار هو المسؤول وليس «الارادة العامة»

(1) E. J. Hobsbawn, Nations and Nationalism Since 1780. Cambridge: Cambridge University Press, 1992, p. 136.

(2) Seyyed Hossein Nasr, Traditional Islam in the Modem World. New York: Methuen Inc., 1987, p. 82.

(3) Joseph Rothschild, Ethnopolitics: A Conceptual Framework. New York: Columbia University Press, 1981, p. 118.

عن تأسيس أمة. «كل شعب ناطق باللغة العربية هو شعب عربي، وكل فرد ينتمي إلى أحد هذه الشعوب الناطقة باللغة العربية هو عربي . . . وتحت أي ظرف لا ينبغي لنا أن نقول: «إنه ليس عربياً ما دام لا يرغب في أن يكون كذلك ولا يقبل عروبته». «فهو عربيٌ سواء أكان راغباً في أن يكون عربياً أم لا»[1].

أصبحت قومية الحصري أساس القومية العربية، وهي حركة قومية وحدوية، تدعو إلى وحدة سياسية لجميع الذين لغتهم هي العربية. وأنتجت الهوية القومية العربية بعض القادة العرب خلال الحرب العالمية الأولى، وأمِلت إنشاء الوطن العربي الكبير من تحت أنقاض الأمبراطورية العثمانية. ومع ذلك، فإن الشعوب العربية فشلت في توفير رابط مشترك قوي بسبب تنوعهم واختلاف مصالحهم الإقليمية، وكانوا في معظمهم مصنفين بين الأراضي الواقعة تحت السيطرة البريطانية والفرنسية والايطالية، إلى جانب دول قليلة مستقلة. وتم مرة أخرى اختبار فلسفة الحصري في1959 ـ 1961، عندما اتحدت مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة. وحتى هذه التجربة في النهاية فشلت أيضاً، عندما أدرك السوريون أنهم أصبحوا إقليماً تابعاً لمصر بدلاً من المشاركة على قدم المساواة في الشراكة العربية.

كان لمولانا عبيد الله السندي، وهو عالم مسلم آخر، موقفٌ أكثر إيجابية فيما يتعلق بالقومية في بلدان المسلمين. ودعماً لحق تقرير المصير للقوميات المقسمة، يحبذ السندي بصراحة حق البشتون في الهند البريطانية بالانضمام إلى أفغانستان[2]. ومتبنياً للمفهوم الغربي للقومية، كتب السندي: «إنكار الوطنية والقومية هو إنكارٌ للطبيعة البشرية. ومن الخطأ أيضاً النظر إلى تقسيم المسلمين إلى قوميات على أنه معارض لوحدة المجتمع الإسلامي العالمي. فإنشاء مزيج متناغم من القومية والأممية هو حفاظٌ على التوازن بين الاثنين، وذلكم ليس مفيداً للأمة فحسب، بل هو مفيد أيضاً للبشرية جمعاء[3].

(1) Sati' al-Husri as quoted in Bassam Tibi, Arab Nationalism: A Critical Enquiry. Translated by Marion Farouk Sluglett and Fetter Sluglett, New York: St. Martins Press, 1990, p. 189.

(2) Maulana Ubaidullah Sindhi, quoted in Inayatullah Baloch, «Islam, the state and nationality problems: a study of ethnic rights in the Middle East, in: GudmundurAlfredsson and Peter Macalister-Smith (ed.), The living Law of Nations. Strasbourg: N. P. Engel Publisher, 1996, p. 238.

(3) Ibid.

وعلى النقيض من السندي وغيره من العلماء المسلمين الحداثيين، اتبع المتشددون مثل أبو الأعلى المودودي وآية الله الخميني خطاً فكرياً وحدوياً إسلامياً سياسياً صارماً. فكتب المودودي في كتابه تاريخ آزادي هند اور مسلمان، (تاريخ تحرير الهند والمسلمين): «أي مسلم يَعهَدُ بنفسه لشيطان القومية سيفترق عن ملاك الإسلام»[1]. وبالمثل، ينفي آية الله الخميني نفياً قاطعاً وجود القوميات. ففي مقابلة له لحظة سقوط الشاه وعشية إقامة الجمهورية الإسلامية، في عام 1979، رأى الخميني أنه: «لا توجد قوميات في الإسلام»[2].

الحكم الذاتي أمر أساسي لمفهوم القومية لتأكيده على خصوصية الثقافة القومية. والبلوش يشكلون جماعة اجتماعية، تشترك في عوامل موضوعية مثل اللغة المشتركة، وقد اكتسبت وعياً ذاتياً سياسياً بالتماثل، بحياتها في إقليم واضح المعالم نسبياً، ونضالها ضد الهيمنة الأجنبية. إذ إنه قبل مجيء البريطانيين في عام 1839، كانت بلوشستان دولة مستقلة يحكمها خانات [ملوك] كلات. وتم ترسيم حدود بلوشستان في أواخر القرن التاسع عشر، دون التشاور مع الشعب البلوشي، الذي اعترض وثار ضد القرارات الاستعمارية (انظر الفصل الثالث). وفي عام 1928 احتلت بلوشستان الغربية من قبل القوات المسلحة الإيرانية. ومع خروج الاستعمار في عام 1947، أصبحت خانات [دولة] بلوشستان (شرق بلوشستان) دولة مستقلة، معترفاً بها من قبل باكستان، حتى عام 1948 (انظر الفصل الرابع). وفي مارس 1948، تمكنت باكستان من ضم الدولة، دون الحصول على موافقة شعبية من الشعب البلوشي[*].

بينما قد تكون القومية نشأت في أوروبا الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولكنها أصبحت حركة عالمية في القرن العشرين. واليوم تعد القومية «في العالم، الأيدولوجيا الرئيسية في منح الشرعية للدول والأنظمة والحكومات أو مبطلة لها»[3]. وفي مطلع القرن العشرين، بدأ البلوش بالنظر في مفهوم القومية، وهي فكرة

(1) Abu Ala Maududi, Tarikh-e Azadi-e Hind aur Musliman, (the Indian liberation History and the Muslims), Lahore, 1968, Vol. 1, p. 332.

(2) Talal Salman, «Interview with Khomeini at Movement of Shah's Downfall and Eve of Creation of Islamic Republic», in: Al-Safir (in Arabic), 18-19 January 1979

(*) في السابع والعشرين من شهر مارس عام 1948.

(3) Joseph Rothschild, Ethnopolitics: A Conceptual Framework, p. 14.

مقدمة من قبل البريطانيين تهدف إلى تقسيم دولة البلوش فيما بينهم وبين البلدان المجاورة لهم (إيران وأفغانستان). ومنذ ذلك الحين والحركات القومية البلوشية في محاولة لتأسيس شرعيتها باللجوء إلى القومية وحق تقرير المصير في جميع أنحاء بلوشستان. وعموماً، وكيف ما كان فإن الدولة ذات السيادة هي الوسيلة الرئيسية التي من خلالها تتحقق هذه المطالبات بتقرير المصير القومي. ولذلك، فإن مبدأ القومية في تقرير المصير القومي يؤكد على حق كل أمة في ترسيخ نفسها في هيكل دولة، وبذلك يجب على كل أمة أن يكون لها دولتها.

الخلاصة

من الصعب البت في ما إذا كانت فكرة المجتمع والشعور بالانتماء إلى جماعة بشرية متأصلة في حالة الإنسان وأن خصائصها طبيعية فطرية أو مكتسبة اجتماعياً. وبطريقة ما، فالتمييز بين الطبيعي والاجتماعي أمر اصطناعي إلى حد كبير من حيث أن البشر بطبيعتهم اجتماعيون عموماً، وهذه الطبيعة تربطهم بالآخرين. فالقدرة على التواصل من خلال الرموز والعلامات المشتركة كانت شرطاً مسبقاً لأشكال مختلفة من المنظمات المجتمعية، التي قد وضعها البشر من أجل العيش معاً. وتطور التواصل بين البشر بشكل أساسي من خلال اللغة، ولكن أيضاً بمختلف الوسائل الثقافية الأخرى. والميل إلى الانضمام إلى المُعرفات التي يعرف بها المرء، استبعدت في الوقت ذاته جماعات وشعوباً خارجية. ومثل هذه المحددات والمُصنِفات للهوية تُمارس في جميع المجتمعات البشرية أياً كان مستواها في التنمية والهيكلة والتقسيم الطبقي. ومثل هذه الممارسات لم يكن لها أهمية لولا أنها كانت وسيلة لإطلاق المطالبات بالأرض، والملكية وغيرها من الممتلكات والامتيازات بالمواجهة مع مطالبات الجماعات الأخرى. ويمكن وصف هوية الجماعة والمطالبة بإقليم معين بجوهر الحركة القومية. ويمكن سماع صداها على مر العصور وتقريباً في كل المجتمعات المستقرة في جميع أنحاء العالم.

ويُعنى بالأمة جماعة كبيرة نسبياً من الناس متماسكة بما فيه الكفاية من حيث التوجه الثقافي والتجارب التاريخية والارتباط بمنطقة جغرافية معينة، وعادة ما تكون حيث تقيم ولكن ليس دائماً. وهذه المجموعة تطمح إلى ممارسة الحكم الذاتي.

ويمكن تعريف القومية بإحدى طريقتين أي وفقاً للمعايير الإثنية أو الإقليمية. في حين تستند القومية الاثنية إلى وعي الهوية المشتركة والثقافة والاعتقاد بالأصل والتاريخ المشترك، فإن القومية الإقليمية مشمولة ضمن منطقة محددة جغرافياً.

القومية التي تحدد الجماعة على القاعدة المدنية أو الإقليمية، تعرف بالقومية المدنية. أما المدرسة البديلة فتحدد الجماعة باعتبارها إثنية، قائمة على أساس غير قابل للتغيير، وخصائص مقيدة. والمعروفة باسم القومية الإثنية. بينما القومية المدنية أو الإقليمية لا تنفي وجود الخصائص الإثنية مثل علاقات القرابة واللغة المشتركة والاقليمية، وتعترف بأنه في بعض الأحيان قد تؤدي هذه الخصائص دوراً في خلق هوية جماعة. ولكن بالنسبة إلى القومية المدنية أو الإقليمية، لا شيء من هذه الصفات ضرورياً يحدّد هوية الجماعة. وبمعنى آخر فإرادة الجماعة تولد ما يوحدها. وعلى الجانب الآخر فنظريات القومية الإثنية، تعترف باحتمال وجود إرادة عامة، ولكن تنكر أهميتها لمصلحة الخصائص الإثنية. وفيها يختلف العديد من الكتاب حول الخصائص التي تحدد جماعة إثنية معينة، ولكن جميع من في مدرسة القومية المدنية أو الإقليمية، لا شيء من هذه الصفات يعد أمر ضرورياً لتحديد هوية الجماعة.

غير أنه حتى حيازة هوية الجماعة، ليست كافية لخلق قومية، حتى لو أعطينا الجماعة لقب «الأمة». فيجب على النخبة المثقفة في البلاد حشد مشاعر الجماعة. وغالباً ما سيؤدي المثقفون هذا الدور وذلك لأن أعضاء الجماعة الأجنبية التي تسيطر على الدولة، تمنع صعودهم الإرتقائي. فيريد المثقفون دولة قومية منفصلة لحماية مصالح الجماعة المشتركة، وإعطائها قابلية الصعود الارتقائي، الذي قد حرمت منه سابقاً.

في حين أنه كُتب الكثير حول كلا النسختين من القومية، غير أن القومية الإثنية ناقصة تجريبياً لأن محددات الإثنية التي تعتبر حاسمة بالنسبة إلى هوية الجماعة هي إما متقلبة وإما تفتقر إلى محددات كافية لجعل المفهوم ذا دلالة. وعلى الرغم من العيوب التجريبية، فكلا النوعين من القومية متوافر في جنوب ـ غرب آسيا (إيران وأفغانستان وباكستان).

ولأن الدولة الباكستانية افترضت أن عباءة نظرية الأمتين (الإسلام/ الهندوسية) معتمدة على الإسلام لشرعيتها كافية لضمهم، فعلى النقيض يمكن أن يتوقع أن يعتمد

معظم البلوش على القومية الإثنية في مواجهة ذلك. ولكن المشكلة مع ذلك هو أن علاقات القرابة أو الانتماء القبلي عندما تصبح المستفيدة من الولاء الأعلى؛ يخضع منح الجماعة لولائها للتغييرات. حسب ما يختلف تعريف جماعة القرابة بمرور الوقت والظروف.

وهكذا يمكن في لحظة واحدة، أن يعرف الفرد نفسه كبلوشي، وفي لحظة أخرى بوصفه عضواً من قبيلة مَري، أو في لحظة ثالثة مجرد عضو في عشيرة بجاراني. وبهذا ومع تزايد «مشاعر الجماعة» يحقق أعضاء الجماعة مصالح جماعتهم الخاصة في كل مستوى من مستويات التنظيم الهرمي، أمام الجماعات المتنافسة، حتى لو كان هذا السعي يضر بمصالح الأمة ككل. فيجب على مطالبات البلوش القومية التغلب على النزعات الانشطارية للقومية الإثنية، أو محاولة الاعتماد على القومية المدنية والإقليمية لتوحيد القبائل والعشائر المختلفة. وستبحث هذه الدراسة في التفاعل بين هذه الاستراتيجيات المتنافسة.

ربما ليست القومية هي المسؤولة، كما يتبين من أنثوني سميث، عن كثير من حالات الاصلاح ودمقرطة أنظمة الطغيان، ولكن هي باعث مرافق متكرر، ومصدر فخر للشعوب المضطهدة والوضع المعترف به للانضمام والالتحاق «بالديمقراطية» و«الحضارة». وهي توفر الرؤية الوحيدة والمنطقية للتضامن السياسي اليوم، وهي التي يمكنها أن تقود وتثير الحماسة الشعبية. وجميع الرؤى والمبررات الأخرى، وفقاً لسميث، تظهر ضعيفة وغير فعالة ومبهمة من خلال المقارنة.

فهي لا توفر أي معنى للاصطفاء، ولا تاريخاً فريداً، ولا مصيراً خاصاً. بينما تلك هي الوعود التي تفي القومية بالجزء الأكبر منها، والأسباب الحقيقية التي تجعل الكثير من الناس يواصلون تعريف أنفسهم بالأمة. وحتى يتم الوفاء بهذه الاحتياجات من خلال أنواع أخرى من مُحددات الهوية، فالأمة مع قوميتها، نفيت أو أعترف بها، كانت حرة أو مضطهدة، هي التي تصنع تاريخها المميز، وعصورها الذهبية وأراضيها المعظمة، وستستمر في تقديم الهويات الثقافية والسياسية الأساسية للإنسانية لفترة طويلة في السنوات المقبلة.

الفصل الثاني

أسس متماسكة للقومية البلوشية

المقدمة

البلوش وهم أحد الشعوب العريقة، يقيمون في منطقة رسم تاريخها بالغزوات والمخططات السياسية لبناة الامبراطوريات الأجنبية، فأصل وتاريخ البلوش لا يمكن وصفهما واقعياً بغير الثراء. ومع ذلك، فعلى الرغم من بعض التباين الإقليمي، بزغت الثقافة واللغة البلوشيتان المميزتان منذ القرن الثاني عشر. وفي الواقع، فوعي البلوش الذاتي نحو تمايزهم الثقافي واللغوي والتاريخي يشكل تعبيرهم عن قوميتهم في باكستان وإيران وأفغانستان، وهي البلدان التي يشكلون فيها أقليات هامة. ولكونهم شعباً غير ذي تنظيم، كان متلوناً وضعهم الاقتصادي وموقعهم الجغرافي وحتى لغتهم على مر التاريخ وفقاً للظروف.

وكما نوقش في الفصل الأول، فمن الواضح أن في كل أصناف التفاعل بين الناس والأرض، تشكل البيئة نفسها بقوة التاريخ والعادات وشخصية الأمة وأنماط حياة أفرادها. وبالتالي، فكون البلوش من أهل الجبال في الغالب، ترك أثره القوي في انعزالهم عن جيرانهم. وبذلك تركت الجغرافيا الوعرة وظروف بلوشستان المناخية القاسية آثاراً في جوانب المجتمع البلوشي كافة، مؤثرةً في ثقافته وتاريخه وبنيته الاجتماعية والاقتصادية ومؤسساته وسيكولوجيته السياسية، ما أدى إلى إنشاء تركيب طابعه النفسي الخاص أو شخصيته القومية[1].

وبسبب موقع البلوش الذين يعيشون في أحد أهم مفترقات الطرق في جنوب غرب ـ آسيا، فهم لا ينحدرون من سلالة واحدة، ولكن خرافاتهم وأساطيرهم التي

---

(1) Henry Field, An Anthropological Reconnaissance in West Pakistan. 1955. p. 17; see also Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 7-8.

تُشبع رغباتهم، وإن لم تكن كذلك للعلماء، تؤكد على نقائهم العرقي العام[1]. فمما منح البلوش عبر القرون شعورهم بالاختلاف والتفرد، اعتقادهم بالأصل المشترك، وخرافاتهم، وشجرات الأنساب التي تربط بينهم وبين قريش، قبيلة النبي محمد (ص)، وتأكيدهم على أنهم من نسل الملك البابلي القديم، بيلوس أو النمرود، وتنظيمهم القبلي المقسم، واللغة وقواعد القيم، ومجموعة من الخصائص الثقافية المميزة[2].

منحت هذه الصفات مفخرة عرقية وثقة بالنفس، فسحت في الطريق في كثير من الأحيان للشوفينية في توليفة مع تاريخهم بكونهم الجماعة الإثنية المهيمنة على بلوشستان. وفي هذا الصدد، يؤكد المؤرخ القومي محمد سردار خان أنه «مهما يكن استحقاقهم لادعائهم، علينا أن نعترف ونقر بأن الشعب البلوشي حافظ بجهده على نقاء الدم وتميز الشخصية بأفضل ما لديه من الوسائل»[3]. ولا يحتاج المرء إلا أن ينظر في الأمثال البلوشية لرؤية المكانة الاستثنائية التي وضعوا فيها هويتهم الفريدة، ومطالبتهم بقواعد للسلوك الشخصي، الذي يصرون على أن يتبعه المرء كي يحافظ على شرفه كفرد من البلوش.

الأسماء «البلوش وبلوشستان»

تتجلى هوية البلوش الإثنية بأوضح صورة في استخدام الاسم الإثني (بَلوُجْ: البلوش). حيث يُعد المعلم المركزي الذي يوحد المجتمع البلوشي ككل، وهو التصور الواضح لجميع البلوش بشكل أو بآخر بانحدارهم من سلف مشترك، وبالتالي فهم يشكلون (قوماً: أمة). فمنذ ما لا يقل عن منتصف القرن السابع تم إطلاق اسم البلوش على الشعب الذي يعيش في جبال جنوب كِرمان وسيستان ومَكُران[4]. ويبدو

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 41, 77-78.

(2) Hittu Ram, Tarikh-e Balochistan. Quetta, 1997, p. 30; Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, pp. 23-24.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch, p. 79.

(4) Erwin Orywal, «Periphery and Identity: Process of Detribalization Among the Baloch of Afghanistan», in: Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity. Karachi: Oxford University Press, 1996, p. 79; E. Mockler, «Origin of the Baloch», in: Journal of the Asiatic Society of Bengal. Calcutta, 1895, p. 36; Ibrahim Bashmi, Qaus al-Khalii al-Mashdood. Bahrain, 1998, p. 79-92.

أن كلمة (بَلوُجْ) هو شكل مُحرف من مِلوخا أو مِلوچا أو مِلچا، التي كانت تسمية مَكُران الشرقية الحديثة في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، وفقاً لنصوص بلاد ما بين النهرين[1].

غير أن الدكتور منير أحمد گِچكي، أستاذ التاريخ في جامعة بلوشستان، يربط اسم البلوش بـ«گِدروشيا» أو «بِدروزيا»، وهي اسم بلاد البلوش في زمن الاسكندر الكبير (356 ـ 323 قبل الميلاد)[2]. وافترض محمد سردار خان أن مصطلح (بَلوُجْ: البلوش) مشتق من بيلوس، لقب ملوك بابل الكلدان. وكان يسمى نمرود، وهو ابن كوش أو كووث، بيلوس[3]. وعرف أتباع نمرود بالبيلوسيين. وبين العرب لفظ الاسم بلوص[4]. ويناقش سردار خان وخُدا بكش مَري، أنه تبعاً لذلك جاء الاسم (بَلوُجْ) من بيلوس أو بلوص(*). بيد أن ج. ب. تات[5] يرى أن الاسم يعني من الناحية التاريخية «الرحل». ولذلك، سيكون مرادفاً لكلمة «البدو».

الاسم بَلوُشستان يعني ببساطة « أرض البَلوُش»، الذي يحمل في ذاته مغزى ومعنى قومياً هاماً رابطاً، يُعرف الأرض بالبَلوُش[6]. وقد نسب ظهور هذا الاسم،

(1) J. Hansman, «A Periplus of Magan and Melukha», in BSOAS. London, 1973, p. 555; H.W. Bailey,"Mleccha, Baloc, and Gadrosia», in: BSOAS. No. 36, London, 1973, pp. 584-87. Also see, Cf. K. Kartrunen, India in Early Greek Literature. Studia Orientalia, no. 65, Helsinki: Finnish Oriental Society, 1989, pp. 13-14.

(2) مقابلة مع منير أحمد گچكي.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, pp. 14-16.

(4) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan. pp. 9-10.

(*) تمت مناقشة أصول الكلمة (بلوص) وتم إثبات أنها شكل من أشكال التعريب للكلمة الأصلية (بَلوُجْ) كما عند الشعب البلوشي بأسره، حيث كان الشكل الثاني للتعريب بصيغة (بلوج) بالجيم كما هو عند المسعودي وغيره، وعليه فلا يصح القول أن الأصل هو(بيلوس) أو (بلوص)، حيث الأول بني على مجرد تشابه للأسماء دون أدلة تاريخية، والثاني كان تعريباً فحسب، كصيغ تعريبية أخرى مثل (بلوخ) و(بلوش)، للاستزادة انظر، أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص134 ـ 137. و د. سعد الحميدي، بلوتشستان فصول علمية في الهيئة والسكان والتاريخ، ص105 ـ 155.

(5) وهذه هي الحال أيضاً مع أسماء أخرى مماثلة مثل كوردستان (الوطن الكوردي)، عربستان (الوطن العربي)، وأوزبكستان، وما إلى ذلك. وفي هذه الأسماء، يتم إضافة اللاحقة الإيرانية «أستان» التي تعني الأرض أو الإقليم وتضاف إلى اسم عرقية السكان الذين يقطنونها.

(6) G. P. Tate, Seistan: A Memoir on the History, Topography. Ruins, and People of the Country, (in Four Parts, Part IV, The People of Seistan), Calcutta, 1912, p. 365.

العالم السوفياتي گنكوفسكي، لتشكل «هوية قومية للبَلُوش ذات طابع إقطاعي» واستحكامهم بهذه الرقعة في الفترة بين القرن الثاني عشر والخامس عشر[1]. ومؤكداً بشكل أو بآخر الفكرة أعلاه، يعتقد الدكتور عناية الله بلوچ، أبرز خبير بشأن هذا الموضوع، أن بلاد البلوش عرفت باسم بلوشستان منذ تأسيس كونفدرالية البلوش الأولى في القرن الثاني عشر[2].

في ظل الحكم العربي (منذ بداية القرن الثامن وإلى نهاية القرن العاشر) تم تقسيم بلاد البلوش إلى ثلاث مناطق سياسية وإدارية منفصلة، وهي مَكْران وتوران (مرتفعات كلات في بلوشستان الوسطى) وسجستان أو دَرانگيا (سيستان، وضمنها خاران). ويبدو أن هذا التقسيم كان سائداً حتى القرن الخامس عشر[3]. وكما سوف يناقش في الفصل الثالث، أدت غزوات المغول المتتالية منذ نهاية القرن الثالث عشر إلى نزوح جماعي للسكان البلوش شرقاً، وكان ذلك بشكل عام إلى السند والبنجاب. وعلى الأرجح عرفت المنطقة البلوشية بأكملها للشعوب المحيطة بالبلوش، خلال هذه الهجرة الجماعية باسم «بَلُوچستان: بلوشستان»، أو أرض البلوش. وتجدر الإشارة إلى أن مصطلحات مثل « بَلُوچستان» و«مُلّك بَلُوچي» (بلاد البلوش) كثيراً ما تذكر في الشعر البلوشي الكلاسيكي العائد إلى القرن الخامس عشر والسادس عشر[4]. وعلاوة على ذلك، يؤكد أيضاً الأميرال التركي سيدي علي ريس الذي زار ساحل مَكُران في عام 1554، على استخدام هذا الاسم، واصفاً سكان ساحل مَكُران باسم «بلوُچستاني: بلوشستانيين»[5]. وذكرت الكلمة (بلوچستان) كذلك في تعليقات الإمبراطور المغولي بابر (1526 ـ 1530)، تُزك

(1) Yu. V. Gankovsky, The People of Pakistan: An ethnic history, pp. 147-8.

(2) Inayatullah Baloch, «Resistance and National Liberation in Baluchi Poetry», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000,Uppsala, Sweden.

(3) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan. vol. 1, pp. 5-6.

(4) Sabir Badalkhan, «A Study of Balochi Oral Poetry: Problems and Prospects», in: Newsletter of Balochistan Studies. No. 8, Naples, 1991, pp. 15, 24-25.

(5) Sidi Ali Reis, The Travels and Adventures of the Turkish Admiral in India, Afghanistan, Central Asia, and Persia, during the Years 1553-1556. translated from the Turkish, with notes by A. Vambery, London: Luzac and Co., 1899, p. 16.

بابري[1]. وفي سيرة الإمبراطور أكبر (1556 ـ 1605)، آئينِ أكبري، التي أُكملت في عام 7 ـ 1569 م[2].

غير أن هنري پوتِنگر، يحدد وقت ظهور تسمية بلوشستان مع حكم نصير خان العظيم في منتصف القرن الثامن عشر[3]. وبعد وفاة الملك الفارسي نادر شاه أفشار في 1747، أصبحت المنطقة المتاخمة لشبه القارة، بما في ذلك بلاد البلوش، تحت سيادة نصير خان. وبالتالي تشكلت دولة مترامية الأطراف، تقع بين وادي هلمند والبحر، وتمتد من كرمان في الغرب إلى السند في الشرق، باسم بلوشستان[4].

ومانحاً البلاد البلوشية الاعتراف الدولي، استخدم نصير خان العظيم الاسم المميز «بلوشستان» في الاتصالات الرسمية مع جيران بلوشستان في منتصف القرن

(1) Zahirudin Babar, Tuzak-e Babari. (Trans, Urdu, Rasheed Akhtar Nadvi), p. 268, cited in: Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan. vol, III, Quetta: Balochi Academy, 1988, pp. 532-533.

تجدر الاشارة إلى أن هذا الكتاب (تزك بابري) كتب أصلاً باللغة التركية، وترجم في منتصف عهد أكبر، وبواسطة عبد الرحيم، خان خانان. وعرض (الترجمة الفارسية) على الإمبراطور أكبر في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه (998/ 1590). لمزيد من التفاصيل، انظر

John Dowson (ed), History of India: As Told by its own Historians. London, 1872, p. 218.

(2) Abul Fazl Allami, A'in-e Akbari. translated into English by H. Blochmann (2nd Edition),Calcutta: Asiatic Society of Bengal, 1927, p. 388.

(3) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde. London, 1816, pp. 250.

ويعتقد أن حوالى ستة آلاف بلوشي جُند في جيش نادر شاه، ايرج افشار سيستاني، بلوچستان و تمدن ديرينه آن، ص 133. وكان القائد الأكثر قوة ونفوذاً بينهم هو محمد خان بلوج. وفي 1142/ 1730، تم تعيينه في منصب الوالي (الحاكم العام) لمنطقة كُهكيلويه من قبل نادر شاه. بعد عامين ثار محمد خان بلوج بدعم من القبائل العربية من خوزستان، ضد نادر شاه للإطاحة به. فاحتل شيراز وبلاد جنوب غرب فارس كلها. وأعلن نفسه «شاه بلاد فارس»، وعين حلفاءه أبا الفتح خان (في شوشتر) والشيخ فارس (في كُهكيلويه) وسيد رضا (في الحويزة)، حكاماً لهذه المحافظات. أحمد كسروي، تاريخ پنصد سال خوزستان، طهران، 1373/ 1995، ص108. وخوفاً من حركة محمد خان بلوج، طلب منه نادر شاه الاستسلام. فرفض عرض نادر شاه، وكتب له محمد خان: «في البداية كنت نكرة، وفقير جداً بين أصدقائك. وعندما أصبحت مع مائتين أو ثلاثمئة من عائلتك أمكنك أن تطالب بمملكة وسلالة . . . إذن لماذا أنا الذي يمكن له أن يحظى بثمانين ألف عائلة بلوشية من المدن الساحلية إلى الحدود مع الهند، لا ينبغي له أن يطالب بما طالبت؟ غير أنه في 1145/ 1733، هزم محمد خان بلوج، وقتل على يد نادر شاه.

(see, Mohammad Kazim Marvi-Wazir, Alam Ara-e Naderi. Tehran, 1364/1986, p. 342)

(4) A. W. Hughes, The Country of Balochistan, its geography, topography, ethnography and history, pp. 26-27.

الثامن عشر[1]. ولتحديد حدود بلوشستان، يعتقد نصير خان أنه أينما عاش الجنس البلوشي، فهناك بلوشستان[2]. وللبلوش القوميين، فهذا يعني أنها من المنطقة الشرقية لإقليم كِرمان الفارسي وإلى الضفة الغربية لنهر السند؛ فالمنطقة الواقعة في الوسط هي بأسرها بلاد البلوش. وغالبية سكانها هم البلوش[3]. ومع ذلك، فإن مصطلح «بلوشستان» منذ عهد نصير خان، يعني أكثر من مجرد الجغرافيا. فهو يشير أيضاً إلى ثقافة البلوش، ولذا فإنه مفهوم اجتماعي وسياسي كذلك. ومما يؤخذ في الاعتبار أن هناك اتفاقاً عاماً بين علماء الدراسات البلوشية في تعريف الأرض كمهد للهوية العرقية واللغوية البلوشية[4].

الموقع والمناخ

وعي البلوش المستقل متجذر إقليمياً في وطنهم بلوشستان. حيث جغرافياً، لا تقع بلوشستان ضمن الحدود الإقليمية للهند. وفي الشمال، يفصلها عن الهند حاجز هائل من السلسلة الجبلية الجنوبية لجبال سليمان. وفي الجنوب، هناك امتداد طويل من مرتفعات منطقة كلات الوعرة بشكل كبير، التي تواجه صحراء السند، التي تشكل بداية الحدود الهندية. في حين أنها تفتقر إلى الحدود بالمعنى الحديث للكلمة، فمنطقة بلوشستان الأساسية لم تكن قط موضع شك. في الحاضر بلاد البلوش مقسمة سياسياً بين ثلاث دول مختلفة، ولكنها فيزيائياً تشكل وحدة متضامة[5]. أعطى خط گولدسميد الحدودي المرسوم في عام 1871 وتم تعيينه في عام 1896، بلوشستان الغربية إلى بلاد فارس، مع الإبقاء على الجزء الشرقي الأكبر لبريطانيا. وقسم بلوشستان كذلك خط دوراند، والمعين أيضاً من قبل البريطانيين في عام 1894، بين بلوشستان البريطانية وأفغانستان، التي تخلت لها عن هذا الجزء الصغير المعين كبلوشستان الشمالية. وقد ورثت باكستان وإيران وأفغانستان هذه الحدود من الإرث الاستعماري البريطاني، وعملت على تقسيم البلاد منذ ذلك الحين.

(1) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum (The Baloch Nation), Lahore: Takhliqat, 2000, p. 142.
(2) For more detail see, Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p.20.
(3) مقابلة مع عبد الرحمن كورد.
(4) Parviz Natel Khanlari, Zaban-shonasi Va Zaban-e Farsi, Tehran: Intesharat-eBonyad-e Farhang-e Iran, Third edition, 1347/1969, p. 76; Yu. V. Gankovsky, The Peopleof Pakistan, pp. 47-48.
(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 19.

تشكل اليوم بلوشستان الشرقية (بلوشستان البريطانية وولايات بلوشستان) إقليم بلوشستان الباكستاني الذي يغطي مساحة 134,050 ميلاً مربعاً، أو 347188 كيلومتراً مربعاً، وعاصمته كويتا. والقبائل الرئيسية في بلوشستان الشرقية هي: مَري، بُگتي، براهوئي، كورد، جمال ديني، رِخشاني، بيزَنجو، بُليدئي، بَنگلزئي، عُمراني، جَمالي، قيصراني، كِهتران، لاشاري، هُوُتْ، رِند، لَگاري، مزاري، مينگل، كهوسة، گِشكوري، محمد حسني، محمد شاهي، ريساني، شاهواني، زِهري، لِهري، گورچاني، قمبراني، كَلمَتي، لاسي، كورائي، كُلانچي، مَگسي، رئيس، سَنجراني، نوشيرواني[1]. ويسود الاقتصاد الزراعي بشكل رئيسي جنوب بلوشستان، في حين هيمنت القبلية والاقتصاد الرعوي على الجزء الشمالي من البلاد. غير أن الاقتصاد المزدوج للزراعة المستقرة والرعي يمارسان في أجزاء كثيرة جنباً إلى جنب، ويشترك فيه كل من البدو الرحل والفلاحين.

تنقسم بلوشستان الغربية (بلوشستان الايرانية) إدارياً إلى ثلاثة أجزاء، ويعرف أكبرها بإقليم «سيستان وبلوشستان» وعاصمته زاهدان. يحدها صحراء لوت وإقليم خراسان الايراني في الشمال، وخليج عُمان وبحر العرب الممتد من مدخل مضيق هرمز إلى ميناء گوَتر في الجنوب، والشمال الغربي من قبل إقليم كِرمان في الغرب، وفي الشرق بواسطة خط گولد سميد الفاصل بينها وبين بلوشستان الأفغانية والباكستانية. وتضم في السياق الإثنوجغرافي، حوض جَزْموريان الزراعي في المركز والشمال الغربي، ومرتفعات سَرحَد في الشمال، وسهول مَشكيل وواحات سَراوان الزراعية في الشرق، والمنطقة الساحلية لمَكْران في الجنوب، والمناطق الجنوب غربية، گِياوان (بيابان) وبَشكَرْد. ويمكن أن يضاف إلى هذا منخفض هِلمَند الذي يسكنه سكان مختلطون عرقياً من البلوش والسيستانيين[2].

واقتصادياً، هي مثل بلوشستان الشرقية، حيث تنقسم المنطقة إلى نشاط رعوي في سَرحَد، وزراعي في المناطق الوسطى والجنوبية. ويسود صيد السمك مع بعض النشاط الزراعي في المنطقة. أما في الشمال حيث كانت البداوة هي السائدة وهي

(1) Ibid., p. 46-47.
(2) Great Britain. Admiralty. Naval Intelligence Division. Persia (Geographical Handbook-series, B.R. 525), Oxford: Stationary office at the University Press, 1945, p. 389-399.

أساس الاقتصاد حتى وقت قريب، فكان التنظيم الاجتماعي قبلياً. وهذه بعض من القبائل الكبرى في المنطقة: ريگي، وناروئي، وگورگيج، وإسماعيل زئي، ومير بَلوُج زئي، وگَمشاد زئي[1]. وشكلت الحدود الطبيعية دائماً حواجز رئيسية وخطوط دفاع قوية ضد الغزاة الأجانب، على الرغم من أنها لم توقف الغزوات الكبرى، مثل المسيرة الكارثية للإسكندر الأكبر وجيوشه خلال گِدروشيا، أو الموجات المدمرة للغزو التركي والمغولي من القرن العاشر وحتى القرن الخامس عشر.

منذ القرن الخامس عشر، وبَلوُچستان ومُلك بَلوُچي يجري ذكرهما بإعجاب في الشعر البلوشي. وأنشد القوميون البلوش هائمين بحب مُلك بَلوُچي (بلاد البلوش)، في قومي ترانه (النشيد القومي) في الأيام الأولى من الاستقلال عام 1947: «لقد فتحنا كل المنطقة التي هي الآن وطننا. إنها بلوشستان الحقيقية والأصلية. ثم ماذا إذا تم فصل بعضنا عن بعض ورسمت الحدود بيننا، فهذا تقسيمٌ مؤقت، فروحنا واحدة. وسوف ندمر هذه الجدران. نحن مثل المطر والعاصفة»[2]. ولدى القوميين البلوش، تعرف بلوشستان بالمنطقة كلها من شرق بندر عباس – كِرمان إلى الغرب من نهر السند، ومن جبال سليمان في الشمال الشرقي، إلى دشت لوت في الشمال الغربي.

لـمُلك بَلوُچي تأثير كبير في الشعور القومي البلوشي. حيث أشاد بها الشعراء والمغنون البلوش (كالجنة على الأرض: بِهشت زمين) أو (زهرة الأرض: گُل زمين)، وأهميتها للبلوش هي كأهمية الروح للجسد[3].

أو وفقاً لمقولة بلوشية قديمة، (أنتِ حياتنا وكذلك قبرنا: تَوْ مى زِندْ ءُ هَم مى گوْرَ). ووفقاً لأسطورة البطل الشعبي بيبَرگ القائلة أنه حينما عاد بابنة أحد الوجهاء الأفغان من كندهار، قال بفخر لگراناز يذكر مُلك بَلوُچي (بلاد البلوش)، (لنذهب إلى هناك، حيث بلاد البلوش: بهْ رَوينْ هَمُودا كِه مُلْك بَلوُچي اِنْتْ)[4]. هذا الشعور العميق الجذور بالتعلق والمودة لـمُلك بَلوُچي، أعطى بدوره البلوش الشعور بالهوية

(1) اثنتان من هذه القبائل تم إعادة تسميتهما من قبل رضا شاه؛ فقبيلة يارأحمد زئي تعرف اليوم أيضاً بـ شاهنوازي، وإسماعيل زئي بـ شاهبكش.

(2) Weekly Bolan. Karachi, April 8,1947.

(3) Ismail Amiri, «Maulavi Abdullah-e Shaeri-e Raji Pahnat», in Taptan. No. 3, Karachi, March 1989, p. 13.

(4) Muhammad Sardar Khan Baluch, A Literary History of the Baluchis. p. 13.

والوعي القومي. ويرتبط هذا بشكل وثيق مع شعور بالوعي قوي وبالإعجاب بالمزايا الطبيعية للأرض كما هو متجلى بأوضح صورة في القول البلوشي القديم القائل: (دائماً ساحب أرضي، حتى ولو كانت قاحلة: واه اى وتن او هُشِكين دار). ويذكر الوطن أو مُلك بَلوُچي في كثير من الأحيان في الأغاني والهتافات الوطنية في التجمعات القومية.

مُلك بَلوُچي (بلاد البلوش) لا تسم تاريخ وثقافة البلوش بصفة مميزة فحسب، ولكن أيضاً تسمياتهم الخاصة. فالمصدر الرئيسي للأسماء البلوشية هو العالم الطبيعي لبلوشستان. فيشتق البلوش أسماءهم عموماً من الحيوانات والأشجار والنباتات والألوان وحتى أجزاء من الجسم. ومعظم الأسماء، مع ذلك، مركبة من اللغة البلوشية واللغات الأخرى المجاورة، وهي غالباً العربية والفارسية، مثل «گُل محمد»، «گُل خان»، «دِل پُل»، «گُل بيبي»(*)، وما إلى ذلك. وهناك أيضاً أسماء مشتقة من أسماء أيام الأسبوع، مثل شَنبه (السبت)، ودو شَنبه (الاثنين)، وسِه شَنبه (الثلاثاء) وما إلى ذلك. وتقريباً فجميع أسماء القبائل البلوشية، حتى تلك التي تعيش في السند والبنجاب تشتق جذورها من المزايا الطبيعية لبلوشستان. ومصدر مهم آخر للتسمية هو أسماء الأبطال شبه – الأسطوريين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مثل قمبر، هَمَّل، جيئند، هاني، كيا، سَدّو، وغيرهم.

تقع بلوشستان في جنوب – شرق الهضبة الإيرانية، وتغطي مساحة تقرب من ثلاثمئة وأربعين ألف ميل مربع، مما يجعلها أكبر مساحة من عدة دول أوروبية[1]. وهي أرض قاسية من السهوب والصحارى التي تقطعها العديد من السلاسل الجبلية. وبطبيعة الحال، فإن مثل هذا المناخ لمساحة شاسعة من الأرض له تشكيلة استثنائية[2]. ففي المرتفعات الشمالية والداخلية، تنخفض درجة الحرارة في كثير من الأحيان إلى أربعين درجة فهرنهايت في الشتاء، بينما يكون الصيف معتدلاً. وتكون المنطقة الساحلية حارة جداً مع ارتفاع درجة الحرارة بين مئة درجة فهرنهايت إلى مئة وثلاثين

(*) پُل/گُل: الورد، بيبي: السيدة.

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan. 1987, pp. 19-23; See also Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 427.

(2) لوصف جيد للمناخ الطبيعي لبلوشستان الغربية انظر،
For a good description of the natural climate of Western Balochistan see Naser Askari, Moghadamahi Bar Shenakht-e Sistan wa Balochistan. Tehran: Donya-e Danesh,1357/1979 pp. 3-14.

في الصيف. بينما في الشتاء يكون المناخ مناسباً أكثر. وعلى الرغم من موقع بلوشستان الواقع في اتجاه الرياح الموسمية الجنوبية ـ الغربية للمحيط الهندي، فنادراً ما تزيد الأمطار على خمس إلى اثنتي عشرة بوصة سنوياً، نتيجة لانخفاض مرتفعات مَكُران الساحلية[1]. وهكذا فالعوامل البيئية، أدت إلى تقسيم المراكز الزراعية والمراعي، وبالتالي وجهت التشكيل الاقتصادي القبلي التقليدي والمؤسسات الاجتماعية والسياسية المتماثلة معه.

وولدت هذه الظروف المناخية القاسية والتضاريس الجبلية شعباً يعتمد على ذاته في تحمل المشاق؛ بيد أن هذه الظروف أدت إلى عزلته وخلقت الصعوبات في مجال الاتصالات. وفي حين أن الجغرافيا حمت البلوش من أهم تأثيرات الخارج، فإنها أيضاً قسمت البلوش أنفسهم إلى مجتمعات متنافسة (قبائل).

ومن المهم ملاحظة أنه بجانب المناطق البلوشية المتجاورة في الأقاليم الباكستانية بلوشستان والسند والبنجاب، والأقاليم الإيرانية سيستان وبلوشستان وخراسان[2] وأُستان هُرمُزگان وكِرمان، وولاية نيمروز في أفغانستان، تنتشر المجتمعات البلوشية في المناطق المجاورة في كل دولة، مثل: گُنبَد وسَمنان وگُرگان في شمال إيران، وفراه وهيرات وبادغيس وفارياب وجوزجان في أفغانستان. وينتشرون أيضاً في البلدان المجاورة، تركمانستان وطاجيكستان والهند ودول الخليج العربي وعُمان وكينيا وتنزانيا (زنجبار خصوصاً)[3].

(1) Ibid., p. 9

(2) منذ عام 1933، نشرت عدة خرائط لبلوشستان المتحدة، التي تشمل خراسان الشرقية. وتعد خراسان منطقة متعددة القوميات، تتألف من البلوش والتركمان والعديد من الجماعات العرقية الأخرى.

(3) بين دول الخليج، يشكل البلوش في سلطنة عُمان خمسين في المئة من السكان، ومعظمهم في مسقط منذ القرن الثامن عشر.

(Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan: and also M. Ismail Dashti, Al-Balosh: Tarikh Wa Hazarat-e Arabiah. Al-Ain, 1997).

ووفقاً للكاتب العربي، إبراهيم بشمي، (بلوشستان قوس الخليج المشدود)، يعود تاريخ هجرة البلوش إلى عُمان إلى بداية الاستيلاء العربي على مَكُران في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (705 ـ 715).وفقاً لمحمد كمال خان، الأستاذ في كلية شانزو للمعلمين في مومباسا بكينيا، فقد تكثفت هجرة البلوش إلى عُمان وشرق أفريقيا في منتصف القرن السابع عشر. وفي حوالى 1650 م، عقد سلطان بن سيف الأول حاكم عُمان، تحالفاً مع الأمير البلوشي شهداد چوتاه عندما زار موانئ ساحل مَكُران چَهبار وگوادَر، التي كانت لها علاقات تجارية وصلات وثيقة مع ميناء مسقط.وأعطاه الأمير شهداد چوتاه قوة من =

وهناك جيوب من البلوش في سوريا والعراق والأردن(*) والمملكة العربية السعودية[1]. وبعد الثورة الايرانية في عام 1979، هاجر مئاتٌ من البلوش إلى أوروبا (وخصوصاً مملكة السويد والمملكة المتحدة) وأمريكا. وتم نشر القليل جداً عن مجتمعات الشتات هذه. ولكن العديد من الناس الذين قابلتهم يشيرون إلى أنهم كثيراً جداً ما يميلون إلى تشجيع تطوير هويتهم القومية[2]. حيث يقول نواز خان بلوچ، سكرتير المجتمع البلوشي (مومباسا، كينيا): «نحن بلوش وبلوشستان أرضنا الأم، في كل من إيران وباكستان، ونحن نحب أرض بلوشستان فقط»[3]. وبالمثل، يعتقد عبد القادر نور محمد من مومباسا، «استخدام الأسماء البلوشية، والسرد المتواصل لتاريخنا أبقيا وعينا عن جذورنا ماثلاً في عقولنا، وتوقنا إلى الحفاظ على الهوية ما زال حياً»[4]. ووفقاً له فهناك زخم كبير يتطور عن الوعي الذاتي في أوساط الشباب البلوش في شرق أفريقيا.

= الجنود البلوش المستأجرين لإرسالهم إلى شرق أفريقيا. وفي 1664، كان الأمير شهداد چوتاه القائد العام لقوات الحملة العُمانية المسلحة المكونة في معظمها من قبيلة الجَدگال، التي هاجمت الموانئ في شرق أفريقيا المحتلة من قبل المستعمرين البرتغاليين.فاستولت القوات البلوشية تحت قيادة الأمير شهداد چوتاه، على ماليندي وومومباسا وميناء يسوع. ومنذ ذلك الحين هاجرت العديد من الأسر البلوشية من شرق وغرب بلوشستان واستقرت في عُمان وساحل شرق أفريقيا. ويمكن تقفي الهجرة البلوشية الجماعية الى سلطنة عمان إلى وقت لجوء أحد أمراء مسقط إلى گوادَر [سيف بن سلطان الثاني] خلال فترة حكم نصير خان الأول، الذي كان قد قدم گوادَر إلى «الأمير الضيف». وازدهرت علاقات مسقط مع البلوش عندما تولى الأمير الثائر في وقت لاحق مقاليد الحكم بعد وفاة والده. وفي بداية عام 1980 قيل أن خمسة آلاف بلوشي يخدمون في الجيش العُماني. انظر:

Washington Post. February 9,1980.

(*) تاريخ الوجود البلوشي في العراق يعود إلى عهد نادر شاه ويتركزون بأعداد قليلة في الجنوب، أما عن وجودهم في الأردن وسوريا فلم نقف على معلومات موثقة في هذا الشأن. (**) وتشير المصادر البريطانية عام 1908، أن عدد البلوش في عُمان بلغ الثلاثين ألفاً، وفي ما عُرف بساحل عُمان المتصالح بلغ عدد البلوش ألف وأربعمئة نسمة من المجموع الكلي للساحل، وهو واحد وسبعون ألف نسمة، أي ما يعادل اثنين في المئة، وأضاف لوريمر أن الغالبية من سكان مسقط هم من البلوش. انظر لمزيد من الاحصاءات: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص56 ـ 88.

(1) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan,Royal Book company, Karachi, third edition, 1985, p. 4.

(2) محمد شيردل (تركمانستان)، إسماعيل ممتاز (عُمان)، عبد الصمد أميري (دولة خليجية) وعبد الرحمن كلاتي (كينيا).

(3) Monthly, Balochi Labzank. Hub (Balochistan), August-September 1999, p. 33.

(4) Abdulkadir Noor Mohamed, «Baloches in East Africa», in: Monthly, Balochi Labzank. Hub(Balochistan), August-September 1999.

واللغة البلوشية، التي تتلاشى ببطء بعيداً عن المجتمع، عثرت على طريق العودة تدريجاً مع تيقظ اهتمام جديد[1].

معظم البلوش في الخليج العربي باستثناء عُمان، هاجروا في العقود الأخيرة سعياً وراء فرص العمل وتحسين الظروف المعيشية بسبب الطفرة النفطية في تلك الدول. وقَدم البلوش إلى تركمانستان من سيستان، وهاجر البعض من الجانب الأفغاني والآخر من الجانب الإيراني من الحدود[2]. إذ كانت هناك ثلاث موجات رئيسية للهجرة. ويعتقد أن أول البلوش وصلوا في منتصف القرن التاسع عشر، عندما احتل الفرس سيستان في عام 1865، والموجة الثانية بين 1917 و1920، وآخرها وأكبرها بين 1923 و1928. وفي التعداد السوفياتي لعام 1979، كان عدد البلوش في تركمانستان عشرين ألفاً[3]. وهم يعيشون في منطقة مَري (مارف: Marv)، وهم من المسلمين السنة. وعلى الرغم من تأثير السنين وتعاقب الزمن، فقد حافظوا على هويتهم المستقلة بما في ذلك لغتهم وثقافتهم عن بقية السكان. وقد تمكنوا أيضاً من الحفاظ على التلاحم الاجتماعي قوياً فيما بينهم.

التركيبة السكانية

بما أن الديموغرافيا واحدة من أقوى القوى في السياسة، يدعي القوميون البلوش أن السلطات الباكستانية والإيرانية قد قللت عمداً من عدد سكانهم. حيث أن هناك تفاوتاً كبيراً بين تقديرات القوميين ومسؤولي التعداد لعدد السكان البلوش. ويتباين المدى من قول أن البلوش يبلغون ثلاثين مليون نسمة، من جانب آخر حاكم لدولة كلات، أحمد يار خان بلوج (عام 1975)، إلى خمسة عشر مليون نسمة طبقاً لخُدا بكش مَري بلوج (عام 1985). وعلى النقيض من ذلك، فإن التعداد الرسمي الباكستاني لعام 1981 أظهر أن مجموع عدد السكان البلوش الكلي هو ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة. وبالتالي، فإنه من الصعب تقدير العدد الكلي للسكان البلوش، ويرجع ذلك

(1) Ibid.

(2) مقابلة مع محمد شيردل.

(3) Bennigsen and Wimbush, Muslims of the Soviet Empire, pp. 120-121.
Yar Jan Badini, «Turkmenistan: Panjah Hazar Balochani Watan» (Turkmenistan: The Country of 50 thousands Baloch), in: Monthly Balochi Labzank. Hab, June-July 1998.

جزئياً إلى أن الإحصاءات الرسمية غالباً ما تتجاهل الانتماء الإثني واللغة الأم، لأنه ليست من مصلحة الحكومات عموماً في البلدان التي تستعمل فيها اللغة البلوشية، بالتركيز على الاختلافات الإثنية التي توجد داخل حدودهم[1].

تجدر الإشارة إلى أن مسألة التعداد السكاني في باكستان هي مسألة مسيسة، نظراً إلى ديناميات السياسة الإثنية في هذا البلد. وفي هذا الصدد ينتقد القاضي العام السابق لبلوشستان مير خُدا بكش مَري، تعداد عام 1961، ويناقش بالتفصيل التناقضات في أرقام تعداد السكان، ويؤكد أن السكان البلوش في السند بحلول عام 1961 قد وصلوا إلى ثلاثة ملايين. ويرى أن على الأرجح تم حساب البلوش والبراهوئيين معاً مع عامة السكان الناطقين باللغة السندية دون إجراء التحريات المناسبة عن اللغة أو المجتمع. ويقدر أن عدد السكان البلوش في البنجاب وصل إلى نحو ستة ملايين من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ثلاثين مليوناً، وفقاً لأرقام تعداد 1972. ويحسب مجموع السكان البلوش في البلدان الثلاثة، باكستان وأفغانستان وإيران، بين خمسة عشر وستة عشر مليون نسمة[2]. وانتقد وزير الدفاع في نظام ضياء الحق، مير علي أحمد تالپور أرقام خُدا بكش مَري عن السند متحدثاً إلى سيليگ هاريسون، بأنها قد تكون فعلاً منخفضة جداً. ومع ذلك، فإنه يميز بين واحد فاصلة أربعة ملايين من البلوش الذين يتحدثون باللغة البلوشية، وأكثر من نصفهم في كراچي، وبين مليونين من الإثنية البلوشية ولكنهم لم يعودوا يتحدثون بهذه اللغة. وقد دعم تقديراته، بإشارته إلى أن ثلاثة عشر عضواً منتخباً من أصل عشرين عضواً في مجلس إقليم السند في عام 1970، كانوا من البلوش[3].

النسبة المئوية للسكان البلوش في السند، ويقصد «السنود من أصل بلوشي»، تحدد في بعض الأحيان بنسبة عالية تصل إلى خمسين في المئة[4]، وليس هناك دليل

(1) من أجل إحصاء دقيق لأعداد المتحدثين باللغة البلوشية في مختلف الدول التي يتحدثون بها بهذه اللغة، انظر:
Carina Jahani, Standardization and Orthography, pp.91-3.

(2) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on the Baloches and Balochistan. pp. 15-25.

(3) Mir Ali Ahmed Talpur, quoted in: Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 177.

(4) مقابلة مع مير هَزار خان بجاراني.

يدعم هذا. فعلى سبيل المثال، ذكر تعداد 1961 أن نسبة المتحدثين باللغة البلوشية كانت فقط ثلاثة وأربعين في المئة من سكان مقاطعة جيكوب آباد، إحدى المقاطعات السندية الأربع المتاخمة لبلوشستان، واعترف التعداد بأن البلوش يشكلون ستين في المئة من عدد السكان[1]. والوضع في إقليم البنجاب مشابه للسند. فعلى سبيل المثال، أفيد في تعداد عام 1961 أن عدد المتحدثين باللغة البلوشية في ديره غازي خان، مقاطعة من إقليم البنجاب، تجاور بشكل مباشر بلوشستان، يصل إلى أقل من ستة في المئة من السكان. لكن التقرير نفسه يقر أن التعداد السكاني للمقاطعة، لم يجر كما هو مفترض في الحزام القبلي الكبير المدار بشكل مستقل، والذي يفترض أن «غالبيته» من البلوش[2].

في عام 1980، قدر عدد السكان البلوش في أفغانستان بنحو ثلاثمائة ألف نسمة[3]. بيد أن القوميين البلوش في أفغانستان، مثل القوميين البلوش الشرقيين والغربيين يدعون أن عدد سكانهم أعلى بكثير مما هو معترف به رسمياً. وفي مطلع عام 1980، ووفقاً للزعيم البلوشي القومي المنفي، سيد محمد شيران زئي، كان إجمالي عدد البلوش في أفغانستان يقرب من خمسمئة ألف نسمة[4]. والمناطق الرئيسية التي يقطنها البلوش هي ولاية نيمروز (إقليم نيمروز). والمجموعات البلوشية ذات الأهمية العددية الأخرى تعيش في إقليم هلمند المجاور، وفي الأقاليم الغربية من أفغانستان وهي هيرات وبادغيس، وتوجد أيضاً مجموعات متفرقة في الأقاليم الأخرى، وهي فراه، فارياب، سمنگان، تخار، كُندز، بَدخشان، جوزجان، كندهار، وكذلك في العاصمة كابول. وكان عدد البلوش في بادغيس وهيرات عام 1975، من ثلاثين إلى أربعين ألف نسمة[5]. ووفقاً للإحصاءات الرسمية فإن عدد سكان ولاية نيمروز، ذات الأغلبية البلوشية، كان مئة واثنين وعشرين ألفاً في عام 1975. وهناك أيضاً قبائل بلوشية

(1) See Government of Pakistan, Office of the Census Commissioner, Population Census of Pakistan. 1961: District Census Report (Jacobabad). Karachi, 1962, p. 1/11. 50 Ibid., p. 1/16.

(2) Ibid., p. 1/16.

(3) Louis Dupree, Afghanistan. Princeton: Princeton University Press, 1980, p. 62.

(4) Syed Mohammad Shiranzai, «Baloch-ha-e Afghanistan», Australia, September 1999.

(5) Erwin Orywal, «Periphery and Identity: Process of Detribalization Among the Baloch of Afghanistan», In: Paul Titus, Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan. Karachi. Oxford University Press, 1996, p. 85.

متناثرة على طول الحدود بين أفغانستان وإيران، تمتد من الجنوب إلى الشمال حيث تلتقي حدود إيران وأفغانستان وتركمانستان. ومثل إيران وأفغانستان، لا يوجد رقم رسمي حول عدد السكان البلوش في شبه الجزيرة العربية (وخصوصاً في عُمان والإمارات العربية المتحدة والكويت). ومع ذلك، فإن الفِنباين يشير إلى «مختلف التقديرات من عام 1979»، ويقدر عددهم بخمسمئة ألف نسمة[1].

في عام 1981، قدر هاريسون مجموع السكان المتحدثين بالبلوشية في الدول الثلاث أفغانستان وإيران وباكستان بحوالى خمسة ملايين نسمة[2]. غير أن هذا التعداد يستبعد البراهوئيين الذين هم من البلوش اثنياً، ولكن يتحدثون بالبراهوئية. والاعتماد في التقدير على الإثنية بدلاً من اللغة يمكن أن يضاعف التقدير إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف العدد، كما فعل مير خُدا بكش مَري بَلوُج. إذ إن في التعداد السكاني لباكستان لعام 1981، قدر عدد الأسر التي لغتها الأم هي البلوشية بـ 379,148 نسمة، وهذا الرقم يعادل ثلاثة في المئة من المجموع.

وقدر عدد الأسر المتحدثة بالبراهوئية كلغتها الأم بـ 151,958 نسمة، ما يعادل 1.2 في المئة. وتشكل مجموعات المتحدثين بالبلوشية والبراهوئية معاً حوالى 4.2 في المئة من الأسر في باكستان. وبالتقدير استقرائياً من هذا الرقم، فباكستان التي يبلغ عدد سكانها رسمياً في عام 1981، 84.3 مليون نسمة، سيكون لديها نسبة عدد السكان البلوش 3.5 ملايين نسمة[3]. وفي بداية عام 1981، قدر عدد البلوش الإيرانيين بسبعمائة وخمسين ألف نسمة[4]. وفي الوقت نفسه، ووفقاً للتعداد الرسمي الإيراني، المنصوص عليه في عام 1976، بلغ عدد سكان سيستان وبلوشستان 659297 نسمة. وتشمل هذه الأرقام أيضاً السكان غير البلوش في الإقليم، وتستبعد السكان البلوش خارج الإقليم. وتقدير هاريسون يتركنا مع رقم يصل إلى حوالى خمسة ملايين ناطق بالبلوشية عام 1981. وكما تمت الإشارة سابقاً، كان هناك أيضاً نسبة مماثلة من البلوش

(1) E. Yarshater, Encyclopaedia, Iranica, III, p. 635.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 178.

(3) See, Government of Pakistan, Population Census Organization, 1981 Population Census of Pakistan. Islamabad, 1984.

(4) William E. Griffith, «Iran's Foreign Policy in the Pahlavi Era», in: George Lenczowski(ed), Iran Under the Pahlavis. Stanford: Hoover Institution Press, 1978, p. 383.

الذين يتحدثون بلغات أخرى غير اللغة البلوشية، وذلك غالباً في السند والبنجاب عام 1981. وهكذا يبدو أكثر معقولية للمؤلف أن يكون مجموع عدد البلوش هو عشرة ملايين نسمة لعام 1981، في جميع البلدان الثلاثة باكستان وإيران وأفغانستان.

اللغة والدين

«أنا فخورٌ لمُخاطبَتِكُم اليَوم باللغة البَلوُشيَّة، وإن شاء الله، كلما خاطبتكم في المُستقبل، سَيكون خِطابي لَكم بالبَلوُشية لأنها هي لغة الأمة البَلوُشيَّة». جزء من خطبة الملك أحمد يارخان أحمد زئي، في يوم الاستقلال، بتاريخ 15/ 8/ 1947[1].

يشكل وعي البلوش بلغتهم وتراثهم الثقافي المشترك أساساً آخر هاماً لقوميتهم. فالقيم الثقافية البلوشية، مع بيئتهم الثقافية كما تتجلى في مجموعة من المعايير الاجتماعية ونظم القيم والتقاليد والفولكلور المشترك، هو ما تركز عليه النداءات القومية لمناشدة دعم شعبي أوسع لمطالبهم العامة التي يشكل الاستقلال الثقافي أحدها فحسب. ويعتبر البلوش أنفسهم ورثة لثقافة عريقة، كانت بمنزلة قوة توحيد قوية، منحتهم الشعور بهوية مميزة، ومكنتهم من مواجهة التهديد الدائم المتمثل في استيعابهم وادماجهم في الثقافات المحيطة. ولذلك فقد حافظوا بنجاح على تقاليدهم الثقافية عبر التاريخ المدون. وعن هذا يكتب هاريسون «إن حيوية هذا التراث الثقافي القديم هي ما يفسر إلى حد كبير إصرار المطالبة الحالية بالاعتراف السياسي بالهوية البلوشية»[2].

عناصر اللغة والثقافة والإدراك مرتبطة بعضها ببعض بشكل وثيق. ومن ثم فليس من المستغرب أن تكون اللغة عنصراً أساسياً يساهم في الشعور بالهوية القومية. إذ يشير سبونر إلى أهمية اللغة البَلوُشية كعامل توحيد بين مجموعات عديدة في الوقت الحاضر تعرف نفسها «بالبَلوُش». ويقول: «الهوية البَلوُشية في بَلوُشستان، ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستخدام اللغة البَلوُشية في العلاقات القبلية»[3]. وعلى الرغم من نصف قرن تقريباً من سياسات الإدماج القاسية، في كل من إيران وباكستان، استطاع الشعب البَلوُشي أن يستبقي ثقافته وتقاليده الشفوية في رواية الحكايات. فالقمع القاسي من الدولة الإيرانية

(1) Malik Allah-Bakhsh (ed.), Tarikh-e Khawanin-e Baloch. pp. 407-413.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, op cit., p. 11.

(3) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography,p. 599.

والباكستانية عزز لدى البلوش إرادتهم لنقل تراثهم إلى الأجيال القادمة. وتؤدي اللغة دوراً قوياً في نضال الشعب البلوشي من أجل حقه في تقرير المصير. وبذلت جهود استثنائية من البلوش للحفاظ عليها وتطويرها لأن اللغة البَلوُشية هي على حد سواء دليل ورمز للهوية المنفصلة للبَلوُش[1]. وبذلك أدركت الدولة الفارسية والبنجابية أهمية اللغة «البَلوُشية»، باعتبارها العامل الأكثر تمييزاً وتحديداً للهوية البَلوُشية، فسعت إلى استيعاب وإقصاء الهوية البَلوُشية بكل الوسائل الممكنة[2].

تصنف اللغة البلوشية بشكل عام كلغة إيرانية شمال غربية. ويمكن تقسيمها إلى لهجتين رئيسيتين، وهما البلوشية الشرقية والبلوشية الغربية[3]. ويتحدث بالبلوشية الشرقية بشكل رئيسي في المناطق الشمالية الشرقية من إقليم بلوشستان في باكستان والمناطق المجاورة في إقليمي البنجاب والسند. ويتحدث بالبلوشية الغربية في المناطق الغربية والجنوبية من إقليم بلوشستان الباكستاني، وكذلك في كراچي وأجزاء أخرى من إقليم السند، ودول الخليج العربي وإيران وأفغانستان وتركمانستان. ويقدر عدداً الناطقين بالبلوشية بستة إلى سبعة ملايين نسمة، ومعظمهم يتحدثون بالبلوشية الغربية، وهي اللهجة التي استخدمت غالباً في الأدب البلوشي. وبما أن هناك عدداً أقل من المتحدثين بالبلوشية الشرقية من البلوشية الغربية، اقترح جوزيف الفِنباين[4] أن المتحدثين باللهجة الشرقية «يشكلون مجموعة صغيرة جداً ومعزولة». وبالاستقراء اعتماداً على تعداد باكستان لعام 1981، يشار إلى أن نحو ثلث جميع المتحدثين بالبلوشية يتحدث بالبلوشية الشرقية[5]. وعلاوة على ذلك، فالتقسيم الاجتماعي والاقتصادي لبلوشستان الايرانية إلى جزء شمالي مقابل جزء أوسط وجنوبي يقابل تقسيم اللهجات داخل بلوشستان الغربية، وتحديداً بين اللهجة (رخشاني) في الشمال مقابل اللهجة (مَكُراني) في الجنوب. غير أن هناك، كما لاحظ الفنباين[6]

(1) Carina Jahani, «Poetry and Politics: Nationalism and Language Standardization in the Balochi Literary Movement», p. 110.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 95-96.

(3) Mussa Mahmudzai, «Moqayeseh-e Zaban-e Balochi Ba Zabanha-e Irani-Bastan», p. 59.

(4) Josef Elfenbein, «The Baluchi Language: A Dialectology with Texts», in: The Royal Asiatic Society. London 1966, p 10.

(5) Carina Jahani, Standardization and Orthography, pp. 93-6.

(6) Josef Elfenbein, «The Baluchi Language: A Dialectology with Texts», pp. 19-20,23.

وسپونر[1] بعض اللهجات التي لها مزايا خاصة بها وواضحة جداً ولا يصح القيام بسهولة بضمها إلى أي من المجموعتين المشار إليهما أعلاه. وإحدى هذه اللهجات هي (سَراواني).

وكما نوقش في الفصل الثالث، كانت بلاد البلوش عبر مجرى التاريخ، تُهاجم وتُحتل وتُقطن من الغرب والشمال من قبل الفرس والإغريق والفرثيين [پارثيان] والعرب والأتراك والمغول. وكل منهم كانت لديه لغاته الخاصة، ولكن اللغة والثقافة البلوشيتين كانتا غنيتين جداً وعميقتي الجذور بحيث أنهما استوعبتا جميع لغات وثقافات الغزاة وتطورتا إلى لغة وثقافة فريدتين في نوعهما. للغة البلوشية قواعدها الخاصة بها، وهي غنية بالمفردات، وتتضمن العديد من الكلمات لمختلف الكائنات مثل أسماء مختلفة للحيوانات المستأنسة وفقاً لسنها وحالتها، وهي لا يمكن أن تحل محلها بدائل أخرى. واللغة البلوشية غنية أيضاً بالتعابير والعبارات الاصطلاحية والتهويدات والقصص والأغاني الشعبية والأدب الشعبي[2].

إلا أن البلوش البراهويين والبلوش الآخرين في السند والبنجاب يتحدثون بلغات أخرى عدا البلوشية. وفي هذا الصدد يقول وزير دفاع باكستان السابق مير هزار خان متحدثاً في مقابلة مع المؤلف مؤكداً على التراث الثقافي المشترك (باستثناء اللغة)، بأن (البلوش الناطقين بالسندية) حافظوا على العادات والتقاليد والثقافة البلوشية تماماً: «لدينا احتفالات مختلفة فيما يتصل بالزواج، ونحن نغني الأغاني البلوشية في زيجاتنا حول أجدادنا، عن چاكر وگوَهرام، وشَيْ مُريد وهاني، ودودا وبالاچ، وغيرها من الأغاني التقليدية الكثيرة المشتركة بيننا. ولا تزال لدينا ملابسنا التقليدية، وهي ما يسمى بَلوچي دوُچ [الخياطة البلوشية]. فلدينا الكثير من الأمور التي تفصلنا في الواقع عن بقية السنود[3].

لدى البلوش خصائص كثيرة في ثقافتهم مثيرة للاهتمام. فهم لديهم تصور مختلف حول الدين عن الأمم الأخرى في الشرق الأوسط. إنهم ليسوا متطرفين ولا يؤمنون

(1) Brian Spooner, «Note on the Baluchi Spoken in Persian Baluchistan», pp. 51-71,in: Iran, Journal of the British Institute of Persian Studies, 5 (1967) pp. 51-76.
(2) Sabir Badalkhan, «A Brief Note on Balochi Folktale and Folktale Studies», pp. 83-85.
(3) مقابلة مع مير هَزار خان بجاراني.

بالخلط بين الدين والسياسة[1]. وتدين الغالبية الساحقة من البلوش بالفرع السني من الإسلام على المذهب الحنفي. ومن المهم ملاحظة أنه قبل دخولهم إلى الإسلام كان معظم البلوش يدينون بالزرادشتية. وبقايا بعض التقاليد الزرادشتية لا تزال واضحة بين بعض قبائل البلوش[2]. وكان لتحول البلوش إلى الإسلام تأثير من حسهم القومي.

ومع ذلك، فإن القوانين الإسلامية (الشريعة) والمؤسسات والثقافة تؤدي دوراً هاماً جداً في الحياة اليومية للشعب، فضلاً عن الجوانب العامة لمجتمعهم. في بداية القرن التاسع عشر، كتب هنري پوتنگر: «وفيما يتعلق بالدين، فهم [البلوش] ما عدا استثناءات قليلة جداً غرباً، من المسلمين السنة، وهم متأصلون في الكراهية والعداء ضد الشيعة، وبموجب ذلك أنا على اقتناع، أن الظهور في بلوشستان [كشيعي] سيكون أكثر خطورة منه كمسيحي»[3]. ووفقاً للبلوش السنة فإن الشيعة يسيئون إلى ثلاثة من الخلفاء الأربعة الذين اتبعوا النبي محمداً (ص) والذين لهم تبجيل كبير لدى المسلمين السنة. وتجدر الإشارة إلى أن العداء بين أهل السنة والشيعة، يظهر أحياناً على سبيل المثال، في اشتباكات عنيفة بين الطائفتين، وعمر هذا الخلاف يمتد إلى حوالى ثلاثة عشر قرناً ونصف القرن. وعلاوة على ذلك، اكتسب الاسلام السني في غرب بلوشستان أهمية سياسية، لأنه كان بمثابة نقطة حشد وتجمع كبير ضد الحكام الفرس الذين يتبعون بأغلبية ساحقة المذهب الشيعي[4].

وفي حين أن معظم البلوش من المسلمين السنة، فهناك مجتمعان من غير السنة الحنفية فيما بينهم. وهما التجمع البامري الشيعي المتركز في دَلگان غرب بَمْپور، ومجتمع كبير نسبياً في مَكُران، يطلق أفراده على أنفسهم «زِكري» (الذكريين). والأرقام الحقيقية لهذه الجماعات ليست متاحة، لأن البلدان التي تقع فيها بلوشستان إما أنها لا تصنف الأفراد حسب الطائفة الدينية في تعداد سكانها، وإما أنها لا تصنف البلوش على حدة.

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 75.
(2) See Ibid., p. 70; The Gazetteer of Baluchistan: Makran. p. 113; M. A. Shaheen Qaisarani, Balochistan. Tarikh wa Mazhab. p. 259; Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan. Emergence Dimensions Repercussions. p. 5.
(3) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde. London, 1816, p. 61.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 110.

وليس معروفاً متى تشيعت قبيلة بامري في بلوشستان الإيرانية. إلا أن السير هنري پوتنگر يوثق كيف كانت تدفع بعض القبائل البلوشية التي تعيش في المناطق الوسطى على الحدود الفارسية ـ البلوشية بكرمان، من قبل السلطات الفارسية لاعتناق المذهب الشيعي، وقد استقرت هناك خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر[1]. وكتب هنري بيلو في عام 1872، عن معاينته لدفع قبيلة ناروئي الحاكمة في سيستان إلى اعتناق التشيع بعدما خضعت المنطقة لبلاد فارس عام 1865[2]. وفي حديث حول هذا الموضوع مع الدكتور دانِش ناروئي، الحاكم السابق لإقليم بلوشستان، وهو أيضاً من سيستان، قال إن هناك عدداً قليلاً من البلوش الناروئيين في سيستان من الشيعة[3].

تجدر الإشارة إلى أنه يمكن العثور على تجمعات شيعية بين البلوش في السند والبنجاب. أما كيف أمكن حدوث ذلك؟ فإنه لا يزال الموضوع محل نقاش بين العلماء[4]. وأغلب الظن أن البلوش في إقليم السند تم تحويلهم إلى المذهب الشيعي. حيث إنه عندما استقرت القبائل البلوشية في السند في القرن الخامس عشر، كانت البلاد بالفعل مركزاً للأنشطة الشيعية[5]. ومن الناحية التاريخية بدأ النفوذ الشيعي في السند مع وصول الدعاة الإسماعيليين خلال القرن العاشر. ومنذ ذلك الحين سيطر الإسماعيليون (الشيعة) على التنمية الدينية في البلاد حتى أواخر القرن الخامس عشر[6]. وكما يرى خُدا بكش مري، فإن من أدخل التشيع بين البلوش هو مير شهداد نجل البطل الأسطوري البلوشي چاكر رِند، خلال النصف الأول من القرن السادس عشر[7]. ومع ذلك، فإن الحكايات الشعبية البلوشية من القرن الثاني عشر، تدعي بأن البلوش كانوا من أتباع الخليفة علي بن أبي طالب (رض)[8]. ويقول الدكتور عناية الله

(1) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde. p. 199.

(2) Henry Bellew, From Indus to Tigris, a Narrative of Journey Through the Countries of Baluchistan, Afghanistan, Khorasan and Iran (18741), Karachi: Royal Book Co., 1976, p.205.

(3) مقابلة مع د. دانش ناروئي، الحاكم الإقليمي السابق لسيستان وبلوشستان.

(4) Sarah F. D. Ansari, Sufi Saints and State Power. Cambridge: Cambridge University Press, 1992, pp. 16-17.

(5) Sarah F. D. Ansari, Sufi Saints and State Power, pp. 16-17.

(6) Ibid.

(7) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p.256.

(8) M. Longworth Dames, Popular Poetry of the Baloches. vol. I, p. 3.

بلوج مناقشاً دور الإسلام السني في بلوشستان الإيرانية: «يشكل الإسلام السني عاملاً مهماً في الحفاظ على هوية البلوش ضد القومية الإيرانية، التي هي بجلاء شيعية وفارسية»[1] وعلى النقيض من ذلك، فلا يواجه البلوش أي تهديد من هذا النوع من الشيعة في بلوشستان الباكستانية، ونتيجة لذلك، هيمنت تاريخياً القوى العلمانية على الحركة القومية البلوشية في هذا البلد. وهكذا وكما لاحظت نينا سويدلر في باكستان: «الدين لا يميز بين الهوية البلوشية وغيرها»[2].

نشأ مذهب جديد في بلوشستان في منتصف القرن الخامس عشر، معاصر لصعود المذهب الشيعي في بلاد فارس. وكما اعتمد الحكام الصفويون لبلاد فارس على المذهب الشيعي، اعتمد كذلك الحكام البُليديون في مَكُران الذكرية كمذهب رسمي لدولتهم[3]. وقد ازدهرت الثقافة البلوشية بسبب رعاية النخبة الحاكمة. حيث تقام في الغالب شعائر العبادة باللغة البلوشية[4]. وبناءً على ذلك، أثرى الشعراء وعلماء الدين الذكريون الأدب البلوشي. ولأنهم في الواقع يعلقون على بعض المواقع أهمية دينية في بلوشستان، طور الذكريون تبجيلاً خاصاً لأرض بلوشستان. فبالنسبة إليهم بلوشستان، وخصوصاً تُربت، هي «گُل زَمين» (زهرة الأرض). ووفقاً للدكتور عناية الله بلوچ، فهذا الموقف الوطني من جانب البلوش الذكريين هو موقف رائد للقومية البلوشية الحديثة[5].

تاريخياً، يعتقد أن الذكريين هم أتباع سيد محمد (عاش تقريباً بين 1442 ـ 1505م) الذي يعود أصله إلى جُنپور في الهند، والذي اعتبر أنه المهدي. ووفقاً للتقاليد الذكرية، جاء إلى مَكُران واتخذ من «كوهِ مُراد» مقراً، وهو مكان مبجل في ضاحية تُربت، وبشر بمذهبه، وحول مَكُران كلها إلى مذهبه، ثم اختفى. وتحيد التعاليم الذكرية عن المعتقد الإسلامي المألوف، ولكن الذكريين يعتبرون أنفسهم

(1) Inayatullah Baloch, «Islam, The State, and Identity: The Zikris of Balochistan», in: Titus Paul (ed.), Marginality and Modernity. Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996, p. 240.

(2) Nina Swidler, «Beyond Parody: Ethnology Engages Nationalist Discourse», in: Titus Paul (ed.), Marginality and Modernity, p. 169.

(3) Inayatullah Baloch, «Islam, the State, and Identity: The Zikris of Balochistan», p. 230.

(4) مقابلة مع رحيم بَكش آزاد.

(5) Inayatullah Baloch, «Islam, the State, and Identity: The Zikris of Balochistan», p. 229.

مسلمين حقيقيين. وعلى الرغم من الاختلافات المذهبية الخاصة بهم، فهناك العديد من المؤثرات السنية في المعتقدات والممارسات الدينية الذكرية، وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية. فكلا الطائفتين [السنة والذكرية] تعتبر القرآن كتابها المقدس وأنه الوحي النهائي، وكلام الله الحقيقي. وبالإضافة إلى ذلك، فالحياة اليومية للذكريين وأسمائهم وثقافتهم جزء لا يتجزأ من التقاليد البلوشية السنية(*). وحسب تقديرات سيلِگ هاريسون، قدر في عام 1980 عدد البلوش الذكريين من خمسمئة ألف إلى سبعمئة ألف نسمة، ويعيشون في المناطق الساحلية لمَكُران وفي كراچي[1]. وعلاوة على ذلك، يعتقد هاريسون أن الذكريين في بلوشستان متحالفون مع القضية القومية البلوشية[2].

بينما حاولت العديد من البلدان استخدام الدين لإضفاء الشرعية على حكمها (على سبيل المثال، الحق الإلهي للملوك في فرنسا وإسبانيا في القرون الوسطى، وولاية الفقيه في إيران)، لم يكن ممكناً لزعماء البلوش القوميين بسبب أشكال العبادة المتنوعة في بلوشستان، استخدام الدين كعامل توحيد، على الرغم من تجدد أهمية الدين في الهوية الذاتية للبلوش (وخصوصاً في بلوشستان الإيرانية). وبالإضافة إلى الانقسام السني ـ الذكري، والأقلية الشيعية الصغيرة، هناك أيضاً أقليات أصغر من الهندوس، والخوجا (الإسماعيلية)، والسيخ في بلوشستان[3].

(*) الغالبية العظمى من الذكريين ترفض نظرية أن مذهبهم جاء عن طريق سيد محمد جُنپوري، ويشددون على أن هناك فجوة تاريخية كبيرة بين ولادة السيد محمد ووفاته، وما نقلته التقاليد الذكرية عن مهديها، مما يشير إلى أنهما شخصان مختلفان. ويرجح أن مذهبهم جاء عن طريق حفيد السيد شاه نعمة الله ولي (1330 ـ 1431، ولد في حلب السورية واستقر في نهاية حياته ربع قرن بكرمان)، وهو صاحب الطريقة الصوفية الأشهر في كرمان وبلاد فارس. ولا يوجد خلاف عقائدي أو فقهي بين الإسلام السني الحنفي والمذهب الذكري إلا في مسألة كيفية إقامة الصلاة، التي يحل محلها تلاوة الذكر عند الذكريين حسب تأويلهم وتعاليم مهديهم. ولمزيد من المعلومات حول المذهب الذكري ووضعها في مَكُران الشرقية، انظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص208 ـ 211.

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 187.

(2) Ibid.

(3) On the Sikhs population in Iranian Balochistan, see, I. Afshar (Sistani), Balochistan wa Tamaddon-e Dirineh-e An. p. 369; On the Hindus population in Balochistan, see, Fred Scholz, «Tribal Structure and Religious Tolerance: Hindus in Pakistani Balochistan», pp.195-196.

النشأة الثقافية

يمتلك البلوش تشكيلة غنية من التراث الشعبي، الذي يظهر في الأمثال والأقوال والألغاز والأغاني والحكايات البلوشية الشعبية. والسمة البارزة لكامل بنية الفولكلور البلوشي هي الشعور القومي القوي، والإشارة المتكررة إلى البلوش وبلوشستان. وبالتالي فإن الأدب البلوشي يشكل مع فولكلوره الشفاهي الغني والأغاني والشعر الشعبي أحد المصادر الهامة لإلهام المشاعر والعواطف القومية والوطنية. وعن هذا كتبت العالمة السويدية كرينا جهاني واصفةً الخصائص المشتركة للأدب البلوشي، ما يلي:

أكثر الكتابات التي تم إنتاجها بالبلوشية هي بشكل واضح قومية المحتوى. والمواضيع المشتركة هي تمجيد صحارى وجبال بلوشستان، وشجاعة وفخر وشرف الشعب البلوشي، المتمثلة في كثير من الأحيان في الأبطال شبه الأسطوريين مثل مير چاكر ومير هَمَّل[1].

على مر القرون، كان الأدب الشفاهي البلوشي وسيلة هامة لنقل اللغة والثقافة والمشاعر البلوشية القومية. واستطاع البلوش حماية تراثهم الثقافي بسبب احتلاله مكانة هامة في حياتهم. وكما لاحظ الدكتور بَدل خان، حافظت ونمت القبائل البلوشية العديد من الأساطير والأمثال والأشعار والأغاني. وحرصت أيضاً على الأحاجي وحكايات الحيوان والحكايات الساخرة والقصص التاريخية. وبالإضافة إلى هذه الأجناس، هناك جنس أدبي شفاهي رفيع، يتكون من الإلقاءات الطويلة التي تشمل كلاً من النثر والشعر. ويوضح بَدل خان أن هذا الشكل من أشكال التعبير هو جزء من التراث الثقافي البلوشي المشترك[2].

الحكاية الشعبية المعروفة في بلوشستان «شَيْ مُريد وهاني»، منحت إلهام الهوية القومية البلوشية للشباب البلوشي. ونشأت قصة الحب هذه في القرون الأولى من

---

(1) Carina Jahani, «Poetry and Politics: Nationalism and Language Standardization in the Balochi Literary Movement» in: Titus, Paul (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan. Karachi: Oxford University Press, 1996, p. 114.

(2) Sabir Badalkhan, «A Brief Note on Balochi Folktale and Folktale Studies», in: K. Maeda (ed.), The Studies of the Ethno-Religious Images in Jhalawan and Las Bela Provinces in Balochistan. University of Wako, 1999, pp. 83-85.

الألفية الماضية، وبطلها شَيْ مُريد، وبطلتها هاني، وأصبحت في بلوشستان من رموز الحب الأفلاطوني والمأسوي، مثل روميو وجولييت. ونشأت ببساطة كبيرة، ولكن في الوقت نفسه مع عمق وقوة كبيرين لتعكس الحياة القومية للبلوش، وعواطفهم وأفكارهم الفلسفية (عن الله، والشر، والقدر).

كانت الموسيقى إحدى أهم الوسائل التي كانت فعالة جداً في الحفاظ على اللغة والثقافة البلوشية ونقلها عبر الأجيال(1). والموسيقى لدى البلوش كانت دائماً وصلة ثقافية ووسيلة للتعبير. فكان التاريخ والشعر وما إلى ذلك يعبر عن طريق الموسيقى والأغاني. وتنتقل الأغاني من جيل إلى آخر دون تغيير في الكلمات. ولكن، قد يختلف الإيقاع من منطقة إلى أخرى. ومن بين الأنواع الموسيقية البلوشية المعروفة، الأغاني الملحمية والسياسية، التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالقومية. فالأغاني الملحمية تنقل التاريخ البلوشي، وتتحدث عن عادات وتقاليد البلوش، وتذكر الناس بالقيم، مثل الشجاعة والشرف، التي ينبغي أن تكون عند المحارب من أجل أن يصبح بطلاً(2).

تأريخ الأدب البلوشي المدون غير موثق، ولكن للبلوش ميلاً لإضفاء المزيد من العراقة على تقاليدهم أكثر مما هو مسوغ(*). كمثال على ذلك، كمالان گچكي الذي عاش في منتصف القرن التاسع عشر، ويفترض أنه قام بتأليف الملحمة البلوشية لَيز بَلوُچي(3). ومنذ عام 1948، أصبحت بلوشستان جزءاً من باكستان، وأدت تلك البيئة المواتية إلى نمو المؤسسات الثقافية مثل المجتمع البلوشي الأدبي وجمعية اللغة

(1) Sabir Badalkhan, «Balochi Songs Genres, Balochi Dances, Instrumental Musicians, Singer, Musical Instruments», in: A. Arnold (ed.), The Garland Encyclopaedia of Worlds Music, in 10 vol., vol. 5, (South Asia: The Indian Subcontinent), New York, London, 2000, p. 773.

(2) Ibid.

(*) الأدب البلوشي أدب قديم يعود إلى التراث الشعبي الذي لا يرتبط بالحوادث التاريخية، ولذلك لا يمكن تأريخه إلا بتأريخ قدم اللغة ذاتها، وهي بلا شك أقدم من الفارسية الحديثة، أما الأدب المرتبط بالأحداث التاريخية فقد بدأ مع هجرات البلوش الأوائل، أي حملة اللغة البلوشية، من جهة الغرب والشمال الغربي إلى منطقة بلوشستان. وقد تأثر بعد دخول الإسلام وأخذ طابعاً غير طابعه الأول، وبقي في معظمه شفاهياً، وهناك تدوين قديم باللغة الفارسية في بلوشستان التي كانت اللغة المهيمنة على آسيا منذ القرن الثامن وحتى التاسع عشر. ورغم ذلك وجدت آثار باللغة البلوشية، وأقدم ما وجد مخطوطة هوتمان كلمتي العائدة إلى عام 1763م، انظر، الدكتور عبدالصبور بَلوُچ، بَلوُچی قصهی لبزانك، كويتا: بَلوُچي اكديمي، 2009، ص7.

(3) Carina Jahani, Standardization and Orthography in the Balochi Language, p. 23.

البلوشية، التي تعمل بنجاح منذ ذلك الحين(1). وقدمت مع الأكاديمية البلوشية (بَلوُچي أكديمي) في كويتا مساهمة مهمة في نشر اللغة البلوشية وغيرها من الأنشطة الأدبية والثقافية. وبالتالي، أصبح البلوش مهتمين بشكل متزايد بتطوير لغتهم. وفي عام 1951 ظهرت أول مجلة شهرية أومان بالبلوشية.(*) ونشرتها جمعية البلوش التعليمية (BES) في كراچي(2). وتوقف نشر المجلة أومان نتيجة لضغوط من الشاه عام 1962(3).

فوفقاً لمحررها مولوي خير محمد ندوي، دعمت المجلة ثورة داد شاه في بلوشستان الإيرانية، وكانت منبراً للقوميين البلوش في المنطقة(4).

تم تأسيس جمعية البلوش التعليمية (BES) في كراچي عام 1948 للنهوض باللغة والثقافة البلوشية، ولتكون أيضاً منبراً لمظالم البلوش السياسية والاجتماعية. وبالإضافة إلى نشر مجلة أومان، أنشأت الجمعية مدرسة في منطقة لياري، التي قد طورت لاحقاً إلى مدرسة ثانوية نظامية. ولكون كراچي العاصمة وأكبر تجمع للبلوش في باكستان، أصبحت كراچي في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، محط أنظار الأنشطة الثقافية اللغوية البلوشية. فمجلس لياري الأدبي وبَلوُچي اكديمي وفاضل اكديمي قد تم تأسيسها جميعاً في كراچي بعد عام 1947(5). وقبل بداية خمسينيات القرن العشرين لم يكن هناك سوى القليل من الأعمال الأدبية باللغة البلوشية وعن القضية البلوشية. فالعديد من أكاديميات النشر البلوشية ظهرت أولاً في لياري (كراچي) في بداية الخمسينيات، وكان بمنزلة طليعة النشاط الأدبي البلوشي(6).

(1) Dictionary of Oriental Literatures, vol. 2, London, 1974, pp. 56-58.

(*) قبل صدور اومان كانت هناك صحف ومجلات مثل البَلوُج لمحررها مولوي ديرماني، التي كانت تصدر في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وتنشر مضامين متناثرة باللغة البلوشية بجانب الفارسية والأوردية، ثم توقفت لضائقة مادية. وظهرت عام 1950 مجلة (مُعلم) لمحررها عبد الباقي درخاني من شالكوت (كويتا) وتضمنت صفحات بالبلوشية. غير أن المجلة الأولى التي تضمنت البلوشية فقط هي اومان. صبا دشتياري، بَلوُچي زبان ءُ لبزانك، سيد هاشمي ريفرنس كتابجاه، ج1، ص22 .

(2) Carina Jahani, Standardization and Orthography in the Balochi Language, p. 25.

(3) مقابلة مع مولانا خير محمد ندوي.

(4) Ibid.

(5) Sayyid Hashimi, Balochi Zaban aur us ka Rasmullkhat, Daily Jang, Jan 9, 1973.

(6) مقابلة مع مُراد ساحر.

بدأت الجهود للحصول على دعم رسمي لبَلُوچي اكديمي في عام 1958، والتي أسست في كويتا عام 1961[1]. وبدأ راديو باكستان البث باللغة البلوشية في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1949، من كراچي، وفي السابع عشر من أكتوبر 1956، من كويتا. وعندما أنشئت محطة الراديو في كويتا، تم نقل البرامج البلوشية اليها. وفي عام 1959، بدأ راديو إيران أيضاً بيث برامج باللغة البلوشية من زاهدان[2]. ومن المهم الإشارة إلى أن اللهجة المهيمنة على البث الإذاعي في باكستان وإيران كانت البلوشية الغربية. وكان لهذا الأثر الكبير في تجانس البلوش. ووفقاً لبشير أحمد بَلوُچ كان البث بالبلوشية «قاعدة هامة ساندت تنمية اللغة البلوشية وآدابها»[3].

ومنذ نهاية الخمسينيات من القرن العشرين وصاعداً، كان مركز اصدار المطبوعات هو كويتا. وبحلول هذا الوقت أصبحت كويتا بالتأكيد وليس كراچي، مركز نشاط اللغة البلوشية. وبهذا كان للهوية البلوشية والوعي القومي فرص أفضل للبقاء من ذي قبل[4]. وبالنسبة إلى حكومة أيوب خان، استخدمت ذلك سبباً لكي ترضي البلوش. حيث أنه بالرعاية الجزئية للأنشطة اللغوية والأدبية، يمكن للبيروقراطية تسكين النخبة المثقفة البلوشية والتحكم فيها. وبهذا تمنع ابتعاد النخبة المثقفة من المركز على غرار القوميين المسلحين. ومن ناحية أخرى، لم يسمح بمثل هذه النشاطات أن تأخذ مجراها في بلوشستان الإيرانية.

وبهذا الشأن، تستحق أن تذكر برامج الشاه التعليمية رغم ذلك. في البداية كانت سياسة السلطات الإيرانية في بلوشستان بشكل أساسي هي منع تقديم التعليم الضروري لأطفال البلوش، لأنها كانت مركزة على إقصاء الهوية البلوشستانية وخلق مواطنين ناطقين بالفارسية[5]. وكما يرى ذبيح الله ناصح، فوجهة النظر الإيرانية كانت هي خلق مواطنين جدد ناطقين بالفارسية، وإضعاف وتقليل الهوية اللغوية

(1) Monthly, Balochi, April-May 1958, P. 5.

(2) Carina Jahani, Standardization and Orthography in the Balochi Language, p. 86.

(3) Bashir Ahmad Baloch, «The Beginning of Radio Broadcasting in Baluchi: A Brief Report», in: A. V. Rossi and M. Tosi (ed.), News Letter of Baluchistan Studies, Naples: Dipartmento di studi Asiatic IstitutoUniversitario Orientale, No. 2, Spring 1985, p. 3.

(4) مقابلة مع بشير احمد بلوج.

(5) Zabilhullah Naseh, Balochistan, p. 196.

البلوشية[1]. ولمنعهم من التحدث مع الطلاب باللغة البلوشية، تم إرسال المعلمين البلوش القليلين للعمل في الأقاليم الإيرانية الأخرى. وتم تشجيع المعلمين الفرس وغير البلوش ليحلوا محلهم للتعليم في بلوشستان. وهذه السياسة طبقاً للقوميين البلوش عقدت إجراءات التعليم وأضعفت المعايير التعليمية في بلوشستان مقارنةً بالأقاليم الناطقة بالفارسية[2].

ومنذ ثورة الشاه البيضاء في عام 1962، زاد كل عام نسبة السكان المتعلمين في أرجاء بلوشستان. فبين عامي 1971 ـ 72، بلغ عدد المتعلمين من الفئة العمرية سبعة أعوام وأكثر في الإقليم 733,00 نسمة[3]. وبالمقارنة، وصل في عام 1978 ـ 79، عدد الطلاب من جميع المراحل العمرية في مختلف المدارس في الإقليم وحده إلى 128,274، وهذا في ذاته يتخطى الأرقام السابقة المعطاة لنسبة المتعلمين[4]. وما كان لافتاً للنظر أكثر هو النمو في قطاع التعليم العالي في سبعينيات القرن العشرين مقارنةً بالستينيات. وكما لاحظ الكاتب الإيراني ناصر عسكري، فحتى عام 1955، لم يدخل أي طالب بلوشي أي مؤسسة من مؤسسات التعليم العالي في جميع أنحاء إيران[5]. وبين عامي 1965 و1967 تم قبول 12 طالباً بلوشياً فقط[6]. غير أن تطورات عديدة غيرت من هذا الوضع خلال العقد الأخير من نظام الشاه.

وكان المصدر الرئيسي لقلق الشاه هو النشاطات العسكرية العصابية المتعاظمة للقوميين البلوش في بلوشستان الإيرانية، وعلاقتهم بالعراق والقوى العربية الراديكالية الأخرى. وتفاقم ذلك القلق بانقسام باكستان، والصعود التالي للقوميين البلوش إلى السلطة في بلوشستان الشرقية عام 1972. وخوفاً من هذا الوضع، قامت حكومة الشاه بالإضافة إلى القمع العسكري للقضاء على القوميين،

(1) Ibid.

(2) Azat, «Mas'aleh-e Milli wa Samad Morted», in: Baloch Komitte, Tran: Boliten-e Mobashesat, pp. 22-29.

(3) Iran Yearbook 1977, Tehran, 1977, p. 547.

(4) Government of Iran, Natija-I Amer Giri Edara-I Koll-e Amouzesh wa Parvaresh Ostan Sistan wa Baluchistan dar Sale Tahsili 2536-2537, Tehran, 1978, table 19.

(5) Naser Askari, Moghadamahi Bar Shinkht-e Sistan wa Balochistan, Tehran: Donya-e Danish, 1357/1979, p. 109.

(6) Ibid

بإنشاء سلسلة من البرامج الاقتصادية والتعليمية لكسب السكان البلوش في بداية سبعينيات القرن العشرين[1].

وبالإضافة إلى ذلك، وقع الشاه تحت تأثير العديد من التكنوقراطيين ذوي التعليم الغربي في بداية السبعينيات من القرن العشرين، وخصوصاً جمشيد آموزگار، الذي أقنعه أن أهدافه بعيدة المدى ستخدم بالتعاطي بإيجابية أكثر مع البلوش، وتوجيه الاهتمام للتنمية الاقتصادية والتعليمية. ورافقت سياسته الليبرالية ارتفاع أسعار النفط بشكل متزامن، مما سمح بالمزيد من نفقات التطوير في أقاليم الأقليات المهمشة. وأعطيت لآموزگار السلطة لكي يعين «ثوار البلوش» في المواقع الحيوية في بيروقراطية الحكومة وحزب رستاخيز في سيستان وبلوشستان[2].

وبالتالي، شهدت سبعينيات القرن العشرين، إنشاء أولى مؤسسات التعليم العالي في الإقليم، وهي كلية زاهدان لتدريب المعلمين وجامعة بلوشستان[*] في 1972 و1973 على التوالي. وجلب تدشين هذه المؤسسات بشكل متوازٍ زيادة كبيرة في أعداد الطلاب البلوش المسجلين في المرحلة الجامعية. فعلى سبيل المثال، كان في السنة الأكاديمية 1972 ـ 73، حوالى مئة وثمانية وتسعين طالباً مسجلاً في كلية تدريب المعلمين[3]. وبحلول عام 1978، كان عدد طلاب جامعة بلوشستان أربعمئة وخمسين طالباً. وعلى الرغم من أن الأغلبية الساحقة من الطلاب في المؤسستين هم من المهاجرين الفرس، كان العدد الإجمالي للطلبة البلوش مقدراً بين ستين إلى مئة خلال الفترة بين 1972 إلى 1979[4]. وهذه الاحصاءات لسبعينيات القرن العشرين أعلى بكثير من أمثالها في العقود السابقة[5].

---

(1) مقابلة مع عبد الصمد أميري.

(2) مقابلة مع غلام رضا حسينبور.

(*) تم تغيير اسم الجامعة إلى (دانشگاه سيستان وبلوچستان: جامعة سيستان وبلوشستان).

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 102; see also, Iran Yearbook 1977. P. 548.

(4) Ibid, p. 548.

(5) غير أنه بعد الثورة الإيرانية (1979)، زاد عدد طلاب مؤسسات التعليم العالي في بلوشستان عدة مرات. ففي عام 1987، كان هناك 4882 طالباً في مؤسسات التعليم العالي بسيستان وبلوشستان، لمزيد من التفاصيل: (Hamid Ahmadi, Qumiyyat wa Qaumgarai dar Iran, 1378/1999, p. 265).
وزاد العدد أكثر إلى 30,331، في عام 1991، والذين منهم كان 8693 طالباً في (دانشگاه آزاد اسلامى)، انظر: =

وبالرغم من هذا التقدم في البرامج التعلمية للإقليم، بقيت نسبة الأمية في الإقليم أعلى بكثير من متوسط المعدل الوطني، مما يشير إلى فجوة مماثلة في الحالة الاقتصادية المذكورة سابقاً. وفي عام 1965 ـ 66، كانت نسبة السكان المتعلمين من فئة سبعة أعوام وأكبر 16٪[1] مقارنةً بالمعدل الوطني للمتعلمين 29.4٪[2]. وبحلول عام 1972، ارتفع المعدل الوطني للتعليم من الفئة العمرية نفسها إلى 36.9٪[3] مقارنة بمعدل الإقليم المقدر بـ 21٪.

وتجدر الإشارة إلى أن أجهزة الترانزستور الإذاعية أصبحت شيئاً مألوفاً في بداية الستينيات من القرن العشرين، وبدأ المزيد من البلوش بالاستماع إلى البرامج الإذاعية من راديو كابول، وإذاعة عموم الهند، وراديو كويتا، بالإضافة إلى بث لمدة 90 دقيقة يومياً بالبلوشية من راديو زاهدان[4]. ومثل نظام أيوب خان في باكستان، واجه نظام الشاه أيضاً الجماهير التي لم يعد من الممكن عزلها عن الأفكار السياسية الخارجية، وحاول بعجلة توجيه الوعي السياسي المنتشر بين البلوش إلى قنوات آمنة من خلال تكثيف البرامج الخاصة باللغة البلوشية عبر الراديو، وفي الوقت نفسه، الشروع في برنامج مكثف لتوسيع المنشآت التعليمية[5]. لكن مع الثورة الإيرانية في 1978 ـ 1979، حدثت تطورات ثقافية ضخمة. وعلى الرغم من كونها لم تدم طويلاً، فقد حملت هذه الفترة ولادة العديد من المنشورات البلوشية في إيران[6].

يشكل الشعر الجزء الأكبر من الأدب البلوشي، الذي تنوقل شفاهياً[7]. ويشكل التاريخ الأسطوري لأصل البلوش وهجراتهم والحروب والدين والعقيدة موضوعات

= (Government of Iran, Salnameh Amari Keshwar, 1375, Tehran: Markaz-e Amar-e Iran, 1377/1998, p. 555-56).
وكما قدر عظيم شاه بكش، المحاضر في جامعة سيستان وبلوشستان، كان أكثر من أربعة آلاف طالب بلوشي في مختلف الجامعات الإيرانية في عام 1999 (مقابلة مع عظيم شاه بكش).

(1) Source: Plan and Budget Organization as Quoted in Akhardad Baloch. Siasat Dar Balochistan, 1361/1983, p. 59.

(2) Iran Yearbook 1977. p. 42.

(3) Ibid., p. 41.

(4) Ibid.

(5) مقابلة مع غلام رضا حسينبور.

(6) Monthly Makkoran. No. 1 (Tehran: 1979), p. 2.

(7) Franz Fanon, The Wretched of the Earth. New York: Grove Press, 1963, p. 240.

هامة فيه. وهناك عدد كبير من الموضوعات عن حكم كونفدرالية الرِند واللاشار في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وتشكل أيضاً القصص عن الحروب ضد الفرس والأفغان والهنود والأتراك والأوروبيين السمات البارزة للشعر البلوشي في القرون المتأخرة، وتثير ذاكرة الشعراء من أمثال گُل خان نصير، وسَيّد ظَهور شاه هاشُمي، وعطا شاد، بين البلوش مشاعر عميقة. فهم الذين يصورون البلوش كأمة حرة وشعب مستقل يقاوم الأفغان والفرس والهنود (أي المغول)، والهيمنة الباكستانية. وتصل أعمال الشعراء مثل بشير بيدار، وعطا شاد، ومُبارك قاضي، وجي. آر. مُلا، ومولوي عبد الله روانبُد، إلى الناس من خلال إلقائها في حفلات الزواج العامة، وفي اجتماعات الجمعيات الأهلية (انجُمَن)، وللترفيه في المنازل الخاصة. وحفلات الإلقاء الشعري العامة غالباً ما تسعى إلى تعزيز المشاعر القومية والاعتزاز الثقافي، على حد سواء في بلوشستان الإيرانية والباكستانية.

بعد سقوط دولة كلات، منح گُل خان نصير، وسيد هاشُمي، ومراد ساحر، وجي. آر. مُلا، والعديد من الشعراء غيرهم معنىً وشكلاً جديداً للشعر البلوشي. ويعد شعر گُل خان نصير (1914 ـ 1983) أكبر تجل وأعمق تعبير عن نهج البلوش السياسي والاجتماعي منذ أوائل الثلاثينات. وحثه للبلوش على التمسك بتقاليدهم علامة واضحة على الجذور العميقة لمشاعر الكراهية تجاه الحكام الجدد، واستنكاراً قوياً للنظام السياسي الجديد. وسرعان ما تحولت قصائده إلى شعارات شعبية، وكانت موضوعاً لمناقشات النخبة. ويعلق گُل خان نصير: «تعال، أيها البلوشي، تعال أيها البلوشي، سأقول [لك] شيئاً اليوم. تعال، يا أيها البلوشي الشريد الذي لا مأوى لك، فقد ضللت طريقك، وهاجمت عصابة اللصوص أرضك، وأضرمت النار في منازلك، وحملت بعيداً ممتلكاتك، ولكنك لست بواعٍ، فالنوم الثقيل الحال بك جعلك غير مُدرك، فشلت اليد، وبَكُمَ اللسان، وقُيد الأسدُ الغضنفر»[1].

ومع ثورة نوروز خان في أواخر خمسينيات القرن، أصبح الشعور القومي أعمق، ومُعبراً عنه بوضوح أكثر في الأدب البلوشي. وانتشرت أسطورة نوروز خان ورفاقه إلى ما هو أبعد من الحدود الإقليمية، وشُعر به بين البلوش في السند والبنجاب. ويقال إنه

(1) Gul Khan Nasir, Gulbang. Quetta, 1952.

بعد تنفيذ حكم الإعدام بمؤيديه، طلبت السلطات بسادية من المحارب الشيخ التعرف إلى الجثث. وفي هذا الصدد يقول الزعيم البلوشي شير باز خان مزاري في مذكراته واصفاً الأسطورة الحديثة التي نشأت حول هذا الحدث:

«سَأل ضابط في الجيش بنبرة غير مبالية نوروز خان: هل هذا ابنك؟ (وهو يشير بإصبعه إلى جثة ابن المحارب الشيخ). فحدق نوروز خان إلى الجندي للحظة ثم أجابه بهدوء: كل هؤلاء الشبان الشجعان أبنائي. ثم نظر في وجوه مؤيديه الموتى، ولاحظ أن شارب أحدهم قد ذَبُل عند الموت. فتوجه لبدنه، وعَقَصَ شاربه بلُطفٍ للأعلى، وهو يعاتبه: حتى في الموت، يا ابني، لا ينبغي للمرء أن يسمح للعدو بالتفكير، حتى للحظة واحدة، أنه قد يئَس»[1].

وبالمثل، في بداية سبعينيات القرن العشرين، ومع اشتداد القتال بين البلوش والدولة الباكستانية، وُصفَ أولئك الذين فقدوا حياتهم في الشعر البلوشي كأبطالٍ قوميين. وكان أحد هؤلاء الأبطال البارزين مير لوَنگ خان، الشقيق الأكبر لگُل خان نصير، الذي قاتل الجيش بدلاً من الاستسلام للباحثين عنه[2]. ومع ذلك، فإن الثلاثي خير بكش مَري، وعطاء الله مينگل، وغوث بكش بيزنجو برزوا أيضاً كأبطال قوميين.

ربما كان القومي مولوي عبد الله روانبُد الشاعر الأكثر شهرة في بلوشستان الإيرانية في سبعينيات القرن العشرين، والذي قال معبراً عن إعجابه بوطنه: «يا أرض أجدادي المحبوبة. أرض البلوش الشجعان. تلك التي تنافس اليمن التي تَحسُدها. . . أعشقك كثيراً. وأنا بحاجة إليك كما يحتاج الجسم إلى النفس»[3]. وعلى المنوال نفسه، كان البلوش في أفغانستان أكثر عزلة وأكثر تخلفاً اجتماعياً وثقافياً، ولكنهم مجدوا أساطيرهم في مختلف الأغاني. مثل أساطير شير غازي جان الذي حارب الهيمنة البريطانية في نيمروز وهلمند (سيستان)، وهو مشهورٌ كما داد شاه مشهور في بلوشستان الإيرانية[4]. ومنذ بداية البرامج البلوشية في راديو

(1) Sherbaz Khan Mazari, A Journey to Disillusionment, p. 85.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 38-39.

(3) Ismail Amiri, «Maulavi Abdullah-e Shaeri-e Raji Pahnat», in Taptan. No. 3, Karachi,March 1989, p. 13.

(4) Gholam Mohammad Lalzad, «Baloch Kist» (Who are the Baloch?), in: Baloch Komitte, Tran: Boliten Mobahesat. No 5. Stockholm June 1999, pp. 32-33.

كابول، بثت الأغاني البطولية عن غازي شير جان، التي كتبها وألقاها المنشد القومي غُلام سَخي[1].

وكما هو مشار إليه سابقاً، ظل البلوش في أفغانستان معزولين إلى حد كبير عن أحداث بلوشستان الباكستانية وبلوشستان الإيرانية، ومحاولات الحكومات الأفغانية للسيطرة الإدارية عليهم. ومقارنةً بالبلوش الباكستانيين والإيرانيين، فهم في الغالب في حال أسوأ. فعلى الرغم من افتتاح أول مدرسة في البلاد خلال فترة حكم أمان الله خان في عام 1922، كان هناك القليل جداً من التنمية في مجال التعليم. وفي عام 1979، لم يكن هناك سوى عشرين شخصاً تلقوا التعليم الجامعي[2]. وبناء على ذلك، وعلى عكس إخوانهم في إيران وباكستان، لم يحتشدوا للمطالبة بالحكم الثقافي والسياسي الذاتي حتى وقت متأخر من سبعينيات القرن العشرين. وفي الواقع، كما ذكر الكاتب البلوشي، سيد محمد شيران زئي من نيمروز، فإن عملية تسييس البلوش الأفغانيين بدأت في عام 1964، عندما تبنت أفغانستان دستوراً جديداً، يحول البلاد من ملكية مطلقة إلى ملكية دستورية. ومع ذلك، عندما أطاح محمد داود الملك ظاهر شاه، وألغى مجلس الشورى التقليدي (البرلمان)، اكتسبت هذه العملية مزيداً من الزخم. ووحد التنافس في مقاعد البرلمان في ظل جمهورية أفغانستان الجديدة قبائل البلوش للمرة الأولى. ويعتقد شيران زئي أن في هذه الفترة، أصبحت القومية «عامل التعبئة في المجتمع البلوشي بأفغانستان»[3].

ومع ذلك، فخلال سبعينيات القرن العشرين، حمل الانقلاب الموالي للاتحاد السوفياتي لعام 1978 تغييراً جذرياً أقله في السياسة الثقافية الرسمية في أفغانستان. وفي مقابل إيران التي رفض فيها النظام الثوري الإسلامي لآية الله الخميني عام 1979، الاعتراف الدستوري بالأقليات الإثنية والمذهب السني على حد سواء، اعتمدت جمهورية أفغانستان الديموقراطية الجديدة، وعلى نحو غير عادي «نموذج القوميات»، متكيفة بذلك مع النموذج المماثل لها في الاتحاد السوفياتي[4]. وفي خريف عام

(1) Ibid., p. 34.

(2) Syed Mohammad Shiranzai, «Baloch-ha-e Afghaistan», Unpublished, August1999.

(3) Ibid.

(4) Government ofAfghanistan, Qanoon-e Asasi-e Jamhuri-e Afghanistan (Constitution of the = Republic ofAfghanistan), Kabul, 1366/1987, p. 36.

1978، وبعد أشهر فقط من انقلاب ابريل، تم اختيار اللغة البلوشية، وثلاث لغات أخرى (الأوزبكية والتركمانية والنورستانية) من أجل الاعتراف بها كلغات رسمية في أفغانستان بالإضافة إلى البشتونية والدَرية. وضمنت التسهيلات للنشر، واتخذت الخطوات لتنفيذ السياسة الجديدة في أربع مناطق، وهي المشاركة في الحكومة، والتعليم، ونشر الدوريات، والتعبير الثقافي. وبدأت مجلة أسبوعية باللغة البلوشية باسم سَوْب بالصدور في شهر سبتمبر عام 1978. وابتداءً من سبتمبر عام 1979، كان التلاميذ الناطقون بالبلوشية قادرين على حضور دروس الصف الأول بلغتهم الخاصة، إذا ما اختاروا ذلك. وكانت هناك خطط، وفقاً لنابي، المتخصص من جامعة هارفارد في دراسات آسيا الوسطى، لتوفير مدارس كاملة باللغة البلوشية في مدارس المناطق ذات الأغلبية البلوشية[1]. غير أن الصراع العسكري الذي أعقب الثورة الأفغانية في ثمانينيات القرن العشرين، عطل الوضع الاجتماعي والعرقي في إقليم نيمروز. وأدى القتال إلى هجرة جماعية للبلوش من المنطقة. واستقر العديد منهم بالقرب من القبائل ذات القرابة في باكستان وإيران المجاورة.

التنظيم الاجتماعي البلوشي

كتب جيمس بيل أن في الشرق الأوسط «تتأثر سياسات التنمية والتحديث بشكل كبير بالأنماط والممارسات التي تميز علاقات الجماعة والطبقة»[2]. ولكن بطريقة أخرى، حتى في أواخر القرن التاسع عشر، حين أضعف التحديث والتحضر أهمية القبائل والمنظمات القبلية، لم ينته تأثير الأنماط القبلية[3]. وهذه الأنماط والممارسات

= من المهم الإشارة إلى أن حزب عوامي الوطني في باكستان، والحزب الشعبي الديموقراطي لحكومة أفغانستان (PDPA) اتبعا سياسة الحقوق المتساوية والحكم الذاتي للقوميات الوطنية للبلاد. انظر للمرجع أعلاه.

(1) Eden Naby, «The Iranian Frontier Nationalies: The Kurds, the Assyrians, the Baluchis, and the Turkmens», in: William O. McCagg, Jr., and Brian D. Silver (ed.), Soviet Asian Ethnic Frontiers. New York: Perganom, 1979, p. 102-103.

(2) James A. Bill and Robert Springborg, Politics in the Middle East. (3rd Edition) Glen view, Illinois: Little, Brown and Company, 1990, p. 86.

(3) مجموعة ممتازة من الدراسات عن التفاعل بين القبائل والحكومات «الحديثة» المركزية حديثاً هي: Tribes and State Formation in the Middle East. ed. By Philip S. Khoury and Joseph Kostiner, Berkeley: University of California Press, 1990.

القبلية موجودة بالفعل وتؤثر في كيفية التطوير والتحديث الجاريين في المناطق الريفية من الشرق الأوسط. في بلوشستان، لا تزال الأنماط غير الرسمية الأبوية للسيطرة من خلال الشبكات العائلية (القبائل)، لها أهمية، خصوصاً وأن وجود الدعم القبلي أو عدم وجوده كان عاملاً حاسماً في نجاح الحركات القومية أو فشلها.

وقد كتب الدكتور نيك بُزدار، المتخصص في التنمية الاقتصادية الدولية، أن المجتمع البلوشي «إلى حد كبير، يلتزم الطرائق التقليدية للحياة». ويعتقد أنه على الرغم من ظهور الأحزاب السياسية في بلوشستان، لا يزال يؤدي التنظيم القبلي والقيادة السياسية دوراً مهيمناً على الإدارة المحلية والإقليمية[1]. وتنقسم القبائل في بلوشستان إلى الوحدات المستقرة (شَهّري) والوحدات المترحلة. وكانت القبائل المستقرة هي العمود الفقري للنظام الإقطاعي، الذي كان سائداً في وسط وجنوب بلوشستان (مَكُران)، في حين أن البدو كانوا حجر الزاوية في النظام القبلي السائد خصوصاً في المناطق القبلية الشمالية. ومع ذلك، كانت كلا الجماعتين مترابطتين بالعلاقات التي تطورت تاريخياً على أساس التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، واللغوية[2]. وربما أدى هذا الفصل للقبائل بين البدو (الطبقة المحاربة) والقبائل المستقرة (الفلاحين)، إلى أن يستنتج الكثيرون أن السكان المستقرين ربما كانوا هم السكان الأصليين، الذين تم غزوهم من قبل البدو الرحل القادمين في وقت لاحق.

النظام القبلي البلوشي تجزيئي. وواصفاً هذا النظام، كتب سالزمان: «نعني (بالنظام التجزيئي) مجموعة من الأنساب المتحالفة نسبياً، وبشكل عرضي للعمل السياسي، وتتخذ القرارات من قبل الجمعيات والمجالس، مع عدم وجود وظائف وتسلسل هرمي للسلطة، وبالتالي لا قمة لهذا النظام»[3]. ولذلك لا يوجد من هذا القبيل سلطة مركزية في النظام. وهو يتشكل من عدد من الجماعات المتشابهة، التي لديها العديد من الأقسام الفرعية أو العشائر التي تدعي أن لديها علاقات قرابة تربطها

(1) Nek Buzdar, «Social Organization, Resource use, and Economic Development in Balochistan» in: Monthly Balochi Labzank. Hub (Balochistan), March-April 2000, p.82.

(2) Nina Swidler, «Beyond Parody», in: Paul Titus, (ed.), Marginality and Modernity. pp. 176-77.

(3) Philip C. Salzman, «Why Tribes have Chiefs: A Case from Baluchistan», in Richard Tapper (ed), The Conflict of Tribe and State in Iran, and Afghanistan. London, 1983, pp. 267.

بعضها من خلال أسلاف مشتركين. فالقرابة، التي تتخذ شكلاً مميزاً في بنية العشيرة والعائلة، توفر ترتيباً أساسياً لآلية المجتمع. وبالتالي فإنها تشكل عاملاً رئيسياً في تنظيم وتعديل السلوك الفردي، وهذا بدوره يؤثر في تشكيل ومؤازرة التنظيم السياسي والاجتماعي للقبيلة بأكملها.

وفي حين أن الحكومة الاستعمارية مارست سيطرتها على قبائل البلوش، لم يكن البريطانيون أنفسهم ذوي ثقلٍ على الأرض، ففي مقابل ولاء شيوخ القبائل، منحوا الحرية للحفاظ على الطريقة القبلية في الحياة دون تغيير إلى حد كبير. ولكن بدأ الموقف بالتغير في العقود الأخيرة من الحكم البريطاني، ومع تسارع التغيير بإنشاء باكستان وضم الجزء الغربي من بلوشستان إلى إيران. وبالإضافة إلى ذلك، وجه البلوش نمو التعليم، وقوى السوق، والسياسات الانتخابية، إلى الشبكات الإقليمية والقومية في كل من إيران وباكستان. ومع ذلك، فإن هيكل القوة القبلية لا يزال مهماً جداً في المجتمع البلوشي في المناطق الريفية. وقد أحصى هاريسون سبعة عشر تجمعاً قبلياً كبيراً في بلوشستان عام 1981. ويترأس كل واحد منها سَردار (زعيم القبيلة)، ويتم اختياره عادة من ذرية ذكور العائلة الحاكمة في كل قبيلة. ويذكر هاريسون نحو أربعمئة تجمع شبه قبلي يرأس كلاً منها سردار أقل شأناً[1].

ربما كانت مؤسسات السَردارية والجيرگا للتنظيم القبلي والقيادة هي أهم السمات المعروفة على نطاق واسع، والمكروهة عموماً في المجتمع البلوشي. وتحت الإدارة التقليدية التي وضعتها قبائل البلوش، فكل قبيلة لها جيرگا منفصل (مجلس الشيوخ)، يشكل محكمة قانونية[2]. وقد دخل هذا النظام في جميع الطبقات الإدارية للقبيلة، حيث تعمل الجيرگا على مستوى القبيلة تحت قيادة السَردار. وجميع الشخصيات الأخرى في إدارة القبيلة مثل المقدم، والواديرا والمعتبر، هم من أعضائها. وبجانب ذلك، عملت الجيرگا (جَرگه) على كافة المستويات الإدارية للقبيلة، وهي تعمل أيضاً كرأس القبيلة. وتتعامل الجيرگا على هذا المستوى مع المسائل الهامة فيما يتعلق بالمنازعات الناشئة بين القبائل، ولانتخاب الخان الجديد(*)

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 9.

(2) Mohammad Usman Hassan, Balochistan: Mazi. Hal aur Mustagbel (Balochistan: Past, Present and Future), Karachi: Indus Publications, 1976, pp. 174-176.

(*) الخان لقب ملوك الدولة الكلاتية في بلوشستان.

أو التهديدات الخارجية المحتملة. وكان رئيس الكونفدرالية نفسه هو من يرأس هذا المجلس[1].

بقيت الجيرگا على حالها لفترة طويلة، وساعدت البلوش على التعامل مع حالة غياب الحكومة، والفوضى وحالات الطوارئ، مزودةً المجتمع البلوشي ببنية تاريخية واجتماعية وسياسية[2]. ومع ذلك، وفي ظل الحكم البريطاني في القرن التاسع عشر، بدأ نمط جيرگا البلوش التقليدي بالتغير، حين قدم السير روبرت ساند مان بعد أن أدرك التركيب السياسي لبلاد البلوش تماماً، نوعاً جديداً من الجيرگا، وهي «شاهي ـ جيرگا» (المجلس الأعلى أو مجلس سردارات القبائل الرئيسية) التي لا يمكن الجلوس فيها إلا للسردارات والأرستقراطيين[3]. وكانت تعقد اجتماعات شاهي ـ جيرگا في كويتا، وسيبي، وقلعة مونرو، مرة أو مرتين في السنة. ويمكن للجيرگا الجديدة فرض ضرائب على الملكيات والعمالة، ويمكن للوكيل السياسي فقط النظر في قراراتها[4]. وكما يوضح جان محمد، فقد كانت الشاهي ـ جيرگا، آلية ماكرة للحكم غير المباشر مع منح سلطات لبعض المختارين بعناية من شيوخ القبائل الموالين للبريطانيين والمستعدين للتحرك ضد شعبهم[5].

والمؤسسة الأخرى الراسخة والمعروفة على نطاق واسع في المجتمع البلوشي هي النظام السَرداري. ويبدو أن هذا النظام نشأ في الفترة المغولية من التاريخ الهندي، ولكن يعتقد أنه قد اتخذ شكله الحالي في وقت متأخر نوعاً ما، في خلال فترة الحكم الاستعماري البريطاني. وعلى النقيض من مفهوم المساواة بين البشر السائد في التنظيم القبلي بين البشتون المجاورين، فإن النظام السرداري وإلى حد كبير مركزيٌ وهرمي[6]. فقمة هذا النظام هي السَردار، الذي من مركزه الوراثي والمركزي تتدفق القوة نزولاً إلى الواديرات، وهم رؤساء الأقسام، ومن بعدهم إلى قادة العشائر المرؤوسة والوحدات القبلية الأقل شأناً. وربما تنبع سلطة السردار غير العادية داخل هذا الهيكل من الطابع

(1) Ibid., and see also IOR. R/1/34/52.

(2) Syed Abdul Quddus, The Tribal Balochistan. pp. 85-86.

(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 164.

(4) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan. p. 260.

(5) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 164.

(6) Fredrik Barth, «Pathan Identity and its Maintenance», in: Fredrik Barth, (ed.), Ethnic Group and Boundaries. Boston, 1969, pp. 117-34.

العسكري للمجتمع البلوشي القبلي القديم[1]. ويحتمل أيضاً أن هذه السلطة نشأت من متطلبات اقتصاد البلوش الرعوية. وعلى ما يبدو فإن الهجرات الموسمية لرجال القبائل والعزلة في مخيمات صغيرة متناثرة أعطت مبرراً لظهور شخصية مركزية قوية ومحترمة، يمكن لها الحصول على أراضي المرعى والمياه، وتنظيم الممرات الآمنة عبر أراضٍ معادية للرعاة وقطعانهم، وبطريقة أخرى توفير درعٍ ضد البيئة القاسية بشكل كبير.

لقد تغير الكثير من النظام القبلي مع الحداثة. ولقد تم تحديه للمرة الأولى بتحديد الحدود الدولية في نهاية القرن التاسع عشر. قسمت الحدود الجديدة بلوشستان بين ثلاث دول، وقسمت بعض القبائل الكبيرة بين الدول، وحظرت الهجرات الصيفية والشتوية التقليدية للبدو الرحل وشبه الرحل. فتم تقسيم قبائل سَنْجراني، ناروئي، ريگي، وبراهوئي بين أفغانستان وإيران وبلوشستان البريطانية. أما التحدي الثاني فوقع بين الحربين العالميتين، حينما أخمد البريطانيون والفرس إلى حد كبير ثورات بلوشستان. ومنذ عام 1928، وطهران تستخدم جيشها لإخضاع البلوش بالقوة، وفي كثير من الأحيان أبادت قبائل بأكملها في عملياتها[2].

أوهن القبائل إنهاء النظام الاقتصادي البدوي التقليدي. وفي حالة بلوشستان الإيرانية، أدخل رضا شاه قانون تسجيل الأراضي لفرض التوطين. وبهذا أصبحت الأرض التي كانت تعتبر في السابق ملكاً للقبيلة ككل، ملكية حصرية لرئيس القبيلة، الذي باسمه تم تسجيل الأراضي. ومع دخل الإيجارات، أمكن الآن للرؤساء الانتقال إلى المدن والبلدات. وهذا ما زاد في المسافة التي تفصلهم عن القبيلة. ولم يعد بالإمكان للمزارعين المستقرين، المقيدين بالأرض من خلال الديون والعقود، الاصطفاف مع شيوخ القبائل المتصارعة. وهذا ما زاد من سيطرة مالك الأرض على الفلاحين، ولكن مع انخفاض ولاء الفلاحين للملاك بحلول العلاقات النقدية محل علاقات القرابة أو المصالح الذاتية المتبادلة، فقد المجتمع البلوشي تماسكه، ولجأ كل من المالك والمستأجر إلى الحكومة المركزية لحماية «حقوقهما».

وبالتوازي مع تراجع وتفكك القبلية في بلوشستان الإيرانية، فقد أيضاً السردارات

(1) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan: its Strategic Importance, p. 41.

(2) Philip Carl Salzman, «Why Tribes have Chiefs: A Case from Baluchistan», p.281.

فيها قاعدتهم من النفوذ والسلطة. وقد كانت هذه هي الحال ولا سيما خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، فقد قوض بشكل كبير الهيكل الاجتماعي والاقتصادي القبلي من خلال النمو السريع في التحضر، والتوسع في وسائل الاتصال الحديثة، وانتشار التعليم الحديث، وبدء التحديث الاقتصادي في الإقليم. وهذه التغيرات بدورها جلبت معها نخبة بلوشية جديدة مُعرفة بالطبقة المتوسطة. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن تعاون السردارات مع نظام الشاه الذي يمثل «الگجَر الشيعة»(*)، عمل على تقويض شرعيتهم السياسية التقليدية بين أتباعهم من الفلاحين والبدو الرحل.

وبالتالي فإن التنظيم الاجتماعي التقليدي للبلوش تغير إلى حد كبير عبر الزمن. وهناك الآن على نطاق واسع وعي قومي بلوشي يتخطى الانقسامات القبلية[1]. ولكن إسلام آباد وطهران، تجاهلتا نشوء القومية، وتميلان في تفكيرهما عن المجتمع البلوشي من حيث طابعه القبلي والأنماط التنظيمية التقليدية فحسب. ومعظم السردارات يحاولون الحفاظ على امتيازاتهم من خلال تجنب ربطهم مباشرةً مع الحركة القومية، في حين يبقون الباب مفتوحاً لدعم القضية القومية في حال المواجهة بين البلوش والحكومة المركزية، كما هي الحال بالنسبة للثورة 1973 ـ 7[2]. وبالمثل، ألحقت الثورة الإيرانية عام 1979 الضربة الأكثر أهمية ضد تأثير السردارات في بلوشستان الغربية.

غير أنه في المجتمع القبلي التقليدي، لن تكون أيديولوجية سياسية مثل القومية البَلوُشية قادرة على كسب التأييد، وذلك لأن الولاءات القبلية، لا تمتد إلى كيانات وإنما إلى القبائل الفردية. ففشل القبائل في التوحد تحت مظلة القضية القومية البَلوُشية، هو إنما استجابة للسلوك القبلي إلى كل من الثورات البَلوُشية في إيران وباكستان. وضمن القبائل، شخصية الفرد تستند إلى انتمائه إلى جماعة كبرى. وهذه الجماعة الأكبر، ليست الأمة، ولكن القبيلة. وبالرغم من ذلك، لا ينبغي الاستهانة بأهمية نهوض حركات غير قبلية، وأوسع شمولاً من الهياكل القبلية. وفي هذا الصدد،

(*) گجر هو ما يطلقه البلوش على الفرس منذ عهد الدولة القاجارية، وهو اللفظ البلوشي لاسم (قاجار) السلالة الحاكمة لبلاد فارس قبل النظام البهلوي.

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 21-22.

(2) مقابلة مع داود خان أحمد زئي.

تقدم لنا الحركات البَلوُشية مثالاً جيداً في عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين.

في فترة ما بعد الاستعمار كان التغيير الواضح في المجتمع البلوشي، كما نوقش في هذا الفصل، هو ازدياد عدد السكان الحضر، ويرجع ذلك أساساً إلى إنهاء القبلية وبعض الإصلاح الزراعي في عهد أيوب خان وذو الفقار علي بوتو. وقدمت المفاضلة والتخصص في الاقتصادات الحضرية طوراً اجتماعياً جديداً. وتشكلت قوة بلوشية صغيرة عاملة في صناعات المناجم، والبناء، وعدد قليل من المصانع. وتطلبت ورش العمل الصغيرة ميكانيكيي السيارات، والكهربائيين، والسباكين، والرسامين، بينما وظفت الخدمات والناقلات آخرين كثراً. وظهرت برجوازية حديثة، ضمت عموماً الأطباء والممرضين والمهندسين والمدرسين ومديري المصارف والمحامين والصحفيين، بدلاً من أصحاب المشاريع. وسافر المهاجرون للعمل بعيداً حتى دول الخليج العربي.

وبالتالي، ومع ظهور طبقة بلوشية متوسطة، حتى ولو كانت صغيرة، انخفض الدور التقليدي للسردارات، ويبدو أن النخبة البلوشية المثقفة هي أكثر حرصاً على تحمل دورها السياسي. وبتسليط الضوء على التغييرات الجديدة في المجتمع البلوشي، كتب محمد علي في عام 1993، وهو مختص في سياسات جنوب آسيا، أنه «في غياب الزعماء التقليديين، عجلت ديناميكية التغير الاجتماعي والاقتصادي بظهور نوع جديد من الزعماء، بين الرجال الأصغر سناً من «العامة»، أي، من غير النسب السرداري»[1]. وقد استنبط البلوش الإيديولوجيا القومية، ولكن أدركوا أن الدعم القبلي لا يزال يشكل عنصراً حاسماً في إمكانية نجاح أي حركة قومية. وبالموافقة على دعم القبائل وقع القوميون عرضة للصراعات القبلية.

النشأة الاقتصادية

في عام 1892، صرح اللورد كُرزون أن البلوش في معظم أرجاء بلوشستان، كانوا حضراً ورعاة[2]. وعلى الرغم من مرور ما يقرب من المئة عام وزيادة التحضر،

(1) Mahmud Ali S., The Fearful State: Power, People and Internal war in south Asia, London, 1993, p. 153.

(2) George N. Curzon. Persia and the Persian Question, pp. 260-61.

لا يزال تصريح كرزون صحيحاً إلى حد كبير (مع أن هناك زيادةً في عدد المزارعين وانخفاضاً في عدد الرعاة). وكتب سِليگ هاريسون، المتخصص البارز في موضوع القومية البلوشية، واصفاً الاقتصاد البلوشي في مطلع ثمانينات القرن العشرين: «بدلاً من الاعتماد على الرعي البدوي أو الزراعة المستقرة فقط، يمارس معظم البلوش مزيجاً من الاثنين من أجل البقاء على قيد الحياة»[1].

ويرجع تأريخ مظالم البلوش الاقتصادية إلى العهد البريطاني. فبينما طور البريطانيون الصناعات والزراعة في إقليمي السند والبنجاب ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية، تجاهلوا بلوشستان. وبالتالي، فهناك رأي منتشر على نطاق واسع هو أن الحكام البريطانيين أهملوا التنمية الاقتصادية في بلوشستان[2].

وربما لم تكن مجرد حالة من الإهمال، ولكن ما يمكن أن يطلق عليه تعمد صرف الشيء عن وجهته، بل حتى القمع[3]. وبالطبع فقد كان لدى البريطانيين مصالحهم الامبريالية الخاصة لحمايتها. وكما يناقش إعجاز أحمد، وهو كاتب باكستاني ماركسي، فإن المصلحة البريطانية الامبريالية في بلوشستان ليست اقتصادية في المقام الأول، بل كانت ذات طبيعة عسكرية وجيوسياسية[4]. وما حدث في كابول وكندهار وما أبعد في آسيا الوسطى كان ذا أهمية أكبر لهم في لعبتهم الكبرى مع القياصرة وفيما بعد مع البلاشفة. فبلوشستان سيطرت على بعض أكثر الطرق أهمية بالنسبة إلى أفغانستان وآسيا الوسطى. ووفقاً للخبير العسكري، سيد إقبال أحمد، كانت بلوشستان رقعة الشطرنج التي لعبت عليها اللعبة الكبرى[5]. وكان يعتقد الحكام البريطانيون على الأرجح أن بلوشستان واهنة اقتصادياً وسياسياً تصلح أكثر لاستغلالها بسهولة. ومن ناحية أخرى فيمكن لبلوشستان مزدهرة اقتصادياً ومتحدة أن تصبح متمردة وأن تقيم علاقات مع الإمارات غير الموثوق بها في المنطقة المجاورة[6].

---

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 8.
(2) Dawn. Delhi, February 1, 1946, p. 4.
(3) مقابلة مع القادة البلوش، نواب أكبر بگتي، د. عبد الحي بلوج، د. عبد الملك بلوج، محمد أكبر بلوج.
(4) Aijaz Ahmad, «The National Question In Baluchistan», in: Feroz Ahmed (ed.), Focus on Baluchistan and Pushtoon Question, p 20.
(5) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan: its Strategic Importance. Karachi: Royal BookCompany, 1992, pp. 70-85.
(6) Nicholas Mansergh, The Transfer of Power 1942-7. Vol.XII., (London: Her Majesty's Stationery Office, 1982) No. 317, August 2, 1947, p. 480.

ومتحدثاً عن ساندمان، كتب إعجاز أحمد: «أبقى بلوشستان متخلفة، لأنها بذلك تخدم هدف الامبراطورية البريطانية»[1].

على الرغم من هذا الإهمال، وبمرور الوقت، أحدث الحكم البريطاني بعض التغييرات في بلوشستان. فقد كانت بلوشستان متصلة مع الهند البريطانية وإيران وأفغانستان. وفي بداية القرن العشرين، كان إجمالي طول السكك الحديد 481 ميلاً. وفي عام 1903، كان مجموع طول الطرق والمسارات 1,128 ميلاً[2][*]. وهكذا، شجع ذلك التجارة والتبادل التجاري، وخلقت الادارة وفرة من المهن الجديدة ذات وضع اجتماعي ونفوذ. وتطلب نظام التعليم الجديد المدرسين، وتطلبت الأدوية الجديدة الأطباء. وأدى كل هذا إلى ظهور الطبقة الوسطى. وسمح إدخال السكك الحديد بتيسير الحركة السريعة والسهلة، وأدى إدخال الخدمات البريدية والتلغرافية الحديثة إلى تقصير المسافات وتبادل الأفكار. وأفضت كل هذه التطورات التدريجية في نهاية المطاف إلى ظهور الوعي القومي البلوشي والحراك القومي في بلوشستان الشرقية في عشرينيات القرن العشرين[3].

ورغم الضم (عام 1948)، بقي معظم بلوشستان محروماً جداً. فمنذ مطلع خمسينيات القرن العشرين، سيطر البشتون على معظم الحياة التجارية التي سيطر عليها سابقاً الهندوس السنود. ثم تدخل البنجابيون واشتروا بعضاً من أفضل الأراضي الصالحة للزراعة، فعلى سبيل المثال، في منطقة پت فيدر بالقرب من كلات، وزعت الأراضي بين البيروقراطيين العسكريين والمدنيين تحت حكم أيوب خان. وكانت الإدارة الإقليمية بنجابية في الغالب، وكان عدد قليل من موظفي الخدمة المدنية العليا من البلوش. وبالمثل، فإن الغالبية العظمى من فئة أصحاب المشاريع هم من غير البلوش، باستثناء بعض القطاعات مثل محاجر المرمر وتكسير السفن للخردة الصلبة. ووفقاً لاستطلاعات أولية، فالمياه الجوفية، فضلاً عن الموارد المعدنية متوافرة بكميات كبيرة في بلوشستان[4]. ولكن البنية التحتية المتخلفة للإقليم جعلت من الصعب استغلالها.

---

(1) Aijaz Ahmad, «The National Question in Balochistan», pp. 21.23.
(*) للمزيد عن المشاريع البريطانية والتنافس الروسي ـ البريطاني في بلوشستان، انظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، القسم التاريخي.
(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 23.
(3) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, pp. 203-208.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 162-66.

شمل التعداد السكاني لعام 1901 ست مدن فقط، وكان إجمالي عدد سكان المناطق الحضرية في بلوشستان أربعين ألف نسمة أو خمسة في المئة من مجموع السكان. وكانت مدينة كويتا هي الأكبر، ويبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألف نسمة، وكان عدد سكان المدن الأخرى يراوح بين 2,000 و4,500 نسمة. وخلال الثمانين سنة المقبلة، ارتفع عدد سكان المناطق الحضرية إلى670,000 (16٪ من عدد السكان الإجمالي). وارتفع عدد المدن الكبيرة إلى ست عشرة مدينة بحلول عام 1981، وراوح عدد سكانها من 8,000 إلى 285,000 نسمة[1]. ومع ذلك، فإن الجزء الأكبر (43٪ من مجموع سكان المناطق الحضرية لعام 1981 كان لا يزال في كويتا (285,000)، لورالاي (11,000) قلعة ساندمان (ژوب) (33,000)، تُربَت (52,000)، پَنني (18,000)، مَستونگ (17,000)، گوادَر (17,000)، چَمَن (30,000)، سيبي (23,000).

وشهدت بلوشستان وفقاً لتعداد (1981)، زيادة في مجموع السكان بمقدار 431٪ مقارنة بعام 1901. وكما هو مبين في قسم التركيبة السكانية، شهدت بلوشستان في سبعينيات القرن العشرين زيادة في عدد السكان تصل إلى 77.23٪. وتضاعف عدد السكان في المدن الرئيسية، أي كويتا، تُربَت، هَبْ، خلال العقد الماضي. لكن على الرغم من هذا النمو الحضري المذهل، فالغالبية العظمى من السكان لا يزالون يقيمون في الريف (84٪). وكان تعداد السكان في عام 1981، هو 4.3 ملايين نسمة[2]. وقد حدثت الزيادة العامة بفعل عوامل كثيرة، ومن أهمها ببساطة هو تغطية أفضل للمناطق وتعداد أكثر دقة. وعلى سبيل المقارنة، كان في عام 1978، عدد سكان الحضر في بلوشستان الإيرانية ستة وعشرين في المئة[3] من أصل مجموع السكان البالغ 659,297 نسمة.

وبمقارنته بغيره من الأقاليم الثلاثة الأخرى البنجاب والسند والإقليم الحدودي الشمالي الغربي، كان إقليم بلوشستان في سبعينيات القرن العشرين، أكثر الأقاليم

(1) Government of Pakistan, 50 Years of Pakistan in Statistics. Vol. III (1972-82), Karachi,1997, p. 6.

(2) Government of Baluchistan, Development Statistics of Baluchistan, Vol. 1, No. 10,Quetta, 1980-81.

(3) Government of Iran, Shonasai-e Mokhatasar-e Ostan Sistan wa Balochistan, Zahedan, 1358/1980, p. 1.

المهملة والفقيرة في باكستان. ففي عام 1976، كان الدخل السنوي للفرد هو أربعة وخمسين دولاراً بالمقارنة بثمانين دولاراً للبنجاب، وثمانية وسبعين دولاراً للسند، وستين دولاراً للإقليم الحدودي الشمالي الغربي[1]. وفي عام 1977 كان متوسط العمر المتوقع في المناطق الريفية لبلوشستان هو اثنين وأربعين عاماً مقارنةً بالمعدل الوطني البالغ ستين عاماً[2]. وبالمثل، كان المتوسط الوطني للأمية هو ستة عشر في المئة، في حين أنه كان في بلوشستان من ستة إلى تسعة في المئة[3]. وبالنسبة إلى البلوش، لا يمكن إيجاد مبرر لمثل هذه الفجوة الاقتصادية في ضوء ما تحويه بلوشستان الغنية بالموارد البحرية على امتداد ساحل بمئات الأميال، وكذلك بمواردها البرية المعدنية بما في ذلك الفحم والغاز الطبيعي والنحاس واليورانيوم والمرمر، وما إلى ذلك[4]. وبصرف النظر عن المعادن والغاز واحتمالات وجود احتياطيات نفطية ضخمة لا يزال استغلالها ضرورياً، تنتج بلوشستان أكثر من سبعين ألف طن متري من الأسماك البحرية سنوياً، وتوفر بذلك نقداً أجنبياً يصل قيمته إلى خمسمئة مليون دولار. وكان دخل الحكومة الفدرالية من الغاز أكثر من 10,426 مليون روبية في 1976 ـ 1977[5].

من بين المظالم الأخرى، يؤكد البلوش أنهم لم يستفيدوا من الموارد المعدنية التي تم استغلالها في وطنهم حتى الآن. وكان التركيز الأكبر في النزاع هو الغاز الوطني. حيث تم اكتشاف الغاز في بلوشستان عام 1952، وتم إيصاله إلى الأحزمة الصناعية في السند والبنجاب، وترك البلوش «الحرق الأخشاب المستوردة بالشاحنات من السند»[6]. وبالمثل، عندما اكتشف حقل آخر للغاز يحوي ما مقداره نصف الاحتياطيات التي تم اكتشافها في سيوي في حقل پير كوه القريب في عام 1977، أعلن المسؤولون الباكستانيون على الفور خطط مد الأنابيب إلى المراكز الصناعية المطورة

(1) Shahid Javed Burki, Pakistan Under Bhutto. p. 94.

(2) Robert Wirsing, «South Asia: The Baluch Frontier Tribes of Pakistan», in: Protection of Ethnic Minorities, Comparative Perspective, ed. Robert G. Wirsing. New York: Pergamon, 1981, p. 18.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 161.

(4) Mir Khuda Bakhsh Bijrani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan. pp.269-81.

(5) Mujahid Brailvi, Balochistan - What is the Issue?. Quetta, 1984.

(6) New York Time, February 15, 1980; see also, Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 161-68.

مسبقاً في البنجاب والسند، متجاهلين بذلك بلوشستان تماماً. وعلاوة على ذلك، تم جني 10،000 مليون روبية من المعادن، وأيضاً 400 مليون روبية من النقد الأجنبي من ساحة تكسير السفن للخردة الصلبة في گداني عام 1975[1]. وفي عام 1977 احتجت جبهة التحرير الشعبية البلوشية (BPLF) أن باكستان تعد بلاد البلوش «ملكية واسعة للنهب، وصحراء قاحلة تعوم على النفط والمعادن. وكان جزء كبير من استراتيجياتها السياسية موجهة بالرغبة في استخراج هذه الثروات الطبيعية لصالح البرجوازية البيروقراطية الباكستانية والمصالح الأجنبية الامبريالية. لأن الأوليغارشية الباكستانية تحتاج إلى نفط ومعادن بلوشستان للتغلب على الأزمة الاقتصادية التي تجتاح البلاد كلها»[2].

ووفقاً للقوميين البلوش، لم يكن شعب بلوشستان من المستفيدين من الموارد والدخل الضخم الذي منحه الإقليم للخزانة الفيدرالية. فقد حصلت بلوشستان على ضريبة رمزية فحسب من انتاج غاز سيوي.

فخلال 1979 ـ 1980 تلقت بلوشستان 23 .1 مليون دولار فقط. وفي هذا الصدد، كتب خُدا بكش مَري، رئيس المحكمة العليا السابق وحاكم بلوشستان السابق:

«هل يمكن لأحد أن يقول بصراحة أن بلوشستان متخلفة اقتصادياً وغير قادرة على إمداد أسباب الحياة لسكانها ذوي العدد الضئيل الذي يصل إلى 4.5 ملايين نسمة. وحيث يتم إنتاج نحو مليون طن متري من الفحم سنوياً في بلوشستان. وإذا قدر سعر البيع بين 600 ـ 700 روبية للطن الواحد، فإن الناتج الإجمالي سيكون بين600 ـ 700 مليون روبية سنوياً. ومثل هذه الأموال يتم تحصيلها أيضاً عن طريق تصدير المرمر وغيره من المعادن، من مناطق مختلفة من بلوشستان. وبهذا فمجرد إيرادات أرض بلوشستان كافية لدعم سكانها»[3].

في الثاني عشر من ديسمبر عام 1947، قال رئيس الحزب القومي في المجلس غوث بكش بيزَنجو حين رفض اقتراح الانضمام: «لدينا المعادن ولدينا النفط، ولدينا الموانئ. يجب أن لا نسمح باستعبادنا بحجة الجدوى الاقتصادية»[4]. بلوشستان،

---

(1) Dawn, (Karachi) 25th April 1975.

(2) Jabal, July 1977. p. 6.

(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, A Judge May Speak. Lahore: Feroz Sons LTD, 1990, p. 166.

(4) Mir Ghaus Bakhsh Bizenjo quoted in: Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 175.

وكما يؤكد القوميون البلوش، لديها أغنى الموارد في جنوب غرب ـ آسيا. حيث يقول جان محمد: «إن نصيب الفرد من الدخل في بلوشستان لو كانت كامل مواردها تحت تصرفها، سيكون واحداً من أعلى المعدلات في العالم»[1]. وهناك الكثير مما يجب النظر فيه من هذه الادعاءات. وبصرف النظر عن مواردها الطبيعية والموانئ البحرية ومصائد الأسماك، تمتلك بلوشستان العديد من الأودية والسهول الخصبة، التي كانت مركز المدن والقرى للقسم الأكبر من سكانها المستقرين على مر التاريخ. وتركزت الحياة الزراعية في الوديان الخصبة لمَكُران في الجنوب، وسهول لاس بيلا وكچي الغنية في جنوب شرق البلاد، ومنطقة بَمپور المروية من النهر الذي يحمل الاسم نفسه في الشمال الغربي، والعديد من الواحات الزراعية الأخرى المنتشرة في جميع أنحاء البلد. في أواخر سبعينيات القرن العشرين، قدر سِليگ هاريسون أن من أصل ما مجموعه 85 مليون دونم من المساحة القابلة للزراعة في إقليم بلوشستان الباكستاني، فإن 3,3 ملايين دونم هي المحروثة والمروي منها 800,000 فقط[2].

تقوم مظالم البلوش على عوامل عديدة وعميقة الجذور في نفسيتهم. ومن بين الشكاوى الرئيسية، التي يقدمها البلوش هي مسألة إعادة رسم حدود الأقاليم على أساس لغوي، ما من شأنه أن يقلل من نفوذ الپشتون في بلوشستان ويعطي البلوش أغلبية واضحة. وعندما جاء حزب عوامي القومي إلى السلطة في عام 1972، اقترح رئيس الوزراء عطاء الله مينگل، أن المناطق الشمالية الپشتونية في بلوشستان ينبغي أن يتم تحويلها إلى الإقليم الحدودي الشمالي الغربي، في حين ينبغي أن تضم مناطق البلوش في السند والبنجاب (أي ديره غازي خان وجيكوب آباد) إلى بلوشستان[3].

وثمة مظلمة أخرى رئيسية يعبر عنها القوميون البلوش هي أنه حتى في المناجم والصناعات القليلة المحلية، يحصل الدخلاء على أفضل الوظائف. وقد احتجت جبهة التحرير الشعبية البلوشية في منشورها الرسمي الناطق باسمها جَبَل، أنه من بين أربعين عاملاً في منجم گونگا لمعدن الباريت قرب خُزدار عام 1975، تلقى خمسة عشر من

---

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 273.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 9.

(3) Ibid., pp. 190-91; and see also, Sardar Ataullah Mengal's statement in the daily Dawn.Karachi, 30th June 1972.

غير البلوش رواتب أعلى من العمال البلوش هناك بثلاث مرات[1]. وذهبت المناصب العليا من المهندسين وغيرهم من الموظفين الفنيين إلى عمال من إقليم البنجاب أو كراچي. ولم يكن للمؤهلين من المهندسين والفنيين البلوش أي ذرة من الفرص عند تكتلات أصحاب الألغام[2]. وكان هناك اتفاق عام على أن البلوش ممثلون تمثيلاً ناقصاً بشكل صارخ في وظائف الخدمة المدنية، وبالتالي لن يكون لهم سوى رأي ضعيف أو لا رأي في القرارات الحكومية التي شكلت حياتهم الاقتصادية. ووفقاً لسليگ هاريسون، فإن باكستان وإيران اتبعتا سياسات اقتصادية مماثلة بشكل عام نحو بلوشستان في معظم مجالات التنمية الاقتصادية، بتجاهل العديد من المجالات الحيوية، مثل تنمية الموارد المائية، مع إعطاء اهتمام غير متناسب للمجالات الأخرى، لاسيما مثل بناء الطرق، لأسباب عسكرية[3]. وما هو مقلق بالقدر نفسه للبلوش، تزايد عدد المستوطنين من الأقاليم الأخرى وزراعتهم لأراضي بلوشستان الصالحة للزراعة المحدودة في مثل كچي ولاس بيلا[4]. ونتيجة لذلك، اضطر العديد من البلوش للعمل في المناطق القاحلة أكثر وأقل في الحقول الزراعية المناسبة، وهو عامل ألحق أضراراً جسيمة بالاقتصاد البلوشي ككل.

الإهمال المستمر عمق الشعور بالحرمان والشعور بالكراهية ضد إسلام آباد بين البلوش. ففي عام 1997، شكا الدكتور عبد الحي، عضو الجمعية العامة ورئيس حركة بلوشستان القومية (BNM)، أن بلوشستان تشكل حوالي ثلاثة وأربعين في المئة من مجموع طول الطرق في باكستان، ولكن حصتها في الميزانية المخصصة لبناء الطرق هي أقل من خمسة في المئة[5]. وبالإضافة إلى ذلك، أعرب البلوش عن مظالم شديدة في افتقارهم إلى التمثيل النسبي في البيروقراطية الباكستانية والقوات المسلحة أو في الإدارة الإقليمية لبلوشستان. ووفقاً لتعداد عام 1981، فإن حصة الإقليم للتعيين في الوظائف المدنية ضمن الحكومة الاتحادية، تم تحديده بـ 2.5٪ من مجموع الشواغر في باكستان. وكان هذا كما هو واضح على أساس عدد سكان الإقليم، الذي كان

(1) Jabal. November 1977, p.3.

(2) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, A Judge May Speak, p. 167.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 167.

(4) Ibid., p. 9.

(5) مقابلة مع د. عبد الحي بلوچ.

4,305,000، مشكلاً 2.5٪ من مجموع سكان البلاد. بيد أن هذا لم ينفذ وبقي حبراً على الورق، وفقاً للوزير الإقليمي للتنمية الساحلية، علي كچكول بَلوُچ[1]. وفي عام 1997، شكا علي كچكول بَلوُچ أنه على الرغم من أن 750 كم من الساحل يعود إلى بلوشستان من مجموع 1100 كم من ساحل باكستان، فإنه ليس هناك بحار واحد في القوات البحرية ينتمي إلى بلوشستان[2].

مظالم البلوش هي نتيجة لهيمنة البنجابيين على الادارة. حيث يمسك قادة البلوش بمناصب رئيسية قليلة جداً في الحكومة المركزية، بحيث لا يمكنهم من خلالها ممارسة تأثير في مسار السياسة. وعلى سبيل المثال، وفقاً لدراسة، فإن من بين 179 شخصاً تمت تسميتهم لمجلس الوزراء المركزي في باكستان بين 1947 ـ 1977، كان أربعة منهم فقط (أي 2. 2 في المئة) بلوشاً من بلوشستان، وواحد منهم فقط تمت تسميته قبل سبعينيات القرن العشرين[3]. وحتى القرارات التي اتخذت داخل الإقليم خلال هذه السنوات كان من المرجح أكثر أن تكون اتخذت من قبل غير البلوش. ووفقاً لصحيفة نيويورك تايمز في الخامس عشر من فبراير 1980، من ما يقرب من أربعين ألف موظف مدني في جميع المجالات في بلوشستان عام 1972، في بداية فترة حكم حزب عوامي القومي (NAP)، كان حوالى ألفين (خمسة في المئة) فحسب من البلوش. ووفقاً للمصدر نفسه، فقد كانوا عموماً يمسكون بمناصب متدنية[4]. وكانت المرة الوحيدة التي كان فيها البلوش قادرين على تولي مناصب صنع القرار في الإقليم هو أثناء فترة الحكم الذاتي القصيرة عام 1972، كما هو موضح سابقاً. ومع ذلك، في هذا الصدد، فالسجل الباكستاني أفضل من الإيراني، حيث لم يمسك البلوش حتى الآن بأي حقيبة وزارية.

(1) Monthly, Balochi Labzank. Hub (Balochistan), September 1997, p. 6.

(2) Ibid.

(3) Mozaffar Shaheen, The Politics of Cabinet Formation in Pakistan: A Study of Recruitment to the Central Cabinets. 1947-1977. Ph.D. dissertation, Miami University, Ohio, 1980.

(4) New York Times. February 15, 1980; Wall Street Journal. February 15, 1980, p. 1; Salamat Ali, «Balochistan: An Upheaval is forecast», in: Far Eastern Economic Review. October 19, 1979, pp. 40-42; Robert G. Wirsing, «South Asia: The Baluch Frontier Tribes of Pakistan», in: Robert G. Wirsing (ed.), Protection of Ethnic Minorities, Comparative Perspective. New York: Pergamon, 1981, p. 293.

فبعد أن أطلق «الثورة البيضاء» في عام 1962، بدأ الشاه بسلسلة من الإصلاحات التي تهدف إلى المضي قدماً بالوضع الاقتصادي والاجتماعي العام للبلد. ووفقاً لسالزمان، بحلول نهاية ستينيات القرن العشرين، كانت تجري مجموعة متنوعة من برامج التنمية في سيستان وبلوشستان، وقد تم وضع خطط لتحسين الطرق، وتسويق الحرف اليدوية، ومشاريع الري، وكذلك خدمات تعليمية وصحية وبيطرية إضافية[1]. وفي أوائل سبعينيات القرن العشرين بدأ بناء قاعدة جوية وبحرية ضخمة في چَهبار على ساحل بلوشستان. وبتأسيس سازمان توسعه بلوچستان (منظمة تنمية بلوشستان) في عام 1973، فإن حكومة الشاه زادت بشكل كبير مخصصات التنمية في الإقليم، ووضعت خطط لبناء البنية التحتية الاقتصادية لأول مرة[2].

وكما لوحظ من قبل هاريسون، بلغت في عام 1972، نفقات الحكومة لتنمية الإقليم سبعمئة وخمسين ألف دولار في السنة، بينما في العام التالي جرى الحديث عن زيادة هذا الرقم إلى مئة مليون دولار على مدى السنوات الخمس التالية وذلك بالتزامن مع الخطة الخامسة للتنمية (1973 ـ 1978)[3]. وكتب في عام 1972، وزير بلاط الشاه، أسد الله علم، في يومياته، أن الشاه كان حريصاً على الحصول على الائتمان الأميركي لتطوير ميناء بلوشستان (چَهبار)، الذي كان حاسماً للسيطرة على المحيط الهندي وللتقدم الاقتصادي في بلوشستان[4].

من الواضح، أن الإقليم لم يكن حتى أواخر سبعينيات القرن العشرين، مندمجاً في نظام الاتصالات والتجارة، والتيارات الفكرية في البلاد. ومنذ ذلك الحين زاد نظام الشاه مخصصات التنمية، وتوسيع نطاق المرافق التعليمية، وأقام مؤسسات التعليم العالي للمرة الأولى مثل جامعة بلوشستان، وبنى أول شبكة من الطرق المعبدة. ومع ذلك، فبسقوط نظام الشاه في عام 1979، بقيت معظم تلك البرامج غير مكتملة.

المؤشرات التالية تقدم أمثلة جيدة لسياسات الشاه الاقتصادية تجاه البلوش. في عام 1972، قدر نصيب الفرد من الدخل السنوي في الإقليم 975 دولاراً بالمقارنة

(1) Philip C. Salzman, «National Integration of the Tribes in Modem Iran», in: Middle East Journal. 25, No. 3 (Summer 1971), pp. 332-33.

(2) Asadollah Alam, The Shah and I. p. 229.

(3) Selig S. Harrison. In Afghanistan's Shadow, p. 99.

(4) Asadollah Alam, The Shah and I. p. 229.

بالمعدل الوطني 2,200 دولار للمناطق الريفية، وأقل من الخمس إذا ما قورن بالمتوسط الوطني الشامل، كما بين سليگ هاريسون[1]. ومرة أخرى، وفي خلال الفترة نفسها (1971/ 72)، بلغ المتوسط الشهري للنفقات المنزلية للإقليم 5,012 ريالاً، مقارنة على سبيل المثال، بـ 8,711 ريالاً لأذربيجان الشرقية و8,329 لگيلان، وهما من الأقاليم الشمالية[2]. ومؤشر آخر للتنمية الاقتصادية هو معدل معرفة القراءة والكتابة. هنا، وكما أشير إليه في قسم النشأة الثقافية، فبلوشستان متخلفة كثيراً عن المتوسط الوطني الإيراني في ظل النظام البهلوي.

تميل برامج الشاه الاقتصادية لزيادة التفاوت الاجتماعي الاقليمي. فعلى سبيل المثال، في عام 1975 كان معدل معرفة القراءة والكتابة 62 في المئة في طهران، ولكن 26 في المئة فقط في سيستان وبلوشستان. وكانت النسبة المئوية للأطفال في المدارس 74 في طهران، ولكن أقل بما يصل إلى 40 في المئة في سيستان وبلوشستان. وبالمثل، كان لطهران طبيب واحد لكل 974 نسمة، وطبيب أسنان واحد لكل 5,626 نسمة، وممرضة لكل 1,820 نسمة، من ناحية أخرى، كان لسيستان وبلوشستان، طبيب واحد لكل 5,311 نسمة، وطبيب أسنان واحد لكل 51,663 نسمة، وممرضة واحدة لكل 27,064 نسمة[3].

وعلاوة على ذلك، فإن عدد السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية يروي قصة مشابهة. فوفقاً لأول تعداد جرى على مستوى الشعب في إيران عام 1956، أشار إلى أن 8.7 في المائة من السكان في سيستان وبلوشستان يعيشون في المدن[4]. وبعد عقد آخر، في تعداد عام 1966، كانت نسبة سكان المدن إلى سكان الريف في الإقليم 15.9 إلى 80[5]. وفي عام 1976، تغيرت هذه الأرقام إلى 26 و74 على التوالي، مما يدل على ارتفاع بنسبة 9 في المئة في عدد السكان في المناطق الحضرية[6]. وعلى

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 99.

(2) M. H. Pesaran, «Income Distribution and Its Major Determinants in Iran», Paper presented at Aspen-Persepolis Symposium, September 15-19, 1975, in Persepolis.

(3) Ervand Abrahimian, Iran Between Two Revolutions, p. 449.

(4) Djamchid A. Momeni, «The Population of Iran: A Dynamic Analysis», PhD Dissertation, The University of Texas at Austin, August 1970, p. 50.!% Ibid., p. 52.

(5) Ibid., p. 52.

(6) Government of Iran, Shonasae-I Mokhatasar-e Ostan Sistan-wa-Baluchistan. p. 1.

سبيل المقارنة، في 1977 ـ 1978، كان المعدل الوطني للقسم الحضري والريفي من السكان 1 .47 و9 .52 في المئة على التوالي. وهذه المقارنة تشير إلى أن ربع عدد السكان في الإقليم هم من سكان المدن بالمقارنة بما يقرب من نصف عدد السكان في البلد ككل(1). في كل سنة على التوالي، تنمو النسبة المئوية للسكان الذين يعيشون في المدن، ولكن بمعدل أبطأ من التحضر الجاري في بقية إيران(2).

هذه الإحصاءات تدعو إلى التساؤل عم إذا كان هذا التخلف مقصوداً أو من قبيل المصادفة. فالنظر الفاحص لإحصاءات الحكومة الايرانية يظهر أن تخلف التنمية الاقتصادية البلوشية كان منهجياً. فالفقر من ناحية، والاعتماد على الزراعة غير المتطورة أو الرعي البدوي للعمل من ناحية أخرى، في دولة نفطية «تحديثية» يدل على تمييز مقصود ضد البلوش من قبل نظام البهلوي. وفي أواخر سبعينيات القرن العشرين، وحسب ما قدر الكاتب القومي البلوشي محمد حسن حسينبور، فإن عدد البلوش في الادارة الاقليمية كان بالكاد أكثر من خمسة من مجموع موظفي الخدمة المدنية(3). ووفقاً لحسينبور، فحتى برامج التنمية المحدودة كانت «موجهة نحو البيروقراطيين الفرس والمهاجرين، الذين يعملون ويعيشون في الإقليم، لأن آراءهم وأصواتهم كانت هي المسموعة في طهران»(4). وهكذا أهمل نظام البهلوي بلوشستان في جميع المجالات التي حصلت على حصة ضئيلة من عائدات النفط الإيراني، ولم يكن فيها صناعات على نطاق واسع، ولم يكن فيها طرق السكك الحديد ما عدا خط السكة الحديد بين باكستان وإيران، التي قد بناها البريطانيون خلال الحرب العالمية الأولى، وطريق واحد اسفلتي بني للأغراض العسكرية خلال السنوات الأخيرة للنظام البهلوي.

ومثل البلوش في بلوشستان الشرقية، فالمظالم الاقتصادية للبلوش الإيرانيين متجذرة عميقاً. ويبدو أن تخلفهم كان نتيجة لأنماط التحديث الإيراني المبكر، كما

---

(1) Iran Yearbook 1977. p. 29. لكن في عام 1986 زادت نسبة التحضر بين سكان الإقليم إلى 41 في المئة (Hamid Ahmadi, Qaumiyyat wa Oaumgarai dar Iran: Az Afsaneh ta Waqiyyat. pp.265).

(2) ولكن في عام 1999، كان نصف سكان الإقليم يعيشون في المراكز الحضرية. انظر: Iran Statistical Yearbook: 1377 [March-1998-1991], Tehran, 2000, p. 62.

(3) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», p. 153.

(4) Ibid.

أنشئت من قبل رضا شاه بهلوي في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. وتركز التصنيع والبنى التحتية على الهضبة الإيرانية الوسطى التي تقطنها الإثنية الفارسية. وأبقى على هذا التحيز لاحقاً عهد التصنيع في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين لمحمد رضا شاه. وفي بداية ستينيات القرن العشرين، كشفت شركة ايطالية معروفة باسم تالكونسل موجهة من قبل الحكومة الإيرانية، أن الإقليم بالنسبة إلى الجزء الأكبر منه خصب، ومتشكل من طبقات بركانية فيها احتياطيات ضخمة من المياه الجوفية، فضلاً عن كونه غنياً بالمعادن، بما في ذلك الكروميت والنفط والفحم والمنغنيز والمرمر وخام الحديد والنحاس(1). وعلى الرغم من هذه النتائج الإيجابية لم تتخذ أي خطوة لتطوير هذه الموارد. وكما استنتج سليگ هاريسون: «فعل شاه القليل لتطوير النحاس واليورانيوم، أو غيرهما من الموارد المعدنية في بلوشستان، خوفاً من إثارة شهية البلوش ورغبتهم في الاستقلال»(2).

الخلاصة

في عام 1981، وصل تعداد البلوش إلى ما يقارب عشرة ملايين نسمة، وعاش أجدادهم في جنوب كِرمان ومَكُران وسيستان لمدة لا تقل عن ألفي عام. وبالرغم من الاختلافات من منطقة إلى منطقة، ومن قبيلة إلى قبيلة، طور المجتمع البلوشي ثقافته الخاصة المميزة. وهم من المسلمين السنة، على الرغم من وجود أقلية بين البلوش في مُكران من «الذكريين» (زِگري)، وأيضاً أقلية صغيرة في دَلگان (بلوشستان الإيرانية) من الشيعة. وفي الواقع يؤدي الدين دوراً ثانوياً فقط في خلق الشعور البلوشي بالتمايز، على الرغم من أن المشايعة الدينية قد تنعكس على الولاء لمختلف القرى والقبائل.

قبل ظهور الأصولية الإسلامية في المنطقة، لم يكن البلوش محركين دينياً بالمقارنة بجيرانهم، الفرس والپشتون. وكان ولاؤهم الأوحد إلى قادة قبائلهم. كشعب زراعي نظم أصلاً على أسس القبلية، بدأت أهمية القبيلة بالانخفاض حيث هاجر

---

(1) Italconsul, Plan Organization (Iran Socio-Economic Development Plan For the South-Eastern Region: Preliminary Report (Agricultural Survey), Rome, 1959. Seealso, Government of Iran, Shonasai-e Mokhtasar-e Ostan Sistan wa Balochistan. Zahedan, 1358/1980, pp. 21- 23.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 174.

السكان إلى المدن. وتحضر البلوش لم يقض على الولاءات القبلية، ولكن، ربما لأن البلوش لم يشهدوا الفوائد الاقتصادية التي أنتجها التحضر في الأقاليم الأخرى لباكستان وإيران.

وفي حين أن بلاد البلوش تفتقر إلى الحدود بالمعنى الحديث للمصطلح، فإنه من المفهوم عموماً من قبل البلوش وجيرانهم أنها تشمل مساحة تزيد على نصف مليون كيلومتر مربع في الجزء الجنوبي من الهضبة الإيرانية، وإلى الجنوب من الصحارى الوسطى ونهر هلمند، والأراضي الساحلية المنخفضة بين الهضبة الإيرانية وخليج عُمان. فحدودها غير واضحة وغير متسقة مع الحدود الجيوسياسية الحديثة.

ومع ذلك، فعلى أساس من التاريخ والثقافة واللغة المشتركة، رسمت حدود بلوشستان بأنهار السند وهَبْ، وجبال كيرثار، التي تشكل الحدود الطبيعية بينها وبين شبه القارة الهندية في الشرق، وفي الشمال الشرقي، تفصل جبال سليمان ونهر گومَل بلاد البلوش عن پشتون باكستان، وفي حين يفصل دشت لوت ودشت كوير غرب بلوشستان عن الجزء الأكبر من إيران الناطق بالفارسية، وفي الجنوب، يفصل خليج عُمان والخليج العربي بين العرب والبلوش، وفي الشمال الغربي، فإن صحراء (ريگستان) والجبال هي الحدود الطبيعية بين الأفغان والبلوش. وهذه المساحة الواسعة من الأرض تغطي ساحلاً يمتد على ألف كيلومتر مربع، ممتداً من مضيق هرمز إلى غرب ميناء كراچي على بحر العرب.

وتشكل أوجه التباين الطبيعية الشديدة بين سلاسل هائلة من الجبال الجرداء والسهول الصخرية والصحارى، والوديان الخصبة، السمة المميزة للأرض. فهناك سلاسل جبال مَكُران الساحلية الضخمة في الجنوب، وجبال بَشَكَرد في الشمال الغربي، وسلاسل جبال بركان تفتان (دِپْتان)، وبَزمان هي امتداد جبال وسط وشمال شرقي إيران، وإلى منطقة سَرهَد في بلوشستان الشمالية، والسلاسل الجبلية التي تغطيها الثلوج لمرتفعات كلات الوسطى، ونطاقات وسلاسل جبال سليمان الضخمة كامتداد لجبال هندوكوش في الشمال الشرقي والشرق، مما منح الأرض طابعاً أغلبه جبلي. وهذه الجبال، التي تمتد أحياناً مسافة مئة ميل في خط متوازٍ، شكلت دائماً عوائق كبيرة صعبت الاتصال داخل البلد. وفي الوقت نفسه كانت بمنزلة ملاذ طبيعي، يؤوي البلوش في حالات الحرب والغزو الأجنبي.

للنظام القبلي، هيكله المميز في شكل العشيرة والأسرة، ويؤدي دوراً مهماً في المجتمع البلوشي. وهو عامل رئيسي في تنظيم ومنهجية سلوك الفرد، وهذا بدوره يؤثر في تشكيل وبقاء التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبيلة بأكملها. ويستند التنظيم الاجتماعي للقبائل البلوشية إلى مبدأ النسب الأبوي، الذي منشؤه من اسم رمزي لسلف ما، وبنية تجزئيه لجماعات ذات أصل مشترك في شكل عشائر ونسب ينشأ منها. ومن خلال مبدأ الأقدمية، ينشأ تسلسل هرمي للأرفع منزلة والوحدات التابعة نظراً إلى قربها من كل من شرائح الأنساب لسلف مركزي. وفي الواقع الاجتماعي يتجلى هذا في شكل مجتمع قبلي ينقسم إلى النبلاء والعوام، وهذا التقسيم الطبقي، يأخذ شرعيته من النسب.

ومع ذلك، فإن الروابط القبلية، أهميتها ضعيفة في بلوشستان الجنوبية (في كل من بلوشستان الباكستانية والإيرانية)، مَكُران، التي كانت في الأصل مجتمعاً طبقياً، مع طبقة من المالكين البلوش المسيطرين على الموارد الزراعية. ولا يمكن وصف سهول كچي في الشرق، ولا لاس بيلا في أقصى الجزء الجنوبي من بلوشستان بالقبلية. في المقابل، فالهيكل الاجتماعي القبلي مهم في ديره بُگتي وكوهلو وباركان، وفي مقاطعات كلات وخُزدار في وسط بلوشستان الباكستانية، وفي شمال بلوشستان الإيرانية، سَرهَد، وجنوب أفغانستان، نيمروز، وحتى إلى حد ما في المناطق الريفية في إقليمي السند والبنجاب.

يتحدث معظم البلوش باللغة البلوشية، ولكن العديد منهم أيضاً يتحدثون بالبراهوئية، والسِندية والسَرائكية، وبذلك فإن نشأة الثقافة البلوشية كانت متركزة على التقاليد الشفاهية أكثر من الكتابية. وانبثقت أول المنشورات البلوشية في منتصف القرن العشرين في بلوشستان الشرقية، ولكن باستثناء فترة وجيزة، كانت المنشورات البلوشية ممنوعة في بلوشستان الإيرانية. وكانت السياسة الرسمية للحكومة الإيرانية هي تشجيع إدماج البلوش ثقافياً في الثقافة الفارسية المهيمنة.

اقتصادياً، ومع ذلك، حدث التحول الاقتصادي الأساسي في كل من الأجزاء الثلاثة لبلوشستان (باكستان وإيران وأفغانستان) بغض النظر عن الأنظمة التي كانت في السلطة، وعلى الرغم من أن بعض القادة، مثل محمد رضا شاه في إيران، وذو الفقار علي بوتو في باكستان، أو الماركسيين الذين جاؤوا إلى السلطة في أفغانستان

عام 1978، أظهروا تصميماً أكثر من غيرهم على تسريع هذه العملية. وهكذا، فإن القومية البلوشية تستند أساساً إلى المطالبات الإثنية والثقافية والتاريخية والإقليمية. وقد تسارعت بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحديثة في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. وبالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة والدين أيضاً أديا دوراً هاماً في القومية البلوشية. ولكونهم شعباً غير ذي تنظيم، فتستند القومية البلوشية إلى كل من المطالبات الإثنية، وعلى إرادة الشعب وتبنيه وارتباطه بالقضية القومية البلوشية.

الفصل الثالث

التطور التاريخي

المقدمة

التاريخ، وفقاً لنينا سويدلر، هو قلب الدراسات القومية البلوشية الحديثة. وتناقش سويدلر أهمية الأساس التاريخي للقومية البلوشية وتشير إلى أن: «ذلك يرجع جزئياً إلى كون المصادر التقليدية الأخرى للهوية القومية يصعب البت فيها، ولأنه يعود أيضاً في جزء آخر إلى الانتفاضة الفاشلة في سبعينيات القرن العشرين، مما أبرز لدى البلوش أوجه الشبه بين الحالة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية»[(1)]. ويؤكد القوميون البلوش بشدة على تاريخهم المشترك وروابطهم الثقافية، وحتى أكثر من أصلهم العرقي المشترك[(2)]. ولأن أصول البلوش غامضة، تشير الأساطير إلى أن جماعات غير متجانسة من الناس هاجرت في أوقات مختلفة إلى الإقليم، الذي قد منحوه اسمهم. وبحسب ج. ب. تات: «ومهما كانت الأهمية الأنثولوجية التي ارتبطت في إحدى الفترات بمصطلح البلوش، فإنها قد اختفت وأصبح الاسم في النهاية يستعمل ليعني مجرد البدو الرحل من أصل مُختلط»[(3)]. ويشير برايان سبونر أيضاً إلى أن مصطلح «بَلَوُج» قد يكون مصطلحاً عاماً يشير إلى جميع الجماعات البدوية التي لا تصل إليها يد السلطة المستقرة[(4)].

يعد الدين واللغة أيضاً من المُعلمات الإشكالية لهوية بلوشية جامعة. فالغالبية

(1) Nina Swidler, «Beyond Parody», in: Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity, p. 169.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of GreaterBaluchistan, pp. 34-43.

(3) G. P Tate, Seistan: A Memoir on the History, Topography, Ruins, and People of the Country, p. 365.

(4) Brian Spooner, «Baluchistan: Geography, History, and Ethnography» (pp. 598-632), In: Ehsan Yarshater, (ed.), Encyclopedia Iranica. (Vol. III) London: Routledge and Kegan Paul, 1988.

العظمى من البلوش هم من المسلمين السنة، وكذلك معظم الباكستانيين، وبالتالي فالذين لا يميز هوية البلوش في باكستان. إلا أن القضية مختلفة في بلوشستان الإيرانية. إذ إن البلوش في بلوشستان الإيرانية، هم من السنة، ولكن معظم الإيرانيين من المسلمين الشيعة. وهناك عدد كبير من المتحدثين بالبراهوئية في شمال بلوشستان، الذين هم ثقافياً مشابهون جداً للبلوش، والبلوش الذين يقطنون سهول البنجاب والسند حافظوا على هويتهم الإثنية على الرغم من أنهم الآن يتحدثون بالسندية أو السرائيكية. وعلى الرغم من أن البراهوئية والبلوشية هما لغتان ليس بينهما قرابة، فإن التعدد اللغوي شائع بين الناطقين بالبراهوئية. ويعتقد طارق رحمن أن: «اللغتين البلوشية والبراهوئية هما رمزا الهوية البلوشية، وهما جزء ضروري من القومية البلوشية»[1]. وإن اعترف علماء البلوش بالانقسامات الإثنية والقبلية الماضية، إلا أنهم لا يودون الاعتراف بها في الوقت الحاضر. فهم يؤكدون على أن أوجه التشابه الثقافي بين البلوش والبراهوئيين تفوق بكثير الاختلافات، وهم يشتبهون في أن الحكومة تدعم الفروق الإثنية لتقويض هويتهم القومية[2].

إن توظيف التاريخ أمر محوري في بناء الدولة الحديثة[3]. والبلوش باعتمادهم على مشجرات الأنساب والتقاليد يزعمون أنهم جاؤوا من مدينة حلب في سوريا[*]، وعبر إيران إلى بلوشستان، في السنوات الأولى من التقويم الإسلامي[4]. وعلى الرغم من عدم وجود أدب قديم مكتوب، فقد نقل الشعراء، واللوريگ (منشدون محترفون) هذه القصص وصولاً إلى يومنا هذا عن مقاومتهم غزوات الأتراك والمغول في القرن الثالث عشر والرابع عشر. وبالمثل فقد تم حفظ أساطير الحروب مع الفرس والأفغان والغزاة الأجانب الآخرين في الفترة اللاحقة، والهجرة الجماعية إلى السند والبنجاب، وكذلك ذكريات الأيام المجيدة لقوة البلوش في عهد مير جلال هان (القرن الثاني

(1) Tariq Rahman, «The Balochi/Brahvi Language Movements in Pakistan», in: Journal of South Asian and Middle East Studies Vol. XIX, No.3, Spring 1996, p. 88.

(2) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 260.

(3) A. D. Smith, The Ethnic Origins of Nations. Oxford: Blackwell, 1986, pp. 191-199.

(*) ينظر إلى ص. 63، في تحقيق مسألة الهجرة من حلب، وأنها حلب أخرى وليست حلب السورية.

(4) M. Longworth Dames, Popular Poetry of the Baloches. vol. 1, pp. 1-3.

عشر)، ومير چاكر رِند (1485 ـ 1512)، في قصائد حروبهم الروائية من جيل إلى جيل. ويدعي البلوش بوحي من حكاياتهم وأساطيرهم وأنسابهم وتقاليدهم، أن لديهم تاريخاً بطولياً طويلاً من حركات مقاومة لا حصر لها. وبالتالي فكون المرء بلوشياً بالنسبة إليهم هو مصدر فخر.

كتب سليگ هاريسون وهو مرجع بارز حول موضوع القومية البلوشية، واصفاً عام 1981 تصور البلوش عن تاريخهم: «يشدد البلوش على ما هو إيجابي في ماضيهم بشكل متواصل في الكتب والمجلات، والحكايات الشعبية». فهم يجدون متعة بالغة في التفاصيل المروعة للمعارك القديمة ضد الفرس والأتراك والعرب والتتار والهندوس، والخصوم الآخرين، مع التركيز على كيفية خوض جنرالاتهم القتال ببسالة، بدلاً من التركيز على ما إذا كان انتصر البلوش أو انهزموا. ويشيرون إلى الأبطال الذين ناضلوا للتخلص من نير الظالمين الأقوياء، ويقللون من شأن الذين باعوا القضية البلوشية»[1].

التاريخ القديم

تم العثور على أدلة حضارية في بلوشستان تعود إلى ما يقدر بالألفية الثالثة قبل الميلاد[2]. ويعتقد علماء الآثار أن أهالي المنطقة كانوا مطلعين على الزراعة واستخدام الحيوانات البرية، وكانوا يعيشون في منازل مبنية من لبنات الطين. كما عثر على حُلي حجرية ومجوهرات من الأحجار الكريمة. وكانت بلوشستان في هذه الفترة، وفقاً لأدلة أثريه بمنزلة حلقة وصل بين ثقافات جنوب آسيا والشرق الأوسط[3]. وهناك تشابه ثقافي ملحوظ بين المستوطنات في بلوشستان وتلك التي لدى حضارة وادي السند. والآثار التي لا تزال موجودة في نال وكويتا ومِهّرگَر تدعم هذا التأكيد[4]. ويفترض أن

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 12.

(2) Beatrice de Cardi, Excavation at Bampur: A Third Millennium Settlement in Persian Baluchistan. 1966, Volume 51: Part 3, Anthropological papers of the American Museum of Natural History, New York: 1970, pp. 258-269; see also Gergory L. Possehl, Kulli: An Exploration of Ancient Civilization in Asia. Carolina Academic Press, Durham, North Carolina 1986, pp. 1-7.

(3) Gregory L. Possehl, Kulli: An Exploration of Ancient Civilization in Asia, pp. 58-61.

(4) Ibid.

من أسس حضارة وادي السند، التي بلغت أوجها في عام ألفين قبل الميلاد، هم شعب الاستراليود (الفيديديون)، الذين حافظوا على تواصل اعتيادي مع ثقافة البحر الأبيض المتوسط واختلطوا مع شعوبه[1]. ونشأت أيضاً روابط تجارية وثقافية بين حضارة وادي السند والحضارة السومرية المعاصرة لها. وذكرت السجلات السومرية والأكادية، التي يرجع تاريخها إلى ما بين الألفين والثلاثة آلاف قبل الميلاد، مثل هذه العلاقات التجارية بين وادي دجلة والفرات وأماكن تدعى باسم ماگان ومِلوخا، وهي تحدد بمَكُران في الوقت الحاضر[2]. وبدأت الهجرة إلى هذه المنطقة من مناطق أخرى في العالم منذ أوائل عصور ما قبل التاريخ. وكانت الشعوب الدرافيدية من بين الوافدين الأوائل. وبدأت القبائل الآرية بالتدفق على الهضبة الإيرانية بين 1500 و1000 قبل الميلاد بعد قدوم الدرافيديين[3]. وقد أحكموا سيطرتهم تدريجاً على الهضبة الإيرانية كلها والأجزاء الغربية والشمالية من شبه القارة الهندية. ومنذ حوالى عام ألف قبل الميلاد هزم الهندو ـ آريين كل معارضة كبيرة، وأصبحوا المهيمنين، والجماعة الأكثر عدداً في هذه المناطق[4].

شكل البلوش الإثنية الأساسية للأمة البلوشية. ويبدأ تاريخهم في تليد أساطير الخلق. وهذه الأساطير عن أصلهم مستندة إلى التقاليد والأنساب، تخبرنا عن أصلهم العربي. وفي حين أن مثل هذه الخرافات لا تعكس الكثير من الضوء على الجذور التاريخية للشعب، ولكنها تدل على الاعتقاد الشعبي بقدامة أصولهم. ويعتقد بالأساطير مثل الدَپتر[*] على نطاق واسع، وبالتالي فهي سياسياً مهمةٌ اليوم[5]. إذ إن السجل

(1) For more detail see S. Wolpert, A New History of India, New York and Oxford: Oxford University Press, 1982.

(2) J. Hansman, «A Periplus of Magan and Melukha», in BSOAS, London, 1973, p. 555.

(3) كانت الهجرة الآرية قائمة بشكل ثابت وجرت في موجات متتالية. وأول من وصل إلى الهضبة الإيرانية، في حوالى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، هم من وصفوا بالهندو ـ إيرانيين، الذين انتقلوا من منطقة نهري سيحون وجيحون. ويبدو أن الهندو ـ إيرانيين عاشوا في مجتمعات مستقرة وتحدثوا بلغة هندو ـ أوروبية، لمزيد من المعلومات، انظر:
Yu. V. Gankovsky, The People of Pakistan, p. 146.

(4) Ibid.

(*) أشعار بلوشية تاريخية شفاهية عن الهجرات والأصول.

(5) إن مفهوم الأسطورة والخرافة في الخطاب السياسي هو واحد، وكثيراً ما يستعمل، ولكن نادراً ما =

التاريخي نفسه غامضٌ حول ما إذا كان البلوش هم السكان الأصليين في أرضهم، أو ما إذا كانوا قد وصلوا خلال واحدة من موجات الهجرة العديدة التي اجتاحت منطقة الشرق الأوسط القديم. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن مختلف الشعوب الإسلامية في المنطقة زعمت الأصول العربية وهي تعرض أنسابها العربية بفخر، وهذه حقيقة لا شك أن مرجعها النفوذ والمقام الديني الذي يلازم الأصول العربية بين هذه الشعوب[*].

ولم يشكك العلماء من غير البلوش فحسب في الأصل السامي للبلوش، حيث شكك فيه البلوش أيضاً. وربما يعود سبب ادعاء البلوش الأصول العربية بين الذين

= يُعَيَن. فقد أصبح وعاء مفاهيمياً مناسباً لجميع ما ينظر إليه على أنه غير منطقي أو يحكم بزيفه في الأفكار السياسية. وهذا الرأي هو في جوهره نتاج حركة التنوير الفلسفية في القرن الثامن عشر، التي سعت إلى إزالة الخرافة والأسطورة من خلال استخدام المنطق والفلسفة. والخرافة والأسطورة كمفهوم، تتمتعان مع ذلك بأصالة فكرية جوهرية، مقارنه بشكل غير مرغوب فيه دائماً بدراسة التاريخ. ورفض بالفعل أرسطو التاريخ لمصلحة الأسطورة، بحجة أن التاريخ في حين تناوله المفرد لم يوفر أي دروس ذات قيمة للبشرية، بينما الأسطورة في المقابل تعاملت مع الحقائق الكونية، التي يمكن أن تنطبق على وضع الإنسان. وبالتالي تمتعت الخرافة والأسطورة بمعنى نافع لم يحرزه التاريخ. وكان التنافس بين «المؤرخين» الكلاسيكيين والشعراء مثل ما اعترف بوليبيوس أن بعض المؤرخين استسلموا لكتابة ما يطلق عليه «التاريخ المأسوي». واستخدام الخرافة والأسطورة كتاريخ، وبالطبع الطبيعة المسامية للحدود التي تقسمهم لم تنحصر بالعالم الغربي كما تشهد «الأشعار التاريخية» البلوشية. ولكن في حين أن الغرب وضع قواعد معادية للخرافة فالعلاقة بين الاثنين بقيت وثيقة في الشرق. لمزيد من المعلومات راجع:
Aristotle, Poetics, London: Penguin, 1996, chapter 9.

(*) ويضاف إلى ذلك حقيقة وجود عنصرية كبيرة في سياسات الدولة الأموية، التي كان لها نظرة احتقارية تجاه الأعاجم مشوبة بالقساوة إلى درجة التشنيع والإهانة، وكذلك فإن هذه النظرة لم تغب عن كثير من القبائل العربية البدوية التي لا ترى في غير أنساب العرب وثقافتهم نداً لها، مما يدفع الأجنبي الراغب في التقرب إليها إلى محاولة التزي بزيها والالتحاق بأنسابها والتحدث بمنطقها الذي عهدته. وللاستزادة في هذا الشأن انظر، شافية حداد السلامي، نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2009، ص. 156 ـ 281. وفي هذا الصدد، يبين هاريسون ردة فعل القوميين البلوش على مزاعم تحدرهم من العرب، إذ يكتب نقلاً عن ردة فعل زعماء قبائل مينگل ومَري، حين سألوا عن مسألة عروبة البلوش وضرورة تخليهم عن لغتهم البلوشية كما دعاهم معن شناع العجلي الحكامي في كتابه «بلوجستان ديار العرب، عُمان: مكتبة يونس، الطبعة الثانية، 1413هـ، ص. 22»، فقال: «كان زعماء البلوش الباكستانيون خلال محادثاتي معهم متقبلين بحذر لفكرة الدعم العربي لبلوشستان مستقلة، ولكن ليس على الشروط التي اقترحها الحكامي والشيخ محمد بن حسن المحمد [من البحرين]. ورداً على ذلك قال عطاء الله مينگل بانفعال «نحن آريون، مثل الكورد! ولسنا ساميين! وفي حال تخلينا عن لغتنا البلوشية كما يطلبون منا، فكيف لنا أن نطلق على أنفسنا بلوش؟ يمكننا أن نكون أصدقاء مع العرب، . . . ولكننا لا نستطيع التخلي عن لغتنا وهويتنا!». ومثل مينگل، يرفض خير بَكش مَري فكرة استبدال البلوشية بالعربية». انظر،
Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 125-126.

يعيشون بجوارهم من الفرس والهنود لآلاف السنين، والذين للبلوش تقارب لغوي وثيق مع كل منهما، إلى الارتياب وانعدام الثقة الثابتين بين البلوش وبين جيرانهم الأقوياء من الفرس والهنود. فميل البلوش إلى جيرانهم العرب بقدر ما نعلم، كان دائماً أكثر أو أقل مدفوعاً بدوافع سياسية[1]. وفي هذا الصدد يقول الدكتور عناية الله بَلُوج: «اعتقاد غالبية البلوش أنهم من أصل سامي أو عربي، وبالتالي فهم من أصل غير إيراني وغير هندي، يبرر لأنفسهم وضعهم كأمة منفصلة على أساس خلفية مختلفة في باكستان وإيران»[2].

هناك نظريتان متنافستان عن الأصل التاريخي للبلوش: الأولى تقرر أن البلوش هم السكان الأصليون، الذين وصفوا بأنهم الأوريتان (Oritans) والجَت والميديون، وغيرهم في المدونات القديمة. والثانية تقرر أن البلوش هاجروا إلى المنطقة منذ حوالى ألفي عام. وتستند نظرية السكان الأصليين إلى الحجة القائلة بأن السكان الأصليين في مَكُران يشكلون الجزء الأكبر من الأمة البلوشية. وعلى الأرجح، فإن كلمة «بَلُوج» هي شكل محرف من مِلوخا، مِلوچا، أو ملِچا، وهو محل تعيين مَكُران خلال الألف الثاني والثالث قبل الميلاد، كما يتضح من نصوص بلاد ما بين النهرين[3]. والبلوش، وفقاً لنظرية السكان الأصليين، ينحدرون من الميد، وهم الشعب البدوي للإمبراطورية الميدية (900 ـ 500 قبل الميلاد)، والجَت. ويبدو أن الميد هم أوائل القبائل الآرية التي جاءت إلى المنطقة (500 قبل الميلاد تقريباً)[4]. ويفترض أن يكون الجَت شعباً من

(1) مع غزو العرب المسلمين لإيران عام 651 ميلادي، دعم القائد البلوشي في الجيش الإيراني سياه سَوار بَلوُج العرب، الذي كان وفقاً للشاعر والمؤرخ الوطني الإيراني بَهار، المسؤول عن هزيمة الإيرانيين، لتفاصيل أكثر انظر:

Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 93

وكان أيضاً التخوف من الفرس عموماً دافع نصير خان العظيم إلى أن يقيم علاقة قوية مع العُمانيين. وفي القرن الأخير حاول عدد من زعماء القبائل والقادة القوميين الحصول على دعم من جيرانهم العرب ليحرروا أنفسهم من الهيمنة الفارسية.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 41.

(3) J. Hansman, «A Periplus of Magan and Melukha», in BSOAS. London, 1973, p. 555; H. W. Bailey, «Mleccha, Baloc, and Gadrosia», in: BSOAS. No. 36, London, 1973, pp.584-87. Also see, Cf. K. Karttunen, India in Early Greek Literature, Studia Orientalia, no.65, Helsinki: Finnish Oriental Society, 1989, pp. 13-14.

(4) Ibrahim Bashmi, Qaus al-Khalii al-Mashdood. Bahrain, 1998, p. 344; Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan. Vol. 1, p. 11.

أصل درافيدي هاجر إلى مَكُران من الشرق قبل الميد[1]. ويبرهن العقيد موكلر، الذي شغل منصب الضابط السياسي في المنطقة، أن جمهور الشعب البلوشي هو ما تبقى من شعب مَكُران القديم[2].

ويشير الدكتور صابر بَدَل خان، المتخصص في الشعر البلوشي الشفاهي، مشدداً على نظرية أن البلوش هم السكان الأصليون إلى أنه: «. . . يبدو من المرجح أن غالبية المتحدثين بالبلوشية، الذين يعيشون في بلوشستان في الوقت الحاضر، لم يأتوا من الخارج كنتيجة لهجرة جماعية كما يعتقد عموماً من قبل بعض الكتاب استناداً إلى فرضيات مبنية على بعض الشظايا الشعرية الناشئة على الأرجح خلال أواخر القرن السادس عشر»[3]. وبالمثل، ينتقد بشدة منير أحمد گِچكي، أستاذ التاريخ في جامعة بلوشستان، نظرية هجرة البلوش من شمال إيران في أواخر الألف الأول الميلادي. ووفقاً لگِچكي فتصوير البريطانيين للتاريخ البلوشي كان طبقاً لوجهات نظرهم وآرائهم السياسية لكونهم هم أنفسهم غزاةً ودخلاء. وعلى ذلك أرخوا للبلوش مثل أنفسهم، كفاتحين من أراض أجنبية. والبريطانيون وفقاً لگِچكي، خلقوا هذا المفهوم لأنهم يريدون تصوير البلوش كشعب مهاجر إلى أرضهم، بلوشستان[4].

وفقاً لرواية المستشرقين للتاريخ البلوش، فقد قَدِمَ البلوش إلى بلوشستان الحالية كمهاجرين في القرن الحادي عشر[5] أو حتى وفقاً لبعض المصادر، بعد ذلك بكثير، في القرن الرابع عشر[6]. وهذه النظرية، كما ذكر من قبل، تحدد هجرة البلوش إلى بلوشستان ببضعة قرون فقط قبل وصول البريطانيين إلى المنطقة. وبناءً على ذلك، ووفقاً لهذا التفسير للتاريخ، يقول گِچكي: «يجب أن يكون لكل من البلوش والبريطانيين الوضع نفسه فيما يتعلق بحقهم في البلاد». وللبروفيسور منير أحمد گِچكي

(1) The Gazetteer of Baluchistan: Makran, p. 95.

(2) E. Mockler, «Origin of the Baloch», in: Journal of the Asiatic Society of Bengal. Calcutta, 1895, p. 36.

(3) Dr. Sabir Badalkhan, «A Brief Note of Balochistan», unpublished. This article was submitted to the Garland Encyclopedia of World Folklore, New York-London, (in 13 vols): vol. 5, South Asia, edited by Margaret Mills.

(4) مقابلة مع د. منير أحمد گِچكي.

(5) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 599.

(6) M. Longworth Dames, The Baloch Race, pp. 35-36.

رأي قوي في أن تاريخ البلوش في بلوشستان هو قديمٌ بقدر قدم تاريخ الفرس والأفغان في المنطقة[1].

ومثل گِچکي، يبرهن الكاتب الإيراني ايرّج أفشار (سيستاني) في كتابه نگاهى به سيستان وبَلُوچستان (نظرة على سيستان وبلوشستان، 1985) أن البلوش ومنذ العصور القديمة يعيشون في وطنهم الحالي، بلوشستان. ووفقاً لأفشار، فتاريخهم قديم قدم التاريخ الإيراني المكتوب. ويعتقد أن البلوش مثل الفرس والطاجيك والكورد آريون أو من سلالة إيرانية[2].

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما أخضع العرب المنطقة خلال عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (705 ـ 715)، كان البلوش بالفعل يعيشون في مَكُران، جنوب كِرمان[3]. بينما الذين يعتقدون أن البلوش هم السكان الأصليون، يُرجعون سكنى بلوشستان الحديثة إلى الشعب نفسه، المشار إليه من قبل المؤرخين بمختلف الأسماء.

غير أن بعض الباحثين يعترضون على فكرة أن البلوش هم السكان الأصليون في المنطقة. ويعتقدون استناداً إلى الدليل اللغوي، أن تشكل المجموعة الإثنو ـ لغوية البلوشية مرتبط بهجرة البلوش إلى كِرمان ومَكُران، وهم المجموعة الإثنية في بلوشستان الحالية. ويسند هؤلاء الباحثون اعتقادهم عموماً إلى القواعد اللغوية، ويقررون أن البلوش كانوا يعيشون على طول الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين في عهد السيد المسيح. ويبرهنون على ذلك بأن اللغة البلوشية نشأت من لغة ضائعة متصلة بلغة الحضارة الفرثية أو الميدية، التي ازدهرت في منطقة بحر قزوين والمناطق المجاورة في ما قبل العهد الميلادي[4]. أما متى ولماذا حدثت هذه الهجرة، فهذا أمر غير واضح. ومن الممكن أنها بدأت عندما قام خسرو الأول (أنوشيروان)[*] بحملاته

(1) مقابلة مع د. منير أحمد گِچکي.

(2) Iraj Afshar (Sistani), Negahi be Sistan wa Balochistan. pp. 225-26.

(3) Ibrahim Bashmi, Oaus al-Khalii al-Mashdood, p.82-83.

(4) Josef Elfenbein, «The Baluchi Language: A Dialectology with Texts», in: The Royal Asiatic Society. London, 1966, pp. 41-45; Frye, R. W, «Remarks on Baluchi History».In: Central Asiatic Journal. Vol. 6,1961, p. 49.

(*) كسرى الأول الملقب بانوشيروان العادل حكم بين (501 ـ 579 ميلادية). غير أن الكثير من المثقفين البلوش يرفضون تلقيبه «بالعادل»؛ لما سفكه من دماء الشعب البلوشي، وجوره وظلمه معهم. (مقابلة مع عبد الصمد أميري، مسجلة بالبلوشية) وانظر:

Naseer Dashti, In a Baloch Perspective, Quetta: Asaap, First Edition 2007, p. 30.
Naseer Dashti, The Baloch and Balochistan: A Historical Account from the Beginning to the Fall of the Baloch State, Trafford, 2012, pp. 11-45.
Janmahmad Dashti, The Baloch Cultural Heritage, Royal Book Co., 1982, p. 154.

العسكرية ضد البلوش، والقبائل التي تقيم في أراضي گيلان الحالية وشمال خراسان، أو بسبب غزو افتاليتس لشمال إيران[1]. ويعتقد گنكوفسكي أنه «إذا كانت الحالة هي الحالة الأخيرة، فالهجرة الجنوب ـ شرقية لهذه القبائل التي تعد الأساس الإثنو ـ عرقي للأمة البلوشية حدثت في القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي تقريباً»[2].

ولكن النظريتين المذكورتين أعلاه، ليستا متناقضتين تماماً. فمن الممكن أن جماعة من الناس الذين هم السكان الأصليون في الأرض، عاشوا في المنطقة منذ آلاف السنين متحدثين بلهجة ترتبط باللغة البراهوئية الحديثة. مع وصول شعب من أصل إيراني من المنطقة المحيطة ببحر قزوين في القرنين الخامس أو السادس بعد الميلاد، وكما لاحظ گنكوفسكي، ربما تخلى السكان الأصليون عن لغتهم السابقة وقبلوا لغة الوافدين الجدد. وهذا الخلاف على الأرجح سيبقي مؤرخي التاريخ القديم مشغولين لبعض الوقت. وسواء أكانوا من السكان الأصليين أم المهاجرين، فقد عاش البلوش في منطقة بلوشستان منذ بداية العصر الميلادي، وأصول لغتهم متصلة باللغات الايرانية الشمالية[3].

ووفقاً لمحمد سردار خان بَلوُج، فالبلوش هم أحفاد الكلدانيين أو البابليين[4]. وطبقاً لسردار خان بَلوُج «فالكلدانيون العظماء في التاريخ القديم، مروا لاحقاً باضطرابات ومرحلة انتقالية، وفيها لم يسمع بهم بهذا الاسم بعد ذلك، ولكن خوطبوا في فترات متقطعة من التاريخ وفي بلاد غريبة وتحت حكم أجنبي باسم «بَلوُس» أو «بَلوُج» على غرار اسم إلههم النصير ودينهم المتميز، إله المعبد بيلوس»[5]. طور سردار خان هذه النظرية في الأصل من جي. راولينسون[6]، أستاذ التاريخ القديم في جامعة أكسفورد، وتقول هذه النظرية إن كلمة بَلوُج مشتقة من كلمة «بَلوس» أي ملك بابل، الذي يتم تعريفه بنمرود أو نيبرودس، ابن كوش، في الكتاب المقدس، وكان

(1) M. Longworth Dames, The Baloch Race, p. 29.

(2) Yu. V.Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 144.

(3) Iraj Afshar (Sistani), Negahi be Sistan wa Balochistan. pp. 225-26.

(4) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan. Quetta: Khair-un -Nisa, Nisa Traders, Third Edition 1984, p. 16.

(5) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p. 16.

(6) G. Rawlinson, Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World. London, 1862.

مؤسس السلالة الكلدانية[1]. وفي عام 538 قبل الميلاد، هزم الحاكم الأخميني ومؤسس الإمبراطورية الفارسية كورُش الكبير، آخر حاكم كلداني، بلشاصر. وهكذا انتهت الإمبراطورية الكلدانية. ووفقاً لسردار خان بَلوُج، فبعد سقوط بابل، أُجبر أسلاف البلوش (الكلدان أو البابليون)، من قبل حاكم الأخمينيين (الفُرس) على الهجرة إلى شواطئ بحر قزوين، وتسمى المنطقة اليوم بأرمينيا وكوردستان[2]. ومع ذلك، وبالاعتماد على شاهنامة الفردوسي فالبلوش كانوا يعيشون في المناطق الشمالية للهضبة الإيرانية في فترة أبكر بكثير من حملات كورُش على بابل. حيث تذكر الشاهنامة البلوش كمواطني گيلان وخراسان في العصر الوسيط، وهذا يعني قبل وقت كورُش الفاتح الفارسي، الذي هزم الميديين وأسس الإمبراطورية الفارسية[3]. وبالتالي، فإن ذلك يتناقض مباشرةً مع ادعاءات سردار خان.

وعودةً مرة أخرى إلى الألف الثاني والأول قبل الميلاد، سيطرت الإمبراطوريات العظيمة مثل الآشورية والميدية والفارسية على «مهد الحضارة» التي امتدت من شاطئ البحر الأبيض المتوسط إلى المناطق النائية وراء الخليج العربي. ووفقاً للشاهنامه، وسع الملك الأسطوري لميديا (ماديستان) كيكاوس إمبراطوريته حتى ساحل بلوشستان[4]. وبعد هزيمتها على يد الفرس، سقطت الإمبراطورية الميدية عام 549 قبل الميلاد. وبهذا أخضع داريوس، أقوى ملك فارسي (522 ـ 485)، بلوشستان في حوالى 540 قبل الميلاد. وأعلن بلاد البلوش كأحد أقاليمه، وعين مرزباناً (حاكماً) عليها[5]. وعلى الأرجح تم آريَنَة القبائل البلوشية تدريجاً خلال حكم الميديين والهيمنة الفارسية لاحقاً، وحينذاك تشكلت خصائصهم القومية. وإذا كانت هذه هي الحالة، فيجب أن يرجع تشكل الهوية العرقية واللغوية للبلوش إلى القرون الأولى من الألف الأول قبل الميلاد.

ومن أقدم المصادر الموجودة التي تذكر البلوش، «شهرستانهاى ايران» وهو نص مكتوب بالپهلوية في القرن الثامن الميلادي، وهو مصنف على الأرجح قبل الإسلام،

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, pp.16-26.

(2) Ibid., p. 26.

(3) Ferdowsi, Shahnamah: Matn Inteqadi. vol. 4, p. 28.

(4) Ibid.

(5) Iraj Afshar (Sistani), Balochistan wa Tamaddon-e Dirineh-e An, pp. 89-90.

وهو يُدرج البلوش باعتبارهم أحد المجتمعات الجبلية المتمتعة بالحكم الذاتي[1]. الكتاب العرب في القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد[2] ذكروهم عادةً باسم البَلوص(*)، الذين كانوا يعيشون في المنطقة الواقعة بين كِرمان وخراسان وسيستان ومَكُران. ويبدو أن البلوش كانت لديهم منطقة منفصلة في كِرمان، ولكنهم عاشوا أيضاً في منطقتين بسيستان وظهروا في بعض المسالك إلى الشرق من فَهرَج (الحدود الشرقية لكِرمان)، وهي على الأرجح خاران أو چاگي[3].

ويعتبر عموماً أن البلوش، وكما ذكر آنفاً، قد وصلوا إلى كِرمان من الشمال[4]. والدليل على هذا الافتراض يعتمد على برهانين: تصنيف اللغة البلوشية كلغة «إيرانية شمالية ـ غربية»[5] وحقيقة أنهم ذكروا في شاهنامة الفردوسي، إحدى أقدم الوثائق في هذا الصدد، مقترنين مع گيلان وخراسان[6]. ومشيراً إلى الشاهنامه يحدد اللغوي الإيراني، الدكتور خانلري، موطن البلوش على أنه الشمال الشرقي والشرق من بحر قزوين وشمال خراسان الحالية، قبل انتقالهم إلى كِرمان وسيستان وبلوشستان[7].

وقد ذكر البلوش في كلا القسمين الأسطوري والتاريخي للشاهنامه. حيث يذكر البلوش في الجزء الأسطوري من الشاهنامه، كمحاربين بواسل مشكلين جزءاً من جيش

(1) Henrik Samuel Nyberg, A Manual of Pahlavi. Part II: Glossary, Wiesbaden: OttoHarrassowitz, 1974, p. 43.

(2) وخصوصاً ابن خرداذبه و الاصطخري والمقدسي عن البلوص أو البلوج في أعمالهم.

(*) تجدر الاشارة إلى أن العرب عربوا الاسم الأصلي «بلوچ» بعدة صيغ، فبالإضافة إلى «بلوص»، تم تعريبه إلى «بلوج» بالجيم كما عند المسعودي (896 ـ 957م)، والسيرافي (القرن العاشر الميلادي) وابن المجاور (1204 ـ 1291م) وغيرهم. انظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج. ص 135 ـ 138.

(3) S. M. Seyed-Sajjadi, Bastan-shonasi wa Tarikh-e-Balochistan. pp. 293-314.

(4) M. Longworth Dames, The Baloch Race, pp. 29-30.

(5) Mussa Mahmudzai, «Moqayeseh-e Zaban-e Balochi ba Zabanha-e Irani-Bastan», p.8.

(6) صنفت الشاهنامه في بداية القرن العاشر على أساس المدونات الأقدم وبالتحديد خداى نامگ. و خداى نامگ وصف أسطوري ملكي عن التاريخ أنمصنف في الفترة الساسانية، وترجم من الفارسية الوسطى إلى اللغة العربية من قبل ابن المقفع (ت 757)، ويعتقد أنه وفر مصادر رئيسية للفردوسي (توفي تقريباً في عام 1020م) ليستخدمه في أشعاره الملحمية البالغة 50000 أو 60000 بيت.لمزيد من التفاصيل انظر: Mostafa Vaziri, Iran as Imagined Nation, pp. 119-120

(7) Parviz Natel Khanlari, Zaban-shonasi wa Zaban-e Farsi, Tehran: Intesharat-e Banyad-e Farhang-e Iranian, Chap-e Sayum, 1347/1969, p. 154.

كيكاوس، المعروف أيضاً باسم «كَيخسرو». وتأمر على هذا الجيش ابن الملك المعروف باسم سياوُش. وقد تم توجيه سياوُش لشن حرب ضد افراسياب، ملك توران، الذي كان عدواً لإيران[1]. وكانت تشكيلات الجيش تتألف من قبائل مختلفة، قدمت إلى كيكاوس، وكانت كل فرقة تحت تصرف زعيمها الخاص. وتعلق الشاهنامه: «بعد گُستَهم جاء اشكَش. وكان جيشه مكوناً من «الكوچ والبَلوُج» الرُحَل[2]، العازمين على الحرب مع «أعراف ديوكهم» المرفوعة بخيلاء، الذين لم يرا ظهورهم أحد في العالم البتة، ولم يخلوا إصبعاً من أصابعهم من الصفائح المعدنية. وكانت تحمل رايته (أي لواء الوحدة البلوشية تحت اشكَش) صورة النمر»[3]. وتخبرنا الشاهنامه بحملات كيكاوس في كل من بلوشستان الوسطى (توران)، وجنوب بلوشستان (مَكُران). ووفقاً للشاهنامه قتل ملك مَكُران في حملة مَكُران واحتلت بلاده. ويذكر الفردوسي أيضاً أن الملك كيكاوس أمر قواته البلوشية، التي يرأسها الجنرال اشكَش، بالبقاء في مَكُران. وتقول الشاهنامه: «باشكش بفرمود تا با سپاه، بمَكْران بباشد يكى چند گاه» أمرَ [كيكاوس] اشكش [قائده البلوشي] بالبقاء في مَكُران لبعض الوقت[4].

(1) من المهم ملاحظة أنه عندما تم تشكيل التصنيفات اللغوية الإيرانية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فسرت توران، نظراً ربما لتشابه لفظي، على أنها الشعب التركي في آسيا الوسطى، الذين لم يتحدثوا بلغة هندو ـ إيرانية أو غيرها من اللغات الآرية. وبناءً على هذا التقليد، فنحن إن افترضنا أن توران لا تنتمي إلى الهضبة الإيرانية، فسنواجه مفارقة جيوسياسية وكذلك لغوية. وعلاوة على ذلك، هناك أدلة جغرافية مقنعة، أنه خلال عصر الفردوسي (من القرن العاشر إلى الحادي عشر)، وربما قبل ذلك، كانت البلاد المعروفة باسم توران، هي التي شملت منطقة بلوشستان وعاصمتها في بلوشستان الوسطى خُزدار. وفضلاً عن ذلك، فخلال فترة الفردوسي والسلالة الغزنوية في القرن الحادي عشر، لم تعترف توران ومدينتها الرئيسية خُزدار سوى بسلطة الخليفة في بغداد. ولهذا السبب شن السلطان محمود هجمات ضد توران. لمزيد من التفاصيل انظر:
W. Barthold, A Historical Geography of Iran, Princeton: Princeton University Press, 1984, p. 75.
ومن الممكن بالتأكيد أن الفردوسي قد استخدم توران كعدو بالمعنى المجازي في إنشائه الملحمة الشعرية، واستخدمها باعتبارها عدواً لسيادة الخصم الشرعي السلطان محمود من غزنة، الذي كان راعيه.

(2) فسر الكوچ في الشاهنامه على أنهم البراهوئيون، انظر:
Gul Khan Nasir,Koch waBaloch, Karachi, 1969.

(3) Ferdowsi, Shahnamah: Matn Inteqadi, vol. 8, pp. 74-75.

(4) Ibid., vol. 5, pp. 346-349.

لماذا أمر الملك كيكاوس قواته البلوشية بالبقاء في مَكُران؟حتى ولو كان احتمال وقوع هذا الحدث عرضياً فلا يمكن استبعاده، فمن المعقول ظاهراً أكثر أن مَكُران كانت منطقة مأهولة بالسكان البلوش مسبقاً. وفي مثل هذه الحالة، لا شك، أنه سيكون لدى القوات البلوشية تأثير أكبر من أجل إحلال السلام في الإقليم البلوشي النائي. ويعتقد عظيم شاه بكش، وهو محاضر في قسم التاريخ بجامعة بلوشستان، أن قائد البلوش اشكَش، أدى دوراً رئيسياً في تهدئة مَكُران بعد احتلالها من قبل كيخسرو[1]. ومع ذلك، وبالاعتماد على الشاهنامه، كان أول اتصال للبلوش بلوشستان الوسطى ومَكُران، في عهد كيخسرو، في بداية القرن السادس قبل الميلاد.

وينبغي أن يضاف إلى ذلك أنه وبغض النظر عن جانبها الأسطوري، فـ الشاهنامه تعلمنا عن البلوش في جانبها التاريخي، خلال عصر الأسرة الساسانية، أن الملكين الساسانيين أردشير وخسرو الأول أنوشيروان حاربا البلوش، وأن البلوش حاربوا العديد من الملوك الساسانيين الآخرين[2]. ويذكر آخوند صالح، وهو مؤرخ من القرن السابع عشر الميلادي، في كتابه «كورد گال نامِك»، مذبحة المَزدكيين (طائفة زرادشتية)(*) في عهد أنوشيروان، وهو الملك الساساني المعادي للمزدكية. ووفقاً لآخوند، كان بين أتباع مَزدَك المذبوحين، مئتا ألف بلوشي. والناجون من هذه المجزرة، كما ذكر آخوند فروا إلى توران (بلوشستان) والسند[3]. كما قيل بأن البلوش أثناء هجرتهم إلى الجنوب تركوا آثاراً من لغتهم في واحات الصحارى الوسطى للهضبة الإيرانية[4]. وليس هناك

(1) Azim Shahbakhsh, «The Baloch Race and Migrations», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.

(2) Ferdowsi, Shahnamah: Main Inteqadi. vol. 8, pp. 74-75.

(*) مَزدَك مصلح اجتماعي وناشط ديني (توفي في 524 أو 528 م)، كان داعياً إلى الاشتراكية والغاء الطبقية والكهنوتية التي كانت السبب في فقر الشعب، ودعا إلى المعاملة الحسنة وتحريم القتل. وكان يهدف مزدك إلى القضاء على الفقر من خلال توزيع الثروة. وتبنى مذهبه قباد الأول (484 ـ 457م)، ونشره في مملكته. غير أن المصادر المعادية نسبت إليه أساطير من مثل التقاسم المزعوم للمرأة وضياع الأنساب الناتج عن الاختلاط الجنسي. وقد شكك في صحة ذلك الباحثون لكونه القاعدة في الاتهام ضد الطوائف المهرطقة، فمن المحتمل أن مزدك قد اتخذ تدابير ضد تعدد الزوجات المنتشر على نطاق واسع بين الأغنياء وقلة الزوجات للفقراء. انظر:
Ehsan Yarshater, The Cambridge history of Iran, vol. 2, p. 999-1000.

(3) Akhund Saleh, Kurd-Gal-Namak. p. 152.

(4) N. Frye, «Remarks on Baluchi History», pp. 44-50.

أدلة أخرى يمكن أن تستخدم لتأكيد نظرية هجرة البلوش جنوباً أو تحديد تاريخها. ومع ذلك، فمن المهم ملاحظة أنه لا يزال هناك بلوش يعيشون في شرق إقليم كِرمان.

متى ولماذا هاجر البلوش شرقاً؟ الأدلة حول هذه الهجرة هي أيضاً محدودة. وهناك نوعان أساسيان من المصادر الرئيسية للمعلومات لدينا: الأول هو مجموعات الشعر البلوشي التقليدي، المعروفة باسم دَپتر شَيَتر[1] والتواريخ المغولية اللاحقة. ووفقاً للسجلات المكتوبة، فحتى أواخر القرن العاشر كان البلوش أو كوج ءُ بَلوُچ يسكنون المناطق الغربية والشمالية من كِرمان وسيستان ومَكُران[2]. وكانت هجرتهم إلى الشرق قد تمت نتيجة للضغوط التي جاءت أولاً من الحكام المسلمين، ثم من غزو السلاجقة في القرن الحادي عشر، واعتداءات جنكيز خان المدمرة لاحقاً[3]. وبحلول القرن الرابع عشر، استقر البلوش في بلوشستان الوسطى وحتى تلال جَهلاوان. وجرت هجرتهم المتقدمة إلى وادي نهر السند في وقت لاحق. وفي بداية القرن الثالث عشر، شكل البلوش الجزء الأكبر من السكان في شمال منطقة هيرات، في القرن الثالث عشر والرابع عشر، وكانوا في القرن الرابع عشر على علاقة ودية مع الحاكم الكُرتي(*) للمنطقة[4].

أقدم القصائد الروائية وأهمها هي دَپتر، تعود على الأرجح إلى القرن الثاني

---

(1) M. Longworth Dames, Popular Poetry of the Baloches. volume 2, London, 1907, pp.1-2.

(2) Khaje Nezam al-MoIk, Sivasat-Nameh. also known as Siyar al-Muluk, 11th Century A.D. Texts, Tehran: Sherkat-e Sahami-e Ketabha-e Jibi, 1364/1986., pp. 75-80; see also, E. Mockler, «Origin of the Baloch», in: Journal of the Asiatic Society of Bengal, Calcutta, 1895, p.36.

(3) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 146.

(*) الكرتيون، آل كرت: سلالة أفغانية حكمت أفغانستان وخراسان 45/ 1231 ـ 89/ 1381 م. كان مقرهم في هيرات. وتنحدر قبيلة كرت من مناطق وسط أفغانستان (غور). تولى أفرادها مناصب عسكرية أثناء عهد الأسرة الغورية. وقد كان ركن الدين (1231 ـ 1245 م) والياً على لاهور من قبل المغول (الخاقانات الكبار). وخلع ابنه شمس الدين (1245 ـ 1285 م) على نفسه لقب الملك، مع بقائه دائماً تحت وصاية سلاطين المغول. ثم بدأ يستقل بالأمر. وبعد زوال دولة الإلخانات (1335 م) أصبح الكرتيون حكام خراسان بلا منازع. بلغت الدولة أوجها السياسي والثقافي أثناء عهد معز الدين (1331 ـ 1370 م)، ووسع الأخير أطراف دولته حتى حدود نهر الهندوس (مهران السند) شرقاً. تلقب سنة 1349 م بالسلطان. ولكنه انهزم سنة 1351 م أمام المغول (الجاغطاي). ثم قام ابنه غياث الدين (1370 ـ 89/ 1381 م) بتحدي تيمورلنك. قاد الأخير حملة سنة 1381 م. استطاع في إثرها أن يضم إلى مملكته كل أراضي دولة الكرتيين. فحاول غياث الدين أن يستعيد الحكم. وانتهى أمره بأن أعدم سنة 1389 م. وتم في السنة نفسها التخلص من آخر الحكام من آل كرت. انظر: كليفورد إدموند بوزورث، السلالات الإسلامية.

(4) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch, Quetta 1965, pp.40-42.

عشر[1]، وتذكر أن البلوش والكورد كانوا فروعاً لقبيلة ذات أصل واحد هاجرت شرقاً من مدينة حلب (سوريا)(*). ولكن في هذه القصيدة الروائية، يذكر أن سبب هجرتهم هو قتالهم مع يزيد، كما كان البلوش طبقاً لروايتهم من أتباع الخليفة علي (رض)، والد الإمام الحسين (رض). وبعد استشهاد الإمام الحسين (رض) في كربلاء عام 680م، كان على البلوش الهجرة شرقاً خوفاً من تعرضهم للاضطهاد على يد جيش يزيد(**). ويروي الدَپتر عن وصول البلوش إلى سيستان وكرم ضيافة ملك يدعى شمس الدين[2]. وبعد فترة، جاء حاكم آخر يدعى بدر الدين، وقد اضطهدهم واقتادهم بعيداً. وبالإضافة إلى ذلك، يخبرنا الدَپتر بالهجرة القسرية لقبائل البلوش الأربع والأربعين جنوباً من سيستان إلى مَكُران، تحت قيادة مير جلال هان[3]. وبالاعتماد على دَپتر، يعتقد لانگورث ديمز أن فترة حياة الجد الأسطوري للبلوش، مير جلال هان، تقع في القرنين الحادي عشر والثاني عشر[4].

ويسود بين جميع قبائل البلوش مع ذلك الاعتقاد، بأنها جاءت من حلب، وعبرت إيران إلى مَكُران، ومرة أخرى انتقلت شرقاً وامتدت على طول وادي نهر السند في كلات. يقول عناية الله بَلوُچ: «البلوش يختلفون عن جيرانهم، ليس في لغتهم ودينهم وآدابهم ومشاعرهم فحسب، ولكن أيضاً في عاداتهم وتقاليدهم»[5]. والبلوش، كما يقول، يمثلون تبايناً قوياً مع جيرانهم الأفغان. فالبلوشي بنيته أقصر وأكثر رحمة ونحولاً ولكنه قوي. ولديه قدرة على التحمل ومقدام، وأسلوبه صريح، وصادق

---

(1) M. Longworth Dames, Popular Poetry of the Baloches, vol. 1, pp. 1-3.

(*) على الرغم من وجود الكورد التاريخي في منطقة جبل الأكراد المحاذية لحلب، فإنه يرجح لدلائل تم ذكرها سابقاً أن تكون حلب أخرى بين مازندران ـ گيلان وكوردستان. انظر ص. 63، وأبو عبيد البكري (ولد قرابة 1010م)، المسالك والممالك، حققه وقدم له: ادريان فان ليوفن واندري فيري، منشورات الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، 1992، الجزء الأول، ص574.

(**) طبقاً لأغلب الروايات الشعرية، فقد قاتل البلوش مع جيش الحسين (رض) ضد جيش يزيد. غير أن هذه الرواية لا تتعدى نطاق الأسطورة الناشئة عن تأثير الدعوة الشيعية في كِرمان، لمزيد من المعلومات انظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص134.

(2) هناك حاكم بهذا الاسم ادعى أنه منحدر من الصفاريين، وتوفي عام 1164م، لمزيد من المعلومات انظر: Azim Shahbakhsh, «Barrasi-e Hemasah-Sarai Dar Zaban-e Balochi», p. 66.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 95.

(4) M.Longworth Dames, The Baloch Race, pp. 35-36.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 77.

بوضوح. وتبدو له الشجاعة كأعلى فضيلة، والكرم والضيافة كواجب مقدس[1]. وخلافاً للأفغاني فإنه نادراً ما يكون متعصباً دينياً، وكما وصف السير دينزل إيبستون، في منتصف القرن التاسع عشر، البلوشي بقوله: «كان لديه أقل ألوهية في رأسه، وأقل شيطنة في طبيعته»[2]. ويعتقد الطبيب جهانزيب جمالديني، بشدة أن البلوش يختلفون جينياً عن البنجابيين والفرس. ويعتقد أن: «البلوش ليسوا فقط جسدياً، ولكن أيضاً من الناحية البيولوجية والنفسية هم متمايزون». ويشير الدكتور جهانزيب، علاوة على ذلك: «البلوش لديهم مجموعات خاصة بهم من القيم، التي هي إلى حد بعيد مختلفة عن بقية الأمم التي تعيش في المنطقة»[3].

لدى البلوش مبادئ خاصة بهم في الشرف، تفصل بينهم وبين جيرانهم. ويشير عناية الله بَلوُج إلى أهمية ميثاق الشرف البلوشي باعتباره عاملاً يعطي البلوش هوية قومية مستقلة. ويشير إلى أن أهم جزء من دستور البلوش غير المكتوب يعرف باسم «بَلوُج مَيار» (ميثاق شرف)، الذي يوجه حياة البلوش القومية. وفي كثير من النواحي، يؤثر «بَلوُج مَيار» في حياة الأفراد ويحدد مستقبل المجتمع البلوشي. وهذه التقاليد مختلفة تماماً عن تقاليد المسلمين في شبه القارة الهندية ـ الباكستانية، وعن تلك التي عند الفرس في إيران. فكل بلوشي منذ صباه يعرف التقاليد البلوشية. ومبادئ الشرف البلوشية، كما قال عناية الله بَلوُج، «تعارض وتناقض قوانين الدولة في إيران وباكستان»[4].

أما لغوياً، فإلى جانب البلوش، فالجماعة الثانية من ناحية الأهمية في بلوشستان

---

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch. pp. 83-100.

(2) Sir Denzil Ibbeston, The races, castes and tribes of the people in the report on the Census of Punjab, published in 1883, cited in: Muhammad Sardar Khan Baluch,The Great Baluch. pp. 83-100.

من الجدير بالإشارة أن طريقة البلوش في الحياة أثرت في طريقة اعتناقهم للإسلام. وكما لوحظ من قبل المؤرخ العربي المقدسي في القرن العاشر، فالبلوش كانوا مسلمين بالاسم فقط. المقدسي، أحسن التقاسيم. كما اقتبس في

Dost Muhammad Dost, The Languagesand Races of Afghanistan, Kabul, 1975, p. 363.

وبالمثل يلاحظ ماركو بولو في نهاية القرن الثالث عشر، أن بعض الناس كانوا وثنيين، ولكن الجزء الأكبر كان مسلماً.

(The Gazetteer of Baluchistan: Makran., p. 113).

(3) مقابلة مع د. جهانزيب جمالديني.

(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, pp. 80-88.

هي البراهوئيون. تقول التقاليد والقصائد الروائية الحربية البراهوئية أن كلمة «براهوي» مشتقة من مسمى أحد أجدادهم، براهو، الذي ليس من غير المألوف أن يكون تحويراً لاسم براهيم أو إبراهيم[1]. ووفقاً لدليل الهند الإمبراطوري، فأصل البراهوئيين لغزٌ لدى علماء الدراسات الإثنية بقدر ما لغتهم لغزٌ لدى علماء اللغة[2]. إذ إن هناك وجهات نظر مختلفة حول أصل البراهوئيين. ويرى خُدا بكش مَري:

كان البراهوئيون، على ما يبدو، إحدى أُوَل القبائل البلوشية العديدة، وحتى يومنا هذا، تؤكد القبائل الناطقة بالبراهوئية في بلوشستان أنها بلوشية. ومعظم هذه القبائل ثنائي اللغة، فهي متحدثة بكل من البلوشية والبراهوئية. وبدراسة دقيقة للغة البراهوئية يَظهر أنها استعارت 75٪ من مفرداتها أو أكثر من البلوشية. ويجب أن تكون المفردات المتبقية مستعارة من اللغة التي كانت تستعمل منذ الحكم الدرافيدي القديم لجنوب بلوشستان، الذي امتد حتى موهنجو دارو في السند[3].

البراهوئيون في رأي هنري پوتنگر هم من التتار أو الأصل المغولي[4]. ولكن، يرى مير أحمد يار خان، خان كلات الأخير، بأنهم من جنس بلوشي[5]. ولكن مجموعة صغيرة من الباحثين المعتمدين على أدلة لغوية، يرون أن البراهوئيين ينتمون إلى الجنس الدرافيدي. فيرى دنيس براي أن البراهوئيين يرجعون إلى الأصل الدرافيدي. ويرى أن اللغة التي يتكلم بها البراهوئيون مشابهة للغة الدرافيدية[6].

بعضهم يرى أن البراهوئيين يشكلون حجر عثرة للقومية البلوشية بسبب لغتهم المختلفة. وصنفت الحكومات الباكستانية، كما البريطانية من قبلها، البراهوئيين كمجموعة إثنية منفصلة، وذلك من أجل إضعاف القومية البلوشية[7]. ولكن آخر الأبحاث اللغوية والأنثروبولوجية تحدت هذا الادعاء. فوفقاً للغوية كارينا جهاني، من

---

(1) The Imperial Gazetteer of India: Baluchistan, pp. 80-90.

(2) Ibid.

(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p.110.

(4) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde, p. 71.

(5) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Mukhtaser Tarikh-e Baloch aur Khwanin-e Baloch, pp. 29-32.

(6) Denys Bray, The Life-History of a Brahui, Karachi, 1977 (Repr.).

(7) مقابلة مع آغا نصير خان أحمد زئي.

جامعة أوبسالا، فالانتماء الإثني لا يتغير بسرعة تغير اللغة، فليس هناك علاقة متلازمة بين كون الشخص بلوشياً وبين استخدام اللغة البلوشية. فالبلوشية تتراجع أمام اللغات الهندية في الشرق والفارسية في الغرب، وبعض الجماعات في تلك المناطق لم تعد تتكلم بالبلوشية على الرغم من أنها تحافظ على الهوية البلوشية. وتؤكد جهاني أن «القبائل البراهوئية في بلوشستان الوسطى تنتمي إلى هذه الفئة، التي هي ثنائية اللغة بين البراهوئية والبلوشية»[1]. وبالمثل، يعتقد ووكر كونور أن مجرد الاندماج الثقافي لا يعني بالضرورة الاندماج النفسي[2].

وتشدد عالمة الأنثروبولوجيا التي درست البراهوئيين، نينا سويدلِر على أن هناك «كثيراً من التشابه في الثقافة والتقاليد، والتنظيم السياسي»[3]. وأنها لم تكتشف أي فرق بين البلوش والبراهوئيين، عدا اللغة[4]. وكتب سليگ هاريسون: «من حيث المفردات... فالبراهوئية لا تعدو كونها شكلاً مختلفاً من البلوشية». في الواقع لا يعد وجود بعض الكلمات الدرافيدية في البراهوئية أساساً يمكن الاعتماد عليه لدعم النظرية القائلة بأن البراهوئيين هم درافيديون. فربما، خلال حكم الملك الماثوري چاندرا گوپتا (323 ـ 297 قبل الميلاد تقريباً) قد امتص البراهوئيون، الذين أقاموا مسبقاً في هضبة كلات، بعض كلمات اللغة الدرافيدية المستخدمة في المناطق المجاورة في ما هو الآن السند والبنجاب.

وبما أن البراهوئية صنفت كلغة درافيدية، فالتمييز اللغوي ضروري. «ولكن»، يكتب هاريسون: «هناك جدل مستمر حول إذا ما كان المتحمسون للبراهوئية يؤكدون على سماتها الخاصة، بينما القوميون البلوش يشيرون إلى حقيقة أن البراهوئية والبلوشية مفهومتان بشكل متبادل وقد أصبحت البراهوئية لا يمكن تمييزها من البلوشية بشكل متزايد، نتيجة للاستعارات»[5]. وثمة عنصر آخر مثير للاهتمام، ويعزز قضية القوميين البلوش، ألا وهو الثنائية عند البراهوئيين[6]. حيث يعتبر غالبية البراهوئيين البلوشية

(1) Carina Jahani, Standardization and Orthography in the Balochi Language, p. 106.

(2) Walker Connor, Ethnonationalism: The Quest for Understanding, New Jersey:Princeton University Press, 1994, p. 46.

(3) Swidler, N., «Brahui Political Organization and the National State», in: Ainslee T.Embree (ed.), Pakistan's Western Borderlands. N. Delhi, 1977, p. 86. 81 Ibid., p. 112.

(4) Ibid., p. 112.

(5) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 185.

(6) Government of Pakistan, Office of the Census Commissioner, Census of Pakistan, Karachi: Manager of Publications, 1951, pp. 50-51.

لغتهم الثانية. فعائلة كلات المالكة، وأسرة زعماء بيزَنجو، والبيزَنجو في مَكُران يتحدثون بالبلوشية وهي لغتهم الأولى. وعلاوة على ذلك، جميع القبائل البراهوئية في بلوشستان الإيرانية تقريباً تتحدث بالبلوشية فقط[1]. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن العديد من مؤسسي الحركة القومية البلوشية والأعضاء البارزين فيها، مثل مير عبد العزيز كورد، ومير غوث بكش بيزَنجو، وآغا عبد الكريم، هم من أصل براهوئي[*]. ومع ذلك، ومجادلاً على أساس لغوي، يعتقد محمد سردار خان بَلوُچ، أن البراهوئيين من أصل درافيدي[2]. وعلى الرغم من اعتقاده بالأصل الدرافيدي للبراهوئيين، يسلم سردار خان حسب تقديراته في عام 1958، بأن معظم السكان البراهوئيين (عددهم أقل من ربع مليون) هم من البلوش عرقياً[3].

ووفقاً لآغا نصير خان أحمد زئي، كانت نظرية الأصل الهندي أو الدرافيدي للبراهوئيين، نظرية بريطانية ملفقة. فلتبرير احتلالهم وإضفاء الشرعية على حكمهم لأنحاء بلوشستان البريطانية، حاولوا إثبات أن البراهوئيين من الناحية العرقية والثقافية من الهنود. وإذا ثبت أن البراهوئيين من أصل درافيدي، فإنهم يشكلون ثقافياً جزءاً من الهند البريطانية[4]. ولكن آغا نصير خان لا يوفر أدلة لدعم وجهة نظره. وبالمثل، فإن نائب رئيس جامعة بلوشستان، البروفيسور بَهادُر خان روديني، يرفض أيضاً نظرية الأصل الدرافيدي للبراهوئيين. ويرى البروفيسور روديني: أنه «للسيطرة على بلاد البلوش وحكمها، عَرَفَ

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 17.

(*) يضاف إليهم الشهيد أحمد شاه كورد المستشهد عام 1974، وعلي شير كورد، المستشهد عام 2010 على يد الأجهزة الباكستانية. وتجدر الإشارة إلى أن د. نصير دشتي يرفض نظرية الأصل الدرافيدي للبراهوئية، ويرى أن اسم براهوئي بالاعتماد على أبحاث (Ilya Gershevitch)، مُتخذ من محل إقامتهم في جبال بارِز، وهو يُرجِع أصول اللهجات البَشَكردية إلى قبيلة برادَز هوي من فارس الوسطى خلال عصر الأسرة الأخمينية. ويقول: «يمكن للمرء أن يستنتج بأمان أن البراهوئيون كانوا ضمن الكونفدرالية البلوشية في كِرمان. وكانوا ضمن القبائل البلوشية المقيمة في جبال بارِز. والاحتمال الغالب أنهم (أي البراهوئيون) حملوا اسمهم الحالي بعد أن أطلق عليهم بداية بارِزُوي، بعد انحدارهم من بيوتهم في الجبل وهجرتهم بأعداد كبيرة نحو الشرق في العصور الوسطى. وأصبحوا يعرفون باسم براهوي بعد أن كان الاسم بارِزُوي. واستناداً إلى أعمال د. گِرشِفِتش، هناك حاجة لإجراء المزيد من البحوث على اللغة البراهوئية، والتي لا ينبغي أن تكون مقيدة بالتركيز على البحوث السابقة التي ربطتها بالأصل الدرافيدي». انظر، Nasee Dashti, The Baloch and Balochistan: A Historical Account from the Beginning to the Fall of the Baloch State, Trafford, 2012, pp. 1-11.

(2) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p. 267.

(3) Ibid.

(4) مقابلة مع آغا نصير خان أحمد زئي.

البريطانيون البراهوئيين كجماعة هندية إثنياً». ويحاول أن يبرهن ما سبق البروفيسور روديني فيقول: «إنتاج مثل هذه النظريات كان جزءاً من السياسة البريطانية: فرق تسد»[1].

وكما ذكر أعلاه، هناك خلافات كثيرة حول الأصل الدرافيدي للبراهوئيين. مير أحمد يار خان، آخر خان على كلات، الذي حكم بلوشستان حتى مارس 1948، يدعو البلوش والبراهوئيين جماعتين لأمة واحدة. ووفقاً له فالجماعة البراهوئية، التي سميت في الأصل «ابراهيمي بَلوُج»، يلفظ اسمها الآن «براهوي بَلوُج»[2]. أما خُدا بكش مَري، كما ذكر سابقاً، يؤكد أن البراهوئيين هم إحدى قبائل البلوش الأولى العديدة. والكثير منهم، بما في ذلك العائلة الحاكمة في كلات، يستخدمون «بَلوُج» مع أسمائهم»[3]. ومع ذلك، يُعتقد أن هناك بعض الدم الدرافيدي فيهم[4]. وبالمثل، يعتقد غوث بكش بيزَنجو، السياسي الأكثر شعبية في سبعينيات القرن العشرين، أن «البلوش والبراهوئيين ليسوا شعبين منفصلين؛ بل هم شعبٌ واحد ولا فرق بينهم. والفرق الوحيد هو في اللغة. فلا يوجد هناك أي اختلافات على الاطلاق في الممارسات الاجتماعية وهيكل مجتمعاتهم. وهم يتبعون العادات نفسها من الولادة وحتى الموت، وفي الأفراح والأتراح»[5]. ووفقاً لبيزَنجو، فقد جاء البلوش إلى بلوشستان في ثلاث مجموعات رئيسية. سميت الموجات الأولى التي استقرت في سيستان باسم ناروئي (Naroi)، والتالية كانت بْراهوئي، وقد استقرت في توران، وتدعى الآن جهلاوان، وكانت الموجة الأخيرة، كما يعتقد بيزَنجو هي الرِند[6].

وبحسب كتاب كوردگال نامِك، الذي ألفه آخوند صالح في عام 1659، وزير بلاط مير أحمد خان الأول، خان كلات، فأصل البراهوئيين هو أصل البلوش والكورد نفسه. والكلمة «براهوي»، وفقاً للمصدر هي كلمة كوردية، وتلفظ «بْراخوي» باللغة الكوردية[7]. ومهما يكن فالأصل الإثني للبراهوئيين لا يزال مثيراً للجدل. ويشار إلى

(1) مقابلة مع البروفسور بَهادُر خان روديني، نائب رئيس جامعة بلوشستان.

(2) Mir Ahmed Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, Karachi: Royal Book Co., 1975, p. 56.

(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, Karachi: Royal Book company, 1974, p. 101.

(4) Ibid., p. 230.

(5) Mir Ghous Bakhsh Bizenjo, «Introduction», in: Janmahmad, The Baloch Cultural Heritage. Karachi: Royal Book Company, 1982, p. xxi.

(6) Ibid.

(7) Akhund Saleh, Kurd-Gal-Namak, Quetta: Balochi Academy, 1991, see introduction, pp. 2-8.

أنهم من نسل الأوريتان القدماء في زمن الإسكندر. ووفقاً لـ پ. هـ. ل. ايگِرمونت، فقد كانوا من أصل إيراني،[1] أي من الأصل البلوشي نفسه. أما گُل خان نصير، في كتابه كوچ وبَلوُچ، فيبرهن أن البراهوئيين هم الـ «كوچ» في شاهنامة الفردوسي[2]. ويعتقد ج. پ. تات، أن المصطلح براهوئي مع مرور الزمن فقد كل أهميته الأنثولوجية، التي ربما كانت متلازمة أصلاً مع المصطلح ذاته[3].

وأياً كان أصلهم الإثني، فسواء كانوا الأوريتان في زمن الإسكندر، أم من الكورد كما هو في كوردگال نامِك، أم كوچ الشاهنامة[4]، فالبراهوئيون يعدون أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من الأمة البلوشية، ويتقاسمون ثقافة وديناً وتجارب تاريخية مشتركة، ورموزاً توحدهم مع البلوش، وقبل كل شيء، وكما نوقش في هذا الفصل، هناك رغبة قوية بينهم في التأكيد على أصلهم المشترك مع البلوش، وهذا ما يهم جداً من الناحية السياسية.

توسع الجماعة الإثنو ـ لغوية البلوشية

تشكلت الهوية الإثنو ـ لغوية البلوشية خلال عملية طويلة. وكما ذكر سابقاً، حارب البلوش مع العديد من ملوك الفرس الأقوياء في القرن الخامس والسادس قبل الميلاد. وتخبرنا الشاهنامه بالإبادة الجماعية التي تعرض لها البلوش على يد أقوى ملك ساساني، أنوشيروان (531 ـ 578 م) في حوالى عام 531 م[5]. وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (705 ـ 715م)، استولى العرب على بلوشستان. ومع بداية الحكم العربي في المنطقة في بداية القرن الثامن، قبل البلوش الإسلام تدريجاً[6]. وجلب

(1) P. H. L. Eggermont, Alexander's Campaigns in Sind and Baluchistan and the siege of the Brahmin town of Harmatelia, Leuven University Press 1975, pp. 61-63. For more detail see Gul Khan Nasir, Koch wa Baloch, (First Edition 1969), Karachi, 1983, pp. 1-41.

(2) لتفاصيل أكثر انظر، Gul Khan Nasir, Koch wa Baloch. (First Edition 1969), Karachi, 1983, pp. 1-41.

(3) G. P. Tate, Seistan: A memory on the History, Topography, Ruins and People of the Country, p. 363.

(4) Ibid., and Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, vol. 1, pp. 11-12, and by the same author, Koch wa Baloch. Chapter 1.

(5) Ferdowsi, Shahnamah: Matn Inteqadi, vol. 4, pp. 346-349.

(6) قبل ظهور الإسلام، كانت الديانات المهيمنة على بلوشستان، مزيجاً من البوذية والهندوسية والزرادشتية والمَزدكية، ومع ذلك، يعتقد عناية الله بَلوُج أن غالبية البلوش في فترة ما قبل الإسلام كانوا على المَزدكية والزرادَشتية. انظر: The Gazetteer of Baluchistan: Makran, p.113; Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 70; M. A.Shaheen Qaisarani, Balochistan, Tarikh wa Mazhab, p. 259;Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan.Emergence Dimensions Repercussions, p. 5).

الحكم العربي بعض التغيرات الكبيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة. ومتحدثاً عن إقليم مَكُران وعاصمته پَنجگور، يقتبس كي لسترنج من الجغرافي الأديب، المقدسي، مصدره الرئيسي، ما يلي:

وفقاً للمقدسي كان لبَنجبور (پَنجگور) حصن من طين حوله خندق، وكانت البلدة محاطة ببساتين النخيل، وللمدينة بابان، باب التيز في الجنوب الغربي المفضي إلى الطريق الذاهب إلى تيز، وباب توران في الشمال الشرقي المفضي إلى الطريق المؤدي إلى ناحية توران، التي كانت عاصمتها [خُزدار]. وشربهم من نهر، والجامع وسط الأسواق، وأهل الإقليم قومٌ غتم(*)، ليس معهم من الإسلام إلا الاسم، لسانهم بلوصي (بَلوُچي)(1)(**).

ناقش أيضاً المؤرخ البريطاني توماس هولديتش، الازدهار الاقتصادي لمَكُران، تحت الحكم العربي. وذكر أن العرب شقوا لأنفسهم في مَكُران طرقاً برية مؤدية إلى الهند، وأنشأوا مراكز تجارية كبرى في المدن المزدهرة، وزرعوا شجرة فاكهتهم الوطنية التمر في وديان مَكُران، وأحاطوا أنفسهم بالثروة وجمال الزراعة المروية(2). وهكذا، استفاد الشعب من النمو المادي، بظهور المدن الجديدة والمراكز التجارية في مَكُران وبلوشستان الوسطى (تيز أو تيس، پَنجگور، خزدار، الخ.). وتجنيدهم في الجيوش العربية حَسن من مهاراتهم القتالية وقوتهم القبلية. وهذه التطورات مكنت البلوش من تشكيل دولتهم المستقلة مع سقوط الخلافة في نهاية القرن العاشر(3). ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أنه ومنذ القرن الثالث عشر، ظل الشعب البلوشي ينتقل باستمرار على طول الاتجاه الغربي والشرقي تقريباً. إذ أدى الغزو المغولي في منتصف القرن الثالث عشر

(*) الغُتْمةُ: عُجْمة في المنطق، ورَجلٌ أَغْتَمُ وغَتْمِيٌّ لا يُفْصِح شيئاً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ج2، ص. 433.

(1) G. Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate. Cambridge, 1905, p.329.

(**) صححت النص بالرجوع إلى ترجمة كتاب كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مكتبة الحيدرية، 2008، ص. 368. و محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبوظبي: دار السويدي، الطبعة الأولى، 2003، ص. 389.

(2) Thomas Holdich, The Gate of India: Being an Historical Narrative.London, 1910, p. 193.

(3) Yu. V. Gankovsky, The People of Pakistan: An ethnic history. U.S.S.R. Academy of Sciences, Institute of Oriental Studies, Moscow: Nauka Publishing House, Central Department of Oriental literature, 1971, p. 145.

وما تلاه من غزوات تيمورلنك للبلاد في القرن الرابع عشر، إلى تراجع الزراعة وانهيار أنظمة الري، مما دفع بهجرة كبيرة من مَكُران إلى الشمال والشمال الشرقي، حيث دخلوا السند والبنجاب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

وكانت أكبر الهجرات البلوشية باتجاه الشرق، في مطلع القرن السادس عشر. وفي هذه الفترة خاضت قبائل رِند ولاشاري البلوشية حروباً عديدة لا تنسى فيما بينها(1). واستمرت عداوتهم مدة ثلاثين عاماً، بين عام 1490 و1520 في وحول سيوي، سيبي الحالية، وكچي وعاصمتها گنداوا. وأدى ذلك إلى موجة هجرة هائلة نحو البنجاب والسند. فانتشر الرِند الذين هاجروا من سيبي إلى البنجاب حتى أودية أنهار چناب، وراوي، وستلج. وتجدر الإشارة إلى أن التوثيق الأول لحركة البلوش نحو السند كان في القرن الثالث عشر والرابع عشر. وانتقلت قبيلتان من البلوش وهما هُوت ودودائي في وقت واحد، صعوداً من مَكُران حتى نهر السند وجهلم، في الفترة نفسها. وفي حوالى عام 1470، خصص حاكم مُلتان، الشاه حسين لنگاه (1467 ـ 1502)، الأراضي الواقعة على الضفة الغربية لنهر السند من أجل استقرار البلوش فيها. ومنذ القرن الخامس عشر، بدأ البلوش بتعميق جذورهم بإقليم السند(2). وفي عام 1770، أطاح البلوش بسلالة كلهورا، وأصبحوا حكام السند. وأسست عشيرة ميرتالپور البلوشية(*)، سلالة المير الجديدة (1770 ـ 1843)(3). ووفقاً لإحصاء عام 1901، كان ثلاثة وعشرون في المئة من المسلمين السنود من البلوش(4). ومن المثير للاهتمام ملاحظة أن جمعية السند المحمدية، وهي منظمة مالكة للأراضي، تقدمت بالتماس للورد مونتاگو في رحلته إلى الهند عام 1917، بأنهم يريدون إقليم منفصلاً مؤلفاً من السند وبلوشستان(5). وهذا من شأنه أن يعكس العدد الكبير للقبائل البلوشية في السند وأهمية قادتهم، في أوائل القرن العشرين.

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, A Literary History of Baluchis, p.80.

(2) Sarah F. D. Ansari, Sufi Saints and State Power. Cambridge UniversityPress 1992, p. 27.

(*) التالپور فرع من قبيلة الهُوت البلوشية، خرجت من مَكُران واستقرت في بلاد السند عام 1700م، وأقامت إمارة بلوشية مستقلة في السند حتى عام 1843م، وانتهت بهزيمتهم على يد الاستعمار البريطاني بقيادة چارلز جيمس ناپير.

(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p. 189.

(4) Government of India, Gazetteerof Province of Sind, Calcutta, 1907, p.154.

(5) "Addresses Presented in India to His Excellency the Viceroy andthe Right Honorable the Secretary of State for India», in: Great Britain,Parliamentary Papers, 1918. xviii (Cmd 9178), London, p. 553.

لماذا تشتت البلوش في الأرض الشاسعة بين كرمان ونهر السند؟ كان السبب الرئيسي وفقاً لگنكوفسكي التطور البطيء ولكن الثابت للقوى المنتجة[1]. ونتيجة لذلك، تفكك تنظيم العشائر البلوشية وتشكلت العلاقات الاقطاعية فيما بينها. وكلما زاد عدد السكان، قلت المراعي، التي لم تكن كثيرة بما فيه الكفاية للبقاء حولها، ولذا اضطر البلوش إلى البحث عن أراضٍ جديدة. وذلك أدى إلى وقوع اشتباكات متكررة بين القبائل على الأراضي القاحلة، وكان على القبائل المهزومة إما أن تخضع للمنتصر وإما تضطر إلى ترك أراضيها والبحث عن أراضٍ جديدة. وبهذا اكتسبت فنون القتال، التي انتشرت بشكل واسع في حياة البلوش مع بداية القرنين العاشر والحادي عشر، التقدير والاهتمام بسرعة[2].

في عهد الشاه عباس الصفوي (1585 ـ 1628)، هاجرت بعض القبائل الكوردية إلى بلوشستان[3]. وزاد عددها في عهد نادر شاه (1730 ـ 1747). وفي الفترة نفسها، لجأت عدة قبائل من الجَدگال إلى باهو ودشتياري، غربي بلوشستان[*]. وربما وقعت هجرتهم في نهاية القرن السادس عشر خلال فترة حكم الملك في مَكُران[**][4]. وتواصلت عملية اندماج واسعة لقرون عديدة. وكما لوحظ من قبل سپونر، فقد تواصلت إلى القرن الثامن عشر والتاسع عشر. ونُسبَ الفضل جزئياً في ذلك إلى نجاح سياسات نصير خان، وجزئياً إلى التصنيف الإداري البريطاني اللاحق، من أجل توحيد وتعزيز الهوية القومية البلوشية[5]. وتأكيداً لاندماج القبائل غير البلوشية في المجتمع

(1) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 147.

(2) Khaje Nizam al-Molk, Siasat Namah, pp. 68.

(3) Mahmud Zandmoqaddam, Heka'yat-e-Baloch, vol. II, Karoon,1370/1992, pp.473-475. See also same book vol. I.

(*) للاستزادة عن هجرة الجدگال وتاريخهم العريق في مَكُران، أنظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص. 63 ـ 64.

(**) سلالة الملوك أو المَالِك من قبيلة الهوُت البلوشية، أسست دولة مَكُران المستقلة الممتدة من حدود ميناب إلى حدود السند، حتى سقوط دولتهم على أيدي البُليدئي في القرن السابع عشر. للمزيد انظر: أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، مرجع سابق، ص. 217.

(4) Karim Bakhsh Saeedi, cited in: Mahmud Zandmoqaddam, Heka'yat-e-Baloch, vol. I, pp. 262-267; مقابلة مع غلام محمد خانزئي. ورغم ذلك، ووفقاً للمصادر البريطانية، فاستيطان الجدگال في مَكُران يمكن تقفي قدم تاريخه إلى القرون الأولى للعهد الإسلامي. (The Gazetteer of Baluchistan:Makran,pp. 94-95).

(5) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History and Ethnography, p. 600.

البلوشي، يقول فيروز أحمد: «أبقت بعض من هذه القبائل على لغاتها، ولكن اندمجت تمام الاندماج في الإثنية البلوشية، بحيث لا يوجد اختلاف بينها وبين الشعب البلوشي في الحاضر»[1]. ومع ذلك، ووفقاً لفريدريك بارث، الأنثروبولوجي النرويجي، تعترف بعض العشائر الكبيرة في القبائل البلوشية بأصلها الپشتوني[2].

وكما ورد في الفصول السابقة، فعلى مدى القرون، سادت وهيمنت اللغة والثقافة البلوشيتان في معظم أنحاء البلاد، وعلى النحو المشار إليه تم وصف غالبية السكان بأنهم بلوش. ويشير داود خان أحمد زئي، نجل خان كلات الأخير، مير أحمد يار خان، «انظر إلى مقابرنا، فقد نُقشَ على شواهد قبور أجدادنا بأنهم بلوش». ويضيف «إننا نتبع العادات نفسها من المهد إلى اللحد»[3]. حتى أن كثيراً من هؤلاء المهاجرين الأوائل قد غيروا أسماءهم القبلية، فعلى سبيل المثال تحول الكورد إلى ميربَلوُچ زئي، وسَدا زئي (الجَدگال) إلى سردار زئي. وبإجراء مقابلات مع أناس من مختلف الخلفيات (براهوي، جَدگال، كورد) أدركت أن كل منهم يؤكد بشغف على أصله الإثني البلوشي. وبالتحدث مع غلام محمد خانزئي، وهو مثقف بلوشي ذو خلفية جَدگالية، قال للمؤلف: «لقد جئنا من السند، ولكن نحن بلوشٌ في الأصل، ولذلك هاجرنا إلى بلوشستان، وبذلك عدنا إلى وطننا الأصلي». وتابع: «لننظر مثلاً إلى أسماء القبائل لدينا، أنا من المير، وجميع المير يتحدثون بالسندية في السند»[4]. ووفقاً للكاتب ونائب المستشار السابق لجامعة السند، الدكتور نبي بَكش بَلوُچ، فالقبائل البلوشية فحسب هي المعروفة باسم المير في السند[5].

ومع ذلك، ففي أجزاء معينة من البلاد البلوشية، مثل كلات، كانت اللغة البراهوئية هي الغالبة. ومن بين هذه الأقليات الإثنية في بلوشستان، التي استقرت في القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين على طول المناطق الحدودية مع السند وأفغانستان وإيران، هنالك على سبيل المثال، الجاموت في لاس بيلا، والپشتون في

(1) Feroz Ahmed (ed.), Focus on Baluchistan and Pushtoon Question, p. 16.

(2) Fredrik Barth, Ethnic Groups and Boundaries. The Social Organization of Culture Difference, Oslo, Johansen & Nielsen Boktrykkeri, 1970, p. 124.

(3) مقابلة مع داود خان أحمد زئي.

(4) مقابلة مع غلام محمد خانزئي.

(5) Monthly, Balochi Labzank, June-July 1999, p. 27.

كويتا، والجَت في كچي، وسيبي، وديره جات، والناطقون بالفارسية من الطاجيك الديهوار في سيستان ومَستونگ[1].

قيام الحكم البلوشي

متى نشأت أولى الفيدراليات القبلية البلوشية؟ التاريخ السياسي للبلوش بهذا الشأن به غموض. ويبدو أنه بدأ مع عملية تراجع الحكم المركزي للخلافة في المنطقة، وتولي البلوش اللاحق سدة الحكم في مَكُران في السنوات الأولى من القرن الحادي عشر[2]. استولى الجنرال الأموي محمد بن القاسم على مَكُران عام 707م. وبعد ذلك، حكم الحكام العرب البلاد أقله حتى أواخر القرن العاشر، عندما بدأ الحكم المركزي للخلافة العباسية بالانحطاط. واستمرت فترة الحكم العربي المباشر على مَكُران نحو ثلاثة قرون. ومن خلال قبول الإسلام تدريجاً، اكتسبت القبائل البلوشية المنتشرة في منطقة واسعة (من نهر السند في الشرق، إلى كِرمان في الغرب)، الهوية الإسلامية الجديدة المشتركة. وهكذا منحهم الإسلام عامل تماسك إضافي[3]. وخلصهم الحكم العربي أيضاً من الضغط السياسي والعسكري المتواصل من بلاد فارس في الشمال. وعلاوة على ذلك، وكما ذكر سابقاً، استفادوا مادياً من نمو التبادل التجاري والتجارة التي ازدهرت في المدن والموانئ في ظل حكم العرب وإحياء البحر طرق التجارة البرية القديمة التي تربط بين الهند وبلاد فارس والجزيرة العربية عبر مَكُران الغربية. وأدت هذه التطورات على ما يبدو دوراً هاماً في تمكين البلوش من تشكيل الفيدراليات القبلية الواسعة النطاق، التي أدت إلى تفوقهم السياسي والعسكري في الأراضي التي تشكل الآن بلوشستان خلال الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر[4].

ومع تراجع الحكم المركزي للخلافة الإسلامية في القرن العاشر، بدأ الحكام المحليون وشيوخ القبائل، مرة أخرى، باستعادة قوتهم ونفوذهم. وخلال تلك الفترة

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle, pp. 25-26.

(2) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism» pp. 45-46.

(3) The Imperial Gazetteer of India, vol. VI, Oxford: Calaredon Press, 1908, p.275.

(4) Thomas Holdich, The Gate of India: Being an Historical Narrative,London, 1910, pp. 297-301. See also Dr. Sabir Badalkhan, «A Brief Noteof Balochistan», unpublished, 1998, This article was submitted to the Garland Encyclopedia of World Folklore, New York-London, (in 13 vols.):vol. 5, South Asia, edited by Margaret Mills.

تحديداً، بدأ المؤرخون المسلمون بتدوين ملاحظاتهم عن البلوش وصراعهم مع السلالات الإيرانية والتركية الصاعدة في كِرمان وخُراسان وسيستان. ويذكر أن البلوش تلقوا ضربة مدمرة في كِرمان من الحاكم الديلمي عضد الدولة (949 ـ 982م) وعمه معز الدولة في النصف الثاني من القرن العاشر[1]. وقد هزم البلوش أيضاً حول خبيص على يد قوات السلطان الغزنوي محمود وابنه مسعود، في بداية القرن الحادي عشر[2].

ويعتقد عموماً أن العصر الكلاسيكي للبلوش يبدأ من عهد مير جلال هان[3]. وينص التاريخ الشفاهي البلوشي على أنه في القرن الثاني عشر، أجبرت أربع وأربعون بولاك (قبيلة) بلوشية يرأسها مير جلال هان، على الهجرة من كِرمان وسيستان إلى مَكُران بسبب الغارات التركية[4] أو كما يعتقد الدكتور المؤرخ، عناية الله بَلوُج «بسبب الفرس»[5]. وبالاعتماد على مجموعات الشعر التقليدي، الدَپتر، أسس مير جلال هان فيدرالية قبلية كبيرة في مَكُران وكانت عاصمتها بمپور. واستندت الفيدرالية إلى نظام العدالة والمساواة. وميز البلوش مؤسستهم العسكرية في ظل مير جلال هان من خلال تقسيم القبائل الأربع والأربعين إلى خمس فرق عسكرية. وهذه التقسيمات وفقاً للدكتور عناية الله بَلوُج، أصبحت فيما بعد أساس القبائل الخمس الرئيسية، وهي رِند، لاشاري، كورائي، هُوُت، جَتوئي[6]. ويشدد گنكوفسكي على هذه الفكرة بالتأكيد على أن من الواضح أنه خلال هذه الفترة نشأت الفيدراليات القبلية الكبرى التي شكلت نواة الصفة القومية الإقطاعية البلوشية. ويضيف أن «العديد من الدول الإقطاعية الصغيرة» ازدهرت هناك أيضاً، بما في ذلك توران مع عاصمتها خُزدار في بلوشستان الشرقية، وكنداييل، گنداوا في الوقت الحاضر، وكيج في مَكُران وغيرها[7].

(1) M. Longworth Dames,Popular Poetry of the Baloches, p. 32.

(2) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, P.118-119.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch: The Life and Times of Ameer Chakar Rind 1454-1551 A.D., Quetta, 1965, p 48.

(4) M. Longworth Dames, The Baloch Race, p 29.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 95.

(6) Inayatullah Baloch, «Resistance and National Liberation in Baluchi Poetry», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.

(7) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 146.

تشير الملحمة الشعرية البلوشية القديمة، التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر، إلى مير جلال هان كحاكم للبلوش كافة[1]. غير أن هناك لبساً كبيراً محيطاً بكل عهد مير جلال هان. فعدا تقاليد البلوش وكتابات الكتاب القوميين البلوش، ليس هناك ما يكفي من التدوين التاريخي. فالقصائد الروائية الحربية لا تعطي الكثير من التفاصيل عن حكمه وإدارته. غير أنها، ترى أنه بعد وفاته، تم تقسيم مملكة مير جلال هان بين خمسة من قادة فرق جيشه. ووفقاً للانگورث ديمز، كان أربعة منهم من أبنائه، وهم رِند ولاشاري وكورائي وهُوت، بينما كانت الخامسة ابنته بيبي جَتو[2]. ويبجل الكتاب القوميون البلوش والشعراء مير جلال هان جداً. فإنهم يعتبرونه «الوالد المؤسس للأمة البلوشية»، ومؤسس أول «كونفدرالية بلوشية» في بلوشستان[3].

تعرضت بلوشستان في بداية القرن الثالث عشر، للهجوم مراراً وتكراراً من قبل المغول، الذين دمروا النظام السياسي البلوشي[4]، وألحقوا أضراراً بالنظام الاقتصادي وأحالوا الواحات إلى صحارى. ومع ذلك، فإن الجنس الإثني البلوشي صمد بنجاح أمام هجوم المغول الضاري، وأسس سلطنة مَكُران، وعاصمتها كيچ، ربما في أواخر القرن الثالث عشر. وصف ماركو پولو، الذي أبحر على طول الساحل المَكُراني في طريقه إلى موطنه في عام 1290م، «كِسماكوران [مَكُران وعاصمتها كيچ] هي مملكة لها ملك ولغة خاصة بها». ويدون أيضاً أن الناس «يعيشون على التجارة والصناعة، لأنهم تجار متضلعون، وينتقلون كثيراً عن طريق البحر والبر في كل الاتجاهات»[5].

وبناءً على ذلك، غرست المقاومة ضد الغارات الخارجية على مدى فترات طويلة من الوقت مشاعر التلاحم بين قبائل البلوش. وظهرت كونفدرالية قبلية برئاسة مير چاكررِند، أشار إليها المؤرخون بكونفدرالية الرِند واللاشار[6] في عام 1485م. وكانت كونفدرالية رِند ـ لاشاري إحدى أكبر الكونفدراليات القبلية البلوشية، التي

(1) M. Longworth Dames, The Baloch Race, p. 36.
(2) Ibid.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, p. 95.
(4) YU. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, pp. 146-147.
(5) Sir Henry Yule (ed.), The Book of Sir Marco Polo. The Venetian Concerning the Kingdoms and Marvels of the East, translated and editedwith notes, maps and illustrations in two volumes by Sir Henry Yule,London, 1903, p. 401.
(6) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 157-163.

امتدت من كِرمان في الغرب إلى وادي نهر السند في الشرق، وبالتالي وحدت للمرة الأولى جميع مناطق البلوش في نهاية القرن الخامس عشر. وكانت الكونفدرالية كما هو مبين، تتركز بشكل رئيسي حول أقوى قبيلتين وهما الرِند واللاشار، وبشكل متساوٍ شكلتا كونفدرالية واسعة من القبائل الأدنى. وفي عام1487، نقل مير چاكررِند عاصمة الكونفدرالية من كيچ في مَكُران إلى سيوي (سيبي)، في شرق بلوشستان[1]. وبعد توحيد سلطته في بلوشستان الشرقية، تقدم مير چاكر أيضاً إلى البنجاب، واستحوذ على مُلتان والأجزاء الجنوبية من البنجاب في مطلع القرن السادس عشر.

وعلى الرغم من عمر الكونفدرالية القصير، فهي في العديد من النواحي تشكل العلامة الفاصلة في ابتداء التاريخ الحديث لبلوشستان. وفي هذه الفترة انتشرت اللغة والثقافة البلوشيتان على مساحة واسعة. وتعرف هذه الفترة أيضاً بالعصر الكلاسيكي للملاحم البلوشية أو القصائد الروائية البطولية والشعر الرومانسي. وعلى ما يبدو فإن معظم القصائد الروائية البلوشية ترجع إلى هذه الفترة، التي تصف الأحداث التي وقعت، والمآثر والشخصيات، وأسماء القبائل والمناطق، التي اشتركت في تأليف تاريخ البلوش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر[2]. وبالتوازي مع توسع هيمنة الكونفدرالية في البلاد، ازدهرت أيضاً اللغة البلوشية والأدب الشفاهي، وبالتالي تم تعزيز ونشر ثقافة بلوشية متجانسة نسبياً ونظام للقيم في جميع أنحاء البلاد. وكما لاحظ جان محمد فسيادة الرِند ـ اللاشار كانت أول إمارة بلوشية مع آلية شبه دولة قبلية مماثلة للملكيات في آسيا الوسطى[3]. ومع ذلك، ومثل الكونفدراليات القبلية الأخرى ذلك الوقت في المنطقة، كانت لغة بلاط مير چاكر هي الفارسية[4].

وحظي مير چاكر بأعلى تكريم وتبجيل كما وصف بأعظم بطل في التاريخ البلوشي. ويعتقد أنه ولد في كولواه، قصبة مَكُران في منتصف القرن الخامس عشر. وهو يعتبر السليل المباشر للأب المؤسس للأمة البلوشية، مير جلال هان. وكتب سردار خان ما يلي واصفاً حسبه ونسبه:

انحدر چاكَر من نسب أميري ورفيع، وكذلك هي أصالته، وهو چاكر ابن الأمير

(1) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan: its Strategic Importance, p. 42.
(2) M. Longworth Dames, Popular Poetry of the Baloches, vol. I, xxi-xxiv.
(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 158.
(4) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, p. 100.

شيهَك ابن الأمير إسحق ابن الأمير كلو ابن الأمير منان ابن الأمير بيزَن ابن الأمير بَلوُچ خان ابن الأمير رِند ابن الأمير جلال خان [هان]، الذي عاش تقريباً بين 1100 ـ 1185م، وتوفي في بمپور ببلوشستان الفارسية(*)(1).

ضم مير چاكر في عام 1487، خاران وكلات ولاس بيلا إلى مُلكِه. وأدى انتصاره العسكري على قبائل كلات إلى توحيد الدولة البلوشية وعاصمتها سيوي (سيبي) في حوالى 1487م(2). وبحلول مطلع القرن السادس عشر أسست الكونفدرالية البلوشية في عهد مير چاكر نفسها بقوة في مَكُران ومرتفعات كلات والمناطق الخصبة في كچي وسيبي في بلوشستان الشرقية(3).

وبدا أن التهديد من إيران الشيعية في السنوات الأولى من القرن السادس عشركان أحد العوامل الحاسمة المؤدية إلى التماسك القبلي وتوسيع الاتحاد البلوشي. ومما أجبر القبائل البلوشية السنية على ترك الخصومة بينها جانباً وتقوية وتوسيع نطاق الاتحاد الكونفدرالي البلوشي على الأرجح نجاح شاه إسماعيل في عام 1501م في تأسيس دولة شيعية في إيران، ورغبته في نشر التشيع. وفي محادثة مع مولانا عبد الحق بَلوُچ حول هذا الموضوع، قال إنه بقوة يبرهن بأن هذا التهديد من الصفويين الشيعة كان أحد العوامل الحاسمة في توحيد البلوش في العهد الچاكري. ووفقاً لمولانا، لم تكن تهدف الغارات الصفوية المتكررة إلى احتلال بلوشستان فحسب، ولكن أيضاً إلى إجبار البلوش على قبول المذهب الشيعي بالقوة(4). ففي عام 1613م، بعث الملك الصفوي القوي، شاه عباس، رحلة استكشافية يرأسها حاكم كِرمان حينئذ، گنج علي خان لمهاجمة بلوشستان. ومن ثم، تمت هزيمة الحاكم البلوشي لمَكُران، مَلِك شمس الدين في بمپور، ببلوشستان الغربية(5).

(*) ترجم النص بالرجوع إلى الترجمة الأوردية للكتاب من الأصل الانكليزي، سردار خان، چاكر أعظم، ترجمة عبدالغفار نديم، كويتا: بلوچي اكديمي، الطبعة الأولى، 1988، ص. 113. والجدير بالذكر أن نسب چاكر يختلف بعد شيهَك، ففي رواية أخرى في بلوشستان الغربية، تسرد نسبه بچاكر ابن الأمير شيهَك ابن الأمير پيروز ابن الأمير كلو ابن الأمير رِند.

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch, pp. 117-118.

(2) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, pp. 88-90.

(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Balochesand Balochistan, P. 137.

(4) مقابلة مع مولانا عبد الحق بلوچ.

(5) تأسست سلالة الملك في مَكُران على الأرجح مع تفكك الكونفدرالية البلوشية الأولى، برئاسة مير =

شهد القرن السادس عشر، ليس صعود القوة الصفوية في إيران فحسب، ولكن أيضاً القوة المغولية في الهند، ووصول السفن الأوروبية إلى بحر عُمان والخليج العربي. ونحو بداية القرن السادس عشر، وجد البرتغاليون طريقهم إلى المنطقة

= جلال هان، بين القرن الحادي عشر ونهاية القرن الثاني عشر. ووضع أسسها مَلِك حسن، على الأرجح في القرن الثاني عشر. ويعتقد أن مَلِك حسن كان من نسل مير هوُت، أحد أبناء مير جلال هان، زعيم البلوش الأسطوري. غير أن الدكتور نبي بكش بَلوُچ، يعتقد أن مَلِك حسن كان من السادة،

(N. A.Baloch, «The Baloch People: Their Early Migrations to Subcontinent and their Principalities», in: Monthly, Balochi Labzank, Hub, Balochistan, August 1995, p. 85).

وتجدر الإشارة إلى أنه في كثير من القصائد الروائية الحربية القديمة دعي العديد من زعماء الهُوت بملك أو مالك. مثل رئيس الهُوت الشهير، سُهراب خان دودائي، الذي ترأس هجرة الدودائيين شرقاً، وهم فرع من قبيلة الهوت، من مَكُران إلى ديره جات في القرن الخامس عشر، وهناك أسس دولة بلوشية في ديره جات، والمعروف أيضاً باسم «مَلِك» سُهراب خان دودائي، وعاصمته كيج (كيچ)، وتألفت هذه الدولة الجديدة من المملكتين السابقتين مَكُران وخُزدار. وكان عامة سكانها من البلوش، الذين كانوا يتحدثون بالمُكري (لهجة البلوش المَكُرانيين) لغتهم المشتركة منذ القرن العاشر. ومكن الجنس الإثني البلوشي في البلاد، للدولة بنجاح من صد الهجمات الضارية المتكررة لجحافل الغزاة من الشمال الشرقي. ومن الواضح، أنه مع تأسيس كونفدرالية رِند ـ لاشاري في منتصف القرن الخامس عشر، فقدت السلالة استقلالها وأصبحت جزءاً من الكونفدرالية الجديدة. ووفقاً للتقاليد البلوشية، قسم مير چاكر رِند مملكته إلى عدة وحدات إدارية، بما في ذلك مَكُران. وجائزٌ أنه عين قائد الهوُت، ملك سعيد دُرَك زئي، سليل ملك حسن، كحاكم مَكُران. وعندما ضعفت كونفدرالية رِند ـ لاشاري في بداية القرن السادس عشر، انقضت في النهاية في اثر النزاعات القبلية الداخلية، وأصبح حكام الاقاليم مثل ملك سعيد في مَكُران مستقلين نتيجة لذلك. غير أن المؤرخ نصير خان أحمد زئي، يعتقد أن ملك سعيد أسس سلطته في مَكُران، في الوقت نفسه الذي نقل به الرِند مركز قوتهم إلى سيبي وكچي في بلوشستان الشرقية عام 1487م. ووفقاً لأحمد زئي، لم يكن ملك سعيد رئيس «الهوُت» ولكن «الجَت». وأياً كانت خلفيته القبلية، أعاد ملك سعيد تأسيس «سلالة الملك» في مَكُران وعاصمتها كيج في مطلع القرن السادس عشر. ويعتقد أن مَكُران خلال عهد الملوك كانت «دولة متحدة ومستقلة» وتشكل دستورياً دولة منفردة، ولكن مقسمة إلى عدة حكومات أو أقاليم ... والأقاليم، في الواقع، كونت فيدرالية بلوشية، متحدة تحت السلطة العليا لحاكم إقليم كيج دائماً، الذي تلقى الولاء والاتاوة من البقية. انظر

(A. T. Wilson, The Persian Gulf: An Historical Sketch from the earliest Times to the Beginning of the Twelfth Century, London, 1928, pp. 75-76).

استمر حكم الملوك لأكثر من قرن واحد. وقتل آخر ملك، ملك ميرزا (1617 ـ 1623) على يد البُليدئي في 1623. وهم، بدورهم أنشأوا سلالة خاصة بهم في عام 1623، السلالة البُليدئية، انظر،

(Tarikh-e Baloch wa Balochistan. vol. 4, pp. 109, and 275).

ومع أن (دليل بلوشستان الامبراطوري: مَكران. (معاد طبعه. 1986)، ص. 46) يربط سلالة الملوك في مكران مع سلالة الصفاريين في سيستان، فإنه مع ذلك، يقر أنه من المستحيل تحديد هوية ملوك مَكُران بيقين.

واستولوا على عدة أماكن على طول ساحل مَكُران. وفي 1510 م، احتلوا ميناء گوَتر، شرق چَهْبار، في بلوشستان الغربية(1). ولاحقاً، احتلوا أيضاً اثنين من الموانئ الهامة الأخرى وهي پَسْني وگوادَر، وأحرقوها. وهكذا، فإن تضارب مصالح هذه القوى الثلاث الخارجية (الصفويون والمغول والبرتغاليون) لا بد أن تؤثر في السياسة الداخلية البلوشية والمجتمعات الأخرى التي تقع بينهم(*).

لم تستمر الكونفدرالية البلوشية أكثر من ثلاثة عقود (1485 ـ 1512)، ومع ذلك فقد جلبت تغييرات إثنية وثقافية بعيدة المدى في المنطقة. وعززت مناطق الاستقرار البلوشية القائمة، التي قبلت التدفق السكاني الجديد من دون أي معارضة. وإدارياً، قسمت المنطقة إلى: سيوي مع الرِند، وكچ ـ گنداوا مع اللاشاريين، في حين حكم ممثل الرِند توران(2). وبعد فترة وجيزة من إقامة دولة بلوشية متحدة، بدأ التنافس بين قادة فصائل الكونفدرالية الأقوياء، الرِند واللاشاري، وأدى ذلك إلى حرب أهلية ذات نتائج كارثية(3). وبدأت خلافاتهم مع تقسيم الأراضي الخصبة في كچ وسيبي، ونتج من ذلك حرب الثلاثين سنة الأهلية. وطلب زعيما القبيلتين، مير چاكر رِند ومير گوَهْرام لاشاري، المساعدة من الحكام المجاورين(4).

في النهاية، عانى اللاشاريون هزيمة مذلة على يد مير چاكر وفروا إلى منطقة گُجرات. ومع ذلك، أضعفت هذه الحرب مير چاكر، وقد بقي في سيبي. وفي الوقت

---

(1) I. Afshar (Sistani), Balochistan wa Tamaddon-e Dirineh-e An, Tehran.1371/1993, p. 125.

(*) تحالف الصفويون مع البرتغاليين ضد بَلوُشستان والدولة العثمانية عام 1515م، أنظر، أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص. 215 ـ 218.

(2) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan, vol. 4, p. 90.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 97.

(4) جلب مير چاكر الأرغون من كندهار بينما طلب گوَهْرام مساعدة العديد من القبائل المحلية، والدعم المعنوي من حكام السند. وفي المعركة النهائية، انتصر الرِند، بدعم من الأرغون، على اللاشاريين، ولكن في إثر ذلك كانوا أضعف من أن يستمروا بسيطرتهم على منطقة. ويعتقد رئيس تحرير بلوچي دُنيا، چاكر خان بَلوُچ، والمدير السابق لراديو باكستان، بشير أحمد بَلوُچ، أن حكام السند من السَما أيدوا ميرلاشاري (مقابلة مع چاكر خان بَلوُچ وبشير أحمد بَلوُچ)، ووفقاً لأنور رومان، ليس هناك أي دليل صحيح لأي دعم عسكري مباشر بدعم مير گوَهْرام من قبل الحكام السنود. Cf., Anwar Roman, Aina-e Baloch, Multan: Qasar-e Adab, n. d., p. 31; See also Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p. 184.

نفسه واجه غزو الأرغون من كندهار. وبعد معركة حامية الوطيس مع شاه بيگ أرغون، حاكم كندهار، سلم مير چاكر عاصمته سيبي وانتقل إلى مُلتان.

وكما ذكر سابقاً، حكم مير چاكر رِند لنحو ثلاثة عقود من سيبي، التي أصبحت مركز السلطة البلوشية. وخلال فترة حكمه، وتحت قيادته، نشأت معايير جديدة في مجال الفنون والآداب، والشجاعة والشهامة والفروسية(1). وحتى اليوم، كل قبيلة بلوشية تطمح إلى أن تسير على آثار مير چاكر، الذي لا شك أنه كان محارباً شجاعاً وفي الوقت نفسه رجلاً مليئاً بالرحمة وكرم الضيافة(2). وكتب سردار خان واصفاً أهمية سيبي في العصور الوسطى، عاصمة كونفدرالية الرِند واللاشار:

حظيت مدينة سيبي بمكانة عالية لكونها أكثر المدن ثقافة وتجارة في كل أرجاء بلوشستان تحت حكم الإمارة البلوشية. وظلت أكثر عاصمة احتفى بها چاكر، الذي حافظ على أُبهة بلاطه الإمبراطوري الفاخر وغير المتمدن بطابع مفاتن القرون الوسطى. وتمثلت عاصمة الرِند كعين بلوشستان وأم المتع والمباهج ومجتمع الشعراء والمغنين. وتتحدث التقاليد الماضية عن سيبي كمدينة ذات أعلى مستوى أو أكثر المدن بهاءً في بلوشستان، يبلغ عدد ساكنيها مئة ألف نسمة... في سيبي، توافد الشعراء ومحبو الفنون من مَكُران والسند والمغنيات من بلوشستان الفارسية(3).

ووصف القوميون البلوش عهد مير چاكر رِند بالعصر الذهبي للبلوش، وينظرون إليه على أنه «البلوشي العظيم»(4). ويؤكد سردار خان أن «عصر سيادة الرِند في جميع مجالات الحياة البلوشية، في طريقها وطابعها، كان لا يقل أهمية في شكله البسيط في التاريخ البلوشي عن عصر بريكليس في اليونان القديمة، وعصر النهضة الأوروبية في نهاية العصور الوسطى، والثورة الصناعية في العصر الحديث»(5). وبتشكيل مير چاكر رِند لمصيرهم من خلال توحيدهم تحت راية واحدة، قدم مير چاكر رِند لقبائل البلوش

---

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, A Literary History of Baluchis, p. 72.

(2) Ibid.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, Quetta: Khair-un -Nisa, Nisa Traders, (3rd Edition) 1984.

(4) Muhammad Sardar Khan Baluch, The Great Baluch, p. 113.

(5) Ibid., pp. 216-17.

المنتشرة هوية مشتركة. وبالتالي، ففي الاعتبار القومي يعتبر «كأنه عمود قوة للإثنية البلوشية، وواضع ميثاق الشرف البلوشي والتقاليد البلوشية»[1].

ويعتقد أنه كان تحت إمرة مير چاكر جيش من أربعين ألف رجل، في حين أن بابُر فتح الهند مع جيش من اثني عشر ألف جندي فقط[2]. وكتب خُدا بكش مَري يصف جيشه «بدعوة من المير، تجمع عنده أربعون ألف محارب، وجميعهم متحدرون من سلف واحد. وجميعهم تزينهم معاطف من الدروع الحديدية التي تغطي رؤوسهم وصدورهم، ومتقدمون بأسلحتهم؛ ومسلحون بالأقواس والسهام، والأوشحة الحريرية، مع المعاطف، ومنتعلون الأحذية الحمراء، مع خواتم ذهبية في أصابعهم»[3]. وكان البلوش تحت إمرة مير چاكر منظمين تنظيماً جيداً ومنضبطين بشكل ممتاز. ويتكهن بأنه كان لدى مير چاكر 400،000، إلى 500،000 من الأتباع عند الزحف[4]. ومن سوء حظ مير چاكر وفقاً لعناية الله بَلُوچ، أنه لم يكن لديه تصور سياسي أو مهارة لتحويل كونفدراليته القبلية إلى هوية سياسية أكثر توحداً[5].

ويعد القوميون البلوش مير چاكر رمز وحدتهم وقوتهم. و«نحن أبناء چاكر»، هي الأغنية الأكثر شهرة في أوساط القوميين البلوش[6]. لأنه جسد فضائل الشجاعة القتالية البلوشية، وأسس أكبر كونفدرالية بلوشية على مر الأزمنة، على الرغم من أنها لم تدم طويلاً. وكتب خُدا بكش مَري عنه:

حتى يومنا هذا يعتبر مير چاكر أحد أعظم أبطال البلوش، لأنه موضوع حكايات الحب والقصائد الروائية الحربية البلوشية، وكان زعيماً على الرجال بالفطرة، وبقي هو الزعيم الأوحد للبلوش كافة لعقدين من الزمن تقريباً. غنِم بقوة ذراعه مرتفعات كلات فضلاً عن بلوشستان الدنيا، وأسكن البلوش فيها. ومرة أخرى، بفضله وفضل ذراعيه حكم البلوش ليس بلوشستان فحسب ولكن أيضاً البنجاب والسند. ولولا لم يكن مير

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, A Literary History of Baluchis, p. 73.
(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 96.
(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Balochesand Balochistan, pp. 60-61.
(4) Ibid., p. 62.
(5) Ibid., p. 97.
(6) BSO النشيد الوطني لمنظمة الطلبة البلوش.

چاكر، لما كان هناك دولة كلات، ولا حكم حكام التالپور السند، ولا أمكن بسهولة لبلوش البنجاب تأمين الجاگير(*) والاستقرار هناك[1].

وعلى الرغم من أن البلوش الذين استقروا في البنجاب والسند ليسوا مرتبطين بشكل وثيق بالتيار الرئيسي للحياة البلوشية اليوم، ولكن لمعظمهم فإن رابطهم الرئيسي مع ماضيهم هو في هيئة الحكايات الشعبية التي يرجع تاريخها إلى أيام مير چاكر. ومحور هذه القصائد الروائية الشعبية المنتقلة من جيل إلى جيل، والمدونة لأول مرة على يد العلماء البريطانيين، والتي يتغنى بها المنشدون الجوالون، إلى حد كبير صراع الرِند واللاشار، الذي احتل به مير چاكر المركز المهيمن.

لقد ذكر مير چاكر على نطاق واسع في الشعر البلوشي، سواء كانت قصائد الحرب الشعبية أو كلمات أغاني الحب. وكما هو مبين أعلاه، فإنه هو الذي قاد قبائل البلوش إلى مرتفعات كلات وأراضي كچي المنخفضة. ومرة أخرى يعود إليه الفضل في حكم البلوش لأجزاء من السند ومُلتان، حتى ولو كان لفترات قصيرة فقط. توفي في عام 1550م تقريباً، ودفن في ضريح بمقاطعة ساهيوال بالبنجاب(**).

وجه التنافس الداخلي بين القبائل ضربة قاضية إلى كونفدرالية البلوش. مما أضعف التنظيم المركزي البلوشي، وأضعف قوة البلوش، وأجبرهم على مغادرة بلوشستان والهجرة شرقاً، إلى السند والبنجاب. وفي رأي سردار خان بَلوُچ «قتل الأشقاء بعضهم لبعض هوى بكل الجنس البلوشي إلى حمام من الدم، وأدى إلى انهيار الكيان البلوشي بسبب ذلك واستنزافه تماماً»[2]. والأسباب الرئيسية، وفقاً لعناية الله بَلوُچ، كانت الشخصية البدوية للمجتمع البلوشي وعدم وجود حنكة سياسية عند مير چاكر رِند[3]. حيث لم يتمكنوا من حل المسائل التافهة من خلال الدبلوماسية. وعلى

(*) النظام الاقطاعي في ملكية الأرض.
(1) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan. Karachi: Royal Book Co., 1974, p.181.
(**) يقع ضريحه بالتحديد في بلدة ست گره بمقاطعة اوكاره على بعد 40 كم من مدينة ساهيوال شرق البنجاب، وسكان البلدة أغلبهم من البلوش الذين ينتسبون إلى الرِند. ورغم فقدهم لغتهم، حافظوا على أسلوب حياتهم الاقتصادي القديم برعي الماشية في منطقة زراعية.
(2) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p. 40.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 97.

الرغم من الازدهار في سيبي وكچي، أدى فشل مير چاكر في وقف تحديات اللاشاريين إلى استقطاب المجتمع، واستنزفت الحرب الأهلية قبائل البلوش حتى فشلت في الحفاظ على كونفدراليتها. ووفقاً للبروفيسور عبد الله جان جمال ديني من جامعة بلوشستان، فتقسيم الأراضي المحتلة حديثاً والقوى السياسية، كان السبب الرئيسي للحرب بين الفصائل الرئيسية المتنافسة، الرِند واللاشار[1].

ومع ذلك، ففي هذا الصدد، أدى دوراً هاماً تدخل اثنين من جيران بلوشستان الأقوياء، وهما الأرغون من كندهار والسَما من السند. فمشاركتهما المستمرة أطالت أمد الحرب. وكما يرى ذلك الدكتور محمد شاه مَري، «إن الأراضي الغنية لسيبي لم تثر شهية الإقطاعيين البلوش فحسب، ولكن أثارت أيضاً شهية الحكام المجاورين»[2]. فساند الأرغون مير چاكر رِند، في حين قدم السَما مساعدتهم إلى المعسكر الخصم، برئاسة ميرگوَهرام لاشاري، ونتيجة لهذه الحرب الطويلة، ضعفت قوة البلوش في بلوشستان وتفككت في نهاية المطاف[3].

وبسبب ضعف مير چاكر من جراء سنوات الحرب الطويلة مع اللاشاريين، انتقل بعد أن هزم بشدة على يد الأرغون في معركة قرب سيبي، مع ما تبقى من جيشه إلى مُلتان. وفي نهاية العصر الچاكري تمزق كل المجتمع البلوشي بالحروب بين القبائل، مما أدى إلى هجرات ضخمة نحو السند والبنجاب. وعلى النحو المذكور أعلاه، هاجر مير چاكر مع حوالى أربعمائة إلى خمسمائة ألف شخص[4].

أنهت نهاية كونفدرالية الرِند واللاشار في حوالى 1512 م، حقبة من تاريخ البلوش. ومن بعدها، تم تقسيم بلاد البلوش إلى عدة ممالك مستقلة، بما في ذلك مملكة الدودائي في ديره جات، ومملكة الملوك والبُليدي في مَكُران، وخانية كلات. واستمر النزاع القبلي لمدة قرن تقريباً حتى جاء مير أحمد خان من قبيلة أحمد زئي، وأسس خانية بلوشستان أو ثاني أهم كونفدرالية بلوشية في عام 1666 م. ولكن انتهى

---

(1) مقابلة مع عبد الله جان جمالديني.

(2) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum. p. 102.

(3) Ibid., pp. 102-103.

(4) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Balochesand Balochistan. p. 62.

توحيدها مع خانات كلات، عبد الله خان (1714 ـ 1734)، ونصير خان الكبير (1749 ـ 1795)[1]، الذي سيتم مناقشته في الفصل التالي.

خانية بلوشستان

نمت خانية بلوشستان[*]، وترسخت، منذ منتصف القرن السابع عشر وما بعده. كانت الخانية المتركزة في مرتفعات كلات، إلى الجنوب الغربي من عاصمة مير چاكر السابقة، أول دولة بلوشية تشمل جميع المناطق البلوشية مثل مَكُران وبلوشستان الغربية وديره جات وسيستان ولاس بيلا، التي وحدتها في كيان تحت سلطة حكومة مركزية. ولم تمنح الخانية البلوش مفهوم الوحدة والوطنية فقط، ولكنها قدمت أيضاً دستوراً غير مكتوب (رواج أو دَستور) الذي أصبح وثيقة «معظمة»[2]. وعُرِفَت خانية بلوشستان لاحقاً بخانية كلات أو دولة كلات، بسبب عاصمة خانية بلوشستان اللاحقة، كلات[3].

عندما انتخب مير أحمد الأول في عام 1666م، كخان كلات، بقرار جيرگا (مجلس الشيوخ أو مجلس تشريع قبلي)، كانت الخانية كونفدرالية فضفاضة من قبائل البلوش التي تعيش حول كلات. وكتوليفة سياسية، كان تماسكها الداخلي لا يزال ضعيفاً جداً، وهذه الدرجة من الضعف في الواقع حالة نموذجية في جميع الكونفدراليات القبلية؛ حيث كان هناك عدة مَراكز للسلطة محلياً، ولكن لا شخصية

---

(1) يعتقد أن بمپور كانت تحكم من قبل نصير خان العظيم، وكانت تقدم دخلها إلى خان كلات. أنظر، V/23/6/34; cf. Abdul Reza SalarBehzadi, Balochistan Dar Sal-ha-e 1307-1317 Qamari. Tehran, 137271994, pp. 15, 64-65, 122, 128.

(*) خانات بلوشستان أو خانية بلوشستان هي دولة كلات، كما عرفت لاحقاً. والخانات أو الخانية هي كلمة من أصل تركي ـ مغولي، نشأت لوصف كيان سياسي يحكمه خان. في التركية الحديثة، الكلمة المستخدمة هي kadanlk، وفي الأذرية الحديثة لجمهورية أذربيجان هي xanlq، وفي المنغولية تستخدم كلمة khanlig كما في «Khereidiin Khanlig» بمعنى خانية كرايت. وهذا الكيان السياسي هو المعهود بالنسبة إلى شعوب السهوب الأورو ـ آسيوية ويمكن أن تعادل الخانية المشيخة القبلية، أو المملكة، أو الإمارة أو حتى الإمبراطورية. وقد دخلت العرف السياسي البلوشي بسبب التأثير المغولي من الدولة الالخانية (1258 ـ 1544م) في فارس، والمغول في الهند، والغزوات السابقة للترك والمغول. والخانية عند البلوش نظام ملكي مشروط، أعلى سلطة به هو الخان أي الملك، ويتم تعيينه بالوراثة واتفاق أهل الحل والعقد على تنصيبه.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 101.

(3) Ibid

ذات سيادة مرجعية. فجاءت خانية كلات إلى حيز الوجود من خلال استغلال هذا الفراغ ذاته، الذي أعقب تفكك كونفدرالية الرِند واللاشار في بلوشستان في بداية القرن الخامس عشر.

وسع مير أحمد الأول حدود الخانية. ومنذ ذلك الحين، فإن تاريخ الخانية اتخذ شكلاً واضحاً ومحدداً، ويمكن تحديد تسلسلها الزمني[1]. وكان تشكيل خانية كلات، وفقاً للمؤرخ عناية الله بَلوُج، فصلاً هاماً وذا شأن آخر في التاريخ البلوشي. فكونفدرالية الرِند واللاشار لم تنج بسبب طابعها البدوي. وكانت دولة ديره جات البلوشية ذات طابع إقطاعي ولكنها لم تتوسع بسبب اعتمادها على الهند المغولية. وحافظت مَكُران على استقلالها، لكنها فشلت في التوسع نظراً إلى الغزو الفارسي والنزاعات القبلية الداخلية مع جيرانها البلوش في كلات[2].

وكما هو مبين أعلاه، فمنذ سقوط كونفدرالية الرِند واللاشار في القرن السادس عشر، كانت مختلف الإمبراطوريات، والكيانات السياسية في الواقع تتنافس على بلاد البلوش، فهناك الصفويون الشيعة من الغرب، والمغول من الشرق، وكلاهما أراد تعزيز حدوده، وذلك لدرء الغزوات والغارات التي تشنها القبائل البدوية من أفغانستان وآسيا الوسطى[3]. وهكذا، فإن صعود الكونفدرالية البلوشية تورط في كفاح مستمر مع المغول والامبراطوريات الفارسية. ولكي يواجه الضغوط المتزايدة من الصفويين الشيعة، اتبع مير أحمد مؤسس سلالة أحمد زئي، سياسة صديقة مع إمبراطور الهند القوي، اورَنكزيب[4]. وعلى الرغم من ذلك، غزا الجيش الايراني تحت قيادة الجنرال طهماسَب بلوشستان، في عهد ميرسَمندَر، بغية احتلال بلوشستان الغربية، ولكنه هزم طهماسب وقتل. لم يعجب الامبراطور المغولي، بهذا العمل فقط ولكن وافق أيضاً على دفع مئتي ألف روبيه سنوياً كمساعدات عسكرية لمواجهة التحدي المتمثل في العدوان الإيراني[5].

(1) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, volume one, Quetta, 1952, pp. 27-29.

(2) Ibid.

(3) Cf. Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 15.

(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 102.

(5) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Mukhtaser Tarikh-e-Baloch aur Khawanin-e-Baloch., Quetta: Aiwan Kalat 1972, p. 38.

وحدت خانية كلات معظم أنحاء البلاد البلوشية في دولة إقطاعية خلال القرن الثامن عشر. وفي بداية القرن الثامن عشر، وسع عبد الله خان، الخان الرابع (1714 ـ 1734) مملكته «من كندهار الواقعة في ما هو الآن جنوب شرق أفغانستان، وجميع أنحاء منطقة مكران وحتى بندر عباس الواقعة الآن كميناء في جنوب إيران، ومدد سلطانه ليضم مقاطعة ديره غازي خان على حافة البنجاب»[1]. وبحلول منتصف القرن الثامن عشر، طالب نصير خان الأول (الخان السادس)، وهو الحاكم الأكثر شعبية وقوة وديناميكية للخانية (1749 ـ 1795)، بالسيادة على «جميع الأراضي التي يعيش عليها البلوش». وأخضع كراچي ومعظم بلوشستان الغربية (الايرانية) تحت إدارته[2].

متحدثاً عن نصير خان، كتب ماسون، راوي مختلف الرحلات في بلوشستان: «في فترة متقدمة، عزز سلطته على مملكة شاسعة، وكان سر نجاحه هو أن لديه من التأثير ما يكفي لضمان طاعة زعمائه الاقطاعيين، ومن التعقل ما يكفي لمنحهم حرية التصرف وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية»[3]. ومع القوة المتحالفة المرتبطة به بهذا الرابط الإقطاعي عزز نصير خان سلطانه. وشكلت مناطق المَري والبُگتي ولاس بيلا ومَكُران وخاران وكويتا مملكته. وعلاوة على ذلك، ووفقاً لهاريسون، جدد نصير خان مطالبات كلات في ذروة قوته، بالسيادة على المناطق البلوشية الإيرانية، وأرسل قوات التدخل السريع في بعض الأحيان إلى مناطقه الحدودية الغربية[4].

تملك نصير خان الأول من الساحل الممتد من كراچي إلى حوالى 400 ميل غرباً إلى الحدود الإيرانية الحالية، حيث نصب الملوك الحجري (مَلكي چداگ) على «نهر ميناب»[5]، وصعوداً حتى كويتا وإلى الشرق من كويتا حتى حدود ديره جات، وهي دولة أكبر بكثير من بريطانيا العظمى وايرلندا معاً[6]. وإدارياً، اقترب نصير خان من إنشاء جهاز مركزي بيروقراطي غطى جميع مساحة بلوشستان أكثر من أي حاكم بلوشي آخر قبله أو بعده. وأسس نصير خان تنظيم الشؤون المدنية والعسكرية للخانية البلوشية

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 18.

(2) Public Record Office, FO 60/385, p. 61.

(3) IOR.L7P&S/18.

(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 17.

(5) The Gazetteer of Baluchistan: Makran, Quetta, 1986, p. 50.

(6) MSS F. 131/24-27.

على الخطوط شبه الحديثة، وكان هناك «برلمان بدائي استناداً إلى دستور عملي وتقاليد البلوش المتجانسة والمناسبة لحاجاتهم»[1]. وكان لديه وزير (رئيس للوزراء)، يشرف على إدارة جميع الشؤون الداخلية والخارجية، ومن مسؤوليته استيفاء وجمع العائدات من الأراضي الملكية[2]. وكان للخانية تحت حكم نصير خان علمها وعملتها النقدية الخاصة[3]. ومثل مير جلال هان ومير چاكر رِند، لا يزال نصير خان بين الأبطال الأكثر شعبية في الفلكلور البلوشي والأدبيات السياسية[4].

كتب المسافر البريطاني، هنري پوتنگر، الذي زار البلاد في وقت قريب من وفاة نصير خان، واصفاً شخصية نصير خان في عام 1816م، «إذا تفكرنا ملياً في شخصية نصير خان، سواء أكان الجندي، أم رجل الدولة، أم الأمير، ووضعنا نصب أعيننا الناس الذين وحدهم، سوف نجد فيه مزيجاً استثنائياً للغاية، حيث جمع كل الفضائل المتعلقة بتلك المناصب والواجبات»[5]. وربما كان الجانب الأكثر إثارة للاهتمام في عهد حكم نصير خان الطويل هو سياسته الداخلية الماهرة، والموجهة نحو تعزيز صلاحيات وشخصية «الخان»، لكن من دون تدمير الآليات السياسية التقليدية في المجتمع، الذي كان لا يزال بشكل بارز قبلياً ورعوياً في طبيعته. وكما لاحظ جان محمد، فقد كانت الخانية تحت حكم نصير خان، نسخة محسنة من كونفدرالية الرِند واللاشار القبلية[6]. فهو لم يحدث أي تغييرات فيما يتعلق بالعرف القبلي العام. ومنح التحالف القبلي الواسع، رؤساء القبائل قوة كبيرة، إذ اعترفوا بالخانية كسلطة عليا، وساهموا في تقديم عائدات رمزية، فضلاً عن تقديم ثابت لكتيبة من الرجال في زمن الحرب. وكانت منطقة مسؤولية القبائل ثابتة واستمرارها مسموحاً به. وعاون الخان مجلس من المستشارين الممثلين لكبرى القبائل والجماعات الحليفة للخان، مع وزير (رئيس الوزراء) مختار عادةً من المهاجرين الطاجيك أو الهندوس في كلات[7]. وعلى

(1) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan. Karachi: Royal Book Co.,1975, p. 84.

(2) Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India(19th - 20th Century), pp. 59-60.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 120.

(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of BaluchNationalism», p. 61.

(5) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde, p, 285.

(6) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 160.

(7) Government of India, Military Report on Baluchistan, p. 4.

غرار الملك الأفغاني أحمد شاه ابدالي، شاور نصير خان العلماء في الشؤون الهامة[1].

كان الابتكار الأهم لنصير خان الأول هو الجيش القبلي، المعروف تقليدياً باسم لشكر. وقد أدرك ضرورة الحفاظ على جيش منظم تنظيماً جيداً في خانيته بعد أن أمضى بعض الوقت في البلاطات الأفغانية والفارسية، وعاين تقنيات الحرب. وتبعاً لذلك، قرر أن يوقف وحدة دائمة من الجيش، ودعاها دسته خاص (شعبة خاصة) في عاصمة بلاده، ويبلغ عددها 1,200 رجل. وفي حالات الطوارئ يزيد عدد دسته خاص إلى 10,860 رجلاً. وعلاوة على ذلك، أنشأ شعبتين إضافيتين، كانت إحداهما تسمى «سَراوان لشكر» (شعبة سَراوان)، والأخرى «جَهلاوان لشكر» (شعبة جَهلاوان). وكان نصير خان القائد الأعلى لجيع أقسام جيش الدولة[2]. وصرح هاريسون واصفاً جيش نصير خان:

كان أبرز إنجاز لنصير خان هو إنشاؤه جيشاً بلوشياً موحداً يتكون من خمسة وعشرين ألف رجل، وألف من الجمال، وهي قوة مثيرة للإعجاب بمعايير القرن الثامن عشر بجنوب ـ غرب آسيا. ولأول مرة في تاريخها، احتشدت معظم القبائل البلوشية الكبرى تحت لواء نظام عسكري متحد، وتجنيد منتظم[3].

كانت العائدات الرئيسية للخانية هي منتجات الأراضي وضرائب ميناء كراچي والبضائع التي تمر عبر ممر بولان. وكان فرض الضرائب غير متكافئ ويتوقف على عوامل كثيرة بما في ذلك المسافة من المنطقة إلى العاصمة. وكان فرض الضرائب على التجارة المنقولة بحراً من ساحل مَكُران رمزياً أيضاً. وعموماً، فقد استثنيت قبائل سَراوان وجَهلاوان التي قدمت الجزء الأكبر من قوات الخان والفصائل الأخرى الهامة في المنطقة من عائدات الأرض. وكانت حصة الدولة من إنتاج الأرض في مَكُران العشر، في حين أن الجَت في كچي ـ گنداوا دفعوا النصف، ودفع المزارعون الديهوار والسكان الأصليون في كلات ومَستونگ وشال (كويتا) الثلث إلى الخان[4].

كان نصير خان الأول أعظم وأقوى خان من بين جميع حكام الخانية. وكنتيجة

(1) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum. p. 135.

(2) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e-Baloch wa Balochistan, vol. 5, pp.224-232.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 16.

(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 122.

لسياساته الاصلاحية الناجحة، فإنه يقارن أحياناً بـ «بيتر العظيم» في روسيا، في الدوائر القومية البلوشية[1]. حيث سعى نصير خان لبناء مملكة تكون فيها القبائل كافة، بما في ذلك تلك الموجودة في كچي، متحدةً طوعاً. وكان ناجحاً إلى حد كبير في فعله ذلك. إذ كان جمهوره من رؤساء القبائل مناصرين له، وقد خضعوا طوعاً له، مما سهل حكمه. وكان الخان رأس كونفدرالية قبلية كبيرة وكان منهجياً في بنائه الخانية. ولذا، فإن الخانية كانت كونفدرالية فضفاضة. وقوى نصير خان الاتحاد بسياسته المستنيرة. ونجح في تطوير الاتحاد القبلي الأكثر فعالية والأقوى في تاريخ المنطقة. وفي لفتة سياسية كبيرة له تدل على بعد نظره السياسي، لم يسبق له أن تدخل في المسائل الداخلية بين القبائل[2]. إذا كان الرِند والمَگسي في كچي ـ گنداوا، والآخرون في سيستان يحظون بالاستقلال التام، دون دفع أي من عائدات الأرض. فقد اعتبر ولاءهم السياسي كافياً[3].

وقد شجعت التجارة إعادة توحيد أراضي البلوش الشاسعة في كيان سياسي واحد. ومكن للخانية حيازة موانئ مَكُران مركزاً تجارياً هاماً بين الهضبة الإيرانية وآسيا الوسطى والهند والمحيط الهندي، كما جذبت العديد من المجتمعات الهندوسية والتجار الإسماعيليين، مما أدى إلى نتائج مفيدة لعائدات الخانية المالية. وعلاوة على ذلك، شجع نصير خان التجارة من خلال تخفيض الضرائب وأغرى التجار الهندوس، وكتاب الحسابات ومقرضي الأموال للعودة من أجل الدفع لصون معبد هندوسي في كلات. وقوت هذه التدابير الخانية وساهمت في تقوية الخان. «وعلاوة على ذلك»، يقول محمد حسن حسينبور: «عزز نصير خان البنية التحتية الاقتصادية للدولة من خلال بناء شبكة واسعة من الطرق، والخانات، والحصون، وتوسيع نظم الري، وتحسين خزينة الدولة عن طريق إعادة وضع نظام لجمع الضرائب والإيرادات الأخرى»[4]. وعليه، فإن الأربع والأربعين سنة التي حكم بها نصير خان الأول، والمعروف لدى البلوش بـ«العظيم»، وبطل التاريخ البلوشي، كانت سنوات إدارة فعالة ومنظمة تتخللها حملات عسكرية.

---

(1) Shah Mohammad Marri, Baloch Oaum. p. 131.

(2) M. G. Pikulin, Baloch, p. 110.

(3) S. Mahmud Ali: The Fearful State: Power. People and Internal war in South Asia, p. 127.

(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», pp. 58-59.

وعلى الرغم من وجود علاقة إقطاعية فضفاضة مع الملك الأفغاني، أحمد شاه، لم يعتبر نصير خان الأول نفسه خاضعاً للدُرانيين، ولكن بالأحرى مشاركاً أصغر في تقسيم الامبراطورية الفارسية بعد وفاة نادر شاه أفشار عام 1747[1]. ومع ذلك، فإن موقف الأفغان العدواني نحو الخانية، أثار مير نصير خان ليعلن استقلال كلات التام في عام 1758م. ونتيجة لذلك، فإن القوات الأفغانية تحت قيادة أحمد شاه نفسه غزت بلوشستان وحاصرت قلعة كلات لمدة أربعين يوماً. وفي النهاية توصلوا إلى اتفاق ودي تم سحب القوات الافغانية في إثره. واعترفت المعاهدة المعروفة بـ«معاهدة كلات» (1758)، بوضع بلوشستان المستقل ذي السيادة[2]. ووعد الملك الأفغاني بعدم التدخل في الشؤون الداخلية والخارجية للكونفدرالية البلوشية. والخان بدوره وعد بمساعدة أفغانستان في حالة العدوان الخارجي ضدها أو في الحملات الخارجية. واتفق كلٌ من الطرفين على عدم إعطاء حق اللجوء للمتمردين في بلدانهم. ومنح الاتفاق أساساً لعلاقات الخانية اللاحقة مع أفغانستان[3].

ويبدو أن التحالف البلوشي ـ الأفغاني تطور كردة فعل على التهديد المشترك لدولهم من قبل الامبراطورية الفارسية القوية نسبياً، والمهيمن عليها الشيعة. وفي مقابلة مع الكاتب، قال مولانا عبد الحق بَلوُج، وهو باحث بلوشي بارز: «كان على الأرجح الخوف المشترك من إيران الشيعية هو ما شكل التحالف البلوشي ـ الأفغاني»[4]. وانضم نصير خان لاحقاً، إلى الملك الأفغاني في حملاته العسكرية في مشهد ضد الفرس بعام 1759م، وكذلك في حملاته العسكرية ضد القوة المتنامية للسيخ في البنجاب في 1761 ـ 1762.

ووفقاً لعناية الله بَلوُج، كان نصير خان الأول أول حاكم بلوشي يولي اهتماماً للسياسة الخارجية. حيث تبادل السفراء مع إيران وأفغانستان وسلطنة ـ إمامة عُمان، وكذلك مع تركيا العثمانية[5]. ومنح السلطان العثماني مقابل اعتراف نصير خان به

---

(1) Olaf Caroe, The Pathan, pp. 372-373.

(2) لمزيد من المعلومات انظر،

Inayatullah Baloch, The Problem of GreaterBaluchistan, p. 203

(3) Louis Dupree, Afghanistan. Princeton: Princeton University Press, 1980, p.338.

(4) مقابلة مع مولانا عبد الحق بلوج.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p.120.

كخليفة المسلمين، مكافأةً بتلقيبه بنازي الدين، ونصير الملة المحمدية[1]. وكما يرى عناية الله بَلوُج، فحتى لقب بيكلر بيكي (بيگ البيگيون أو «زعيم الزعماء»)، منح له من قبل السلطان العثماني[2].

ومع ذلك، لا يُعرف شيء عن علاقته بالهند المغولية. وعلاوة على ذلك، كان عنده وكلاء (ممثلون) من كونفدرالية ديره جات والسند، والمحافظات التابعة[3]. وكما أكد جان محمد، «كانت سياسة الخانية الخارجية هي التعايش السلمي مع جميع الدول المجاورة. وعلى الرغم من كونهم اسمياً تحت الهيمنة الأفغانية، بقي العديد من الخانات محايدين وكانت الخانية نوعاً ما منطقة عازلة بين بلاد فارس وأفغانستان»[4].

ومع وفاة نصير خان الأول في عام 1795، بدأ تدهور السلطة المركزية للخانية، على الرغم من أنها حافظت على استقلالها حتى وصول القوات البريطانية إلى الساحة في منتصف القرن التاسع عشر. وبسبب الطمأنينة والترف، أثبت ابنه وخليفته، محمود خان عجزه عن الحفاظ على مساحة شاسعة من الأرض والدولة التي بنيت مع الكثير من العمل الشاق والدماء المسفوكة على يد والده، نصير خان. «ولم تمض سنة بعد وضع نصير في قبره، حتى تعرضت منجزات حياته بأسرها للتدمير والنسيان»[5]. فخلال فترة حكمه، احتلت أفغانستان ديره جات، الإقليم التابع، ورفضت مقاطعة كيج في مَكُران دفع الضرائب، وابتعد ميناء كراچي كثيراً عن سيادته، وتم استردادها وتملكها التالپور، بينما في بلوشستان الغربية استقل عدة زعماء ورفضوا دفع الضرائب[6].

في حين كانت الخانية وحليفتها العسكرية أفغانستان، في حالة من الفوضى في بداية القرن التاسع عشر، أصبحت البنجاب في ظل حاكم قوي، رَنجيت سِنگه، وباتت إيران قوية. وبالتالي، انتهى المصدر الرئيسي للدخل عند القبائل وزعمائها، والتي كانت حصص غنائم الحرب من غزوهم للهند المغولية، وإيران والسند، مع الظروف الجديدة. فقام رؤساء القبائل بدلاً من ذلك باحتلال الأراضي الملكية وحاولوا توطيد

(1) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, p. 136.
(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 106.
(3) Ibid., pp. 120-21.
(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 163.
(5) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p.88.
(6) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 124.

سلطتهم، ووفقاً للدكتور عناية الله بَلوُج، أدى ذلك إلى تفكك خانية بلوشستان[1]. وربما، على هذه الخلفية كانت الحكومات البلوشية (الإمارات) في الأقاليم الغربية البعيدة أول من خضع لانتماءاتها القبلية/ الإقطاعية، وأصبحت مستقلة في مطلع القرن التاسع عشر[2].

في عام 1809، كتب الكابتن گرانت، أن الشيخ سَمَنْدَر زعيم كَسَركَند ومير سبحان زعيم باهو ودشتياري، كانا يجمعان الضرائب لنفسيهما لمدة سنة. وبالمثل، كان مير محمد خان حاكم گِه (نيكشَهر)، ثاني أكبر إمارة في مَكُران بعد كيج، مستقلاً. وكما لوحظ من قبل گرانت، فإن أياً منهم لم يكن يدفع الضرائب لخانية كلات[3]. وفي السنوات التالية بعد زيارته، وجد كذلك السير هنري پوتنگر، وهو ضابط بريطاني، أن معظم الحكومات (الإمارات) في بلوشستان الغربية كانت مستقلة. وكان شاه مِهراب خان حاكم بمپور وفقاً لپوتنگر، معترفاً به من دِزَك في الجنوب الشرقي إلى حدود بَزمان المحاذية لكرمان في الشمال[4].

ويعتقد أن السبب الرئيسي في تفكك الخانية هو الحياة الشخصية للخان، والأزمة الاقتصادية. فمحمود خان كان ضعيفاً ومولعاً بوسائل الترف[5]. غير أن الباحث الروسي، گنكوفسكي، يعزو انحطاط دولة كلات إلى رغبة حكام المناطق المنفصلة في رفع حصتهم في الناتج الزراعي الإقطاعي الإجمالي عن طريق خفض حصة خان كلات بكونه رئيساً للدولة[6]. ويعطي مثلاً، وهو أن محمود خان كان دخله 350,000 روبيه فقط بالمقارنة بأكثر من ثلاثة ملايين روبيه كان يجمعها والده. وعلى النقيض من ذلك، كتبت الأنثروبولوجية نينا سويدلر، أن خانية كلات فشلت في فرض نظام ضريبي موحد

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 124.
(2) لمزيد من المعلومات انظر،
N. P. Grant, «Journal of a Route through the Western Part of Mekran (1809)», in: Royal Asiatic Society, Vol. 5, 1839, pp. 329-340.
(3) Ibid.
(4) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde, London, 1816, pp.169-170.
(5) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p. 241; Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p. 88; Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 124.
(6) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 151.

على تجارة القوافل والقبائل، وبدلاً من ذلك اعتمدت على عائدات الأراضي الملكية المزروعة[1]. وبعد وفاة محمود خان في عام 1821، حاول ابنه وخليفته مِهراب خان الثاني، تصحيح العديد من أخطاء والده، ولكن بحلول ذلك الوقت، ظهر البريطانيون على الساحة، واتخذت شؤون الخانية منحى جديداً. بيد أن تفكك الخانية، وانقسامها السياسي إلى مختلف الأقاليم والدول في ظل الحكم البريطاني، وفي النهاية ضمها إلى دولة باكستان، كان لهما التأثير العظيم في القومية البلوشية، وذلك سيتم مناقشته في الفصول التالية.

الهيمنة البريطانية

تأصل القومية البلوشية الحديثة في النضال ضد الاستعمار منذ منتصف القرن التاسع عشر. حيث أسفر التنافس بين القوى الكبرى في آسيا الوسطى عن الغزو البريطاني لأفغانستان، الذي جلب أيضاً القوات البريطانية للمنطقة البلوشية. إذ لم تكن ترغب خانية بلوشستان خلال الحروب الأفغانية ـ البريطانية، في المشاركة في العدوان الخارجي على الشعب الأفغاني[2]. وكانت الكونفدرالية البلوشية ملتزمة بمعاهدة مع أفغانستان منذ عهد مير نصير خان. وبما أن طرق الإمداد البريطانية إلى أفغانستان لا يمكن أن تصان بدون تأمين بلوشستان، والتي اكتسبت أهمية كبيرة في السياسة البريطانية في آسيا الوسطى. وعن هذا كتب كارل ماركس في مذكراته عن التاريخ الهندي، «في العاشر من مارس 1839، وصل الرتل إلى دادَر، وعند مدخل الممر؛ ارتاحوا لبضعة أيام، ووجدوا أن خان كلات، مِهراب خان، يكن لهم العداء، وبذلك لم يمكنهم من الحصول على الإمدادات»[3]. وبسبب ذلك أمرت القوات البريطانية بإخضاع كلات. فهاجمت كتيبة خاصة من كويتا ـ كلات، في الثالث عشر من نوفمبر عام 1839. فرفض الخان مير مِهراب خان الاستسلام وكافح ضد الغزاة. فقتل مع

(1) Nina Swidler, «The Political Structure of a Tribal Federation: The Brahui of Baluchistan», PhD. Dissertation, Columbia University, 1969.

(2) Nek Buzdar, «Social Organization, Resource use, and Economic Development in Balochistan» in: Monthly Balochi Labzank, Hub (Balochistan), March-April 2000, p. 71.

(3) Karl Marx, Notes on Indian History (664-1858), Moscow: Progress Publishers, 1986, pp. 133-34.

أربعمئة من رجاله في المعركة[1]. عين البريطانيون شاه نواز خان في منصب الحاكم الجديد، وكان يبلغ أربعة عشر عاماً وله قرابة بعيدة مع الخان المقتول، مع اللفتنانت لوفداي كوصي عليه، وبدأ البريطانيون بعد ذلك بتقطيع أوصال الدولة البلوشية. فمنحت كويتا ومَستونگ إلى ملك أفغانستان شاه شُجاع، وضمت كچي إلى السند[2]. ومع ذلك، فبمجرد مغادرة الجيش البريطاني كلات، ثارت قبائل البلوش وتوج ابن مِهراب خان، نصير خان الثاني، الخان الجديد.

كان نصير خان الثاني (1830 ـ 1857) معترفاً به من قبل البريطانيين في عام 1841، وبعد ثلاث عشرة سنة لاحقة (1854)، وقعت كلات أولى معاهداتها ذات العشرين السنة. وتم تعيين وكلاء سياسيين بريطانيين للخان، ودفعت إعانة سنوية في مقابل الولاء، وأعيدت كويتا إلى الخانية أيضاً[3]. واتفق في معاهدة جديدة مع كلات، التي تم التصديق عليها في نهاية عام 1876، على إمكانية تمركز القوات البريطانية في إقليم كلات. ولحق ذلك إنشاء وكالة بلوشستان ويقع مقرها في مدينة كويتا عام 1877. وفي العام نفسه، تم تعيين روبرت ساندمان ممثلاً للحاكم العام (A. G. G.)، ورئيس المفوضية، ونصب مسؤولاً على وكالة بلوشستان[4].

مع تعيين ساندمان بصفته وكيل الحاكم العام على بلوشستان بدأ فصلٌ جديد في علاقات البلوش مع القوة الاستعمارية[5]. ولد روبرت ساندمان في عام 1835 في بيرث، بإسكتلندا. وكان والده جنرالاً متقاعداً في جيش شركة الهند الشرقية. وفي عام 1856، عرض على ساندمان لجنة المشاة، فباشر عمله في الهند. وبعد أن قضى فترة وجيزة في الخدمة الفعلية خلال التمرد الكبير (1857 ـ 1858)، تم نقله إلى منصب مدني في 1859 كالمفوض المساعد في البنجاب. وشغل منصب قائمقام في ديره غازي خان (1866 ـ 1877)، قبل أن ينقل إلى بلوشستان في عام 1877. ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن التكتيكات البريطانية في الحكم غير المباشر وصلت إلى ذروتها بتدخله في

(1) Zabihullah Naseh, Balochistan, Tehran, 1344/1965, pp. 22-23.

(2) A. B. Awan, Baluchistan: Historical and Political processes, London, 1985, p. 62.

(3) Ibid., p. 66.

(4) R. Hughes-Buller, (ed.) Baluchistan, Calcutta, 1908, p. 43.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, pp. 140-41.

سبعينيات القرن التاسع عشر من خلال ما يسمى سياسة ساندمان التقدمية. وفي هذا الصدد، يعتبر ساندمان من قبل المؤرخين البريطانيين «الفاتح الحقيقي لبلوشستان»[1].

كما ورد في الفصل الثاني، قدم ساندمان نظاماً جديداً يتم من خلاله تغيير الطابع التقليدي للجيرگا القديمة تماماً، والذي عرف لاحقاً باسم «نظام ساندمان». وكان الهدف من هذا النظام هو إقامة علاقات مباشرة مع السردارات وزعماء القبائل، وتجاهل الخان فيها. وبهذا تمكن ساندمان أن يكون له طريقه، وحصل على ولاء السردارات عن طريق منحهم مخصصات مالية؛ ومكنته كاريزما شخصيته من إنشاء شبكة كاملة من العلاقات الشخصية الوثيقة، مقوضاً بهذا هيبة وسيادة سلطة البلوش المركزية. وقدم «نظام ساندمان» للبريطانيين سلاحاً قوياً للسيطرة على التمرد ضدهم وكسر ما تبقى من بقايا المؤسسات القبلية[2].

وبما أن الشعب البلوشي لم يرغب في العيش تحت ظل الحكم الأجنبي، فبعد وقت قصير من استشهاد مِهراب خان في عام 1839، انتشرت معاداة البريطانيين في جميع القبائل البلوشية ببلوشستان الشرقية[3]. وبغية كسر قوة المقاومة البلوشية، فصل البريطانيون أولاً «ديره جات» و«خان گره» (جيكوب آباد) عن بلوشستان وضمت هذه المناطق إلى الهند البريطانية[4]. وفي أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر، احتل البريطانيون الأراضي الأفغانية پشين وچوتياري تحت معاهدة گَندَمَك. واحتلوا أيضاً المناطق القبلية الأفغانية من ژوب ولورالاي وعززوا السلطات البريطانية فيها. وبموجب اتفاق مع خان كلات في عام 1883، استأجر البريطانيون كويتا وممر بولان ونصير آباد وچاگي ومَري - بُگتي وبعض المناطق البلوشية الأخرى، وألحقوها بمناطق الپشتون وأعادوا تسمية جميع هذه المناطق باسم «بلوشستان البريطانية»[5].

كانت إدارة الخانية في ظل حكم البريطانيين تدار من خلال وزير أعظم (رئيس

(1) A. L. P. Tucker, Sir Robert G. Sandeman Peaceful Conqueror of Balochistan, Lahore: Yakki Gate, 1979, pp. 6, 8ff.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, p. 141.

(3) Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th - 20th Century), p. 63.

(4) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, pp. 18-20.

(5) R. Hughes-Buller, (ed.) Baluchistan, Calcutta, 1908, p. 43.

الوزراء)، تم تعيينه من قبل الحكومة البريطانية. وكانت ميزانية الدولة خاضعة لموافقة ممثل الحاكم العام (.A. G. G)[1]. وكان «ممثل الحاكم العام للهند» يحكم المناطق المؤجرة (بلوشستان البريطانية). وكان ممثل الحاكم العام ومقره إقامته في مدينة كويتا، ممثلاً من خلال «وكلاء سياسيين» (في البرلمان) على مستوى المقاطعات. وكما هو مبين أعلاه، مع تعيين ساندمان كممثل للحاكم العام في باوشستان عام 1877، قام بتسليح السَردارات بقوى غير محدودة على قبائلهم إلى حد أنه يمكن القبض على أحد رجال القبائل وسجنه بإشارة من السَردار لعصيانه إياه، في حين أنه يمكن لرجال القبائل الذين كانوا قد سجنوا لجريمة خطيرة أن يطلق سراحهم بتلقي رسالة من الميرزا المسؤول عن النيابَت (المقاطعة) من السردار[2].

احتفظت دولة كلات بوضع استثنائي في نظام الهند البريطانية الإمبريالي. فنظرياً كانت ذات سيادة ومختلفة عن غيرها من الدول. وقد تم تسليم مسؤولية الدفاع والشؤون الخارجية للحزام الشمالي للخانية (بلوشستان البريطانية) للتاج البريطاني على أساس المعاهدات الودية المتفق عليها بين الجانبين. وكان من المتوقع بشكل عام من الخان استعادة هذه الحقوق والأراضي في حال قرر البريطانيون المغادرة. وما اكتسبه البريطانيون في هذه المعاهدات هو غير قابل للتحويل إلى طرف ثالث. وأكدت السلطات البريطانية ورجال الدولة الهندية مراراً وتكراراً هذه المراكز بجانب وضع الخان القانوني وحقوقه[3].

بيد أن الوضع كان مختلفاً عملياً. حيث أن طبيعة بلوشستان «الصعبة المراس» وماضيها واستراتيجيتها أثارت قلقاً حقيقياً أو متصوراً عن التحركات الألمانية والأفغانية ثم السوفياتية نحو المناطق الشمالية الغربية من شبه القارة، مما تطلب من البريطانيين مراقبة صارمة. ومن وجهة النظر البريطانية، لم يكن يسمح الشد والجذب الروسي - البريطاني للحرب في آسيا الوسطى وأفغانستان وإيران خلال القرن التاسع عشر؛ والخوف من الأنشطة الألمانية خلال الحربين العالميتين، وعدم الاطمئنان بسبب

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, pp. 139-42.

(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, Quetta: Third World Publication, 1994, p. 260.

(3) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, volume two, Quetta, 1954, p.11; Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 207-211.

الاضطرابات المعادية للغرب في أفغانستان والشرق الأوسط في مطلع القرن العشرين، والثورة البلشفية عام 1917، بالاستمتاع بترف سياسة مسترخية تجاه حدود الأراضي البلوشية. ولذلك فالإصلاحات الدستورية والسياسية والاقتصادية والتعليمية في الهند البريطانية لم يكن ليسمح لها بأن تمتد إلى الخانية والأراضي المؤجرة (بلوشستان البريطانية)[1].

وكان لا بد تقليدياً للخان الذي هو على قمة السلطة من التشاور مع الجيرگا (مجلس سَردارات القبائل الرئيسية) حول الشؤون الاجتماعية والسياسية. غير أن عدداً محدوداً من السردارات، القريبين من المركز، شاركوا في عملية صنع القرار. وكما عين الخان وزيراً أعظم (رئيس الوزراء) ووزراء آخرين ونواباً لهم للإدارة الخانية. وكان الدَربار (بلاط الخانية) مزيجاً فضفاضاً من رؤساء القبائل المقيمين (في كلات)، والوزراء وأقارب الخان الأقربين والمؤثرين والإداريين. وكانت الإدارية البريطانية موازية ومتسلطة على الدَربار والجيرگا ومجلس الوزراء المحلي ودواوين الخان، بدعم من قوتها السياسية والعسكرية. وبالتالي، فقد حكم البلاد الحاكم العام في كويتا ووكلاؤه السياسيون على مستوى المقاطعات، بواسطة موظفيهم[2].

الثورات الأولى

هزم البريطانيون جيش الخانية، وقتلوا مِهراب خان، واحتلوا كلات عام 1839. وانتزع شاه إيران بلوشستان الغربية مدفوعاً بتقدم البريطانيين غرباً، في بداية خمسينيات القرن التاسع عشر. وكان البريطانيون والفرس يعملون على توسيع نطاق سلطتهم عبر بلوشستان. وكان العصر البلوشي يمضي إلى نهايته. وفي هذا المحيط وقفت العديد من القبائل ثائرة ضد القوات الأجنبية[3]. وفي كتابته عن شجاعتهم، قال تاكر إن البلوش لم يستسلموا تماماً للبريطانيين في جميع الفترات. وخلال الحصار وفي المعارك قاتلوا حتى آخر رجل. ووفقاً لتاكر، فإن العدد الهائل من الضحايا هو خير

(1) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan: Its Strategic Importance, pp. 101-103.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر، Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p.123, and Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan. vol. 2, pp. 281-286.

(3) Charles Reynolds Williams, The Defense of Kahun, London, 1886, pp. 77.

دليل على ذلك. فعندما حوصر سبعمائة من قبيلة بُگتي في الأول من أكتوبر عام 1847، في معركة على حدود السند ضد الملازم ميروذِر، قائدة كتيبة خيالة السند الشهيرة، لم يستسلم أيٌّ منهم للبريطانيين. فقاتل جميعهم حتى قتل آخر رجل، ما عدا اثنين تجنبا القبض عليهما[1].

في السادس والعشرين من يناير عام 1867، خاضت قوات قوامها ألف ومئتا رجل مكونة من قبيلة بُگتي ومَري وقبيلة كهيتران المتحالفة معهم، معركة مهمة في وادي چاچَر بالقرب من حدود ديره غازي خان. وقاد مير غلام حسين مسري بُگتي القوات البلوشية في المعركة، التي قتل بها وانهزمت فيها القوات البلوشية[2]. في الرابع عشر من أكتوبر عام 1896، قامت جماعة دينية من قبيلة مَري، تدعى غازي برئاسة حاجي كالا خان المعروف باسم «مَسّت فقير»، بمهاجمة السكك الحديد وخطوط التلغراف البريطانية. ومع ذلك، فإن حركة غازي، لم تستمر طويلاً. فسرعان ما انتصر عليها البريطانيون، وأعدم مَسّت فقير مع خمسة آخرين من حركة غازي في سيبي في الثاني من نوفمبر عام 1896[3].

في الفترة ذاتها، كانت هناك اضطرابات في مَكُران. فقام مِهراب خان غير راضٍ عن الإدارة الاستعمارية، والذي يطمع في السلطة في وادي كيچ، باعتقال ناظم (ممثل البريطانيين)، ومدير الشؤون المالية الهندوسي ديوان ادهو داس في يناير عام 1898[4]، مما أثار غضب البريطانيين، الذين أمروا بالهجوم على الإقليم من كراچي لتأكيد سلطتهم. فنظم مِهراب خان ومير بَلُوچ خان المقاومة. وتجمع عدد كبير من اللشكر (القوات القبلية) في گوكپروش، على بعد أميال قليلة من تُربَت، في السابع والعشرين من يناير 1898 لمحاربة القوات البريطانية المتقدمة. ومع ذلك هزمت القوات البريطانية اللشكر البلوشي، مما أسفر عن مقتلهم جميعاً بمن فيهم زعيمهم مير بَلُوچ خان[5].

(1) A. L. P. Tucker, Sir Robert G. Sandeman Peaceful Conqueror of Balochistan, Lahore: Yakki Gate, 1979, p. 19.

(2) Gul Khan Nasir, Balochistan: Kadim aur Jadid Tarikh ki Roshani men, Quetta: Nisa Traders, 1982, p. 288.

(3) V/23/72/349.

(4) The Gazetteer of Baluchistan: Makran, p. 54; see also, Gul Khan Nasir,Balochistan: Kadim aur Jadid Tarikh ki Roshani men, pp. 191-192.

(5) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, vol. II, p. 343.

ويقال أنه جرى تشجيع ودعم مِهراب خان وبَلوُج خان من أخوتهم في بلوشستان الغربية، الذين كانوا يثورون ضد الشيعة الفرس في الوقت نفسه. وكان لقائدي الثورة في بلوشستان الإيرانية، حسين خان ولاحقاً مير بَهرام خان، علاقات وثيقة مع مِهراب خان ومير بَلوُج خان[1]. وبعد هزيمته من قبل الجيش البريطاني، سعى مِهراب خان گچكي، المحرك الرئيسي في الثورة، لطلب اللجوء في بلوشستان الغربية[2].

وعندما تم طرح اقتراح لتجنيد المرتزقة في بلوشستان في يناير عام 1917، لم يعارض سَردارات البلوش هذه الفكرة فقط، ولكن ثاروا ضدها أيضاً[3]. وجرت معركتان حاسمتان في گُنبُز وهَدآب هزمت فيهما قبيلة مَري[4]. ويقال إنه قتل سبعمائة منهم وأصيب خمسمائة آخرون بجروح في معركة گُنبُز. وفر زعيم الثوار، مِسّري خان بَلوُج، إلى الاتحاد السوفياتي، وشكل وفداً للمشاركة في «كونجرس باكو لشعوب الشرق» الشهير. وفي عام 1918، هاجر قائد آخر للثوار، هو كريم خان بَلوُج، مع قبيلته من بلوشستان الإيرانية للالتجاء إلى الاتحاد السوفياتي. كما أنه كان أحد المندوبين إلى مؤتمر باكو[5]. ويقال إن مِسّري خان كرئيس للوفد البلوشي، التقى لينين وبعض أرفع الزعماء الآخرين للاتحاد السوفياتي[6].

وبعد أن وضعوا المخطط التمهيدي لمبادئ التوجيهات النظرية والارشادات «لحركات التحرر الوطني» في الشرق؛ شن البلاشفة حملات نشر وجهات النظر الثورية والثورة البروليتارية في المستعمرات وشبه المستعمرات الشرقية. وفي وثائق التفويض الصادرة إلى أول ممثل سوفياتي في أفغانستان، التي وقعها لينين عام 1919، ذكر أن مجلس مفوضي الشعب عين و. ز. سُريتس «كممثل غير عادي ومفوض من جمهورية

(1) مقابلة مع أمان الله گچكي. ويعتقد المؤرخ ريكاردو ريدالي أن ثورة مَكُران «كانت الحادثة الأولى التي وظف زعماء القبائل المحلية بها الإسلام في المنطقة منذ وصول الإنجليز، باعتباره أيديولوجية سياسية لحشد الدعم».
(Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India. 19th - 20th Century, Firenze: II Maestrale, 1997, p. 91).

(2) Ibid.

(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 162.

(4) Mir Mitta Khan Marri, Rahm Ali Marri, pp. 25-43.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, pp. 147-149.

(6) مقابلة مع د. شاه محمد مَري.

الاتحاد السوفياتي الاشتراكي في آسيا الوسطى، للحفاظ على العلاقات الدبلوماسية مع شعوب أفغانستان المستقلة، و(قبائل) بلوشستان المستقلة، وشعب الهند المقاتل من أجل حريته»[1].

تواصلت المقاومة البلوشية ضد السلطات البريطانية لأكثر من قرن مع تباين في الشدة. وكانت بلا شك أعمالاً فردية لزعماء القبائل أو مجموعة منهم، من الذين تضرروا بشكل أو بآخر من أعمال الحكومة. ولم تتمكن الانتفاضات الأولى من أن تتخذ شكل النضال القومي. وكانت الأسباب الرئيسية لعدم وجود اتصال بين قبائل البلوش وعدم تواصلها مع الشعوب الهندية[2]، هو وجود عدو متفوق في السلاح والموارد، وعدم وجود تنظيم سياسي مناسب لتعبئة الجماهير. ولكن على الرغم من هذه النقائص، تواصلت مقاومة البلوش بطريقتهم الخاصة طوال فترة الهيمنة البريطانية، ولم يسمحوا قط للنفوذ الأجنبي أن يهيمن على مجتمعهم[3]. وينظر البلوش إلى هذه المعارك، كدليل على تقاليدهم المولعة بالحرب وشجاعتهم. وروايات المعارك مع البريطانيين لها المكانة الهامة نفسها في الفولكلور البلوشي عن الحروب ضد الأفغان والفرس والمغول والهندوس. ومجد شعراء البلوش في أواخر القرن التاسع عشر، مثل رَحم علي مَري، قادة الانتفاضة وألف قصائد عن حب الوطن ودان السَردارات الموالين للبريطانيين، واعتبرهم خونة[4].

الاحتلال الفارسي

في عام 1947، في خضم حركة الاستقلال، كتب سَردار خان بَلوُج، المدير السابق للتعليم والسكرتير الخاص لخان كلات، مير أحمد يار خان: «لا يمكن للجنس البلوشي في الواقع تحمل نسيان ما يسمى الآن ببلوشستان الإيرانية، فخلال الجزء الأكبر من تاريخه، كان دائماً محكوماً من قلب مَكُران الغربية إما عن طريق الحكام البلوش وإما الأجانب كجزء من بلوشستان»[5]. ومن الناحية التاريخية، فبلوشستان

(1) G. Bondarevski, «Bolshevik Policy and the Peoples of the East», in:Mainstream. December 3, 1977, p.34.

(2) مقابلة مع شير باز خان مَزاري.

(3) مقابلة مع أنور ساجدي.

(4) Mir Mitta Khan Marri, Rahm Ali Marri. Quetta: Balochi Academy, 1978, pp.25-44.

(5) Muhammad Sardar Khan Baluch, Baluch a Nation, Lahore, 1947, p. 157.

الغربية هي مهد تاريخ البلوش ومحط تركيز قصصهم البطولية القديمة وشعرهم الشعبي. ومن هنا بدأ أسلافهم، وامتدوا إلى ترسيخ نفوذهم في بلوشستان الشرقية منذ القرن الثالث عشر. فهذه الأرض، كما ذكر سابقاً، كانت مركز أول كونفدرالية بلوشية بقيادة مير جلال هان في القرن الثاني عشر. وربما كان من المفيد الإشارة إلى أن بلوشستان الغربية ليست مهد تاريخ البلوش فقط، ولكن أيضاً وفقاً لأبرز مرجع حول هذا الموضوع، سليگ هاريسون، مهد القومية البلوشية كذلك[1].

حافظت بلوشستان الغربية على استقلالها بعد فصلها عن الخانية في بداية القرن التاسع عشر، وحتى منتصفه. كتب الجاسوس البريطاني، هنري پوتنگر، واصفاً الوضع في بمپور، والحكومات الرئيسية (الإمارات) في بلوشستان الغربية، عام 1810: «شاه مِهراب خان، وهو أقوى زعيم في هذه الربوع؛ تتشكل قواته النظامية، أو أقله تلك التي يستطيع توفيرها بعد استنفارها في أيام قليلة، من ستة آلاف رجل، وهو معترف به بكونه السلطة العليا من ديزُك [ديزَك] إلى بَزمان»[2]. وكان دخله وفقاً لپوتنگر، أُحصي بأربعمئة وخمسين ألف روبيه سنوياً[3]. ومشيراً إلى الكراهية العميقة بين البلوش والفرس، أشار پوتنگر إلى:

بعد أن شرحت له هذه التفاصيل بقدر ما أستطيع، والتي أفترض أنه فهمها، سألني بإلحاح، عن سبب عدم قيامنا نحن الإفرنج، أو الأوروبيين، بالقضاء على الفرس (والذين سماهم الشيعة الكفار)، واستمر وقال: «لقد فهمت منك ومن گرانت، أن الحكومة الإنجليزية قوية ومتفوقة، وإذا كانت هذه هي الحال فعلاً، فإنها لن تجد صعوبة في إهلاك هذا الجنس البغيض، لأنني شخصياً يمكنني إيفاد مئتي جندي ليدمروا منطقة بأكملها، وهم بذلك سيخلصون حتى كلابهم منهم»[4].

وسأله پوتنگر عم إذا كان التعامل بينه وبين حكومة كِرمان متكرراً، أو إذا كان ثمة أي نوع من أنواع التجارة بين الدولتين. فرد، «التعامل»! أعادها وهو يضحك، «لا! لم

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 3.
(2) Henry Pottinger, Travels in Beloochistan and Sinde, p. 169.
(3) Ibid., p. 170.
(4) Ibid., p. 173.

يكن لنا أيٌّ من هذا في العامين الماضيين، كما أنه ليس من المحتمل أن يتجدد مرة أخرى»[1]. وفي عام 1838، أرسل مسافر آخرمن قبل البريطانيين، وهو أفغاني يدعى حاجي عبد النبي، لجمع معلومات استخبارية عن الأوضاع السياسية للدولة، فوجد أن حاكم بمپور أيضاً ينظر إلى السلطة الفارسية بازدراء[2].

وبسبب خسارة الفرس مطلع القرن التاسع عشر أقاليمهم الشمالية للروس، اتبعوا سياسة توسعية نحو بلوشستان وذلك للتعويض عن فقدان هذه المناطق[3]. وخلال الحربين الروسيتين، اللتين انتهتا بمعاهدتي «گُلستان» (1813) و«توركمانچاي» (1826)، فقدت فارس كل أراضيها على الساحل الغربي من بحر قزوين. وبسبب شروط معاهدة السلام «گُلستان»، فقدت فارس أقاليم القوقاز من قاراباغ وگانجا وشيراوان وباكو وجورجيا وأجزاء من تالِش. لم تحرم في عام 1826، معاهدة توركمانچاي بلاد فارس من محافظات أخرى مثل يريفان وناختشيفان فقط، ولكن أيضاً أكدت على حقوق روسيا الحصرية في بحر قزوين[4].

وفي رأي گولد سميد، بما أن فارس قد فقدت جزءاً كبيراً من أراضيها لروسيا في الشمال، ولا تستطيع التقدم باتجاه الغرب بسبب كبح الإمبراطورية العثمانية لها، والبريطانيين في أفغانستان، فإن السبيل الوحيد للتوسع بالنسبة إليها كان نحو بلوشستان الغربية حيث كانت الخلافات مستمرة بين زعماء ضيقي التفكير جعلت من الأرض لقمة سائغة لمخططاتها[5]. حيث قال في أحد تقاريره التي أعدت لحكومة بومباي ووزير الدولة للهند في السابع والعشرين من أبريل 1864، أنه شدد على الحجة التاريخية الأساسية للاعتراف بالمطالبات الفارسية في آخر حملاتهم على بلوشستان الغربية[6]. وكتب الجنرال گولد سميد في التقرير النهائي للإجراءات الذي قدمه إلى وزير الدولة

(1) Ibid.
(2) Hajee Abdun-Nabee, «Notes Taken on a Tour through Parts of Balochistan», In: Journal of the Asiatic Society of Bengal, No. CLLIII andCLIV of 1844, pp. 693-94.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 28-29.
(4) Peter Avety, (ed.) The Cambridge History of Iran, vol. 7, Cambridge: Cambridge University Press, 1991, pp. 334, 338.
(5) F. J. Goldsmid, Central Asia and Its Question, London, 1873, p. 41-42.
(6) J. A. Saldanha, Précis of Mekran Affairs, Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1905, p. 25.

للهند في التاسع من نوفمبر 1871: «كان لهذه الأصقاع، القدرة على أن تكون مستقلة، وهي وإن كانت مستقلة، فلن يكون لها القدرة على أن تكون مستقلة، فهي غنيمة جذابة لأقوى الجيران»(1). ومن بعد ذلك حل اسم «بلوشستان الفارسية» محل «بلوشستان الغربية» في الوثائق الرسمية الاستعمارية.

وقد حفز التوسع الفارسي زيادة على ذلك توسع نطاق المصالح البريطانية غرباً عبر مَكُران في منتصف القرن التاسع عشر(2). ففي عام 1861، وبعد تدخل بريطانيا لتمديد خط التلغراف الهندو ـ أوروبي من كراچي إلى گوادَر في ملكيات كلات، الذي يمتد إلى جاشك على ساحل بلوشستان الغربية، بدأ تمديد حملة الجيش الفارسي حتى بمپور ـ پَهْره (ايرانشهر) مقر الحكومة الرئيسية في بلوشستان الغربية. وتجدر الإشارة إلى أن مشروع التلغراف البريطاني زاد من الأهمية الجيوسياسية للمنطقة. فأثناء سير التحقيق البريطاني لبناء خط التلغراف في 1862 ـ 1868، واجهته مطالب إقليمية متضاربة في بلوشستان الغربية من قبل سلطان عُمان، وشاه فارس، وخان كلات(3).

وكما لاحظ محمد حسن حسينبور، في البداية كان لدى البريطانيين موقفٌ محايد من خلال تجنب قبول ادعاءات السيادة من قبل أي جانب، ولكن أخيراً تغيرت مواقفهم لمصلحة الفرس(4). ففي عام 1849، وبعد عقد واحد من الاحتلال البريطاني لكلات (1839)، احتلت القوات الفارسية التي يرأسها إبراهيم خان تقي زاده الحكومة الرئيسية في بلوشستان الغربية، بَمپور(5). ومنذ 1850 فصاعداً، قام الحاكم الفارسي لكِرمان في عدة حوادث بهجمات على المناطق المجاورة له في بلوشستان الغربية وارتكب أعمالاً وحشية لم يسبق لها مثيل بحق سكان لا حول لهم ولا قوة. وواصلت الحكومة الفارسية سياستها بالتلاعب بالحكام المحليين واستعداء أحدهم ضد الآخر، وذلك بغية الحد من سلطتهم، وإقامة سلطتها إلى أقصى حد ممكن(6).

(1) Ibid., p. 54.
(2) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 614
(3) Ibid., p. 616.
(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», Washington D.C.: The American university, 1984, p. 96-97.
(5) M. G. Pikulin, Baloch, p. 125.
(6) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 617.

بحلول الوقت الذي تم الانتهاء فيه من الخط في 1869 ـ 70 تقدمت القوات الفارسية حتى سرباز، وبين الساحل وبمپور. وحتى أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر تم أيضاً غزو وإخضاع الحكومات الأقل شأناً في ديزَك، سَرباز، گِه، وكسركند (قصرقند)(1). وفي عام 1863، مع بدء بناء خط التلغراف، بدأ الحاكم الفارسي إبراهيم خان في بمپور بتهديد ممثلي عُمان في موانئ بلوشستان(2). وفي عام 1869، احتل حاكم دشتياري مير دين محمد چَهبار (چابهار)، ولم تستعدها عُمان بعد ذلك البتة. لكن أعقب ذلك فترة من الكفاح والتفاوض بين عُمان ومير دين محمد وفارس، وفي السياق ذاته ظهر الحاكم الفارسي العام بكسركند(3). لكن بحلول هذا الوقت، انتهى حكم عرب مسقط في چهبار، الذي امتد ثمانين عاماً(4). وفي عام 1872، احتل الحاكم الفارسي العام، إبراهيم خان چهبار وضمها إلى بلاد فارس. وبعد ذلك بعامين، في عام 1874، اخضعت بَشَكَرد المستقلة في حينها أيضاً، وكانت تحت حكم سيف الله خان(5).

وحتى أواخر ستينيات القرن التاسع عشر، كان يطالب خان كلات بسيادته على كامل بلوشستان(6). وخلافاً لمطالبته، فرض البريطانيون والفرس خط گولد سميد على الخانية. وفي عام 1869 اقترح ملك فارس ترسيم الحدود الفارسية ـ البلوشية(7). وفي العام نفسه التقى الوفد الفارسي، بقيادة إبراهيم خان، حاكم بَمْ، بوفد الخانية، بقيادة فقير محمد بيزَنجو، تحت إشراف الجنرال گولد سميد، رئيس المفوضية البريطانية للجنة ترسيم الحدود الفارسية ـ البلوشية في بمپور. ويعرف هذا اللقاء باسم «مؤتمر بمپور»، وعقد في الأول من ديسمبر عام 1869. ولم يعارض به المندوب البلوشي ترسيم الحدود المعتزم فحسب، ولكن طالب أيضاً بانسحاب الفرس من بلوشستان

(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p.257.
(2) Ibid., p. 616.
(3) Ibid., p. 617.
(4) Ibid., p. 258.
(5) Ibid.
(6) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan. vol. 6, Quetta: United Printers, 1995, pp.363-64; cf. Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 167.
(7) Cf., Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 29.

الغربية. وأشار إلى أن هذه المنطقة هي جزءٌ لا يتجزأ من الدولة البلوشية، الخانية[1]. وعلى الرغم من استمرار المقاومة البلوشية لعامين، نجح الإيرانيون في عام 1871، بمساعدة البريطانيين، في تقسيم بلوشستان.

في عام 1870، جرى تقسيم النفوذ بين كلات وأفغانستان وبلاد فارس، وتم إضفاء الشرعية على ذلك وقتها من قبل لجان الحدود. ولكن الفرس (مُمَثلين بإبراهيم خان) أسرعوا وتنازعوا في بعض تفاصيل النتائج التي توصلت إليها اللجنة. فأخذوا بشين في عام 1870، واسفَنْدَك وكوهَك في عام 1871، مباشرةً بعد منح اللجنة هذه المناطق إلى الخانية. وفي الشمال هزم إبراهيم خان أيضاً سيدخان كورد، والمعروف باسم سردار سَرهَد، في خاش[2]. ومنذ ذلك الحين سيطر إبراهيم خان على معظم أنحاء بلوشستان الغربية حتى الحدود الحالية من خلال مزيج من القوة والتهديد، ونشر المسؤولين الممثلين له، ولكنه لم يكن قادراً على السيطرة على قبائل سَرهَد[3].

لم تتم دعوة خان كلات، خُداداد خان ليحضر لجان الحدود التي قسمت بلوشستان، ولم تتم حتى استشارته[4]. وكما ذكر من قبل، في وقت ترسيم الحدود عام 1871، كانت بلوشستان الغربية تحت الاحتلال الفارسي مسبقاً. ومع ذلك، في عام 1860، قرر خان كلات، خُداداد خان، استعادة گِه (نيكشَهر) وكسركند بالقوة، ولكن ردعه تحذير السلطات البريطانية[5]. وعلاوة على ذلك، في العشرين من فبراير عام 1863، عندما قرر البريطانيون بناء خط التلغراف من جاشك إلى كراچي، وقعوا معاهدة مع خان كلات، خُداداد خان وسَردارات البلوش المحليين في بلوشستان الغربية، وليس الحكومة الفارسية[6]. وكان هذا العمل في ذاته، وفقاً للقوميين

(1) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan, vol. 6, Quetta: United Printers, 1995, pp- 363-64; cf. Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 167.

(2) Percy Sykes, Ten Thousand Miles in Persia or Eight Years in Iran,London, 1902, p. 106.

(3) M. G. Pikulin, Baloch. p. 122.

(4) Nina Swidler, «Beyond Parody», in Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity, Karachi, Oxford University Press, 1996, p. 182. مقابلات مع أكبر باركزئي، وغيره من القوميين البلوش. نواب أكبر خان بُگتي، وصديق بلوچ.

(5) Mir Naseer Khan Ahmadzai, Tarikh-e Baloch wa Balochistan, vol. 6, pp. 290-91.

(6) The Gazetteer of Baluchistan: Makran, pp. 230-231; see also M. Mahmud, Tarikh-e Rawabet-e Siasi-e Iran wa Englis Dar Qarn-e Nuzdahum Miladi. 2nd Edition (in 8 volumes), Tehran, 1335/1956, Vol. Ill, pp. 614-616.

البلوش، مبرراً لمطالبة الخان بالسيادة على بلوشستان الغربية[1]. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من ترسيم الحدود والاعتراف البريطاني بالسيادة الفارسية على بلوشستان الغربية، فقد كان حكم الفرس اسمياً. ففي الواقع كان جيش رضا شاه الحديث هو الذي هزم في النهاية مير دوست محمد خان واحتل بلوشستان الغربية (بلوشستان الايرانية) عام 1928، كما سيتم مناقشته في القسم التالي.

المقاومة في بلوشستان الغربية

في عام 1896، حفز اغتيال الملك القاجاري نصير الدين شاه زعماء البلوش ليعيدوا تأسيس حكوماتهم في بلوشستان الغربية[2]. وفي عام 1897، نهض البلوش مرة أخرى في سَرهَد وسراوان وبَمپور تحت قيادة زعيم قبيلة ناروئي، سَردار حسين خان. وفي عام 1897، هاجم حسين خان بَهرَه (إيرانشهر)[3] وقاد ثورةً عامة ضد الحكم الفارسي في سَرهَد وسَراوان وبَمپور، مطالباً بتخفيض الضرائب، من الثلث إلى العشر، والحكم الذاتي[4]. وانتشرت الثورة إلى سرباز وديزَك ولاشار وبَمپُشت. واستولى حسين خان على بَمپور وبَهره وبَزمان وغيرها من الأماكن، التي كانت بها حاميات فارسية صغيرة، وسيطر على معظم مناطق الجزء الشمالي من بلوشستان. وانضمت إليه العديد من الجماعات البلوشية، التي كانت حتى الآن على الحياد نحو الاضطرابات بين الأسر الحاكمة والگَجَر (كما يطلق البلوش على الفرس)[5].

في عام 1897، هزم البلوش قوة فارسية كبيرة تم إرسالها من كِرمان لاستعادة النظام، واستمرت الانتفاضة مدة عامين تقريباً، لكن في نهاية المطاف هزم حسين خان في عام 1898[6]. ومع ذلك، وفقاً للباحث السوفياتي، پيكُلين، الذي درس بلوشستان الغربية، استمر التمرد وانتشر وسحق فقط عندما تم شراء حسين خان بتنصيبه حاكماً

(1) مقابلة مع أكبر باركزئي.

(2) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism»,P. 111.

(3) Percy Sykes, Ten Thousand Miles in Persia Or Eight Years in Iran, p. 132; Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 618.

(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 144.

(5) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 618.

(6) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.

لمقاطعة، مع منحه حق جمع الضرائب(*)[1]. ووفقاً لبيكُلين كان سبب الثورة الواسعة في بلوشستان الغربية، هو فرض الضرائب الثقيلة، و«استبداد واضطهاد» الحكام القاجاريين[2].

واصل البلوش نضالهم خلال عهد السلالة القاجارية، التي انقضت بطريقة مخزية في عام 1921. وخلال ذلك فقد البلوش السيطرة الفعلية على معظم أراضيهم. وعلى الرغم من كل الأعمال الوحشية وإراقة دماء البلوش، لم تتحقق مخططات الحكومة الفارسية الرامية إلى القضاء عليهم. فالبلوش بتماسكهم المعتاد وعزيمتهم وتصميمهم حافظوا على نفوذهم السياسي ووضعهم شبه المستقل. وكتب في هذا الصدد الكاتب البلوشي القومي حسينبور أنه على الرغم من هذه التحركات العسكرية «كان حكم القاجاريين في هذا البلد رمزياً أكثر منه حقيقياً، وكان محدوداً ومتركزاً في بَمپور، عاصمة بلوشستان السابقة. حيث ظلت بقية البلاد مستقلة أو شبه مستقلة، ولم يزعج ذلك سوى إرسال دورية عسكرية لجمع الضرائب»[3].

وعلى الرغم من سحق ثورة 1896 ـ 1898، فإنها أضعفت وبفعالية قللت من شأن حكم القاجاريين في بلوشستان[4]. وهزم حسين خان، زعيم الثورة، كما ذكر أعلاه، في عام 1898، وتوفي في العام نفسه. ولكن نجح ابنه سَيِّد خان في الابقاء على السيطرة على حصون گِه وبِنت وكَسَركَند والموانئ. في الوقت نفسه تم الاعتراف به من قبل الفرس كحاكم گِه، مع حقه في جمع الضرائب[5]. وفي أثناء ذلك، قرر التوسع، فأخذ سَرباز. وبعد ذلك التحق بمير بَهرام خان بارانزئي، حاكم ديزَك. لكن وكما أضعفت الحركة الدستورية الإيرانية في 1906 الحكومة المركزية، بدأ البلوش مرة أخرى بتوسيع أنشطة غاراتهم.

(*) يرجح أن السبب وراء تراجع السردار حسين خان ناروئي هو رفض البريطانيين دعم رغبته في إنشاء إمارة بلوشية مستقلة شبيهة بتلك التي في كلات، وضعفه العسكري أمام القوات القاجارية. انظر للمزيد عن الأحداث التي جرت في هذه الفترة بين زعماء القبائل البلوشية والسلطات البريطانية والفارسية والعُمانية، أحمد يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج، ص402 ـ 404.

(1) M. G. Pikulin, Baloch, p. 178.
(2) Ibid., pp. 162-165.
(3) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», p. 105.
(4) Ibid., p. 113.
(5) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p. 618.

حول مير بهرام خان اهتمامه ليكون متركزاً ضد الفرس عام 1907، بعد أن عزز سلطته في ديزَك وسَرباز. وفي السنة نفسها استعاد سهول بَهره وبمپور. وبحلول عام 1910، سيطر على جميع المناطق حتى موانئ گوَتر وچابهار. وبعد هزيمتهم وخسارتهم لحصن بَمپور، استخدم الفرس تكتيكاً جديداً. فقاموا بشراء سَيِّد خان، بإعطائه منصب حاكم بلوشستان[1]. ومنح سَيِّد خان رسمياً لقب «سَردار نظام»، وحق جمع الضرائب من جميع أرجاء بلوشستان الواقعة ضمن بلاد فارس. وفي المقابل، اعترف سَيِّد خان بالادعاءات الفارسية على المنطقة. وبالتالي، قام سَيِّد خان بخيانة حليفه مير بَهرام خان، ووقف مع الفرس. ولكن على الرغم من كل ذلك لم ينجح الفرس قط. وبقيت القوة الحقيقية في بلوشستان الإيرانية مع مير بَهرام خان[2]. في عام 1910، أرسلت قوات قاجارية أخرى بأمر سردار نُصرت اسفندياري، قائد حامية كِرمان، لتحاول استعادة السيطرة على بَمپور، ولكن هزمها بهرام خان أيضاً[3].

غير أنه بعد عام 1910، عندما وطد البارانزئي سلطتهم في المنطقة، أصبح النفوذ البريطاني وراء مَكُران مصدر قلق دائم في بلوشستان الإيرانية. وفي بحثه عن الحلفاء، حافظ بهرام خان على صلات وثيقة مع الحكومات الأجنبية وخصوصاً مع الألمان[4]. ولكونه مسلماً سنياً متديناً، حاول أيضاً الحصول على الدعم المعنوي من جانب العثمانيين، والأفغان. وفي أواخر عام 1914، كان بهرام خان في موقف قوي، وفي حوزته ما يقرب من عشرة آلاف بندقية. وبالإضافة إلى ذلك، يعتقد أنه اشترى عدداً كبيراً من الأسلحة النارية في مسقط من خلال مهرب السلاح، مير كمال چهاني. أطلق بهرام خان مسلحاً بأسلحته ومظالمه، انتفاضةً ضد الحكومة البريطانية. في عام 1915، هزم القوات المؤتمرة بالوكيل البريطاني، واستولى على جميع أنحاء وادي كيچ في مَكُران[5].

وخلال هذه الغارة وصل عدد قواته (لشكر) إلى ما بين 5000 ـ 8000 رجل. وعلاوة على ذلك، أيده زعماء (سَردارات) القبائل، محمد شاه حاكم سيب وسوران،

(1) M. G. Pikulin, Baloch, p. 216.
(2) Amanullah Jahanbani, Amalivat-e-Qushun dar Balochistan, Tehran, 1957, p. 35.
(3) Amanullah Jahanbani, Sargozasht-e Balochistan wa Marzha-e-an, Tehran, 1959, p. 36.
(4) IOR. R/l (34-38).
(5) Amanullah Jahanbani, Sargozasht-e Balochistan wa Marzha-e-an, pp.291-292.

وشاه سَوَار دامني من سَرهَد، وسَردار دين محمد من دَشتياري، وشاه جِهان من مَگس، وجلال خان من هوشگوالا، وكثيرون غيرهم[1]. وعلاوة على ذلك، شجعته الأنشطة الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى في المنطقة. وخلال الحرب، حاول الألمان والأتراك العثمانيون الدخول في علاقات معه وذلك من أجل دعم البلوش ضد البريطانيين[2].

وبسبب تأثره بإسلاموية سيد جمال الدين الأفغاني وبدعم من بهرام خان وبَرَكَت خان من جاسك، أعلن خليفة خير محمد، في مايو 1915، الجهاد (الحرب المقدسة) ضد البريطانيين[3]. وكان خليفة من منطقة كارَوان على الطريقة النقشبندية الصوفية. ووظف سلطته الروحية لقيادة حلف أتباعه، وكان بعضهم مثل بهرام خان وبَركت خان زعماء قبائل. وعلاوة على ذلك، أيد فتوى خليفة العديد من ملالي سَرهَد[*]، وقاضي قضاة دَشتياري، قاضي سَيّد علي[4]. وقبل دعوة خليفة الكثير من المتدينين أو المُريدين (الأتباع)، ومعظمهم من كاروان وبِنت وجاسك وگياوان. وقاد المُريدون مير يار محمد، قريب بَركت خان من جاسك[5]. وفي الثالث من مايو 1915، هاجم المُريدون الحامية البريطانية في حصن چابهار. وبعد يوم واحد من القتال تم صد المُريدين الذين منوا بخسائر فادحة. وفي هذه الأثناء، قطعوا خط التلغراف بين چابهار وجاسك. ومع ذلك، فإن السَردارات الموالين لبريطانيا، مثل سَردار سَيّد خان حاكم گِه (سردار -

(1) IOR. R/l (34-38).
(2) Ibid.
(3) G. M. Bayliss (ed.), Operations In Persia. 1914-1919, London (Imperial War Museum), 1987, p. 156.
(*) المُلا (الجمع: الملالي)، لقب يستخدم عادة للإشارة إلى رجل مسلم، تلقى تعليمه في الفقه الإسلامي والشريعة. اللقب مشتق من الكلمة العربية (مَولى) أي «النائب»، «السيد» و«المتبوع». ويستخدم هذا اللقب في أجزاء كبيرة من العالم الاسلامي، لا سيما إيران وأفغانستان والبوسنة وتركيا وآسيا الوسطى والصومال وجنوب آسيا وشبه القارة الهندية وبلوشستان، وهو الاسم الذي يطلق عادة على رجال الدين المحليين أو أئمة المساجد. وفي اللغة البلوشية يطلق أيضاً كمصطلح احترام على الرجل المتعلم، حيث كان التعليم محصوراً بالتعليم الديني، ولذلك حمل بعض الشعراء والأدباء هذا اللقب مثل مُلا فاضل ومُلا عزت وغيرهما.
R. Olivier. The Failure of Political Islam. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1994, pp. 28-9.
(4) IOR. R/l (34-38).
(5) مقابلة مع عيسى نيكخواه.

نظام)، ونواب خان بامري، وإسلام خان مير حاجي من بِنت، رفضوا دعوة خليفة للجهاد.

وخلال ذلك الوقت كان خليفة ومُريدوه منشغلين بنشر المشاعر المعادية لبريطانيا في جميع أنحاء بلوشستان الغربية، وكان بهرام خان يهاجم كيج ويهزم القوات البريطانية، مما خلق تهديداً حقيقياً ضد المصالح البريطانية في المنطقة. ولدعم فعل بهرام خان، أعلن خليفة أنه جهاد ضد الكفار (البريطانيين). وكان القلق البريطاني لا مفر منه. وفي السادس من أكتوبر 1915، كتب رامزي، ممثل الحاكم العام في بلوشستان إلى حكومة الهند في وزارة الخارجية والسياسية بسيملا:

ماذا سيكون رأي المسلمين، عندما يعرفون أن البريطانيين يتراجعون أمام المسلمين، الذين يقف وراءهم دعم ألماني كما هو معروف جيداً (وكما سيقولون)؟ لماذا يجب أن نفعل ما سيتم النظر إليه على أنه واقع ما يدعيه الألمان، الذين سيتم تصديقهم حين يقولون إن السلطة البريطانية تتلقى ضربات الموت في أوروبا؟[1].

كما أيد مير بَهرام خان أيضاً زعماء البلوش المعادين لبريطانيا في كيج. وكان مِهراب خان نوشيرواني من كوهَك ومِهراب خان گچكي على تحالف وثيق معه. «وكان الحديث الأكثر شيوعاً هو» ما قاله مِهراب خان گچكي للسلطات البريطانية، «إذا لم تكن الحكومة تحمينا، فلماذا ينبغي لنا أن ندفع الإيرادات؟ وقد انتزعت السلطة من قادتنا القوميين، وإذا كان يجب علينا أن ندفع، فلم لا ندفع إلى الطرف الأقوى (بَهرام خان)، الذي هو مسلمٌ، ونحصل على حمايته؟» وتواصلت في بلوشستان الغربية، الانفعالات المعادية لبريطانيا. ففي السادس والعشرين من أكتوبر، أمر خليفة أتباعه بقطع خط التلغراف في سَدَيج، وهو أكثر الخطوط أهمية للاتصالات بين مَكُران وكراچي[2].

ولوقف تقدم بهرام خان أكثر من ذلك، قدمت الأسلحة والذخيرة للسَردارات الموالين لبريطانيا، وهم سَيّد خان من گِه، وإسلام خان مير حاجي، ومحمود خان من دَشتياري، ومير هوتي خان من لاشار، ونواب خان بامري، ورُستم خان من چَمپ، وساهِب خان ديهواري، ولالا خان بُزرگزاده للإغارة داخل أراضيه. ودعا البريطانيون

(1) IOR. R/l (34-38).
(2) Ibid.

هؤلاء السردارات «الزعماء الأصدقاء»[1]. ولم يتوقف تقدم بهرام خان نحو حصون گوادَر وپَسني فحسب، ولكن اضطر أيضاً بسبب تآمر هؤلاء السردارات، إلى ترك كيج والعودة إلى بَمپور. وفي ديسمبر عام 1915، قام بهرام خان بمحاولة أخرى للاستيلاء على القرى الحدودية، گُومازي، ومَند، وتُمپ، ولكن هذه المرة أيضاً، تراجع مع خسائر فادحة، وقتل شقيقه مير أمين. ولاحقاً بعد تراجع بهرام خان، وقع خليفة تحت الضغط وخفت حركته الجهادية تدريجاً أيضاً.

أوفد البريطانيون بعثة خاصة بهم لمواجهة المخططات الروسية والألمانية والعثمانية، برئاسة العقيد دو من الإدارة السياسية، للدخول في تسوية سياسية سلمية لحل المنازعات مع مير بهرام خان[2]. عرض دو معاهدة سلام، قبلها مير بهرام خان. والمعاهدة التي تم التوقيع عليها في السابع من مايو عام 1916، تنص على الاعتراف بسلطة البارانزئي في بلوشستان الغربية، وفي المقابل، موافقة بهرام خان على تعليق الأعمال العدائية ضد البريطانيين[3]. ومن خلال الاعتراف بمنصبه كحاكم بلوشستان الغربية الفعلي، أنهى البريطانيون تهديدات بهرام خان على بلوشستان الشرقية. ولتبرير هذا الاتفاق، قال پيرسي سايكس أنه «في ضوء حقيقة أن بلوشستان قطعت ارتباطها ببلاد فارس منذ سنوات عديدة، ولكون بهرام خان، مغامر محدث النعمة، وقام أخيراً بغارة عبر الحدود البريطانية، فإنه يستحق المزيد من الثناء والفضل»[4].

وعلاوة على ذلك، فإن الاتفاق خدم أيضاً غرضاً إضافياً، وكان ذلك تهدئة وتحييد مير بهرام خان، بينما شنت القوات البريطانية حملة لإخضاع قبائل سَرهَد، التي شكلت، أقله اسمياً، جزءاً من ملكه. وفي عام 1916، قامت قبائل سَرهَد؛ گمشادزئي، ويارمحمد زئي، وإسماعيل زئي، بتأسيس أكثر المقاومات فعالية ضد الاحتلال البريطاني في سَرهَد. فقتل أحد قادتهم وهو سردار خليل خان گمشادزئي في القتال، بينما اعتقل السردار جيئند خان. وعندما أُخذَ الأخير إلى كويتا، المفرزة

(1) Ibid.

(2) G. M. Bayliss (ed.), Operations In Persia. 1914-1919, London (Imperial War Museum), pp. 168-69.

(3) Ibid.

(4) Percy Sykes, A History of Persia, London, 1930, p. 449; See also, HasanMo'aser, Tarikh-e Esteqrar-e Mashrutiat dar Iran, Second edition, Tehran: Intesharat-e Ibn-e Sina, 1353/1974, p. 1232.

البلوشية، كمن للقوات الحكومية وحرر زعيمهم. وتواصل الصراع مع الحكومة لمدة سنتين تقريباً[1]. ومع ذلك، ففي مارس عام 1924، سلمت رسمياً السيطرة على مقاطعة قبائل سَرهَد (التي احتلها الجنرال داير في 1915 ـ 1916) من البريطانيين إلى الحكومة الفارسية[2]. وفي إثر ذلك، احتجت قبائل سَرهَد، ريكي (ريگي) ودامني[3] على الإجراء البريطاني، وطالبت بأن تبقى جزءاً من بلوشستان الغربية، وأن تحكمها بَمپور[4].

توفي مير بهرام خان في بَمپور عام 1921. ولعدم وجود ابن له، كان خلفه ابن أخيه، مير دوست محمد خان، الذي ولد في أواخر القرن التاسع عشر في بَمپور. وأعلن مير دوست محمد خان نفسه «شاهِ بَلُوچستان»[5]. وأصبح أقوى حاكم في بلوشستان الفارسية، بحكم سيطرته الشخصية على كل من پهره وبمپور وسَراوان، وعقد تحالفات بمصاهرة حكام الإمارات الرئيسية في مَكُران[6]. مدد مير دوست محمد خان حدود الكونفدرالية التي دخلت في تحالفات عسكرية مع قبائل البلوش في سَرهَد وسيستان، وحكم بشكل مستقل حتى عام 1928[7].

اتبع دوست محمد خان بنجاح سياسات سلفه القوية في توحيد بلوشستان الغربية بأكملها تحت حكمه. وفي هذا الصدد، بادر إلى شن حملة لجعل الحكم مركزياً، وبذلك قلص من الصلاحيات الكبيرة التي يتمتع بها تقليدياً السردارات وراثياً في مختلف الإمارات[8]. وكما قال الكاتب البلوش القومي، جان محمد، «لم يعترف مير دوست محمد، حاكم بَمپور، بالحدود التي رسمتها اللجنة الأنجلو ـ فارسية بين بلاد فارس وبلوشستان في عام 1905، وقاوم الهيمنة الإيرانية على البلاد. فأعلن الاستقلال، وأنشأ علاقات وثيقة مع حكام البلوش الآخرين في بلوشستان الشرقية،

(1) Amanullah Jahanbani, Sargozasht-e Balochistan wa Marzha-e-an, pp.294-295.

(2) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnography, p.619.

(3) كان اسم دامَني جامعاً لقبائل سَرهَد من يارمحمد زئي وگمشادزئي وسوھَل زئي (إسماعيل زئي).

(4) L/PS/10/875. 308MSSEURF131/24-27.

(5) MSSEURF131/24-27.

(6) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.

(7) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 279.

(8) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.

ولاسيما كلات»[1]. كما حاول إقامة روابط مع سلطان مسقط، وملك أفغانستان أمان الله خان والاتحاد السوفياتي[2].

أنشأ مير دوست محمد خان جيشاً حديثاً مع تدريبات نظامية يومية وزي خاص. وعين الضابط البريطاني المنشق من خواش، جمال الدين إسماعيل زئي، كرئيس لهذا الجيش[3]. وفي الوقت ذاته، أنشأ قوة شبه شرطية تدعى «كُتوال»، وكانت مسؤولة عن الأمن وجمع الإيرادات في جميع المقاطعات. وعلاوة على ذلك، كان يبقي حراس أمن مدججين بالسلاح، يرأسهم هَياتان خان رِند، لحفظ الأمن في حصن بَهره، مقر الخان الرئيسي. وكان وضعه قوياً لدرجة أنه لم يعد يعين زعماء القبائل فقط، ولكن في الواقع يُسمي حكاماً للمنطقة الخاضعة لسيطرته[4]. وعين أحدهم، ميرزا هاشُم، وزيراً له. ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه، وفقاً لسجلات مكتب الهند، عين لترجمة صحف اللغة الإنجليزية، والتقارير الواردة من الهند، ابنة تاجر هندوسي من سيملا، كمترجم شخصي له[5].

كتب محمد سردار خان بَلوُج في عام 1958، واصفاً قدرة مير دوست محمد خان العسكرية، «إنه كان قادراً على جمع ما يصل إلى عشرة آلاف رجل مجهزين ببنادق مارتيني بيبودي للقتال»[6]. ووفقاً لمحمد سردار خان بَلوُج، كانت بَمپور في وقته محروسة جيداً وتدار بشكل حسن. وكمعقل حر للبلوش، فإنها كانت بمنزلة ملجأ لجميع المتمردين الفارين من دولة كلات[7]. غير أن حسين مكي، وهو مؤرخ فارسي، يقدر عدد جيش مير دوست محمد خان النظامي بخمسة آلاف رجل[8]. وكانت

(1) Janmahmad, Essay on Baloch National Struggle In Pakistan, p. 204.
(2) UPS/10/1136.
(3) تم أسر جمال الدين إسماعيل زئي في قتاله في حرب ديزَك ضد الفرس عام 1928، واقتيد للسجن. وأفرج عنه في وقت لاحق من خلال تدخلات سردارات سَرحَد. ولاحقاً في اضطرابات سَرباز وقف مرة أخرى بجانب كل من مير علي محمد ومير نوشيروان. وبعد هزيمتهما، عبر جمال الدين وشركاؤه الحدود ودخلوا منطقة رَبات في أفغانستان، واتخذوا ذلك البلد ملجأ.
(4) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.
(5) Cf., UPS/10/1136.
(6) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p. 260.
(7) Ibid.
(8) Hossein Makki, Tarikh-e Bistsaleh-e Iran (The Twenty Years History of Iran),Tehran: Amir Kabeer, 1362/1983, pp. 129.

الإيرادات من الإنتاج، التي كانت 10/1، من خاني أرضيات (أراضي التاج) المصادر الرئيسية لدخل خزينة الدولة. وشكلت مراكز جمارك چابهار وگوَتر وموانئ بلوشستان الأخرى مصدراً مهماً آخر لخزانة الدولة[1]. وكان واجباً على كل قبيلة عند الطلب تقديم لانك بَندي (قوات مجندة). وتلك القبائل التي قدمت لانك بَندي تم إعفاؤها من دفع الضرائب بالتأكيد[2].

بعد أن هزم الحركات الثورية في أذربيجان (1920)، وگيلان (1921)، في شمال إيران، شكل رضا خان حكمه الديكتاتوري ليصبح شاه إيران. وبتأييد من البريطانيين، أطاح بأحمد شاه، آخر ملوك السلالة القاجارية في عام 1925[3]. وفي الثاني عشر من ديسمبر عام 1925، أعلن أنه رضا شاه بَهلوي، شاه إيران[4]. وكان رضا خان سياسياً عنيفاً، يهاجم بلا رحمة أي قوة وقفت في طريقه، ويدمرها بقدر الإمكان[5]. مع خلع أحمد شاه وبالتالي تسلم رضا خان للقوى الديكتاتورية، تبنى سياسة لسحق القوميات الفرعية في إيران. ففي عام 1925، ضم الإمارة العربية المحمية بريطانياً خوزستان أو عربستان، كما كانت تسمى، التي كان يحكمها حينئذ الحاكم العربي، الشيخ خزعل[6]. وأبلغ سَردارات البلوش، وخصوصاً مير دوست محمد خان، أنه لن يتعامل معهم كحكام مستقلين بعد الآن، وعليهم أن يستسلموا لحكم إيران.

وبناءً على ذلك، بدأت حرب فارسية ـ بلوشية بقيادة مير دوست محمد خان[7]. في بداية عام 1928، غزت القوات الإيرانية بلوشستان مع المدفعية والطائرات[8]. وخيضت معارك شديدة مختلفة بين الجانبين لمدة سبعة أشهر. واصفاً شدة المقاومة، وشجاعة القوات البلوشية في المعركة مع الجيش الإيراني في عام 1928، قال قائد

(1) 320L/PS/10/1136.
(2) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.
(3) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», PhD. Thesis, The American university, 1984, p. 118.
(4) تولى رضا خان السلطة في عام 1921، عندما عينه انقلاب جيشه المدعوم بريطانياً أولاً كوزير للحرب، وبعد ذلك كرئيس الوزراء في عام 1923.
(5) Hossein Makki, Tarikh-e Bist Saleh-e Iran, Vol. II, pp. 203-33.
(6) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», pp. 118-119.
(7) Janmahmad, Essay on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 204.
(8) M. G. Pikulin, Baloch, p. 193-94.

القوات المسلحة الإيرانية، أمان الله جهانباني، «في رأيي سبب قيام [البلوش] بمثل هذه المقاومة . . . يكمن في أساطير [البلوش] التاريخية، . . . »[1] بينما يعترف بأن أياً من المدافعين لم يستسلم، قال إنه كان لا بد من القضاء عليهم واحداً تلو الآخر من أجل حماية حصن ديزَك[2].

ما هي المشاعر التي حفزت لدى البلوش مثل هذه التضحية؟ أكثر تفسير محتمل لذلك يكمن في رغبة البلوش، في الحفاظ على استقلالهم ومقاومة السيطرة السياسية لغير البلوش عليهم. ومن الجدير بالإشارة أن الطائرات الإيرانية ولتقويض معنويات المقاومة البلوشية قامت بإلقاء منشورات فوق بَمپور، وپَهره، وديزَك، كبرى مدن بلوشستان الغربية، مطبوعة بالفارسية والإنجليزية. وقالت هذه المناشير للبلوش إن القوات الإيرانية ستحررهم قريباً من طغيان السردارات وبعد التحرير يمكن للبلوش أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم[3].

لجأ مير دوست محمد بعد هزيمته في ديزَك وبَمپور، إلى تكتيكات حرب العصابات ضد الايرانيين. وعلى الرغم من التفوق العددي وتطور أسلحتهم، فإن الفرس لم ينجحوا في إخضاع البلوش. وبعد أن لم يرَ رضا خان أي وسيلة أخرى، عاد إلى عادة غدر ملوك الفرس التقليدية، فأرسل رسالة إلى مير دوست محمد معرباً عن الرغبة في التوصل إلى تسوية سلمية مع البلوش. وبعث رضا شاه مندوباً يحمل كتاب المسلمين المقدس، القرآن الكريم، مع هذه الرسالة إلى مير دوست محمد، التي فيها قدم الشاه التزاماً رسمياً بأنه يريد التفاوض مع مير دوست محمد في طهران[4]. ووعد بأن مير دوست محمد سوف يبقى الحاكم. وجاء في الرسالة أن بلوشستان ستكون متحالفة مع إيران في إدارة الشؤون الخارجية فقط. ووعد الشاه في رسالته، أنه حريص على الوصول إلى تسوية على المنوال نفسه الذي هو بين الحكومة البريطانية، وخان كلات[5].

(1) Amanullah Jahanbani, Amalivat-e Oushun dar Balochistan, p. 70.

(2) Ibid., p. 76.

(3) تم الحصول على هذه المعلومات من مير يار محمد بُليدئي من سَربُگ في عام 1977.و شارك مير يار محمد بوقوفه مع مير دوست محمد خان، في حرب پَهره ضد الفرس عام 1928. وكان حاضراً أيضاً في الجيرگا الطارئة للسَردارات في پَهْرَه عام 1928.

(4) L/PS/10/1136.

(5) Baluchi Dunya, Multan, February 1972, p. 6.

ومُسلّماً بضمانات رضا شاه لم يوقف مير دوست محمد الأعمال العدائية فحسب، ولكن توجه أيضاً إلى طهران مع بعض زملائه الموثوق بهم. ولكن بعد وقت قصير من وصوله إلى طهران تم اعتقاله ووضع في السجن. وتم إطلاق عهد من الإرهاب بقتل وتشويه مئات الأشخاص في بلوشستان[1]. وللاستمرار في حركة تحرير بلاده، نجح مير دوست محمد في الهروب، ولكن تم القبض عليه عند العودة إلى بلوشستان وأعدم في عام 1931 من قبل الحكومة الايرانية[2]. ووفقاً لسجلات مكتب الهند، أرسل مير دوست محمد قبل هزيمته، وفداً برئاسة عبد الكريم، وعرض محمد بُزرگزاده من ديزَك، إلى عاصمة بلوشستان البريطانية كويتا، لمقابلة ممثل الحاكم العام للحصول على مساعدة ضد الفرس، ولكن من دون تحقيق نجاح[3].

وكان أمله الأول ملك أفغانستان أمان الله. حيث يشار إلى أن أمان الله أراد مساعدة البلوش، وذلك بسبب وجود المشاعر الدينية المشتركة والشعور المشترك المعادي لبريطانيا والفرس. ومن الجدير بالإشارة إلى أن اللوبي المؤيد لدوست محمد خان في كابول بما في ذلك أمان الله خان نفسه، كان يبث أن البارانزئي في بلوشستان، هم عرقياً مثل البارَكزئي من أفغانستان، أي قبيلة پشتونية، ينتمي إليها أمان الله وغيره من أفراد العائلة المالكة[4]. ولعل السبب في ذلك كان لتبرير المطالبة الأفغانية ببلاد البلوش. ولكن في عام 1928، كان الملك نفسه يكافح من أجل بقائه وليس في وضع يمكنه من دعم مير دوست محمد[5].

أشار الكاتب الموالي لإيران سيد مهدي فرُخ، موجهاً الانتقاد إلى سياسة الملك أمان الله خان الخارجية، إلى: «أراد أمان الله أن يخلق بعض التهييج في بلوشستان الايرانية»[6]. وفي غضون ذلك، اعتقل الجيش الفارسي أحد رسل ميردوست محمد خان، المغادر نحو أفغانستان. ووفقاً للمصادر الفارسية فقد كان يحمل رسالة من دوست محمد خان إلى حاكم أفغانستان. وفي هذه الرسالة ذكرت إيران باعتبارها البلد

(1) UPS/10/1136.

(2) Baluchi Dunya. Multan, February 1972, p. 6; People's Front. London,November1979, p. 5.

(3) L/PS/10/1136.

(4) مقابلة مع المؤرخ الأفغاني محمد أعظم سيستاني.

(5) تم خلع الملك أمان الله خان في عام 1929، بعد عام واحد من هزيمة مير دوست محمد

(6) Syed Mehdi Farrokh, Tarikh-e-Seyasi-e Afghanistan, p. 455.

المجاور، الذي هاجم بلوشستان. وطلب مساعدة إخوانه الأفغان[1]. وبالمثل، في عام 1928، كانت خانية كلات تعاني أسوأ أزماتها السياسية، حيث كانت تحت السيطرة المباشرة للإدارة البريطانية، وكانت سيادة خان كلات، مير محمود خان رمزية. وبالتالي، فطلبات دوست محمد خان المتكررة لخان كلات «أقدم وساعدنا»، وفقاً للكاتب القومي سردار خان بَلوُج، أجيبت «فوراً وبلا رحمة» بـ لا مبتوت فيها[2].

أما عن جانب الاتحاد السوفياتي، فلم يكن دوست محمد خان متفائلاً كثيراً، أولاً، بسبب ديموقراطية رضا خان وإيماءاته المعادية للبريطانيين، وثانياً، بسبب البعد الجغرافي. وعلى غرار ذلك لم يتوقع أي مساعدة من البريطانيين. وللبريطانيين مصالحهم الخاصة المنوطة بالفرس، الذين اصطفوا معهم، وكما ذكر آنفاً، فإنهم رفضوا بشكل علني طلبه للحصول على مساعدة. ومن دون أمل في مساعدة خارجية، لجأ مير دوست محمد خان إلى تكتيك جديد. فحاول جذب انتباه أتباع الشاه المنفي، أحمد شاه قاجار. وصرح أن أحمد شاه هو الملك الشرعي لإيران، وأنه سيدعم الملك القاجاري. وفي التاسع من يونيو عام 1928، قال تقرير من القنصل البريطاني في كرمان إن «أحمد شاه سيحط قريباً في بلوشستان وسينضم إلى دوست محمد»، وأضاف: «غادر أحمد شاه باريس متوجهاً إلى بيروت»[3]. وكانت هناك أيضاً شائعات بأن الروس كانوا يتابعون الأحداث بفضول[4]. ولكن لا يعرف شيء عن ردة فعل أحمد شاه قاجار.

في عام 1810، لاحظ هنري پوتنگر كما ذكر سابقاً، الكراهية العميقة بين الفرس والبلوش في حواره مع مِهراب خان من بمپور، ببلوشستان الغربية. ومعرباً عن إحياء مثل هذه الكراهية، في الخامس والعشرين من يناير عام 1927، حوالى بعد قرن واحد، كتب السير ج. رامزي، ممثل الحاكم العام في بلوشستان:

اعتبرت الأصقاع فارسية في القانون الدولي، وذلك لأن دعامات الحدود تثبت

(1) Jafar Mehdinia, Nakhost Waziran-e-Iran (4). Zendaqi-e Seyasi-e Sayyed Zeya-ul-Din Tabatabai., Tehran, 1369/1991, p. 614.

(2) مقابلة مع محمد سردار خان بلوج، وانظر أيضاً، cf. Muhammad Sardar Khan Baluch, Baluch a Nation, Lahore, 1947, p. 158.

(3) IVPS/10/1136.

(4) Ibid.

بأنها كذلك؛ ولكن لم يكن هناك أي بقايا للسلطة الفارسية حالياً، وليس لفارس أي وسيلة لتأكيد ادعاءاتها النظرية بالسيادة على أرض [يرى شعبها] الفرس فيها من الأجانب الذين يكرهون شعبها والشعب بدوره يمقتهم. . . ولم تخرج البلاد التي هي قيد النقاش من قبضة الفرس فقط، بل كانت معادية جداً لبلاد فارس بحيث أن سكانها أخذوا الحصون والأراضي الفارسية الواقعة في أقصى الغرب، التي لا يزال ولاؤها لبلاد فارس، وخلال ذلك أسروا عدداً من الرعايا الفرس وأخضعوهم للعبودية[1].

كانت ثورة مير دوست محمد خان في أواخر عشرينيات القرن العشرين مسايرة لنموذج الحركات القومية في ما بعد الحرب العالمية. وفي رأي هاريسون، كان ذلك نقطة تحول في تاريخ البلوش في كون القومية كانت هي العامل الرئيسي[2]. أسند دوست محمد خان شرعية حكمه إلى معايير إثنية مثل الإسلام السني وتحالفاته القبلية، ودعمه سكان البلدات وعلماء الدين البلوش، ودفع المولوية خوفهم من المذهب الشيعي لإصدار فتوى دينية، تعلن أن القوات الفارسية المسلحة «كافرة»، من أجل حشد التأييد الشعبي لدوست محمد خان ضد رضا شاه في عام 1928[3]. ومع ذلك، كانت نقاط ضعفه اعتيادية، وهي: التنافس بين القبائل، حيث قام الريگي والناروئي والكورد، وكثير من القبائل الأخرى باتفاقات سلام منفصلة مع طهران لضمان قوة أعضائها في مواجهة مركز القوة المدنية الناشئة حديثاً للبارانزئي. وحتى في مَكُران، كانت قاعدة سلطة مير دوست محمد خان، عدد من القبائل التي قاتلت الإيرانيين بتفانٍ، ولكن كانت على استعداد لإبرام اتفاق سياسي. وهناك سبب آخر للتحفظ القبلي في سَرهَد من المشاركة في الثورة، وهو تردد زعماء القبائل لتعريض علاقاتهم التي أقاموها بعد رحيل البريطانيين عن المنطقة للخطر، وبسبب نقل إدارة سَرهَد إلى الإيرانيين في عام 1924. ولهذه الأسباب سقطت بمپور أمام القوة الساحقة للجيش الإيراني، ولكنها قد ضعفت من قبل بفرار القبائل إلى الجانب الآخر قبل استيلاء الجيش على أي بلدة.

مع سقوط مير دوست محمد خان، نجح الإيرانيون، في معظم الأحيان، في

(1) L/PS/10/875.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 3.

(3) Amanullah Jahanbani, Amaliyat-e Qushun dar Balochistan, p. 70.

تهدئة قبائل البلوش. غير أن بعض الثورات اندلعت بين الحين والآخر في بلوشستان الإيرانية واستمر ذلك خلال الفترة المتبقية من عهد رضا شاه. ومن الأمثلة الرئيسية ثورة جمعة خان إسماعيل زئي، وجيئند خان يار في سَرهَد عام 1931. وتم قهر كل منهما بالقصف الجوي الفارسي الكثيف. وبسبب عدم القدرة على الوقوف ضد القوة الفارسية المتفوقة، لجأ جمعة خان مع قواته إلى بلوشستان البريطانية، ولكن سرعان ما تم تسليمه إلى إيران، وهناك نفي طوال حياته إلى وسط بلاد فارس، في شيراز. أما القائد الثوري الآخر، ذو التسعين عاماً، جيئند خان، فألقي القبض عليه وتوفي في سجن مَشهَد، بشمال إيران[1]. وكانت الثورة الرئيسية اللاحقة هي ثورة عدد من القبائل بقيادة مِهراب خان نوشيروان في كوهَك عام 1938، المطالبة بتخفيض الرسوم الجمركية على الثروة الحيوانية، والتي أعدم فيها أكثر من مئتي بلوشي بناءً على أوامر من الجنرال الفارسي البُرز[2].

كان آخر زعيم ثائر هو ميرزا خان من جاسك، الذي حمل السلاح ضد قوة طهران، ولكن في النهاية اضطر إلى الهجرة للحفاظ على سلامته، باتجاه المشيخات العربية. «من الآن فصاعداً»، كتب الكاتب القومي البلوشي، محمد سردار خان بَلوُج، «بقيت بلوشستان الفارسية بأكملها مثل جسد بلا رأس. شن رضا شاه منحطاً أكثر الحروب دناءة في الوحشية، فمنع أزياء الملايين من البلوش الإيرانيين، بأكثر الطرائق بؤساً. وتم ترحيل الأسر الواحدة تلو الأخرى، وحرم الآلاف من ممتلكاتهم، وتعرض شيوخ العائلات البارزة إلى أكثر طرائق التعذيب وحشيةً؛ فسلخت جلودهم، وفقئت أعينهم وشوهوا وهشمت عظامهم في كثير من الأحيان»[3]. ومع ذلك، وكما سيتم مناقشته في الفصل الخامس، استؤنف نضال القومية البلوشية في إيران، متشجعاً بنهوض القومية البلوشية في باكستان، في مطلع ستينيات القرن العشرين.

الأسباب الرئيسية لفشل مختلف حركات المقاومة البلوشية، وفقاً للمؤرخ عناية الله بَلوُج، كانت شقاق رؤساء القبائل، وعدم وجود قاعدة اجتماعية للقومية البلوشية في إيران، والقوة العسكرية الإيرانية الضخمة، والمصلحة البريطانية والفارسية المشتركة

(1) General Hassan Arfa, Under Five Shahs. London, 1964, p, 254. 347 Gholam

(2) Gholam Mohammad Lalzad, «Baloch Kist?», p. 34.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, p261.

في تهدئة قبائل البلوش[1]. وعلى الرغم من الدعم الشعبي الكبير الذي تمتع به مير دوست محمد خان في مواجهته مع القوات الإيرانية، كانت حكومته المنظمة إقطاعياً انقسامية جداً وغير محصنة. وسرعان ما أثبت ذلك انشقاق بعض السردارات الذين نظروا إلى زيادة تركيز السلطة في يد الحاكم من البارانزئي تهديداً لامتيازاتهم الوراثية التقليدية. ونتيجة لذلك، أفادت تقارير جهانباني بأن عدداً من زعماء القبائل في مقاطعة ديزَك انشقوا عنه أثناء العملية العسكرية.

وبغض النظر عن عدم كفاية تسليح القوات البلوشية، فقد صعبت الهجمات الجوية الفارسية إطلاق هجمات جماعية من قبل البارانزئي[2]. وتجدر الإشارة إلى أن القوة الجوية كانت وسيلة فعالة، بها عزز رضا شاه قوته، وخصوصاً ضد البلوش، مثلما كان دور القوة الجوية البريطانية فعالاً في تعزيز قوة الإمبراطورية البريطانية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط. وعلاوة على ذلك، أدى عدم وجود دعم مادي فعال من المناطق البلوشية الأخرى، وعدم وجود قاعدة اجتماعية للقومية البلوشية في إيران، دوراً مهماً في هزيمة ميردوست محمد خان[3].

بعد حسين خان، وبهرام خان، كانت ثورة دوست محمد خان هي ثالث محاولة بلوشية واسعة النطاق في غضون ثلاثة عقود (1898 ـ 1928) من أجل إرساء السيادة والحكم البلوشي في بلوشستان الغربية. ودعا دوست محمد خان إلى أمة بلوشية متحدة في ظل قيادته، وأسند شرعيته إلى زعامته لقبيلة بارانزئي. وكزعيم قبلي، سيطر دوست محمد خان على ولاءات أعضاء القبائل الذين سيقاتلون من أجل قضيته. ومع ذلك، ونظراً إلى المؤامرات البريطانية والأنشطة المركزية، كانت محاولات مير دوست محمد خان لضم القبائل السَرهَدية في دولته فاشلة.

وكانت ثورة دوست محمد خان قبلية في طابعها. فعلى الرغم من إمكانية تعرض عدد قليل من أعضاء الطبقة الحاكمة للأفكار القومية الحديثة من خلال اتصالهم بالبريطانيين والبلوش في بلوشستان الشرقية، فقد كان المجتمع متخلفاً جداً اجتماعياً واقتصادياً[4]. فلم يكن هناك طبقة متوسطة ملحوظة أو أي من الطبقات الحديثة

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 144-45.

(2) General Hassan Arfa, Under Five Shahs. London, 1964, p. 256.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 145.

(4) M. G. Pikulin, Baloch, p. 198.

الأخرى، التي يتم تعيينها أساساً للقومية الحديثة. ومع ذلك، فإن وفداً من البلوش الإيرانيين حضر «مؤتمر بلوش بلوشستان وعموم الهند» في ديسمبر 1932، في جيكوب آباد[1]. ويقال أن مَگسي[*] ذهب بنفسه في جولة سرية إلى سَرهَد، في بلوشستان الإيرانية بسبب تأثره بهذا الوفد[2]. هل كان قادراً على لقاء زعماء سَرهَد الثوار؟لم يعرف شيء عن هذا. بيد أنه في عام 1934، وفقاً لعناية الله بَلوُچ، اقترح مَگسي الكفاح المسلح من أجل تحرير وتوحيد بلوشستان[3]. وبالمثل، في عام 1933، أظهر مير عبد العزيز كورد، وهو زعيم قومي بارز لبلوشستان، معارضته لتقسيم وتجزئة بلوشستان من خلال نشر أول خريطة لبلوشستان الكبرى[4].

تواصل كذلك نضال البلوش في سيستان (أفغانستان)، من أجل حريتهم، طوال الفترة البريطانية، ومثل الأجزاء الأخرى لبلاد البلوش (بلوشستان البريطانية والايرانية)، أظهر بلوش نيمروز احتجاجهم معجبين بحملة الملك أمان الله المعادية لبريطانيا، على ترسيم الحدود واحتلال أراضيهم، وذلك بقيامهم بغارات مكثفة داخل بلوشستان البريطانية في بداية عشرينيات القرن العشرين. ومن خلال مهاجمة الحامية البريطانية كُندي، ألقى غازي شير جان سَنجراني القبض على ضابط بريطاني ومرافقيه، واقتادهم إلى بلاط أمان الله خان في كابول[5]. ويعد غازي شير جان بطلاً أسطورياً بين بلوش أفغانستان، وحتى هذا اليوم لا تزال تصدح الأغاني التي تتحدث عنه.

الخلاصة

قوة الهوية البلوشية متأصلة في ذكريات تاريخية باعثة على الفخر في مقاومة عاقدة العزم ضد الغزاة الذين حاولوا بشكل دائم، ولكن من دون نجاح، ضم كل أو

---

(1) Weekly, Young Baluchistan, 15 January 1934; Saeedi Baluch, «Azadi Baluchistan aur Hakumat-e-Iran» in: Weekly, Baluchistan, 4 March 1936, cited in: Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 145.

(*) هو نواب يوسف عزيزمَگسي (1908 ـ 1935)، من أبرز قادة الحراك القومي البلوشي، سيأتي الحديث عنه في الفصول القادمة

(2) مقابلة مع أنور ساجدي.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 32.

(4) Ibid.

(5) Gholam Mohammad Lalzad, «Baloch Kist?» in: Tran No 5, Baloch Komitte, June 1999, Stocholm, pp. 34-35.

جزء من بلوشستان إلى إمبراطورياتهم المجاورة. ويبدو أن هجرة البلوش إلى أراضي بلوشستان الحالية كانت معلماً هاماً في تاريخهم الاثني. حيث إنه في هذه المنطقة تشكل المجتمع الإثني ـ اللغوي نتيجة لمختلف الاحتكاكات مع الشعوب الما قبل الهندو ـ أوروبية، والهندو ـ آرية والشعوب الإيرانية خلال القرنين الحادي عشر والثالث عشر. ومن الواضح أنه خلال هذه فترة تشكلت الاتحادات القبلية الكبرى، التي خلقت نواة نشأة الصفة القومية البلوشية الإقطاعية. وهكذا، ومن أجل السعي إلى حشد حركة قومية اليوم، يضارب قادة البلوش بالرمزية التاريخية القوية للصراع من أجل البقاء الممتد تعرجه لأكثر من ألفي سنة.

أكثر تاريخ البلوش القديم هو ضبابي وغير يقيني، والجدل قائم حول جوانب كثيرة منه. يدعي بعض علماء البلوش اليوم معتمدين في حججهم بشكل رئيسي على روايات أسطورية، أن أجدادهم جاءوا من بابل، في العراق الحالية، وعبر إيران الشمالية إلى مَكُران. ووفقاً لسردار خان، بدأت هذه الهجرة في عام 538 قبل الميلاد، عندما غزا كورش العظيم بابل. بينما المحققون الغربيون، المعتمدون بشكل رئيسي على أدلة المقارنات الفونولوجية والايتمولوجية للغة البلوشية، التي قادتهم إلى وجهة نظر بديلة وهي أن أول ظهور للبلوش يمكن تمييزه في التاريخ وجد بمنطقة شمال إيران المتاخمة للسواحل الجنوبية لبحر قزوين. وعملياً فجميعهم يقررون أن البلوش مزيج عرقي من عدة شعوب وطبقات. واللغة البلوشية، مع اللغة الفارسية والبشتونية والكوردية، تشكل فرداً في المجموعة الإيرانية من عائلة اللغات الهندو ـ أوروبية. غير أن بعض الكتاب البلوش، يعتقدون أن البلوش هم سكان مَكُران القدماء.

منذ القرن الثاني عشر فصاعداً، وسع زعماء البلوش الأقوياء، مثل مير جلال هان، ومير شيهَك، ومير چاكر، حكمهم على معظم أرجاء بلوشستان. وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، ظهر وتشكل عددٌ من الدول الإقليمية، التي فيها ظهرت الأرستقراطية الخاضعة للنظام الاقطاعي بين قبائل البلوش المسيطرة على بلوشستان. وكان من أهمها سلالة ملوك كيچ، وبَمپور، وسلالة بُلَيْدئي، وكونفدرالية الدودائي، وخانية كلات.

في عام 1734، غزا الفاتح الإيراني، نادر شاه أفشار، شبه القارة الهندية. ومن أجل إنقاذ مملكته، دفع خان كلات، تقدمة لنادر شاه. وعند وفاة نادر في عام 1747،

اعترف خان كلات بسلطة أحمد شاه دوراني لعدة سنوات. إلا أن الخان، في عام 1758، أعلن أنه مستقلٌ تماماً، وفي إثر ذلك قامت القوات الافغانية تحت قيادة أحمد شاه نفسه بغزو بلوشستان ومحاصرة قلعة كلات لمدة أربعين يوماً. وانتهت هذه الحملة بمعاهدة سلام، وافق فيها الخان على توفير قوات لمساعدة جيوش كابول، والملك الأفغاني في المقابل، وافق على دفع بدل نقدي. ومن ذلك الوقت وحتى عام 1839، حين احتل الجيش البريطاني الدولة، كانت بلوشستان مستقلة تماماً ولم تكن مرتبطة بتحالف مع أية سلطة في الهند أو في أي مكان آخر. ولم تدع الحكومة البريطانية في الهند قط أن مبدأ الحاكم الأعلى(*) ينطبق على علاقاتها مع كلات؛ ولم يعترف الخان كذلك قط بإمكانية ممارسة صلاحيات الحاكم الأعلى ضده وضد حكومته.

ومثل كونفدرالية الرِند واللاشار، عاشت دولة نصير خان القوية لفترة قصيرة. وتراجع ملكه بعد وقت قصير من وفاته. فضم القاجاريون الفرس بلوشستان الغربية إلى بلاد فارس. واستولى التالپور من السند على ميناء كراچي. واحتل المهراجا رنجيت سينگ في لاهور، على هَرَند وداجَل (منطقة ديره غازي خان). وبدأ العصيان المسلح أيضاً في سَراوان وجَهلاوان بدعم من قبائل مينگل وبيزَنجو. وكان هناك فوضى في مَكُران. وتحت حكم الخان محمود خان وصلت مرحلة تفكك وضعف الخانية إلى أعلى مستوياتها.

كانت بريطانيا القوة الأجنبية الوحيدة الناجحة، التي مصلحتها وقعت من أجل الحفاظ على حدود الهند، غربي نهر السند في بداية القرن التاسع عشر، بإقامة سيطرة فعالة نسبياً على أنحاء بلوشستان قبل تأسيس باكستان الحديثة عام 1947. وأعقب الحرب الأفغانية الأولى (1839 ـ 41) ضم السند والبنجاب إلى الهند البريطانية بعد ذلك بوقت قصير، وقت وصول القوة العسكرية والسياسية البريطانية إلى المنطقة.

وبسبب معارضته لعبور أراضي بلاده، قتل مِهراب خان، خان كلات، على يد القوات البريطانية في الثالث عشر من نوفمبر 1839. وعلاوة على ذلك، فسح النزاع

(*) مبدأ الحاكم الأعلى أو التغليب هو مبدأ قانوني يوفق بين القوانين المتعارضة أو المتناقضة في دولة فيدرالية. حيث كل من الحكومة المركزية والحكومة الإقليمية لديها القدرة على تشريع القوانين في ما يتعلق بالمسائل نفسها، حيث ستعطى لقوانين الحكومة الواحدة (المركزية في هذه الحالة) الأولوية على الأخرى من خلال هذا المبدأ.

الداخلي والضعف في الخانية في الطريق أمام البريطانيين للتلاعب باتحاد البلوش. وفي مراحلها الأولى، مورس النفوذ البريطاني على أنحاء بلوشستان إلى حد كبير من خلال اتفاقات التفاوض مع زعماء القبائل، ومن خلال الإعانات والتلاعب بالنزاعات القبلية، وتسيير حملات عقابية دورية ضد رجال القبائل الثائرين.

وقعت بلوشستان تحت النفوذ البريطاني بموجب معاهدات عامي 1854، و1876. وفي عام 1854، دخلت بريطانيا في اتفاق مع نصير خان الثاني، حاكم كلات، الذي تم تجديده وتأكيده لاحقاً في معاهدة أخرى عام 1876، التي ألزمت فيها الحكومة البريطانية مرة أخرى نفسها باحترام استقلال كلات، وبمساعدة الخان في حالة الضرورة، للحفاظ على سلطاته المستحقة، وحماية الأراضي ضد الهجمات الخارجية(1). وخلال فترة الهيمنة البريطانية، كانت الدولة البلوشية مقسمة تعسفياً إلى عدة أجزاء. فمنح جزء واحد إلى إيران، وكان جزء صغير مع أفغانستان وظلت المنطقة الشمالية الشرقية مع الإدارة الاستعمارية تحت عقد الإيجار. وتركت بقية البلاد في حوزة دولة كلات. وقد قلصت أراضي دولة كلات أكثر إلى أراضي الوكالات واتحاد الأقاليم البلوشية (كلات، وخاران، ولاس بيلا) مع خان كلات بصفته رئيساً للاتحاد في عام 1879، وشملت بلوشستان البريطانية التي تم إنشاؤها من مناطق الپشتون والمناطق البلوشية المؤجرة مع كويتا كعاصمة لها.

أثارت الهيمنة البريطانية في بلوشستان في القرن التاسع عشر مسألة السيادة القومية البلوشية. حيث أدى تنافس القوى الكبرى في آسيا الوسطى، إلى الغزو البريطاني لأفغانستان، وجلبت أيضاً قواتها في منطقة البلوش. في 1809 ـ 1810، أرسل جيش شركة الهند الشرقية كابتن كريستي والملازم پوتنگر لاستكشاف بلوشستان. وكان الدافع وراء السياسة البريطانية الحدودية في مطلع القرن التاسع عشر هو الرغبة في توحيد المستعمرة والحد من التهديدات المتصورة لأمنها. وتطلب هذا اكتساب المعلومات، تشكيل حلفاء، ودولاً تابعة أو حاجزة بينها وبين غيرها، وتخطيطاً ومن ثم ترسيم الحدود، وأخيراً نشر الموارد للحفاظ على استحكام الحدود الجغرافية. وأدت

(1) See «Treaty Between the British Government and the Khelat State-1876» in: Mir Ahmad Yar Khan Baluch, <u>Inside Baluchistan</u>, pp. 230-34.

التهديدات من روسيا القيصرية التوسعية بشكل مماثل لبريطانيا، إلى حقبة من المؤامرات والمكايد على طول الحدود.

وحتى منتصف القرن التاسع عشر، ضمت دولة كلات البلوشية، المعروفة عموماً في حينها باسم بلوشستان، أقاليم بلوشستان الحالية في كل من إيران وباكستان، بما في ذلك بعض المناطق التي تشكل الآن أجزاءً من البنجاب والسند في باكستان، وكانت دولةً مستقلة. وعندما وصل البريطانيون إلى شبه القارة الهندية، دخلوا في علاقات تعاهدية مع دولة كلات. وكانت كلات ونيبال الدولتين الوحيدتين اللتين لم تشكلا قط جزءاً من الامبراطورية الهندية.

مع بداية القرن العشرين، عبر البلوش عن استيائهم بأشكال جديدة من التعبير. فأخذت الاضطرابات السياسية أشكالاً مختلفة، وكان هناك زيادة في الانتفاضات المتفرقة في كل من بلوشستان الشرقية والغربية. وكان للأحداث الخارجية، مثل الثورة الإيرانية (1907)، والحرب العالمية الأولى، وثورة 1917 الروسية، والأنشطة التركية والألمانية، والإسلاموية، وحركة التحرير الهندية، أثرها في البلوش. وقاومت قبائل سَرهَد البلوشية الاحتلال البريطاني في بلوشستان الغربية. ومع ذلك، هزمت واحتلت سَرهَد في عام 1915. وفي الوقت ذاته، ثار المينگل والمَري ضد المحاولات التي تقوم بها الحكومة البريطانية لتجنيد المرتزقة في بلوشستان. وفر قادة الثوار إلى الاتحاد السوفياتي وشكلوا وفداً «المؤتمر باكو لشعوب الشرق» الشهير. ويرجع تاريخ النفوذ الشيوعي في بلوشستان، ولكن من دون مبالغة، إلى ذلك الوقت، وكان لنداء لينين بحق «تقرير المصير» لجميع الشعوب المضطهدة، بالفعل بعض التأثير في النزعات القومية التي تطورت سريعاً.

أصبحت بلوشستان الغربية جزءاً من إيران في عام 1871 تحت اتفاق لجنة الحدود الفارسية ـ البلوشية. وأشرف الممثل البريطاني، الجنرال گولد سميد، على ترسيم الحدود الفارسية ـ البلوشية. وفي أواخر القرن التاسع عشر، أثرت الوحدة الإسلامية كما روجها سيد جمال الدين الأفغاني، والخليفة السلطان عبد الحميد في السياسة في بلوشستان الفارسية. وأدى تأثيرها إلى ثورات البلوش ضد الحكم الفارسي وضد السيطرة البريطانية على بلوشستان الشرقية. وخلال الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918) شارك عدد من قبائل البلوش، بغض النظر عن معتقداتهم أو انتماءاتهم الطائفية،

في الثورات، المسترشدة بالحلف التركي ـ الألماني في عام 1907، وأنشأت قبائل مَكران البلوشية (بلوشستان الايرانية) تحت قيادة مير بهرام خان بارانزئي دولة شبه مستقلة في بلوشستان الفارسية، التي استمرت حتى عام 1928.

وحد مير دوست محمد خان معظم بلوشستان الإيرانية بالقوة، وعن طريق المصاهرة، والتحالفات القبلية، في وجه الضعف الإيراني. وفي عام 1925، نفذ رضا شاه، مؤسس السلاسة البهلوية سياسة عدوانية تجاه جماعات الأقليات العرقية بهدف تفريسها وتقييد استقلاليتها. وفي عام 1928 هزم الجيش الإيراني القوات البلوشية في بلوشستان الغربية. بيد أن بعض قبائل البلوش، أيدت الايرانيين، ومثلت هزيمة دوست محمد خان بداية أول سنة من ثلاث عشرة سنة من حملة الشاه العنيفة ضد البلوش، وبعد عبث الشاه مع دول المحور، نحاه الحلفاء عن منصبه في عام 1941.

بمرور الوقت، قاد الحكم البريطاني المباشر في بلوشستان الشرقية من ناحية أخرى إلى بناء أولى شبكات الطرق، وخطوط السكك الحديد، وخطوط التلغراف. وقدم البريطانيون وإن كان ذلك بشكل محدود، التعليم الحديث. وطوروا أيضاً عدة أقسام لمناجم الفحم، ومرافق للخدمات ذات الصلة بهذا الجزء خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ونتيجة لذلك، ظهر أوائل البلوش المتعلمون والواعون سياسياً في بلوشستان الشرقية، الذين شكلوا النواة الأصلية للقومية البلوشية الحديثة في عشرينيات القرن العشرين، وسيتم مناقشة ذلك في الفصل التالي.

الفصل الرابع

القومية في التطبيق

الوعي القومي والقومية

في منتصف القرن التاسع عشر، بدأت المشاعر القومية مع ظهور المصنفات القومية التاريخية الأوروبية في الهند والبلدان الآسيوية الأخرى، وانتشارها في جميع أنحاء القارة. فعلى سبيل المثال، أنتج السير ويليام جونز وغيره من العلماء الأوروبيين المؤسسين للجمعية الآسيوية في البنگال عام 1784 كماً كبيراً من المعرفة عن تاريخ الهند. وبسبب ذلك «أقبل الهنود المتعلمون وعلى نحو متزايد على معرفة المزيد عن ثقافتهم الخاصة بواسطة الأفكار والأبحاث الأوروبية». وبعد ذلك، وفي هذه الظروف، «بدأ الهنود بكتابة التاريخ بمنهجية أوروبية»[1]. وفي هذا الصدد لم توضح الكتلة الواسعة والمتنوعة لحضارة شبه القارة الهندية الآثار المشوهة للقيود القومية العقائدية فقط، ولكن كشفت أيضاً عن ازدراء شامل للمنهجية ذات المبادئ الصحيحة في كتابة التاريخ. وهكذا أصبحت الهند محطاً للمفاهيم الخاطئة بين العلماء المحليين وكذلك بين المؤرخين الغربيين، الذين تصوروا الهند في السياق القومي. وبالطريقة نفسها، قدم البلوش المتعلمون في الجامعات الهندية هذا المفهوم الجديد في دراسة التاريخ لوطنهم في مطلع القرن العشرين[2].

يشكل الاحتلال البريطاني لبلوشستان الشرقية واستشهاد مِهراب خان في عام 1839، والاحتلال الفارسي لبلوشستان الغربية في عام 1928، ولاحقاً إعدام قائدها مير دوست محمد خان، ووفاة المناضلين الشهيرين من أجل الحرية، مثل بركت خان من جاسك وجيئند خان من سَرهَد في السجون الفارسية، وحبس البريطانيين للزعيم القبلي

---

(1) Bernard S. Cohn, «Representing Authority in Victorian India», in: E. Hobsbawn, T. Ranger (ed.), Invention of Tradition. Cambridge: Cambridge University Press, 1983, pp. 182-183.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 90.

الثائر، نورا مينگل، بداية لتغييرات بعيدة المدى في تاريخ البلوش السياسي. وقد أعاد الكتاب القوميون البلوش والشعراء ملخص هذه الأحداث في العقود اللاحقة. وعلى الرغم من أن الاقتصاد الحربي أعاق وأخر توحيد البلوش كأمة؛ فإن الإبادة والتشتيت والمعاناة حفزت كلها الوعي السياسي الذي لم يسبق له مثيل في المنطقة.

فمنذ عشرينيات القرن العشرين، نما الوعي القومي البلوشي بسرعة مع كل ثورة بلوشية جديدة. ومع أنها قد تبدو في بعض الأحيان بشكل مضلل على مثال القومية الحديثة، فإن ذلك لم يحقق الوعي البلوشي القومي فعلاً في هذه المرحلة حتى مطلع القرن العشرين، وخصوصاً بعد حركة الشباب البلوش وانجُمن اِتحادِ بَلوُچان في عشرينيات القرن العشرين. وما عجل هذه الحركة اقترانها بالتطورات والأحداث الأخرى في الداخل وفي الإمبراطورية البريطانية الهندية، وظهور ونمو النظرية القومية بين البلوش. وبهذا أضحى للشعور القومي البلوشي قوة محركة جديدة، إذ أصبح قوة سياسية ذات أهمية كبرى في شؤون المنطقة.

وبالإضافة إلى ذلك، ورث القرن العشرون جميع الالتباسات الإدارية المتعلقة بالأراضي، فضلاً عن النظام السياسي والاجتماعي غير الملائم، الذي كان من العواقب المترتبة على الأحداث التي جرت في القرن التاسع عشر في بلوشستان. فما كان مناسباً بما فيه الكفاية لحماية حدود الامبراطورية، كان غير ملائم لمواجهة احتياجات وتطلعات شعب يدخل «العالم الحديث». ووجد الشعب البلوشي المستاء بدخوله العقد الأول من القرن العشرين، أشكالاً جديدة للتعبير. فتشكلت الاضطرابات السياسية بأشكال مختلفة، وكانت هناك زيادة في الانتفاضات القبلية المتفرقة. وكانت الأحداث الخارجية مثل الحرب العالمية الأولى، والثورة الروسية عام 1917، والحرب الأهلية اللاحقة، وثورة تركيا، والنضال القومي الهندي، حافزاً لاتجاهات البلوش القومية[1].

وينبغي التذكير أنه في الوقت ذاته الذي كانت تخوض فيه قبائل البلوش ثورتها، بدأت حركة الهجرة من قبل بعض العلماء المسلمين الداعين إلى هجرة المسلمين الهنود البريطانيين إلى أفغانستان وآسيا الوسطى المسلمة. وكانت تهدف إلى الضغط على

(1) M. G. Pikulin, Baloch, p. 181

بريطانيا لتغيير موقف سياستها المعادي للعثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها. فهاجر بعض الناس من ذوي التفكير الديني وبعض البلوش من ديره جات وجيكوب آباد ونوشكي وكويتا إلى أفغانستان[1]. ومع ذلك، فإن الحركة، وفقاً لعناية الله بَلوُچ، كان لها صدى ضعيف جداً لدى القبائل البلوشية، التي لم تفهم التحريض السلمي ضد الامبريالية البريطانية[2].

ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى زاد القوميون البلوش جهودهم الرامية إلى تحقيق الوحدة بين الشعب والعمل على تكوين بلوشستان المستقلة. كتب عناية الله بَلوُچ «إن فشل حركة المقاومة البلوشية أدى إلى نشوء مجموعات القوميين»[3]، الذين صنفهم إلى فئتين: أولئك الذين قرروا الرحيل عن بلوشستان إلى الاتحاد السوفياتي وحصلوا على الدعم السوفياتي ضد الامبريالية البريطانية. وأطلق على هذه المجموعة لقب الثوار، بقيادة مِسّري خان بَلوُچ، أحد قادة انتفاضة مَري ـ كهيتران في عام 1917؛ وتألفت المجموعة الثانية من الدستوريين، الذين تلقوا تعليمهم في المؤسسات التعليمية البريطانية وكانت خلفيتهم من الطبقة الوسطى، واتبعوا نمط الهنود القوميين[4]. وهذه المجموعة هي التي نظمت الأنجُمَن وفي وقت لاحق حزب دولة كلات القومي.

الاقتصاد الحربي، كما هو مبين أعلاه، لم يؤخر توحيد البلوش كأمة فقط، ولكن أيضاً سرع الاتجاه نحو الهجرة من الغرب إلى الشرق. فبحلول نهاية ثلاثينيات القرن العشرين، كان هناك عدد أكبر من البلوش في الأقاليم الهندية البريطانية في البنجاب والسند منه في الخانية[5]. ومع ذلك، فإن الإبادة والدمار والمعاناة من الحرب والهجرة وكذلك النظام السرداري الجديد (نظام ساندمان) حفز كل ذلك القومية البلوشية. فتعاطف البلوش في السند والبنجاب مع سبب حركة البلوش المستندة إلى الخانية، وإن لم يكن هناك آلية لتحويل هذا التعاطف الرومانسي إلى إجراءات فعالة ذات معنى[6].

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, p. 143.
(2) Ibid.
(3) Ibid., p. 147.
(4) Ibid.
(5) Aijaz Ahmad, «The National Question in Baluchistan», pp. 7-26.
(6) Yu. Gankovsky, The People of Pakistan, pp. 203-209.

وكما ورد في الفصل الثالث، بعد الكثير من الدماء المراقة من الجانبين، البلوشي والفارسي، أخضعت بلوشستان الغربية عام 1928. وأفضى ذلك والفظائع التي ارتكبتها القوات المسلحة الإيرانية لاحقاً، إلى هجرة جماعية للبلوش نحو بلوشستان الشرقية والسند. واستقر معظم هؤلاء المهاجرين في كراچي. وعلى ذلك أثرت هذه الهجرة الجماعية للبلوش، في أخوتهم في الجانب الشرقي، وأثارت تعاطفهم وشعورهم القومي تجاه بلوشستان الغربية والقومية البلوشية ككل[1]. وربما، كان ضد هذه الخلفية رأي سليگ هاريسون عام 1981، أن فكرة القومية البلوشية نشأت مع مقاومة مير دوست محمد ضد الفرس في بلوشستان الغربية[2].

لم يرفض نظام الدولة الفارسية، الهوية القومية البلوشية فحسب، ولكن أخضعها أيضاً إلى هيمنته السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. فحاولت الحكومات المهيمن عليها فارسياً تحويل استراتيجياتها في بناء الدولة إلى حملة تفريس تهدف إلى التذويب الثقافي ـ الاجتماعي واستيعاب القوميات المخضعة في بنية الدولة المهيمن عليها فارسياً، وثقافتها ومجتمعها. وكانت جميع القرارات المتعلقة بالبلوش والقوميات الأخرى يتم اتخاذها في طهران وتنفذ من خلال البيروقراطيات المحلية، التي تهيَمن عليها أغلبية فارسية ساحقة[3].

بدأت أول حركة فكرية معادية لبريطانيا في ثمانينيات القرن التاسع عشر في بلوشستان، استجابةً للرد على الأنشطة التبشيرية. ودعيت هذه الحركة، بحركة «درخاني»، وهي حركة كان ملهمها ورائدها مولانا محمد فاضل من دَرخان (تسمى الآن فاضل آباد). ويقال أن مولانا محمد فاضل دعا إلى اجتماع للعلماء في عام 1883، وتقرر فيه أن يترجموا الكتب الدينية إلى اللغة البلوشية والبراهوئية. إذ كانت مثل هذه الكتب عندهم إما بالفارسية وإما بالعربية، ولكن شعر الآن أنها ستكون أكثر فعالية في مواجهة الدعاية التبشيرية لو كانت متاحة باللغة البلوشية[4]. فترجم مولانا حضور بكش

(1) مقابلة مع يوسف نسكنتي.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 3.

(3) Richard W. Cottam, Nationalism in Iran. Pittsburgh: University of PittsburghPress, 1979, pp. 102-117.

(4) Nadir Qambarani, «Brahvi Adabi Akabereen», in: Pakistan Studies, Vol. I:No. I, 1990, pp. 13-21.

جَتوني القرآن الكريم إلى اللغة البلوشية في عام 1902 ـ 1903. ويشار إلى أن هذه الحركة الأدبية أصدرت عدداً كبيراً نسبياً من الكتب حتى نهاية القرن التاسع عشر. وهناك تشكيك في الأرقام المحددة، لكن سيد عبد القدوس يسرد ما يقرب من ستمائة كتاب، نشر من «مكتبة دَرخاني» (المدرسة الدَرخانية)[1].

نما الوعي السياسي تدريجاً لدى مثقفي البلوش خلال الحكم البريطاني. وفي عام 1891، كان هناك مدرسة واحدة للمرحلة الثانوية، ومدرسة واحدة للمرحلة المتوسطة للبنات في بلوشستان الشرقية. وكان هناك سبعة وعشرون طالباً، وخمس عشرة طالبة في هذه المدارس. وارتفع هذا العدد إلى أربع عشرة مدرسة وكان معظمها في بلدية كويتا في عام 1901. وفي عام 1903، كانت هناك إحدى وعشرون مدرسة مع ثمانمائة طالب[2]. غير أن مولوي شيدائي يذكر، مدرستين للمرحلة الثانوية، واثنتين وعشرين مدرسة ابتدائية، من أصل ما مجموعه أربع وعشرون مدرسة في البلد عام 1902[3]. وكان معظم الأطفال هم من غير البلوش، حيث كان جنود الادارة البريطانية مسجلين في هذه المدارس (ثلاثمئة وأربعة وتسعون فقط من أطفال المواطنين المحليين كانوا من ضمنهم). وكانت لغة التدريس هي اللغة الأوردية، وفي المدارس الثانوية كانت باللغة الإنجليزية، وليس باللغة البلوشية[4]. وكان يقدم عادةً للناس بعض من التعليم الديني والمعرفة الأولية المستوى في اللغة الفارسية من خلال مدارس المساجد. وفي عام 1903، أشارت التقديرات إلى أن حوالى ألفي شخص يتلقون التعليم الديني في هذه المساجد[5]. ومع إنشاء جامعة عليگره الإسلامية عام 1912، تلقى عدد من البلوش، ومعظمهم من عائلات السردارات التعليم الحديث. ورغم ذلك، فكثير منهم ترك المدرسة قبل إكمال المرحلة الثانوية. ومع الصعوبات المالية، صرفهم نشاطهم السياسي من قبل أن يتمكنوا من التأهل والحصول على القبول في النظام الإمبراطوري الهندي.

(1) Syed Abdul Quddus, The Tribal Balochistan. p. 72.

(2) M. G. Pikulin, Baloch, pp. 84-85.

(3) Moulai Shaidai «Education During British Rule in Balochistan», in: Ouman. Karachi, August 1951, pp. 9-10.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

أثناء تثبيت السلطات البريطانية نفسها في بلوشستان في منتصف القرن التاسع عشر، استبدلت اللغة الفارسية وجعلت من الأوردية اللغة الرسمية إلى جانب اللغة الإنجليزية. ويشار أنه ولعزل بلوشستان عن قسمها الغربي (بلوشستان الايرانية)، تحول البريطانيون من الفارسية إلى لغة هندية، وهي الأوردية[1]. وأصبحت الأوردية والإنجليزية بناءً على ذلك اللغتين المستخدمتين في التعليم والاتصالات والإدارة في بلوشستان. وبالتالي لم يكن لدى القوميين البلوش خيارات أخرى للتعبير عن أفكارهم سوى باللغة الأوردية أو الإنجليزية. غير أنه في أواخر العشرينيات، كان في بلوشستان قيود على حرية التعبير عن الآراء السياسية في العلن، ولم تكن هناك صحافة[2]. وفي عام 1927، بدأ القوميان البلوشيان، عبد العزيز كورد، وماستر پير بكش، المعروف أيضاً باسم نسيم تَلوي، معاً بإصدار صحيفة تسمى «بَلوُچستان» في دلهي.

أدخل البريطانيون نظاماً إدارياً جديداً تماماً في بلوشستان. حيث أنشئت وكالات سياسية في كل منطقة، مع وكيل سياسي على رأس إدارة المنطقة؛ ودونه تقسيمات فرعية، وهي تحصيل (منطقة)، وكانت التحصيلات الفرعية تدار من قبل مساعد المفوض الخارجي، ويشرف التحصيل دار ونائب التحصيل داران على التوالي على مسائل العائدات في نطاق سلطتهما، وقد أسندت إليهما أيضاً السلطات القضائية للتعامل مع الحالات القضائية، التي بتا فيها بمساعدة من الجيرگات المحلية. وأدى الوكلاء السياسيون، وقضاة المنطقة، والتهانه (السجون)، ورجال جمع الضرائب دوراً هاماً في مسألة القانون والنظام، بينما في المدن، حيث كان يحافظ على القانون، كان تطبيق النظام والقانون من مسؤولية الشرطة[3]. وهكذا، جلب البريطانيون مفهوماً جديداً تماماً للإقليم والنظام الإداري للمنطقة.

وكما ذكر أعلاه، شكل فتح المدارس على النمط الغربي في بداية القرن العشرين، التي وصل عددها الإجمالي إلى أربع وعشرين في عام 1902، قناة هامة للوعي الجديد[4]. وعلاوة على ذلك، أدت الأعمال الفكرية للكتاب والرحالة

(1) مقابلة مع أنور ساجدي

(2) Monthly, Balochi Labzank. Hab, June 1995.

(3) R. Hughes-Buller (ed.), Baluchistan District Gazetteer Series: Quetta-Pishin. 2nd Edition (1st Published, 1906), Quetta: Gosha-e Adab, 1986, pp.215-16.

(4) Moulai Shaidai, «Education During British Rule in Balochistan», in: Ouman, Karachi, August 1951, pp. 9-10.

الأوروبيين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، دوراً محفزاً للوعي البلوشي وتصور القومية البلوشية الحديثة. العميل السري البريطاني اللفتنانت هنري پوتنگر، في عمله، رحلات إلى بلوشستان والسند (1816)(*)، كتب بحرية، معطياً وصفاً مفصلاً لتاريخ وجغرافيا وسياسة بلوشستان (1809 ـ 1810). وفي منتصف القرن التاسع عشر، نشر چارلز ماسون(**) عمله (1842) في أربعة مجلدات. وقدم هيوز (1877)(***)، بأسلوب حديث، تاريخ البلوش، وجغرافيا، وطوبوغرافيا، وانثولوجيا وخريطة شاملة لبلوشستان للمرة الأولى. وتستحق أعمال لانگورث ديمز (1904) و(1907)(****)، والمسؤولين والعلماء البريطانيين الآخرين، الذين أعدوا سلسلة إقليمية هي الدليل الامبراطوري الجغرافي للهند (1908)، التي تضمنت «دليل بلوشستان الاقليمي»، وكثيراً من الوثائق القيمة الأخرى في خلال الربع الأول من القرن العشرين، الثناء والتقدير.

وينبغي الاشارة إلى أن سلسلة بلوشستان في الدليل الامبراطوري للهند، كانت خلاصة وافية ورائعة للمعلومات، وتعد من بين أفضل الإصدارات في الدليل الامبراطوري الهندي، فضلاً عن غيرها من الكتابات في الموضوع نفسه[1]. ونرى في العقود الأخيرة للحكم البريطاني، زيادة أيضاً في توطيد هذه المنهجية، وتسارع صدور المطبوعات حول مواضيع مختلفة، من قبل البريطانيين والكتاب البلوش معاً، مثل مَگسي، وعنقا، وسردار خان بَلوُچ. وهكذا، أسس في بداية القرن العشرين تصور الفكر الغربي للأمة البلوشية.

من ناحية أخرى، وقع في أواخر عشرينيات القرن العشرين، الانفصال التنظيمي عن السياسة الاقطاعية والقبلية، مع تشكيل «انجُمَن اِتحادِ بَلوُچان» (منظمة توحيد البلوش) في مَستونگ، ببلوشستان الشرقية. إذ كان الجزء الأكبر من قادتها وأعضائها هم من الطبقة الحضرية البرجوازية، ومن الكبار والصغار، ومن الشباب المتعلم،

(*) Travels in Beloochistan and Sinde.

(**) Charles Masson.

(***) Hughes.

(****) Longworth Dames.

(1) Brian Spooner, «Baluchistan: Geography, History, and Ethnography», pp. 598-632, In: Ehsan Yarshater, (ed), Encyclopedia Iranica. Vol. III, London - New York: Routledge & Kegan Paul, 1989, p. 614.

والأعضاء ذوي التوجه القومي من رجال الدين والطبقة الأرستقراطية القبلية. وبعد وفاة مَگسي في عام 1935، تم استبدال الأنجُمَن بـ «حزب دولة كلات القومي» في عام 1937، من أجل إقامة حكم دستوري في الخانية وإقامة بلوشستان مستقلة بعد رحيل البريطانيين، كما سوف يناقش ذلك في هذا الفصل.

الآباء المؤسسون

دعا بعض البلوش المتأثرين بالفكر القومي الهندي، إلى استقلال دولة بلوشستان مع نهاية الحرب العالمية الأولى. وخلال فترة النهضة البلوشية هذه، انتشر شعورٌ جديد بين سكان المناطق الحضرية والقبائل بالقومية البلوشية. ولكن حركة البلوش الحديثة، وعلى عكس الماضي، كانت غير قبلية، ولكن قومية في طبيعتها. وشملت للمرة الأولى في تاريخ البلوش، أفراداً من جميع الطبقات والقبائل المختلفة في المرتبة بين نشطائها[1]. ويمكن ملاحظة التغير في دخول ومشاركة أفراد من أسرة الخان؛ وهم أعظم جان، وأحمد يار خان، وإبراهيم خان، وآغا عبد الكريم، ومن بيوت أهم السردارات؛ يوسف علي مَگسي، وشهباز خان نوشيرواني، وعبد الرحمن بُگتي، ومن الطبقة فوق المتوسطة ذات الصلة بأسر السردارات الأقل شأناً؛ عبد العزيز كورد، وگُل خان نصير، وغوث بكش بيزَنجو، ومن العامة؛ حسين محمد عنقا، ونسيم تلوي (ماستربير بكش)، وعبد الكريم شورش[2].

وبالتالي، كان العنصر الإثني قوةً حاضرةً وواعية وقد سهلت التعبئة الشعبية، ووفرت مرتكزاً للحركة. وهذا الجانب العالمي في الحركة دان إلى حد كبير لظهور القومية الحديثة في جميع أنحاء العالم، وأكثر للتدخل للبريطاني. ومع ذلك، كان موظفو الإدارة البريطانية وأكثر السردارات الكبار، وكذلك السردارات الصغار، المعترف بهم من قبل المؤسسة البريطانية كأعضاء في عملية صنع القرار في الجيرگات، على مختلف المستويات ضد الحركة القومية[3].

اعتبر يوسف علي مَگسي بحق، المنظم والروح المحركة للحركة القومية البلوشية الحديثة. وعن ذلك قال سردار خان بَلوُج في كتابه، البلوش أمة، في عام

(1) Malik Faiz Mohammad Yusufzai, Yaddashtain, pp. 101,113,141,151,163.
(2) Ibid.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 152,156.

1947(*): «هذا الرجل الشاب بشر بحملة عنيفة ضد فراعنة الرأسمالية، على الرغم من أنه هو نفسه كان رأسمالياً»[1]. إذ كان مَگسي (1908 ـ 1935) نجل السردار الرئيس لمنطقة جَهْل مَگسي. ولم يتمتع سردار المَگسي بالمكانة السياسية التقليدية في نظام البلوش فحسب، ولكن أيضاً تملك جزءاً من الأراضي الزراعية الأكثر إنتاجية في بلوشستان والسند[2]. وأشرك تقليدياً سردار المَگسي في دربار كلات (بلاط الدولة)، وهي أعلى مؤسسة لصنع القرار بإمرة الخان.

في عام 1913، تم التعاقد مع معلم خاص لتلقين الشاب مَگسي التعليم التقليدي والديني. ولاحقاً تم تعيين معلم خريج (بكالوريوس) من لاهور لتعليمه الحديث، بما في ذلك اللغة الإنجليزية. ومنح والده قيصر خان، سابقاً، لقب «نواب» من الحكومة البريطانية. ومع ذلك، فإن موقف قيصر خان الليبرالي والشعبوي لم يناسب السلطات البريطانية في تلك الأيام[3]. فأجبر رئيس وزراء الخان، المعين من قبل البريطانيين، السير شمس شاه (وهو هندي، غير بلوشي)، قيصر خان أن يتنازل عن منصبه كسردار. وأصبح السير شمس شاه لاحقاً، موضع نقد الحركة.

عاش يوسف علي مَگسي مع عائلته في المنفى في مُلتان ولاهور حتى عام 1929[4]. وكان لدى مَگسي في هذه المدن من إقليم البنجاب الهندي البريطاني، فرص أفضل للتعليم والتدريب السياسي. ووفقاً لأحد التقارير، فقد أكمل دراسته الجامعية في لاهور[5]. وأثرت به بشكل أقرب الحركات السياسية الجارية خلال هذه الفترة في الهند. وأثر به خصوصاً مولانا ظفر علي خان ومولانا محمد علي، الباحثان الصحفيان والناشطان المشهوران بين مسلمي الهند. وكان ظفر علي إعلامياً بارزاً وشهيراً لكتاباته من أجل قضية استقلال الهند، وحقوق السكان المسلمين[6]. وتعرفت الدوائر الهندية بشكل أوسع على مَگسي من خلال قصائده ومقالاته السياسية في بعض الصحف

(*) Baluch a Nation.
(1) Muhammad Sardar Khan Baluch, Baluch a Nation, Lahore, 1947, p. 131.
(2) Inamul Haq Kausar, Balochistan Men Urdu, pp. 109-115.
(3) Ibid.
(4) Ibid.
(5) Sir Edward Wakefield, Past Imperative: My Life in India, 1927-1947. p. 129.
(6) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 244.

والدوريات الأوردية في البنجاب وأجزاء أخرى من الهند المسلمة. ومعبراً عن اعجابه بشعبيته المتزايدة في قصيدة، علق مولانا ظفر علي خان: (كلمة بَلوُج هي كلمة المحبة والوفاء. معنى هذه الكلمة هو يوسف علي عزيز)[*][1].

كان يوسف علي مَگسي محافظاً على اتصاله مع أخبار الخانية وبلوشستان البريطانية. وفي عام 1916، حصل السير شمس شاه، الذي كان ينتمي إلى الإدارة السياسية البريطانية، على منصب المستشار السياسي للخان محمود خان، وانتزع لاحقاً لقب الوزير الأعظم. وفي عام 1920، فقد الخان محمود خان بصره وأصبح كفيفاً. فأصبح شمس شاه بعد ذلك عملياً حاكم دولة كلات مع صلاحياته الواسعة لتسيير إدارة الدولة للسنوات العشر القادمة. وبحلول عام 1929، عُزل سَردار جَهل مَگسي. وكانت سمعة السير شمس شاه بين جميع المسؤولين هي الأسوأ بين الأوساط القومية والاستقلالية. وجه مَگسي انتقادات حادة لسياسات حكومة شمس شاه، وطالب بالحكم الدستوري من خلال تمثيل منتخب[2].

بدأ مَگسي في عام 1929 بعد عودته إلى الخانية، بعمله السياسي بنشر مقالة، «فريادِ بَلوُچستان»، (صيحة بلوشستان)، في السابع عشر من نوفمبر عام 1929، الصادر في هَمدرد الأسبوعية، لاهور. ووجه في المقالة نداء إلى البلوش لتنظيم أنفسهم من أجل تحرير وتوحيد بلوشستان. وانتقاداً لسياسات الحكومة البريطانية ورئيس وزراء دولة كلات السير شمس شاه، طالب أيضاً بإصلاحات دستورية[3]. ويقال أن مقالة مَگسي «فريادِ بَلوُچستان»، كانت أول وثيقة أدبية من أجل قضية القومية البلوشية[4].

في عام 1929، ألقي القبض على مَگسي، وتم تغريمه بعشرين ألف روبية، وحكم عليه بالسجن عاماً في السجن المركزي في مَستونگ، وهي بلدة معروفة بمبادرات سكانها السياسية طوال تاريخ دولة كلات[5]. وكان لديه اتصال منتظم تقريباً مع شباب البلدة وضواحيها ذوي التفكير السياسي، ووفرت له هذه الاتصالات وتبادل

(*) لفظِ بلوج مِهر ووَفا کا کلام هی. معنی هیی إس کلام کی یوسف علي عزیز.
(1) Maulana Zafar Ali Khan quoted in Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, p. 285.
(2) Ibid., p. 14.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 150-62.
(4) IOR. L/P+S/12/45 file PZ 7548/31.
(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 150.

الأفكار تشجيعاً كبيراً لإنجاز أهدافه المستقبلية. فبعد الإفراج عنه عام 1931، أعيد تنظيم الأنجُمَن. وأصبح مَگسي الرئيس وعبد العزيز كورد الأمين العام[1].

وكان مَگسي شاباً ثرياً أيضاً، فمول نشر العديد من صحف القوميين البلوش الصادرة باللغة الأوردية في كراچي[2]. وكما ذكر سابقاً، تسببت مقالته، «فريادِ بَلوُچستان» في عام 1929، باعتقاله وسجنه لمدة عام تقريباً. وفي العشرين من نوفمبر عام 1931، نشر مَگسي كتيب «شمس گردي»، أي «طغيان شمس»، رئيس وزراء كلات، يدين به السلوك غير الديمقراطي لحكومته[3]. وفي كتيب آخر عام 1933، عنوانه «بَلوُچستان كي آواز» (صوت بلوشستان)، أبلغ مَگسي البرلمان البريطاني بالظروف الاجتماعية والسياسية الخطيرة في بلوشستان[4].

بجانب مَگسي، كانت الشخصية الأكثر شعبية في الحركة هي شخصية عبد العزيز كورد، والذي ولد عام 1904. وكان والده موظفاً حكومياً في دولة كلات. وكانت تجاربه في مرحلة الطفولة والمراهقة، وخلفيته الاجتماعية والسياسية، وفكره وعمله السياسي مشابهاً للكثير من الناشطين الآخرين في الأنجُمَن. غير أن هناك بعض الاختلافات مع تلك التي عند يوسف علي مَگسي، الذي جاء من طبقة عليا في المجتمع البلوشي[5]. ويقال أنه بعد تعيينه رئيساً لحزب الأمة عام 1937، علق خريطة «بلوشستان الكبرى» على الحائط، وراء مكتبه[6]. وربما يُظهر هذا نية عبد العزيز كورد أن يكون زعيم البلوش كافة في جنوب ـ غرب آسيا.

أما محمد حسين عنقا، الذي هو في الواقع كان ممثل العامة، فهو زعيم شعبي آخر في هذه الفترة. ولد عام 1907. وهاجر أفراد عائلته وعدد من العمال من المناطق الساحلية إلى مَچ، وهي بلدة صغيرة على طول خط سكة حديد بلوشستان، في أراضي الخانية المؤجرة. الحياة في مثل هذه المناطق والأنشطة ذات التوجه البريطاني، كانت مفيدة من حيث الاتصال مع العالم الخارجي. وبرغم أنها كانت أساساً للمهاجرين غير

(1) Monthly, Azad Baluchistan. December 1984, p. 4.
(2) Carina Jahani, Standardization and Orthography in the Balochi Language, p. 134.
(3) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, vol. II, p. 420.
(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 168.
(5) Baluchi Dunya, Multan, June-July 1968.
(6) مقابلة مع آغا نصير خان أحمد زئي.

المحليين، أدى هذا الاتصال إلى إنشاء المدارس الابتدائية، وتوافر المنشورات والمعلومات من أجزاء الهند الأخرى. أنهى عنقا دراسته في مدرسته الابتدائية في مَج، وفي عام 1924 تخرج من المدرسة الثانوية في كويتا. وبغض النظر عن حقيقة أن عنقا جاء من عائلة غير قبلية من العامة، فإنه هام لدوره كشاعر وصحافي للحركة.

ومن ناحية أخرى، كان عنقا بين المثقفين القليلين في الحركة، الذين شاركوا في الأنشطة العسكرية وشبه العسكرية في عدة أحداث[1]. ويجب أن يؤخذ بالاعتبار، أن المشاركة في الحياة السياسية كانت مقتصرة تقليدياً على الطبقات العليا، والخانات، والسردارات، أو الحكام فحسب كما كانت تتم تسميتهم في مَكُران. ولم يكن يتوقع من العامة، والحرفيين والشعراء، المشاركة في شؤون الدولة والأمة[2].

وهكذا، تكون الناشطون السياسيون الجدد (القوميون) من مختلف الطبقات في المجتمع البلوشي. وبتوسعهم في المراكز السياسية التقليدية مثل مستونگ وكويتا وكلات، ضموا جَهل مَگسي، وهي منطقة تابعة لدولة كلات المحاذية للسند. وحرم عبد الرحمن بُگتي وهو مثل مَگسي، من زعامة أكبر وأقوى قبائل البلوش (بُگتي) من قبل البريطانيين، بسبب أنشطته السياسية المناهضة للبريطانيين؛[3] ولكون محمد حسين عنقا، من العامة، من مَكُران الساحلية، كانت هذه المشاركة الجماعية ظاهرة جديدة، أشارت إلى ظهور قومية بلوشية مع نمو وعي قومي كافٍ وخصائص مميزة يشترك فيها أفراد فئات الشعب البلوشي كافة.

أَنْجُمَن اِتِحادِ بَلوُچان

مستوحاة من الإضرابات السياسية في إيران وتركيا وأفغانستان وروسيا، فضلاً عن الحركة المناهضة للاستعمار البريطاني في الهند نفسها، وطدت القومية البلوشية نفسها في عشرينيات القرن العشرين. في عام 1920، تشكلت منظمة سرية، تدعى «شباب البلوش»(*) من قبل مجموعة من البلوش القوميين بقيادة يوسف علي مَگسي،

(1) Malik Faiz Mohammad Yusufzai, Yaddashtain, pp. 163-177.

(2) Inamul Haq Kausar, Balochistan Men Urdu, (Urdu in Balochistan, in Urdu), Lahore, 1967, pp. 107-137.

(3) Balochistan. Organ of «Jonbesh-e Khalq-e Baloch-Iran, No. 7,1364/1985 (Persian).

(*) Young Baloch.

المتلقي تعليمه في الهند، وعبد العزيز كورد نجل موظف رسمي في دولة كلات[1]. وبعد سنوات قليلة، غيرت الحركة اسمها إلى «انجُمن اِتحادِ بَلوُچان» (منظمة توحيد البلوش، وستدعى بعدئذ بالأنجُمَن) واتجاهها من كونها منظمة سرية إلى حزب سياسي مفتوح تحت قيادة مَگسي في عام 1931[2]. وفي عدة نواحٍ يشكل الأنجُمَن معلم بداية قوى جديدة في بلوشستان، من حيث تنظيم الحركة نفسها كحزب سياسي وقومي وعلماني وغير قبلي. ولكونها منظمة سرية لسنوات عديدة، فإن التاريخ المحدد لتشكيل الحركة الأولى غير مؤكد.

دعا الأنجُمَن إلى الإصلاح السياسي والدستوري في الخانية، والتوحيد التام لجميع الأراضي البلوشية في دولة مستقلة. وكما لوحظ أعلاه، فمنذ عام 1931، بدأ الأنجُمَن بالعمل بشكل علني، وبتشجيع الأفكار المختلفة حول الإصلاح داخل الدولة، وبالدعوة إلى الحاجة إلى المزيد من المؤسسات التمثيلية[3]. وخلال بداية عشرينيات القرن العشرين، والذي كان العقد التكويني للقومية البلوشية الحديثة، عملت الحركة بسرية. فتصرف قادتها، والموالون لها وغيرهم من الأشخاص المتفقين معهم فكرياً في المناطق البلوشية على أساس فردي، بما فيها تلك التي في السند والبنجاب وكراچي. وخلال هذه الفترة، تراكمت لدى القادة الخبرة، واستمروا في التعليم الذاتي، والمراقبة والتفكر، والحفاظ على الاتصالات عن طريق المراسلات ووسائل الإعلام[4]. وأدت الصحف والدوريات التي نشرها بعض البلوش المماثلين فكرياً من كراچي خلال هذه الفترة، والموقف المتعاطف لبعض الصحف الهندية الناشرة للجماهير، دوراً مهم في مجال الاتصالات والتدريب[5].

ولكونها أكبر مركز حضري للبلوش، أدت كراچي دوراً مهماً في تنمية الوعي

(1) Monthly, Azad Baluchistan, No 6. December 1984.

(2) والمعروف أيضاً في بعض المصادر باسم «انجُمَن اتحاد بَلوُچان وبَلوُچستان» (منظمة توحيد البلوش وبلوشستان)، انظر:
Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India, 19th -20th Century, Firenze: Il Maestrale, 1997, p. 143.

(3) Taher Bizenjo, Balochistan: Kia Howa, Kia Hoga. Karachi: Pakistani Adab Publisher, 1989, p. 121

(4) Balochi Dunya, Multan, June-July 1968.

(5) Ibid.

القومي البلوشي. فكراچي ليست مهد الحركة الأدبية البلوشية الحديثة فقط، ولكن أيضاً مركز السياسة البلوشية الحديثة. وفي أثناء تشكيل الأنجُمَن، شكل المثقفون البلوش في كراچي تنظيماً قومياً، دعي الرابطة البلوشية[*]. وعين غلام محمد نورالدين، المتلقي تعليمه في بومباي، رئيساً لها. وكان الأعضاء الآخرون في القيادة: التاجر الشهير واجَه عمر بكش صابرا، ومولوي محمد عثمان، ومِهراب خان عيسى خان، ومولوي عبد الصمد سَربازي، وخان صاحب عثمان، وپير بكش شهداد، وخان بهادُر الله بكش گبول. وفي مؤتمرها السنوي عام 1930، أدانت الرابطة سجن مَگسي وطالبت علناً بإطلاق سراحه الفوري من السلطات البريطانية. وكما انضم إلى الرابطة في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، وبعد أن تخرج في جامعة عليگره، الزعيم القومي الأسطوري، مير غوث بكش بيزَنجو[1].

في عام 1931، وخلال رئاسة يوسف علي مَگسي، بدأ الأنجُمَن، وكما ذكر، بعمل جديد وعلني. وتطورت أنشطته حول ثلاثة مطالب أساسية هي: 1 ـ الإصلاح في الخانية. 2 ـ توحيد الأراضي البلوشية التاريخية التي قسمت بين مختلف الوحدات الإدارية (والدول). 3 ـ تأسيس بلوشستان متحدة ومستقلة وذات سيادة[2]. ولبدء الإصلاح في الخانية، طالب الحزب بإلغاء قواعد وأنظمة، مثل انتظام جرائم الحدود، الذي قلص الحرية السياسية. كما طالب بإنشاء برلمان منتخب للخانية، وبالتالي، مجلس دستوري مسؤول تحت إمرة الخان. ومثل هذا الفعل يعني نهاية نظام السرداري والجيرگا، وكذلك نهاية الحكم، غير المباشر، ولكن المهيمن، البريطاني. وكان الأنجُمَن، على ما يبدو، أكثر اهتماماً بتغيير الهيكلة السياسية بدلاً من التعليم والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي. وكان ذلك انعكاساً لاعتقادهم بأنه لا يمكن أن يتم أي شيء قبل إحداث تغيير في البنية السياسية[3].

استخدم البريطانيون النظام السرداري كأداتهم الرئيسية للقمع في بلوشستان[4].

(*) Baloch League.

(1) مقابلة مع يوسف نسكتي.

(2) Monthly, Azad Baluchistan. December 1984.

(3) Malik Faiz Mohammad Yusufzai, Yaddashtain, pp. 53-58.

(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 170.

ولمواجهة البريطانيين، هاجم القوميون النظام السرداري، الذي وصفوه بأنه نظام يكون السردارات به قادرين على ممارسة السلطة الكاملة على رعاياهم، حتى إلى حد الاضطهاد والتعسف. ولكونهم على تحالف وثيق مع الحكومة الاستعمارية، كان الشباب القوميون لا يطيقون السردارات[1]. وفي ظل هذه الظروف ومن خلال التفويض الممنوح من قبل يوسف علي مَگسي وزميله الرئيسي عبد العزيز كورد، كان أحد أهم أهداف الحركة والحزب، عندما نظم تحت رعاية هذا الأخير، هو إنهاء النظام السرداري. كتب إعجاز أحمد، وهو كاتب يساري باكستاني: «لم يمكنهم محاربة السردارات، بقتال البريطانيين، ولكن كان يمكنهم محاربة كل من السردارات والبريطانيين بسبب أن عدوان السردارات كان مباشراً أكثر، وكانوا في وضع سهل المنال وضعيف أكثر، وعلى وجودهم تعتمد القبضة الإمبراطورية وتستند»[2].

تقليدياً، رشح الخوانين من يخلفهم. غير أن محمود خان، لم يقم بذلك. ووفقاً للمؤرخ دِهوار «علم [الخان] أنه لم يكن عند أي من أبنائه القدرة على أن يكون خليفته»[3]. في منتصف عام 1930، عندما مرض الخان، أدرك رئيس الوزراء شمس شاه خطورة الوضع، وبدأ ببذل الجهود لتحقيق الاتصال بالسلطات البريطانية للحصول على ترشيح الابن الأكبر لمحمود خان، محمد أنور خان، ليكون خلفاً له. وبواسطة هذه اللفتة أراد شمس إدامة توليه منصبه إلى أجل غير مسمى، باعتقاده أن محمد أنور، بعد اختياره، سيعتمد بالتأكيد عليه لتسيير إدارة الدولة. ولكن، في العام نفسه، تفاوض الأنجُمَن سراً مع الأمير المسجون محمد أعظم جان، شقيق الخان، والذي كان موالياً للأنجُمَن، وأعلن عن دعمه لتنصيبه الخان الجديد. وهكذا وجه الأنجُمَن جهوده ضد السير شمس شاه الموالي لبريطانيا. وسار قادتها في هجرة جماعية من منطقة مَگسي إلى السند والبنجاب لإجبار شمس على الاستقالة[4].

كان لهجرة المَگسيين التأثير الكبير في القبائل البلوشية المجاورة. حيث تعاطف معهم، قبائل الرِند، والمينگل، والبُگتي، وثارت ضد سَرداراتها، الذين كانوا من

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 150-62.

(2) Aijaz Ahmad, «The National Question in Pakistan», p. 23.

(3) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 240.

(4) S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 134.

مؤيدي السير شمس شاه أو البريطانيين[1]. وعلاوة على ذلك، أدت الهجرة الجماعية لرجال قبيلة مَگسي إلى السند إلى تعقيدات في الحياة الاجتماعية لشعب المنطقة، وأنشأ مشاكل قانونية ونظامية. وعندما تم الكشف عن تقارير هذا الوضع، حملت السلطات البريطانية السير شمس شاه المسؤولية عن الاضطرابات الشعبية ورفضت اقتراحه بتعيين الأمير محمد أنور جان. وبدلاً منه قبلت الإدارة البريطانية ترشيح محمد أعظم جان باعتباره الخان الجديد، في ظل شروط معينة[2].

خلف محمد أعظم جان شقيقه محمود خان بوفاته عام 1931. ومع ذلك، عقدت مراسم تتويجه الرسمي في السادس والعشرين من أبريل عام 1932. وحضر شخصياً اللورد ولنگتون، نائب الملك في الهند، حفل التتويج. وأُعتبر جلوس أعظم جان على عرش كلات انتصاراً للأنجُمَن. وفي الشهر نفسه الذي جلس فيه على العرش (ديسمبر 1931)، أقال السير شمس شاه وثبت رئيس الوزراء الجديد، خان بهادُر گُل محمد خان. ولكن يبدو أنه بعد ترشيحه حذرته السلطات والسردارات، عن الأنجُمَن. وبعد حوار مع مَگسي في الثاني والعشرين من ديسمبر عام 1931 حول مطالب الأنجُمَن، طلب الخان من عبد العزيز كورد وقف نشاطه السياسي[3]. ويمكن معرفة موقف الحكومة البريطانية في خطاب اللورد ولنگتون خلال حفل التتويج، حيث قال مخاطباً الخان: «أنت لست حاكم دولة كلات فحسب ولكن أيضاً رأس كونفدرالية قديمة وقوية. وبالتالي، يحسن بك العمل والتفكير مع السردارات»[4]. ومشيراً إلى خطر الأنجُمَن على النظام السرداري، أكد اللورد ولنگتون للخان مساعدته للحفاظ على

(1) M. Hossein Anka, «Baloch Sardarounka Ghair Mustahsen Rawiya», in: Al Baluch, Karachi, 13 August 1933.

(2) كانت الشروط البريطانية لاختيار أعظم جان كالخان الجديد هي: 1. تكون معاهدة العام 1876 سارية المفعول. 2. يجب أن لا يلمس النظام الحالي للإدارة، بما في ذلك نظام الإيرادات، ومن دون أي تغيير جذري. 3. ينبغي توسيع نطاق مجلس الدولة ليشمل سردارات القبائل الكبيرة مع دورتين في السنة من أجل الحصول على رأيهم في المسائل الهامة للدولة. ويجب على الخان ووزيره الأعظم الامتناع عن إصدار أوامر من هذا القبيل من دون موافقة مجلس الدولة، الذي من شأنه أن يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على أوضاعهم أو مصلحتهم. 4. يجب على السردارات اعتبار أنفسهم أنهم يمين الخان في حين ينبغي للخان أيضاً أن ينظر إليهم على هذا النحو وأن يعطي الأهمية الواجبة لرغباتهم.
(cited in: M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan p. 241).

(3) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, Two volumes, Quetta, 1954, p. 407.

(4) Baluchi Dunya, Multan, June-July 1968.

النظام: «يواجه كل حاكم دولة في بعض الأحيان الصعوبات والمخاوف. وينبغي لك أن تطمئن إلى أن ضباطنا سيقدمون جميع أنواع المساعدة والمشورة في مثل هذه الحالات. وتأكد أني شخصياً سوف أواصل اهتمامي العميق بشؤون دولتك»[1].

عندما تولى أعظم جان مقاليد خانية كلات، كانت الدولة متخلفةً جداً. حيث كان مجال التعليم محدوداً وكانت مدارس الأطفال قليلة العدد والمستشفيات للرعاية الصحية لم تكن معروفة تقريباً ما عدا في كويتا. وكان الناس المتعلمون يتلقون التعليم حتى المرحلة الثانوية، وعمل بعضهم في النيابات (المقاطعات) كمحررين (كتاب)، في حين أن الوظائف العسكرية ووظائف المعلمين كانت تشغل بالسكان غير المحليين، حيث كان معظمهم من البنجاب. وعلى الرغم من قلة عدد المتعلمين في الدولة، كانت الصحوة السياسية تتقدم بشكل واضح. واعتبر هذا بمنزلة تطور هام في عهد الخان أعظم جان. وكان شعب الدولة بعد فترة طويلة من الجمود مبتهجاً بانتخابه خاناً، وقد كان يعتبر تغييراً نحو الأفضل.

ولكونه شخصاً مسناً[2]، لم يكن بمقدرة الخان أعظم جان المشاركة السياسية المباشرة، خلافاً لتوقعات الجيل الأصغر. ولذا لم يف بوعده بإلغاء البيگار (عمالة قسرية من دون أجر) وإلغاء الضرائب غير المشروعة، ووقف تعدي السردارات على أراضي الدولة في كچي، وذلك لأن السردارات عارضوا مثل هذه الاصلاحات[3]. ومع ذلك، فخلال فترة حكمه القصيرة (1931 ـ 1933) زادت صحوة الشعب السياسية، وسرعان ما اتخذت شكل حركة سياسية كاملة تحت قيادة يوسف علي مَگسي وعبد العزيز كورد[4].

الأنجُمَن ومسألة الاستقلال

بعد أن أعلن (الأنجُمَن) هدفه وهو تأسيس بلوشستان مستقلة وموحدة مع حكومة منتخبة وممثِلة، قال الأمين العام للأنجُمَن، عبد العزيز كورد: «في مجلة زميندار في

(1) Ibid.

(2) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 110.

(3) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 244.

(4) Monthly, Azad Baluchistan, December 1984.

التاسع من سبتمبر عام 1932، لقد قدمت أيديولوجية لفصل بلوشستان عن الهند وتشكيل حكومة إسلامية مستقلة في هذه الدولة، التي لم أصغها ولا أصوغها اليوم ولكن فعلت ذلك منذ اثني عشر عاماً في عام 1920، وفي ضوء الظروف المحلية، أبديته أمام العالم سابقاً في عام 1922 في منشور بصحيفة «هَمدَم» . . . أريد أن أرى حكومة دستورية في بلوشستان، تكون إسلامية ومستقلة في الجوانب كافة. وكما أنني لا يمكنني أن أحب بقاء بلوشستان تحت عبودية الهندوس، وأنا أيضاً أعارض أن تقيد أوروبا الاستعمارية وطني بسلاسل الاستعباد»[1]. ويجب أن يذكر أن رابطة عموم مسلمي الهند[*] لم تشكل ولم تضع بعد مطلب باكستان. فبدلاً من ذلك، كانت تؤمن بهند متحدة، وكانت تكافح للمحافظة على حقوق المسلمين في الهند.

لم تكن ردة الفعل الهندية الهندوسية وكذلك الإسلامية، في مصلحة مطالب الأنجُمَن الواضحة على نحو متزايد لانفصال بلاد البلوش عن شبه القارة، وتشكيل بلوشستان مستقلة وذات سيادة. فعد «موقف المسلم»[**]، الصادر من لاهور (1932)، فكرة وجود بلوشستان حرة «مؤامرة بريطانية إمبريالية»، وعارضت زَميندار اليومية الفكرة، وهي صحيفة موالية لرابطة مسلمي الهند، ونصحت بتشكيل «جبهة إسلامية متحدة لمكافحة البيروقراطية الهندوسية»[2]. بينما البيروقراطية التي كانت تواجه النشطاء البلوش في بلوشستان، هي في أساسها بيروقراطية إسلامية، وهي البنجابية. فعند البلوش، كانت مشكلة البيروقراطية الهندوسية غير موجودة. وكان النقاش حول الاستقلال لا يزال مستمراً عندما قرر الأنجُمَن عقد مؤتمر بلوشستان وعموم بلوش الهند في عام 1932.

أصدر قادة الأنجُمَن البيان التالي بعد أن قرروا استدعاء جميع القوميين البلوش في «مؤتمر بلوشستان وعموم بلوش الهند»[***]، في العشرين من أكتوبر عام 1932، بشأن الغرض منه: «لقد تقرر عقد مؤتمر بلوشستان وعموم البلوش في جيكوب آباد في

(1) Daily Zamindar, Lahore, 18 September 1932, quoted in Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 153-54.

(*) All India Muslim League.

(**) The Muslim Outlook.

(2) Daily, Zamindar, 28 September 1932, quoted in ibid.

(***) Balochistan and All India Baloch Conference.

شهر ديسمبر (1932). البلوش ملمون وكما ينبغي بمبادئ الديمقراطية ولكن أمتنا يتم التأثير عليها بشكل كبير من قبل المؤثرات الخارجية. وبالتالي، فليس لدينا خيار سوى أن ننظم أنفسنا من خلال إنشاء روابط الوحدة والتحالف. وخلاف ذلك سيؤدي إلى جعلنا متخلفين وراء كل الأمم الأخرى. أهدافنا الهامة جداً هي الأهداف التالية. . . وحدة البلوش، والتعليم الإلزامي، وحماية الحقوق، والتعليم الديني، والإصلاحات القانونية. ولدينا ثقة بأن أفراد أمتنا لن يدخروا أي جهد لإنجاح هذا المؤتمر»[1].

في السابع والعشرين من ديسمبر عام 1932، عقد المؤتمر الذي نظمه الأنجُمَن «مؤتمر بلوشستان وعموم بلوش الهند» في جيكوب آباد، بالسند. وبدأ المؤتمر بالخطاب الرئاسي لمير علي نواز خان تالپور، حاكم دولة خيربور، الذي دعا فيه البلوش للوحدة. واستمرت مداولات هذا المؤتمر الأول لمدة ثلاثة أيام[2]. وشارك فيه أكثر من مئتي ممثل من بلوشستان والسند والبنجاب، بمن فيهم عبد الصمد اچكزي، غير البلوشي[3].

وصدرت عدة قرارات. وكانت الأهداف التالية هي الأكثر أهمية[4]: 1 ـ لتوحيد البلوش يجب توحيد مختلف مناطق بلوشستان. 2 ـ إقامة حكومة دستورية في بلوشستان. 3 ـ إلغاء انتظام جرائم الحدود في بلوشستان. 4 ـ إنشاء كليات للتعليم العالي في بلوشستان. 5 ـ إنشاء صناعات في بلوشستان. 6 ـ أدان المؤتمر الاحتلال الإيراني لبلوشستان الغربية وطالب بوضع حد للأعمال الفارسية الفظيعة[5]. وينبغي الإشارة إلى أنه قبل أيام قليلة من انعقاد المؤتمر، نشرت أسبوعية الأنجُمَن، البَلوُج، من كراچي، في عددها الصادر في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1932، خريطة بلوشستان الكبرى، التي تبين مناطق البلوش في إيران وأراضي كونفدرالية كلات،

(1) Daily, Zamindar, 22 October 1932, quoted in ibid.

(2) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 169.

(3) Baluchi Dunya, Multan, June-July, 1968: ملك رمضان، الذي أصبح لاحقاً عضواً في الحركة وبقي كصحفي محلي، ذكر أن مئتي مندوب من كراچي والسند والبنجاب وبلوشستان حضروا المؤتمر؛ أنظر أيضاً A. B. Awan., Baluchistan, p. 165.

(4) Khan Abdul Samad Khan Achakzai, «A Brief Summary of Evidence, Before the Joint Parliamentary Committee, London», in: Daily Gazette Press. Ltd.. 1st May 1933; see also Baluchi Dunya. Multan, June-July 1970.

(5) Inayatullah Baloch, «Mir Mohammad Yusuf Ali Khan Magasi», in: Monthly Azad Baluchistan. London, December 1984, p. 4.

والمناطق المؤجرة تحت السيطرة البريطانية وأراضي البلوش في البنجاب والسند[1].

كان «مؤتمر بلوشستان وعموم بلوش الهند» فرصة عظيمة للقوميين البلوش القادمين من أنحاء مختلفة من بلوشستان، والسند، والبنجاب لتبادل آرائهم حول مصير الأمة البلوشية وبلوشستان. ومثلت بلوشستان الغربية (بلوشستان الايرانية) من قبل اللاجئين البلوش، الذين كانوا يعيشون في كراچي[2]. وقد عقد المؤتمر البلوشي الثاني في حيدر آباد (السند) في نهاية شهر ديسمبر عام 1933. وقد دعم قرارات المؤتمر السابق، وشدد فيه على تشكيل حكومة دستورية في بلوشستان[3]. وكانت المؤتمرات البلوشية برهنة على اجتماع (بلوشي) مشترك تتشارك فيه جميع مقاطعات البلوش (البريطانية)[4]. وقد ألقيت قصيدة سياسية مشهورة ليوسف علي مَگسي في جلسة اليوم الأخير للمؤتمر[5].

في يناير عام 1934، اعتقل الأمين العام للأنجُمَن، عبد العزيز كورد لأنه كان يطالب من خلال إصدار البيانات ونشر مقالات في الحنيف الأسبوعية (جيكوب آباد)[*]، وبَلوُچستان جديد (كراچي)[**]، واليومية آزاد (لاهور)[***]، بعودة المقاطعات المؤجرة من كويتا، وبولان، ونصير آباد إلى دولة كلات، وأيضاً مناطق مَري وبُگتي القبلية، التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الخانية في الماضي. وحكم عليه بالسجن المشدد لمدة ثلاث سنوات من قبل شاهي جيرگا، في سيبي. وفي رسالته إلى الحزب لحظة اعتقاله قال عبد العزيز كورد:

أيها الرفاق! يجب أن تفهموا موقف بريطانيا تجاه بلوشستان جيداً. لا تنظروا إليه

(1) Weekly Al-Baluch, Karachi, 25 December 1932, p. 7.

(2) Weekly Young Baluchistan, 15 January 1934; Saeedi Baluch, «Azad Baluchistan aur Hokumat-e-Iran» in: Weekly, Baluchistan, 4 March 1936, cited in: Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 145.

(3) Monthly, al-Hanif, Special Number on Balochistan, Jacobabad, 1937.

(4) بالنظر إلى القواعد القائمة والتشريعات المقيدة، لا يمكن عقد مثل هذا المؤتمر في بلوشستان التي تقع تحت إدارة الخان.

(5) A. B. Awan, Baluchistan, p. 165.

(*) Weekly Al-Hanif.

(**) Balochistan Jadid.

(***) Daily Azad.

من وجهة نظر السياسات الهندية. ضعوا نصب أعينكم أن أهمية دولتنا لجميع آسيا هو ما يشكل ايديولوجيتكم السياسية الواقعة تحت المقتضيات الموقتة وفقاً للظروف المحلية والتطلعات القومية. ولا ينبغي للأمة البلوشية أن تحاكي الأفغان، أو الهنود أو أي سياسة خارجية. يجب أن تضعوا في أذهانكم حقيقة أن بريطانيا لم تفتح دولتكم ولا هي ابتاعتها من أي أحد. ولذلك فأنتم لستم عبيداً لها وهي ليست سيدتكم. في الواقع، نصبت بريطانيا مخيمات موقتة في دولتكم فوضعها وضع التاجر الذي عقد امتيازات خاصة بحكم المعاهدات الودية التي فيها الطرفان متساويان. ولذلك يجب أن تكونوا دائماً واعين بوضعكم الحقيقي وكرامتكم السياسية[1].

بعد أن أمضى بالكاد عامين في السلطة، توفي محمد أعظم جان في التاسع من سبتمبر عام 1933، وخلفه ابنه أحمد يار خان في العشرين من الشهر نفسه عام 1933. ولد أحمد يار خان عام 1902 في لورالاي، حيث سجن جده (مير خُداداد خان)، ووالده (مير أعظم جان)، وأفراد الأسرة الآخرون من قبل البريطانيين[2]. وحصل على التعليم الأولي على أيدي أساتذة خصوصيين في الفارسية والعربية والانجليزية. وتزوج حفيدة الزعيم الإسلاموي الشهير، سيد جمال الدين الأفغاني[3].

كان مير أحمد يار خان نصيراً لبرنامج وفكر الأنجُمَن ومنحت سياساته الشرعية للحركة. وبناءً على ذلك، أدى توليه العرش إلى تطوير ظروف مواتية أكثر لعمل الأنجُمَن لتحقيق استقلال بلوشستان. وقد أجرى بعض الإصلاحات الهامة في الدولة متأثراً بالحركة القومية البلوشية. فعلى سبيل المثال، ألغى نظام البيگار، وحسن القضاء والتعليم. ورفع ميزانية التعليم من ثلاثة عشر ألف روبيه إلى أربعين ألف روبية. وكانت تقدم المنح الدراسية للطلاب للدراسة في الجامعات الهندية وغيرها في الخارج. وأعطيت الأفضلية في التوظيف للبلوش، وأسس أيضاً مطبعة في كلات[4].

قام مير أحمد يار خان لتحسين الوضع الاقتصادي البائس؛ بإنشاء مصنع لتصنيع

(1) Abdul Aziz Kurd, quoted in Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 154.

(2) M. A. Shaheen Qaisarani, Balochistan, Tarikh wa Mazhab, Quetta: Edareh Tadris, 1994, p. 142.

(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 161.

(4) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 126.

الأسلحة الصغيرة والذخيرة، وبالتالي وفر للناس فرص العمل والمعدات اللازمة لجيش الدولة. وأقيمت الصناعات الصغيرة مثل معامل الغزل والنسيج، وحياكة السجاد ودباغة الجلود في أماكن مختلفة. وعلاوة على ذلك، أولى الاهتمام اللازم بالزراعة من خلال إنشاء مزارع عديدة، ومنح الطلبة البلوش رواتب خاصة للتخصص في هذا المجال. وتم تشكيل سلسلة واسعة من مزارع الفاكهة في إطار إدارة حكومة الدولة المباشرة لتنظيم إنتاج البساتين على أساس تجاري. وتم الاهتمام بالطرق والاتصالات للربط بين المدن والموانئ. وخلق ذلك تنافسية جيدة وصحية الاجواء بين مزارع القطاع الحكومي والخاص(1).

الأهم من ذلك، كان دوره المتعاطف والمتعاون مع نضال الأنجُمَن من أجل الاستقلال. وفي هذا الصدد كانت مساهمته أكبر بكثير من الخوانين السابقين. وفي عام 1934، بَعَثَ مَگسي إلى بريطانيا بوصفه ممثله الشخصي لمناقشة سيادة خانية كلات مع السلطات العليا، وللتفاوض على عودة كل المنطقة المؤجرة للخانية(2). ومع ذلك، ووفقاً لملك فيض محمد يوسف زئي، وهو شخصية بارزة في الأنجُمَن، كان سفر مَگسي إلى لندن في الواقع مؤامرة سرية ضد الأنجُمَن من قبل البريطانيين. فقد ظن البريطانيون أنه في حال غياب مَگسي فإن الأنجُمَن لن ينجو(3). وبالطبع، وقبل مغادرة مَگسي الإلزامية، طلب الخان منه البحث عن الوسائل والطرق في لندن من أجل حرية الخانية(4).

بينما كان في لندن، حاول مَگسي الاتصال ببعض الأوساط البريطانية. وعلى ما يبدو كان قد نصح بالحفاظ على نشاطاته سلمية ودستورية، وهندية بريطانية النمط، وبعبارة أخرى لتوليد ضغط الرأي العام من خلال التنظيم، والاجتماعات العامة، والاضرابات والقرارات. وكانت مفارقة، أن مثل هذه الأنشطة كان مسموحاً بمزاولتها في الهند البريطانية فقط، حيث كان فيها مستوى من الإصلاحات الدستورية، وكانت

(1) Ibid., pp. 126-127.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 155; M. A. Shaheen Qaisarani, Balochistan, Tarikh wa Mazhab, Quetta: EdarehTadris, 1994, p. 204

(3) Malik Faiz Mohammad Yusufzai, Yaddashtain, Progressive Writers Association, Balochistan Quetta, 1997, p. 30.

(4) M. A. Shaheen Qaisarani: Balochistan, Tarikh wa Mazhab, Quetta: Edareh Tadris, 1994, p. 204.

الحرية متوافرة نسبياً للعمل السياسي. بينما لم يكن يسمح بها في الخانية، الدولة الحدودية، التي عانت نقصاً في المراكز السكانية الحضرية، والكثير من القواعد والتشريعات المقيدة. ولم تكن محادثات مَگسي في لندن مثمرة كثيراً حيث رفضت الحكومة البريطانية إدخال إصلاحات في بلوشستان. وكما كتب من قبل المؤرخ عناية الله بَلُوج «أدى فشل مهمة مَگسي إلى التوجه الراديكالي»(1).

ووفقاً لبعض المصادر، فضل مَگسي كرئيس للأنجُمَن الكفاح المسلح بمساعدة الاتحاد السوفياتي(2). جعل مزاج مَگسي المسترخي عندما عاد إلى بلوشستان وموته غير المتوقع عام 1935، إضافة إلى عدم وجود مصادر متاحة، من الصعب التحقق من درجة جدية حديثه عن الكفاح المسلح. وكان موت مَگسي أكبر خسارة لمستقبل الحركة القومية البلوشية. وفي أيامه الأخيرة خطط لإعادة تنظيم الأنجُمَن على الخطوط الثورية. وكتب إلى أصدقائه حول خطته لطرد العناصر الموالين لبريطانيا من الأنجُمَن وتكريس نفسه لقضية بلوشستان(3).

حتى عام 1937 استندت أنشطة واستراتيجيات حركة البلوش القومية الحديثة (1920 ـ 1937) إلى مطالب سياسية، وإصلاحات اجتماعية واقتصادية ضمن سلطة الخانية القضائية. وعارضت الحركة الترتيبات الإدارية والقضائية الخاصة في المناطق البلوشية، التي تحد الأنشطة السياسية وتنمية المؤسسات الحديثة لتلك المماثلة التي تتطور في الهند البريطانية. وكنتيجة للإصلاحات الدستورية التدريجية، كانت أقاليم الهند البريطانية تتجه نحو الحكم الذاتي والحكومة البرلمانية المنتخبة. وكان هذا التطور يعني قدراً أكبر من حرية الصحافة، والأنشطة السياسية والرأي العام، ونظاماً قضائياً أكثر إنصافاً على النمط الغربي. وبهذا أسست الحركة القومية البلوشية هدف التحرر من الأحكام السياسية الاستعمارية من أجل تعزيز نضالها.

تحولت منذ عام 1937، أهداف الحركات في شبه القارة تحولاً سريعاً نحو الاستقلال، وركزت الحركة القومية البلوشية أنشطتها على إرساء مكانة دولة كلات القانونية باعتبارها دولة ذات سيادة، وعلى أمل أن تصبح كلات نواة دولة بلوشية بعد

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 155.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

رحيل بريطانيا العظمى، التي من شأنها جذب المناطق البلوشية الأخرى. ووفقاً للكاتب البلوشي القومي جان محمد فإن الفكرة وراء دعم الحزب السياسي للخان، تكمن في حقيقة أنه في حين أن القوميين يفضلون تشكيل جبهة موحدة، تتضمن الخان والسردارات الموالين له، فقد تطلعت إلى تعريف نفسها بكونفدرالية كلات البلوشية[1]. وبطرائق مختلفة، تضمن برنامج الأنجُمَن وأنشطته الخان والبريطانيين الذين حكموا البلاد والسردارات والسكان البشتون؛[2] والكونجرس الوطني الهندي، الذي كان يعمل لهند حرة ومتحدة، وساسة المسلمين في الهند.

حزب دولة كلات القومي (KSNP)

قتل يوسف علي مَگسي في زلزال كويتا عام 1935. وبعد وفاة مَگسي قرر الجناح الأيسر للأنجُمَن إعادة تنظيم نفسه. وفي فبراير عام 1937، ظهر «حزب دولة كلات القومي» وترافق ذلك مع تصريح الأنجُمَن عن هدفه بحماسة ووضوح أكثر. وحضر ساسة من دولة كلات وعدد قليل من أعضاء الأنجُمَن مؤتمر سيبي في الخامس من فبراير وشكلوا الحزب القومي[3]. ناقش اجتماع الحزب الحالة السائدة في بلوشستان، وتبادل الحضور وجهات النظر حول هوية البلوش القومية في ظل الظروف السياسية سريعة التغير في المنطقة. وجند الحزب القومي الشباب البلوشي المتعلم وموظفي الدولة. وحاول أيضاً إقناع الخان بإلغاء عدد من الضرائب المفروضة على القبائل من قبل السردارات[4].

أعاد بيان الحزب الذي صدر في الاجتماع أن بلوشستان قد اكتسبت أهمية كبيرة نظراً إلى موقعها الجغرافي باعتبارها دولة عازلة تفصل بين أفغانستان وإيران والهند. وأعلن هدفه لتوحيد الشعب البلوشي تحت مركز واحد، مع حكومة تمثيلية يمكن لها أن تعكس تقاليده المجيدة. وكان بيان الحزب أحد أفضل الوثائق التي

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 170.

(2) شملت «بلوشستان البريطانية» بعض المناطق التي يسكنها الأهالي الناطقون بالپشتونية. وكانت تلك عملية مماثلة في ضم العديد من المناطق البلوشية إلى السند والبنجاب.

(3) في المؤتمر نفسه، انتخب الحزب القومي مير عبد العزيز كورد رئيسه الأول. وانتخب ملك فيض محمد يوسف زئي ومير گُل خان نصير نائب رئيس الحزب والأمين العام للحزب على التوالي.

(4) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, pp. 453-456.

صدرت حتى وقت صدوره عن وضع بلوشستان. فقد عكس المشاعر القومية العميقة الواعية التعبير للنخبة السياسية، والعازمة على العمل من أجل تحرير دولتها. أظهر البيان بفخر التاريخ القومي والماضي المجيد للشعب البلوشي، وربط ذلك مع شعب بابل العريق[1]. وذكرت الوثيقة أن «البلوش» مصممون على تحقيق هدف الاستقلال الوطني. وفي غضون ذلك أعرب الحزب عن رغبته في ملء الفراغ السياسي بحكومة رشيدة ومسؤولة في الدولة[2].

وكان برنامج الحزب القومي مشابهاً جداً لسلفه، الأنجُمَن، حيث حاول توسيع قاعدة دعمه بين جميع فئات الشعب البلوشي. وأثر برنامج الحزب القومي في النخبة المثقفة في بلوشستان، التي تتكون في الأغلب من العاملين في دولة كلات[3]. وكانت هذه المجموعة مسؤولة عن تقديم الدعم المالي للحزب[4]. وكان يهيمن على الحزب القومي أكثر العناصر علمانية ومعاداة للإمبريالية والمؤيدة لحقوق وقوة الشعب. وكان غوث بكش بيزَنجو، وگُل خان نصير، وعبد العزيز كورد ومعظم قادة الحزب القومي الآخرين، بطبيعتهم وواقعهم العملي متأثرين بأبو الكلام آزاد، وغيره من المسلمين المعتدلين، الذين أيدوا هنداً علمانية ومتحدة وفيدرالية، على خلاف قيادة الرابطة الاسلامية. وتقريباً فجميع العلماء (رجال الدين) البلوش في المناطق البلوشية، قد تخرجوا من مدرسة ديوبند الشهيرة للدراسات الإسلامية. وكان بعض هؤلاء العلماء مثل مولوي محمد عمر ومولوي عرض محمد بين نشطاء الحزب القومي. وكان قادة وأتباع مدرسة ديوبند في كل أنحاء الهند معارضين بأغلبية ساحقة للرابطة الإسلامية[5].

وأثناء عمل الحزب القومي بشكل متقطع في العلن، مشجعاً مختلف الأفكار عن الإصلاح داخل كلات، وداعياً إلى الحاجة إلى مزيد من المؤسسات التمثيلية، كانت ردة فعل الخانية مشوشة. إذ حتى لو كان الخان مير أحمد يار خان متعاطفاً شخصياً مع القوميين، فلم يكن هناك مجال كبير للمناورة. فمن ناحية، كان الخوانين يعتمدون على

(1) Ibid., p. 444.

(2) Ibid., pp. 443-45.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, Baluch a Nation, Lahore, 1947, p. 127.

(4) Ibid.

(5) مقابلة مع مولانا عبد الحق بَلوُج

توافق في الآراء يتم التوصل إليه في كل قضية رئيسية مع السردارات، ومن جهة أخرى؛ كانوا تحت رقابة مشددة من الوكلاء السياسيين البريطانيين. وكان عليهم النظر أيضاً في الحفاظ على شرعيتهم التاريخية، والمستمدة من الكونفدرالية القديمة، وكذلك الطلب المتزايد لتشكيل مؤسسات ديمقراطية. وقد أعرب قادة الأنجُمَن والحزب القومي المنبثق منه، عن ولائهم وعزمهم على الاستمرار مع التنظيم القبلي الديمقراطي التقليدي وبالتالي هددوا بشكل غير مباشر ملامح الخانية الأوتوقراطية، وكذلك بشكل مباشر أكثر قوة السردارات، بعد أن تطور هذا الأخير من قبلي إلى شكل من أشكال النظام «الإقطاعي»[1]. وكان من المحتمل أن يكون بسبب ضغط الحركة أنه في عام 1938، أصدر الخان فرماناً (أمراً)، بالمساواة في أوضاع ومراكز جميع رعاياه، وتحديد مبلغ مساو لقصاص الدم لجميع الأفراد بمن في ذلك، الگلام، واللوريگ، والجاموت[*]، وغيرهم[2].

استند القوميون البلوش إلى الحجة القائلة بأن دولة كلات وضعها مثل وضع نيبال فكلاهما له معاهدات علاقات مباشرة مع لندن[3]. وأعلنوا هدفهم باعتباره إعادة وضع بلوشستان المستقل والموحد، التي يجب أن تعيد إليها القوات البريطانية المنطقة المستأجرة قسراً في بلوشستان الشمالية والإمارات المختلقة ذاتياً، وهي لاس بيلا ولاحقاً خاران. وعلى الرغم من أن الحزب القومي أعلن دعمه لحكومة الخان، فإنه لم يتخل قط عن موقفه التقدمي ضد النظام السرداري، الذي أنشأه البريطانيون، بالتواطؤ مع الخان، في بلوشستان، والذي كان الأداة الرئيسية للقمع في الدولة. وفي الوقت

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 155- 56

(*) الگُلام (وهم الغلمان، والمقصود هنا طبقة العبيد، كما هي الحال في الامبراطورية العثمانية والفارسية والمغولية). اللوريگ (جماعة في بلوشستان تنقسم إلى قسمين أحدها مستقر والآخر مترحل. ويصل تعدادها إلى ثمانية وخمسين ألف نسمة تقريباً، ويجب أن لا يخلط بينهم وبين شعب اللُر في فارس. وهم يدينون بالإسلام السني. ويتحدثون بالبلوشية. غير أن امتهان بعضهم حرفة الحدادة أدى إلى النظرة الدونية التي لازمتهم في المجتمع البلوشي. ويعود لهم الفضل في حفظ جزء مهم من التراث الشعبي البلوشي. أما الجاموت (فهم قبيلة قديمة في شرق بلوشستان، حكمت لاس بيلا قبل القرن الثامن عشر).

(2) V/10/636.

(3) Munir Ahmad Marri, Balochistan: Seyasi Kash-makash. Quetta: Gusheh-e Adab, 1989, p. 86.

نفسه تجنب الحزب أي نزاع مع الخان، وعمل الحزب سراً ضد النظام السرداري[1] والخان من جانبه، وعلى الرغم من أنه توافق مع وجهات نظر معينة للحزب، وخصوصاً مطالبته ببلوشستان مستقلة وذات سيادة، وهدفه الملتزم بالحفاظ على قواعد ومبادئ السلوك التقليدية للشعب البلوشي، التي تعني ضمنياً بقاء الخان على رأس السلطة، فإنه لم يمكنه أن يذهب بعيداً جداً في دعم الحزب دون المس بموقفه مع السردارات والبريطانيين أو إزعاجهم. ومع ذلك، يبدو أن الخان لم يكن متحمساً كثيراً لأنشطة الحزب والمؤتمر الذي عقد في مَستونگ في يونيو عام 1937[2].

شجع الحزب القومي في نضاله ضد الغبن الاجتماعي باستمرار الخان على متابعة برنامجه. وفي هذا الصدد، نجح الحزب في تصحيح العديد من الأخطاء السياسية. فعلى سبيل المثال، ألغي نظام البيگار والضرائب غير القانونية. وبالتالي وتكريماً لخدماته وتعاونه في تجسيد برنامج الحزب الراديكالي، منح الحزب القومي في عام 1938، لقب «خان معظم» (الخان العظيم المحترم)، لخان كلات، مير أحمد يار خان[3].

أراد الحزب القومي دولة مستقلة وذات سيادة للشعب البلوشي. ولهذا، حصل الحزب على دعم هائل وخصوصاً من المثقفين[4]. ولم يكن العاملون في الحزب وقياداته غير مطلعين على الحركات السياسية في الهند، ولكنهم أرادوا هوية منفصلة، ولم يكونوا بأي حال من الأحوال على استعداد لفقد سيادتهم السياسية. وكانوا على وعي بحقيقة أن بلوشستان واجهت وضعاً جغرافياً مميزاً وخاصاً، فكان لدى الحزب القومي مهمة كبيرة لتحقيق الأهداف المحددة سلفاً للاستقلال الوطني. فقد كانت بلوشستان دولة ذات سيادة مستقلة عن الهند. وكان لدى البريطانيين معاهدات تحدد علاقتهم مع البلوش، وتشير إلى أنهم يجب أن لا يعاملوا مثل الهنود، الذين زعم البريطانيون أنهم شعبٌ خاضع لهم[5].

(1) Inayatullah Baloch, «Baloch Qaumi Tahrik Men 'Kalat National Party' Ka Kerdar», in Monthly, Azad Baluchistan. December 1982, London, p. 4.

(2) Shaih Ragam, "Aqelan Sassa Kan et" in: Monthly, Balochi, Quetta February 1988.

(3) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Mukhtaser Tarikh-e-Baloch aur Khawanine- Baloch, Quetta: Aiwan Kalat, 1972, p. 86.

(4) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, vol. 2, p. 446.

(5) Inayatullah Baloch, «Baloch Qaumi Tahrik Men 'Kalat National Party' Ka Kerdar», in: Monthly, Azad Baluchistan, p. 5.

كما ذكر أعلاه، كان أحد أهداف الحزب القومي هو إلغاء النظام السرداري. وذلك قد أزعج السردارات. مما قدم للبريطانيين والسردارات سبباً كافياً لأن يتحالفا ضد الحزب القومي في عام 1939، حين فشلت الحكومة البريطانية في حيازة ميناء جيوَني، نظراً إلى معارضة الحزب[1]. وفي السادس من يوليو، قام اللشكر القبلي (القوة العشائرية المسلحة) للسردارات بهجوم مسلح ضد مؤتمر الحزب القومي في مَستونگ، مما عطل الاجتماع[2]. وفي اليوم التالي، طالب السردارات برئاسة نواب محمد خان شاهواني، بضرورة حظر الحزب القومي واعتقال قياداته. كما طالبوا بإغلاق دار العلوم، (مدرسة دينية) في مَستونگ، وفرض حظر على دخول وتداول جميع الصحف الأسبوعية، وخصوصاً الحنيف وكمال من جيكوب آباد، وبَلوُچستان جديد الأسبوعية وبَلوُچستان من كراچي، في دولة كلات. فوقف الخان وإدارته المهيمن عليها بريطانياً ـ هندياً مع معارضة زعماء القبائل للحزب[3].

وفي العشرين من يوليو عام 1939، حظر رئيس وزراء كلات الحزب القومي داخل الخانية وطلب من نشطائها، ملك عبد الرحيم خواجا خيل، وعبد الكريم شورش، ومير گُل خان نصير، ورئيس ملا حسين ابيزئي، وميرآب شاهنواز، وميان نور الحق، ومولوي عرض محمد، ومولوي محمد عمر، والعديد غيرهم بمغادرة أراضي كلات. فحول الحزب مقره إلى كويتا، ولكن تسببت الحرب العالمية الثانية بنهاية الأنشطة السياسية العلنية في جميع أنحاء الهند[4].

بعد حظر الحزب القومي، وإجبار قادته على الرحيل إلى المنفى، واصل الحزب نضاله كمنظمة سرية حتى داخل دولة كلات. وعلاوة على ذلك، ظل الحزب من مقره الرئيسي في كويتا، قوة مؤثرة بفعالية في الرأي العام. أدان الحزب القومي بشدة خطوة الحكومة البريطانية بالاعتراف بخاران كدولة منفصلة، مستقلة عن كلات. ووصف سكرتير الحزب القومي، عبد الكريم شورش، هذه الخطوة بمحاولة لتفتيت بلوشستان. وخشي أن يكون انفصال خاران حلقة واحدة من سلسلة من الإجراءات

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 156.
(2) Shaih Ragam, "Aqelan Sassa Kan et" in: Monthly, Balochi, Quetta, February 1988.
(3) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, pp. 266-67.
(4) Ibid, p. 270.

المماثلة، التي من شأنها أن تهدد في نهاية المطاف الهوية البلوشية[1]. وفي الخامس والعشرين من أغسطس عام 1939، قال محذراً من محاولات تفكيك المزيد من بلوشستان: «. . . في الوقت الحاضر كلات هي اسم الجبهة البلوشية الناجية، التي خلف اسمها يمكننا أن نشكل جبهة موحدة من جميع البلوش في الوقت الآتي. وإذا تم تقسيمها إلى أجزاء اليوم، فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى فوضى لا مفر منها للبلوش. ولهذا تتطلب الحكمة السياسية منا أن نتجنب مثل هذا الأمير القصير النظر، الذي ينطوي على بذور التفكك والخزي»[2]. ودعا الشعب إلى المطالبة بإدماج خاران ولاس بيلا ببلوشستان[3].

تم سحب أوامر نفي قادة الحزب القومي بعد الحرب. وفي هذه الأثناء تحالف الحزب في عام 1945، مع مؤتمر عموم شعوب دول الهند، برئاسة جواهر لال نهرو. وناقشت اللجنة الدائمة لمؤتمر عموم شعوب دول الهند في اجتماع عقد في سريناگار في السادس وإلى الثامن من أغسطس عام 1945، مسألة تحالف حزب كلات القومي مع المؤتمر. وكما أعربت اللجنة عن قلقها إزاء حظر حكومة كلات النضال الذي بدء به الحزب القومي، ومنعها رئيس الحزب وآخرين من مزاولة النشاط السياسي، والقيود المفروضة على دخول الصحف من بلوشستان البريطانية[4]. وعكس قرار الحزب القومي هذا في عام 1945 بالانضمام إلى الحركة التي يهيمن عليها الكونجرس، الذي كان يعمل لهند متحدة وفيدرالية، التضارب والتعقيد، اللذين وسما العلاقات بين الخان والحزب.

بدأ الحزب القومي بأنشطته في مجتمع ذي عرف قبلي صارم تمحورت فيه السياسة حول رمز السردارات. وكان يدير الدولة حكومة فاسدة وعاجزة يتلاعب بها

(1) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, vol. 2, p. 472.
(2) Abdul Karim Shourish, quoted in Inayatullah Baloch, «The Baloch Question in Pakistan and the Right of Self Determination», p. 195.
(3) Ibid.
(4) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, pp. 270-71; see also Baluchi Dunya. Multan, June 1973 and Nokien Dour. Quetta, 21 October 1966.
حضر ملك عبد الرحيم خواجا خيل، ومير غوث بكش بيزَنجو، وملك فيض محمد عدة اجتماعات للمؤتمر المنعقد في جودابور، وجايبور، ودلهي. وشرحوا بها وضع بلوشستان في سياق حركة الحرية الهندية.

العملاء البريطانيون. ولم يتلق الحزب القومي، دعماً هائلاً من عامة الشعب فحسب ولكن أيضاً من بعض السردارات وزعماء الدولة[1]. وبين عامي 1937 و1948، سمح للحزب بالعمل لأقل من سنتين، ولكن ذلك ترك تأثيراً كبيراً في الناس. وعندما عقد الخان الانتخابات، عاد الحزب إلى البرلمان مع أغلبية كبيرة جداً، على الرغم من حقيقة أنه لم يسمح له بخوض الانتخابات كحزب، فخاض أعضاؤه الانتخابات بصفتهم الشخصية[2].

الاستقلال: انبعاثه وانهياره

في بداية عام 1947، عندما كانت قضية الاستقلال في ذروتها، كتب سردار خان بَلوُج، السكرتير الخاص (الأمين الرئيسي) لخان كلات، «للبدء بمسألة أمة بلوشية متحدة ومحررة، فإن مسألة بلوشستان الكبرى لا مفر منها»[3]. عند اقتراب احتمال انسحاب القوات البريطانية، انضم الحزب القومي والمنظمات القومية الأخرى إلى خان كلات للسعي لاستقلال بلوشستان[4]. وقدم الخان قضية قانونية قوية من أجل الاستقلال، محتجاً أن كلات مثل نيبال تتمتع بوضع قانوني قائم على أساس علاقات مباشرة مع الحكومة البريطانية وغير ملزمة بالتعامل مع حكومة الراج البريطاني في نيودلهي كما كانت الحال مع الدول الأميرية أو «الدول المحلية» في شبه القارة[5]. وقد استشهد بمعاهدة عام 1876، التي ألزمت وربطت بريطانيا باحترام «استقلال كلات» وحماية أراضيها ضد العدوان الخارجي.

قررت حكومة حزب العمال برئاسة كليمنت أتلي في بريطانيا، بعد نقاش مستفيض، إرسال بعثة من ثلاثة أعضاء من مجلس الوزراء إلى الهند في محاولة أخيرة لوضع منهجية لنقل السلطة في الهند. وصلت بعثة تضم وزير الدولة للهند، اللورد بيتك لورانس، وا ف الكسندر، والسير ستافورد كريبس إلى الهند في الرابع والعشرين

(1) Gul Khan Nasir. Tarikh-e Balochistan. vol. 2. p. 457.

(2) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan. p. 99.

(3) Muhammad Sardar Khan Baluch, Baluch a Nation, Lahore, 1947, p. 205.

(4) Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India, 19th - 20th Century, Firenze: Il Maestrale, 1997, pp. 173-174; see also Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 24-25.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 174-175.

من مارس عام 1946. فاتح مير أحمد يار خان مع قضيته التي أعدها محامون بارزون مثل إبراهيم إسماعيل چُندريگر، والسير سلطان أحمد، وسردار ب. ك. ميمون والسير والتر مونكتُن، وبمن فيهم محمد علي جناح، البعثة نيابة عن حكومته بمناقشة الوضع المستقبلي لدولته في مخطط استقلال الهند[1].

كان اهتمام حكومة كلات الرئيسي المقدم في شكل مذكرة رسمية إلى البعثة في مارس عام 1946، وفقاً للوثيقة، يتعلق بمستقبل وضع كلات في ذلك الوقت، واستعادة استقلالها مع انسحاب القوات البريطانية. وذكر خان كلات في المذكرة، أن كلات تتوقع استعادة وضعها في ما قبل عام 1876، أي باستعادة استقلالها الكامل وحقوقها السيادية على جميع أراضي كلات المستولى عليها أو المستأجرة من قبل بريطانيا عند انسحاب قواتها من الهند. وكما ذكر في المذكرة، ستكون كلات بوضعها: «ذات سيادة كاملة ومستقلة في ما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية، وستكون حرة في إبرام المعاهدات مع أي حكومة أو دولة أخرى. . . ولا يمكن للخان أو شعبه أبداً أن يوافق على ضم كلات إلى أي شكل من أشكال الاتحاد الهندي. . . »[2]

تجدر الاشارة إلى أنه في عام 1936، احتفظ خان كلات مير أحمد يار خان بالمحامي محمد علي جناح، للدفاع عن مطالبة كلات بالاستقلال في مرحلة هند ما بعد الاستعمار. وكتب جناح مؤسس باكستان المستقبلي، للتعريف بقضية دولة كلات، لبعثة مجلس الوزراء في عام 1946: «وصف العديد من الممثلين البريطانيين كلات باعتبارها دولة مستقلة وذات سيادة. وفي عام 1872، كتب السير وليام لوكير ميرويذر، الذي كان مسؤولاً عن علاقات الحكومة البريطانية مع كلات، ما يلي: في رأيي لا يمكن أن يكون هناك أدنى شك في المسلك الذي ينبغي أن يتبع فيما يتعلق بكلات أو بلوشستان، كما ينبغي أن يوصف بشكل صحيح. فحضرة صاحب السمو الخان هو بحكم الواقع وبحكم القانون حاكم تلك الدولة. ولدينا معاهدة تربطنا معه، وفي ظلها هو ملزم أن يمنع رعاياه من أذية الأراضي والرعايا البريطانيين لحماية التجارة الخ. ولكن المعاهدة معه هي بصفته الحاكم فقط»[3].

(1) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, pp. 255-296.

(2) Ibid., pp. 141-42.

(3) M. A. Jinnah quoted in Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 265.

ويشير القوميون البلوش أيضاً إلى عريضة أخرى أعدها في العام ذاته رئيس الوزراء الباكستاني المستقبلي، إبراهيم إسماعيل چُندريگر، الذي قال بها: «كلات، التي هي ليست دولة هندية، أرغمت على علاقتها مع الحكومة البريطانية بسبب موقعها الجغرافي على الحدود مع الهند، وهي تماماً مثل أفغانستان وفارس. ولم يكن لدى الدولة أي نية للدخول في علاقة فيدرالية مع الحكومات المتعاقبة أو الحكومات في الهند البريطانية، ولذلك، أطلب من فخامتكم إعلان استقلال دولة كلات»[1].

وبجانب الاستقلال، نظر مجلس وزراء كلات في أربعة احتمالات أخرى، وهي التالية: 1 ـ أن تكون كلات تحت الوصاية البريطانية: وقد رفضت من قبل وزير الخان للخارجية، دوگلاس و. فيل. 2 ـ الإدماج مع إيران: وقد رفض أيضاً بما أن طهران كانت بالفعل تقمع بوحشية البلوش المطالبين بحق تقرير المصير. 3 ـ الإدماج مع أفغانستان: وقد دعمه بعض أعضاء العائلة المالكة ولكن أشار السيد فيل إلى احتمال تسلل شيوعي إلى الخانية من خلال النفوذ السوفياتي في أفغانستان، فرفض الخان المتدين الملتزم هذا الخيار. 4 ـ الإدماج مع الهند: تم التسليم بأنه سيكون غير ملائم من الناحية الجغرافية ولن يكون خياراً شعبياً. وسينظر إلى مثل هذا القرار في باكستان باعتباره استفزازاً. فطلب الخان من رئيس مجلس الوزراء قبول الاقتراح الخامس وهو الاستقلال: وسوف تحافظ كلات على علاقات ودية مع باكستان مع ضمان سيادة كل منهما بالتساوي. ولم يجر النظر في عملية الإدماج[2].

وفي الوقت ذاته، أرسلت مذكرة موقعة من قائدي البلوش من مناطق مَري - بُگتي، وهما سردار دودا خان مَري، وسردار محمد أكبر خان، إلى الحكومة البريطانية تطالب بالانضمام إلى الخانية. وطالب أيضاً سردار جمال خان ليگاري وعدد من قادة البلوش الآخرين من ديره جات بفصلهم عن البنجاب وإلحاقهم بدولة كلات. ومع ذلك، تجاهل البريطانيون جميع هذه الالتماسات والمطالب[3]. وبالمثل، اتخذت

(1) I. I. Chundrigar, Memorandum to Viceroy. 1946, cited in Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the Right of Self Determination», in Zingel Lallement (ed.) Pakistan in the 80s, Lahore, 1985, p. 350.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 181-182.

(3) Weekly, Bolan. (Macch, Mastung), 8 April, 2 May and 16 1947; see also Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, pp. 143-144.

«بلوشستان البريطانية» التي تدار مباشرةً من قبل البريطانيين، مساراً مختلفاً. فقبل شهر واحد من إعلان كلات الاستقلال، صوت المجلس المرشح بريطانياً، مجلس شيوخ القبائل، شاهي جيرگا (المجلس الملكي)، ومجلس بلدية كويتا لمصلحة الانضمام إلى باكستان؛ ولم يتم تغيير ذاك القرار[1]. وفي رأي ر. ريدالي، فشل الممثلون البريطانيون، في حسم أي من المسائل التي طرحتها كلات، لكل من معارضة الرابطة الاسلامية لتقديم أي تنازلات للخان، وبسبب فقدان حكومة الهند سلطتها بوضوح[2].

في الحادي عشر من أبريل عام 1947، تم شرح الخطوط العريضة لدستور الدولة البلوشية الحرة[3] في الإعلامية (إعلان الاستقلال)، الذي نشره حزب دولة كلات القومي ووزعه ككتيب. ووفقاً للإعلامية، سوف تصبح بلوشستان دولة توفر الرعاية الاجتماعية وتحمي حقوق الأقليات. وستستند السياسة الخارجية لبلوشستان، وفقاً للإعلامية إلى «معاهدات ودية مع حكومات أفغانستان، وإيران، والدول العربية، وباكستان، والهند، والبلدان الأخرى». وحول محمد علي جناح، قالت الاعلامية إنه كان مستشاراً للخان وكان محمد علي جناح «يتفق تماماً مع حرية كلات، وعودة المناطق المؤجرة وضم أراضي البلوش إلى كلات»[4].

لم تكن الخانية محمية انجليزية، ولا جزءاً من الفيدرالية الهندية، ولكن دولة مستقلة ترتبط مع بريطانيا العظمى بموجب معاهدة تحالف[5]. ومع ذلك، في عام 1935، عامل القانون الصادر من الجانب الإنجليزي، وهو «قانون حكومة الهند»،

(1) تجدر الإشارة إلى أنه منذ مطلع عام 1940، وإلى جانب الحزب القومي، كان انجُمَن وطن، وهو حزب محلي، والرابطة الاسلامية، يؤديان دوراً ناشطاً في بلوشستان البريطانية. وسيطر البشتون على كلا الحزبين. وكان انجُمَن وطن، وهو من المؤيدين لكونجرس عموم الهند، يناضل من أجل الإصلاح الدستوري في بلوشستان البريطانية وتأسست الرابطة الاسلامية في عام 1938 في كويتا، وكان هدفها الرئيسي مثل انجُمَن وطن التغيير الدستوري في الاقليم. لمزيد من التفاصيل انظر
Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 158-159.

(2) Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th - 20th Century), Firenze: II Maestrale, 1997, p. 187.

(3) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, pp. 300-301. For more detail see, Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, (vol. II), p. 481.

(4) Declaration of Government of Kalat, Quetta: Balochistan Press, 1947 (pp. 5-6), cited in Inayatullah Baloch, «Baloch Qaumi Tahrik Men "Kalat National Party" Ka Kerdar», p. 5.

(5) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, pp. 171-172.

الخانية كدولة هندية، ولكن لم يؤخذ رأي دولة كلات قط في صوغ هذا القانون، كما أنها لم تكن طرفاً فيه بأي شكل[1]. ولكون أراضي دولة كلات خارج حدود السلطة التشريعية للبرلمان البريطاني، فلا يمكن للقانون أن يكون ملزماً للدولة. وعلى ذلك، قدم خان كلات احتجاجاً وشكوى ضد أحكام هذا القانون، إلى حكومة الهند. واعتبر أن «قانون حكومة الهند»، يشكل تعدياً على معاهدة عام 1876. بيد أنه في يونيو عام 1939، أبلغت الحكومة البريطانية الخان أن «سعادة (ممثل ولي العهد) يعترف بمعاهدة عام 1876 كمعاهدة صالحة تماماً في جوانبها كافة، التي من شأنها أن تصوغ من الآن فصاعداً العلاقات بين بريطانيا وكلات»[2].

أرسل الأمين الرئيسي لدولة كلات إلى دلهي مع مسودة مشروع لوضع دولة كلات الجديد المعد من قبل خبراء قانونيين لمناقشة وضع بلوشستان المستقبلي وعودة المناطق المؤجرة، التي كانت حتى ذلك الحين تحت سيطرة الحكومة البريطانية. وأدى ذلك إلى مؤتمر مائدة مستديرة، عقد في الرابع من أغسطس عام 1947، وشارك في مداولاته اللورد مونتباتن، وجناح، ولياقت علي خان، ورئيس وزراء كلات، السير سلطان أحمد، المستشار القانوني لدولة كلات، وخان كلات. وتم الاتفاق على النقاط التالية: «سوف تكون دولة كلات مستقلة في الخامس من أغسطس عام 1947، متمتعة بالوضع نفسه كما هو في الأصل عام 1838، وستكون على علاقات ودية مع جيرانها. وفي حالة توتر علاقات كلات مع أي حكومة مقبلة، لكلات حقها في ممارسة حق تقرير المصير، ويجب على الحكومة البريطانية اتخاذ تدابير وقائية لمساعدة كلات في هذه المسألة وفقا لمعاهدات عام 1839 وعام 1841»[3].

وهكذا، فإن «اتفاق تجميد الوضع» (أعلن رسمياً في الحادي عشر من أغسطس عام 1947)، قبل الوضع السيادي لبلوشستان. وذكر: «إن حكومة باكستان تدرك وضع كلات كدولة حرة ومستقلة، ولها علاقات ثنائية مع الحكومة البريطانية، وهي ذات وضع ومكانة مختلفة عن الدول الهندية الأخرى»[4].

---

(1) IOR. LVP&S/13/1847.

(2) Ibid.

(3) India Office Record «Independence of Kalat, 1948», cited in: Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, p. 352; see also Gul Khan Nasir, Tarikh-e- Balochistan. (vol. II). p. 487.

(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Balochistan, p. 352.

بعد الإعلان الرسمي لاتفاقية تجميد الوضع في الحادي عشر من أغسطس عام 1947، أعلن خان كلات استقلال الخانية في الخامس عشر من أغسطس عام 1947. وأعلن الخان مخاطباً جمهوره باللغة البلوشية: «اليوم دولتنا هي دولة مستقلة، ويمكنني التعبير عن آرائي بصراحة وحرية»[1]. ووافق مجلس نواب ديوان كلات، دار العوام، الذي عقد خصوصاً لهذا الغرض في سبتمبر عام 1947، بأغلبية ساحقة على هذا التحرك. وصوت معظم أعضاء مجلس النواب المكون من اثنين وخمسين عضواً للاستقلال، ولكنه لم يمنع احتمال وجود علاقة خاصة بين كلات المستقلة ودولة باكستان التي أنشئت حديثاً[2].

رفع العلم التقليدي للدولة المكون من اللون الأخضر على اللون الأحمر مع هلال ونجمة في الوسط. وذكر اسمه في خطبة صلاة الجمعة في المسجد الجامع لكلات، كحاكم الدولة المستقل. ووجه الخان بعد الصلاة كلمة مطولة إلى الجمهور معرباً عن تصميمه على تحقيق ثلاثة أهداف هامة: 1 ـ الاستقلال التام للدولة عن العبودية والسيطرة الأجنبية. 2 ـ تفعيل قانون الشريعة مع دستور مبني على فهم أوامر القرآن الكريم. 3 ـ وحدة البلوش كأمة منتشرة بأعداد كبيرة على جزء كبير من آسيا. وأعلن الخان مباشرة بعد إعلان الاستقلال، إجراء انتخابات للديوان الجديد[3].

يتألف الديوان، وهو هيئة تشريعية من مجلسين، وهما دار الأمراء (مجلس زعماء القبائل أو مجلس الأعيان)، ودار العوام (مجلس العموم أو مجلس النواب). وتألف دار الأمراء من الزعماء الوراثيين لمقاطعات جهلاوان وسراوان القبلية، وعددهم خمسة وثلاثون. وكان لدار العوام اثنان وخمسون عضواً، تم انتخاب سبعة وأربعين منهم، وخمسة مرشحين من قبل الخان[4]. واستمر الرواج (دستور غير مدون) ليكون صالحاً كدستور الخانية. ومع ذلك، وإلى جانب الرواج، كان يستخدم قانون كلات لعام 1946 كدستور مدون. وكانت الفترة التشريعية خمس سنوات. وتجدر الإشارة إلى أن انتخابات عام 1947 جرت في كلات ومَكُران فقط، وكانت أول انتخابات عامة في

---

(1) Malik Allah-Bakhsh (ed.), Tarikh-e Khawanin-e Baloch, Quetta, 1979, pp. 407-413.

(2) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, pp. 150-66.

(3) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, (vol. II), pp. 489-490.

(4) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, Quetta, 1996, pp. 99-102.

تاريخ بلوشستان، وفاز الحزب القومي بتسعة وثلاثين مقعداً من أصل اثنين وخمسين في مجلس العوام[1].

كان ذلك انتصاراً كبيراً للقوميين البلوش المكافحين منذ عشرينيات القرن العشرين من أجل استقلال دولتهم. وكان أحد القرارات المهمة التي اتخذت خلال الحياة قصيراً لبرلمان كلات، هو الإقرار باللغة البلوشية باعتبارها اللغة الوطنية لدولة بلوشستان. وأقر دار العوام في اجتماعه الأول الذي استمر لثلاثة أيام، والمنعقد في دادَر في الثاني عشر إلى الرابع عشر من ديسمبر عام 1947، بالبلوشية باعتبارها «اللغة الرسمية والوطنية» لدولة كلات، وصدر مرسوم يلزم تدريسها في المدارس[2]. وتمت الموافقة على القرار بالإجماع من قبل دار الأمراء في جلسته المنعقدة في الرابع من يناير عام 1948 و«تم تشكيل لجنة لدراسة وتقديم تقرير عن تكييف وتدابير وطرائق إدخال البلوشية كلغة التعليم في المدارس»[3].

وخلال زيارته لباكستان كرئيس لدولة ذات سيادة في أكتوبر من عام 1947، تم استقبال الخان كملك بلوشستان من قبل آلاف البلوش في كراچي. وقام الخان في حفل استقبال بنُزل مَستي خان، بحث البلوش على بذل كل جهد من أجل رقي دولتهم، ورفع مستواهم التعليمي. وناشد الخان الجمع لِيُلهم الشعب الحرية والمساواة[4]. قال يوسف نَسكنتي ذو السبعين عاماً، والذي كان حينئذ أحد المشاركين الشباب بفخر «كانت مناسبة كبيرة»[5]. ومع ذلك، وخلافاً للتقليد الدبلوماسي، لم يستقبله الحاكم العام أو رئيس وزراء باكستان. وفي رأي الدكتور بَلوُچ «كانت إشارة واضحة للتحول في سياسة باكستان تجاه الخانية»[6]. ونصح محمد علي جناح الخان بالإسراع في الاندماج بباكستان. غير أن الخان رفض طلبه واحتج قائلاً:

بما أن بلوشستان أرض العديد من القبائل، فيجب أن يتم استشارة شعبها في

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 173.
(2) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, p. 499.
(3) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 180.
(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 182.
(5) مقابلة مع يوسف نَسكَنتي.
(6) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 183.

شؤونها قبل اتخاذ أي قرار. ووفقاً للميثاق القبلي السائد، فلا يمكن أن يكون أي قرار ملزماً لهم، ما لم يحصل الخان على ثقتهم[1].

بعد اقتراح جناح باندماج كلات، استدعى خان كلات ديوان دولة كلات، في الثاني عشر من ديسمبر عام 1947. فاحتج دار العوام (مجلس النواب) بعد معارضته بالإجماع اقتراح إدماج دولة كلات بباكستان، لأن المقترح يتضاد مع خلاصة الاتفاق المنعقد سابقاً بين حكومة كلات وممثلي باكستان في الرابع من أغسطس عام 1947، وكذلك ضد قانون الاستقلال لعام 1947. وبالمثل، فإن دار الأمراء (المجلس الأعلى) المؤلف في غالبيته من السردارات، رحب بقرار دار العوام في جلسته المنعقدة في الرابع من يناير عام 1948. ومع ذلك، وفي ضوء هذه المعارضة، أيد الديوان الخان لبدء محادثات مع باكستان[2].

أرسل في نهاية سبتمبر عام 1947، رئيس وزراء كلات، نواب زاده محمد أسلم، ووزير الخارجية، دوگلاس و. فيل، إلى كراچي للقاء أمين الحكومة الباكستانية لوزارة الشؤون الدولية والخارجية من أجل مناقشة وضع المناطق المستأجرة، تحت اتفاق كلات وباكستان في أغسطس عام 1947. ولكن لم تكن الاجتماعات بين مسؤولي الدولتين مثمرةً لأن مضيفهم نصحهم بالاندماج بباكستان بدلاً من معاهدة للعلاقات. وبالتالي لم تُفعّل المفاوضات المنصوص عليها في «اتفاق تجميد الوضع» في أغسطس عام 1947[3].

ومنذ ذلك الحين لم تبدأ السلطات الباكستانية بحملة ضد الخان لإجباره على الانضمام إلى باكستان فحسب، ولكن أيضاً بالاستعداد لاستخدام طرائق قهرية لضم الدولة جبرياً[4]. وإدراكاً لخطورة الوضع، أوعز الخان إلى القائد العام لقوات الخانية، العميد العام پُرفِس، لإعادة تنظيم القوات وجمع الأسلحة والذخائر. وفي ديسمبر من عام 1947، فشل العميد پُرفِس في جهوده لمفاتحة مكتب علاقات الكومنولث ووزارة التموين في لندن، وذلك بسبب رفض بريطانيا لتوريد أي أسلحة إلى الخانية من دون

(1) Mir Ahmad Yar Khan, cited in ibid.
(2) Ibid., p. 184.
(3) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, pp. 310-311.
(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 183-184.

موافقة الحكومة الباكستانية[1]. وفي الوقت نفسه، طلب الخان بشدة مساعدة السلطات الهندية والملك الأفغاني، ولكن من دون نجاح[2].

وعندما أصبح واضحاً لباكستان أن الخان كان يناور لكسب الوقت فقط، أعلنت حكومة باكستان في الثامن عشر من مارس، الانضمام المنفصل لكل من دولة لاس بيلا، وخاران، اللتين كانتا خاضعتين لسلطة الخان، ومَكُران، واللتين لم تكونا قط أكثر من مقاطعة في دولة كلات[3]. فضمت مَكُران، وخاران، ولاس بيلا، مما سلب من كلات أكثر من نصف أراضيها، ومنفذها للوصول إلى البحر. وفي اليوم التالي أصدر خان كلات بياناً غير مصدق فيه أن باكستان نصيرة حقوق المسلمين في العالم تنتهك حقوق جيرانها المسلمين الصغار، لافتاً إلى أن مَكُران باعتبارها مقاطعة لكلات، ليس لديها وضع منفصل، وأن السياسة الخارجية للاس بيلا، وخاران وضعت تحت سلطة كلات عن طريق اتفاق تجميد الوضع[4].

وفي محاولة يائسة في الخامس والعشرين من مارس، أي قبل ثلاثة أيام من الضم، حاول الخان استدعاء سرداراته وإقناعهم برفض الانضمام. ولكن سردارين فقط غير مهمين استجابا للدعوة، ورفض الآخرون جميعاً الحضور. ووفقاً لتقارير مكتب الهند، فقد كثف الخان جهوده الرامية إلى حشد الشعب إلى جانبه، ويعتقد أنه وزع مبالغ كبيرة من المال على أمل الحصول على دعمهم، ولكن مبعوثي دولة الرابطة الاسلامية تصدوا لهذه الجهود[5]. بيد أنه، وفي رسالة مؤرخة في السابع والعشرين من مارس، أنكر الخان أمام جناح التقارير التي تفيد بأنه يحاول أن يحرض الشعب والسردارات ضد انضمام كلات إلى باكستان. وكما نفى فيها تقارير أنه كان قد دخل في مفاوضات مع الهند أو أفغانستان[6]. وكيفما كان، وصلت تحركات الاستقلال إلى نهايتها عندما علم خان كلات، مير أحمد يار خان، بتحركات للقوات في پَسني وجيوَني، ومتخوفاً من مزيد من المآزق، انضم إلى باكستان في السابع والعشرين من

(1) IOR.L/P&S/13/1847.

(2) Shaih Ragam, Shap Roch Shap, Quetta: Balochi Publications, 2000, p. 34.

(3) IOR.UP&S/13/184.

(4) Ibid.

(5) IOR.L/P&S/13/1847.

(6) Ibid.

مارس عام 1948. وقال الخان عن مسألة التوقيع على وثيقة الإدماج بأنها «إملاء من التاريخ»، مضيفاً «أنا أعترف، أنني علمت بأنني أتجاوز نطاق تفويضي . . . [ولكن] لم أكن قد اتخذت على الفور خطوة توقيع إدماج كلات، فمن الممكن أن وكيل . . . البريطانيين إلى الحاكم العام قد أدى دوراً تدميرياً بتوجيه باكستان إلى حرب أهلية ضد البلوش»[1]. وحتى مع ذلك، تحرك الجيش الباكستاني إلى كلات في الأول من أبريل عام 1948 مع أوامر لشل وهزيمة مقاومة القوميين[2].

من الواضح أن القوميين البلوش لم يفكروا مطلقاً في الاندماج مع باكستان[3]. وقد بينت قضية الاستقلال بأفضل صورة بتصريح مير غوث بكش بيزَنجو، الذي كان حينئذ عضواً في المجلس من حزب الأغلبية، حزب دولة كلات القومي، الذي احتج في اجتماع الديوان في ديسمبر عام 1947 على ما يلي: «لدينا ثقافة متميزة مثل أفغانستان وإيران، وإذا كان مجرد أننا مسلمون يتطلب منا أن نندمج في باكستان، فإذاً ينبغي لأفغانستان وإيران أيضاً الاندماج مع باكستان. يقولون نحن البلوش لا يمكننا أن ندافع عن أنفسنا في العصر الذري. حسناً، فهل أفغانستان وإيران وحتى باكستان قادرة على الدفاع عن نفسها ضد القوى العظمى؟ فإذا لم نستطع الدفاع عن أنفسنا، فإن هناك الكثير من الآخرين ممن لا يقدرون أيضاً»[4]. ورافضاً عرض الإدماج مع باكستان، واصل بيزَنجو «هذا يعني التوقيع على مذكرة موت خمسة عشر مليون بلوشي في آسيا. لا يمكننا أن نكون مذنبين في هذه الجريمة الكبرى لإذلال الأمة البلوشية في الاندماج مع أمة غير بلوشية»[5].

يشدد الخبير المعروف في الشؤون الباكستانية، لورانس زيرنگ، أن قادة البلوش لم يدخلوا في تسوية للانضمام إلى باكستان طوعاً. وكانت حكومة باكستان تهدد باستخدام القوة لتحقيق ضم الدولة. ولم يكن القوميون البلوش مستعدين لتجاهل هذه الحقيقة[6]. رفض الحزب القومي والديوان، الذي هيمن عليه، مراراً الانضمام إلى

(1) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, pp. 161-162.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 25.

(3) Ibid.,24.

(4) Malik Allah-Bakhsh, Baluch Qaum Ke Tarikh ke Chand Parishan Dafter Auraq, Quetta:, Islamiyah Press, 20 September, 1957, p. 43.

(5) Ibid.

(6) Lawrence Ziring, Pakistan, The Enigma of Political Development, Wm Dawson & Sons Ltd., 1980, p 160.

باكستان، وأصر على المحافظة على بلوشستان مستقلة[1]. وكما طالبوا بعودة هذه الأراضي التي تم ضمها بالفعل إلى باكستان، إلى الخانية. وفي السابع والعشرين من مارس عام 1948، وبعد أن تم حشد الجيش الباكستاني للقيام بعمليات مسلحة ضد الدولة، وقع الخان بصمت وثيقة الانضمام[2].

كان ضم باكستان لبلوشستان أحد الأحداث التي شكلت فصلاً جديداً في تاريخ الشعب البلوشي ودولته. في الثامن والعشرين من مارس، أصبحت الخانية جزءاً من باكستان. وتم تعيين وكيل سياسي، وهو ضابط تابع لممثل الحاكم العام لإدارة الدولة وتوجيه رئيس الوزراء في جميع الشؤون الداخلية. وبهذا، تم إلغاء الكينونة القانونية لخان كلات، وألقي القبض على معظم أعضاء مجلس وزراء بلوشستان أو تم نفيهم من بلوشستان[3].

وبهذا، انتهت الكونفدرالية والحكم البلوشي بعد ما يقرب من ثلاثمائة عام (1666 ـ 1948). وقد عارض القوميون البلوش قرار الخان، وكتب كاتب بلوشي «نصير خان الأول وحد جميع أرجائها. ونصير خان الثاني سعى للحفاظ عليها. وخُداداد خان ناضل طوال حياته لتنظيم الحكومة. ومحمود خان الثاني أعد كفن الدولة، وأحمد يارخان، الخان الحالي، دفنها مع مجد وفخر أجداده كله»[4].

القمع والمقاومة البلوشية الأولى

نتج من إدماج الخانية بباكستان في عام 1948 اضطرابات وتظاهرات معادية لباكستان في جميع أنحاء بلوشستان[5]. ورفض الحزب القومي، والذي تبنى قضية «بلوشستان الكبرى» الضامة لجميع مناطق البلوش في دولة كلات موسعة، الانضمام وكان وراء الكثير من الاضطرابات. واعتقل قائداها، مير غوث بكش بيزَنجو، ومير عبد العزيز كورد، وآخرون غيرهما[6]. وكان أول لقاء بين البلوش وقوات دولة

(1) M. M. S. Dehwar. Contemporary History of Balochistan, p. 313.
(2) S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 137.
(3) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, pp. 521-22.
(4) Muhammad Sardar Khan Baluch, History of Baluch Race and Baluchistan, pp. 125-126.
(5) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, pp. 525-26.
(6) Ibid., p. 522.

باكستان حاسماً في تشكيل انعدام الأمن القومي والخوف من القمع على أيدي الأجانب. وفي إطار الراج، تركت الشؤون البلوشية خارج بلوشستان البريطانية إلى البلوش؛ أما الآن، فهي لدى القوات المركزية، التي لن تقبلها قبائل البلوش بسهولة.

في ظل هذه ظروف، بدأ في الخامس عشر من ابريل عام 1948، آغا عبد الكريم، شقيق خان كلات، مير أحمد يار خان (1933 ـ 1948) بحركة مسلحة في منطقة جَهلاوان بدعم من بعض القادة القوميين وبموافقة سرية من الخان. تلقى آغا عبد الكريم تعليمه في كراچي، وحكم مقاطعة مَكُران حتى مارس عام 1948. ودعا الأعضاء القياديين في الأحزاب القومية (حزب دولة كلات القومي والرابطة البلوشية)، للانضمام إليه في النضال ضد باكستان. وفي هذا الصدد كتب هاريسون: «إن المواجهة بين كلات وباكستان بدأت في أبريل عام 1948، عندما قام الجيش الباكستاني بأمر قائد حاميته في بلوشستان بالمسير إلى كلات وإلقاء القبض على الخان في حال لم يوقع على اتفاق الانضمام»[1]. ومع ذلك، فلا الأحزاب القومية البلوشية ولا الدَربار (البلاط الملكي) لكلات كان مستعداً لأي مقاومة مسلحة.

بالإضافة إلى هذا، انقسم القادة القوميون أيضاً حول مسار العمل المستقبلي. فضل محمد حسين عنقا، وهو صحفي بارز، وملك سعيد دِهوار، الأمين العام للحزب القومي، وعبد الواحد كورد، وقادر بكش نظاماني وبعض النشطاء الآخرين، الكفاح المسلح في شكل حرب عصابات، في حين أن عبد العزيز كورد، وغوث بكش بيزَنجو، وگل خان نصير مع بعض الزعماء الآخرين في حزب دولة كلات القومي «كانوا غير متحمسين لفكرة حدوث مواجهة عسكرية مع باكستان» بسبب عدم وجود استعداد وغياب الدعم الداخلي والخارجي[2].

في السادس عشر من مايو عام 1948، وبعد مناوشات قصيرة مع جيش باكستان المدرب والمجهز، عبر آغا عبد الكريم وأنصاره «المجاهدون البلوش»، كما دعوا أنفسهم، وعددهم حوالى ألف مقاتل، الحدود إلى داخل أفغانستان، وأقاموا معسكرهم في كاريز نظر محمد خان الواقع في منطقة نائية والمعروفة باسم سارلَت بحثاً

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 25.
(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 323.

عن المساعدة. انضم أعضاء الحزب القومي، الذين كانوا لا يزالون أحراراً، مع قلة من البلوش من السند وديرة جات، إلى الأمير[1].

اعتمد المجاهدون أثناء بقائهم في أفغانستان، على ما يلي من التدابير لتحقيق هدفهم: 1 ـ إرسال رسائل إلى زعماء البلوش في بلوشستان الشرقية والغربية، والطلب منهم المشاركة في النضال. 2 ـ توجيه حملة دعائية في بلوشستان، تهدف إلى خلق القلاقل والاضطرابات، والتمرد، بالإضافة إلى تجنيد قوة تحرير وطني. 3 ـ البحث عن الدعم الدولي، ولا سيما من أفغانستان والاتحاد السوفياتي[2].

وكان يجب توجيه الحملة الدعائية إلى جبهتين: الجبهة القومية الثقافية والجبهة الدينية. فعلى الجبهة القومية الثقافية، قام الحزب بتوزيع سلسلة من الكتيبات في جميع أنحاء بلوشستان، تهدف إلى خلق انتفاضة ضد الحكم القمعي لباكستان. وعلى الجبهة الدينية، أصدر المولويون البلوش القوميون، مولوي نذير حسين، ومولوي عرض محمد، ومولوي محمد عمر، ومولي محمد أفضل، وقلة آخرون فتوى، أعلنوا فيها الجهاد ضد باكستان وطالبوا الشعب البلوشي بالانضمام إلى الحركة الوطنية[3]. ومخاطبة موظفي الحكومة والعسكريين في باكستان، طالبت الفتوى أنه يجب على مسلمي باكستان والجنود خصوصاً، المشاركة في الجهاد ضد حكومة باكستان غير الإسلامية[4].

أصدر الأمير، الذي اختير أيضاً قائداً أعلى للمجاهدين البلوش، نداءً إلى الشخصيات البارزة للمساعدة على التجنيد. ومنح أي شخص يجند مئة رجل رتبة رائد، وأي شخص يجند خمسين رجلاً رتبة نقيب. وكان لدى المجاهدين البلوش وكالة سرية تسمى جانيسَر (الناذر نفسه)، الذي من واجبه توفير المعلومات، وتدمير نظام الاتصالات، ومراقبة أنشطة الخونة. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك وحدة سرية

---

(1) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, p. 307.
غير أنه، ووفقاً لآغا نصير خان أحمد زئي، عندما عبر الأمير عبد الكريم الحدود الأفغانية كان بصحبته ألفان وخمسمئة مناصر. (مقابلة مع آغا نصير أحمد زئي).

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 193.

(3) K. B. Nizamani, "Qaumi Azadiki Council ka Qeyam", in: People's Front, London, May 1980, p. 4.

(4) Ibid.

تدعى جانباز (المتطوعون)، لقتل جميع الخونة. وكان مقر الوكالة معروفاً باسم بابِ عالي (مكتب الحرب السري) الذي يرأسه الأمير نفسه[1].

غير أن السلطات الأفغانية رفضت تقديم أي نوع من أنواع المساعدة، وطلبت من المجاهدين البلوش إما أن يقيموا كلاجئين سياسيين في كندهار وإما أن يغادروا البلاد. ففاتح الأمير السفارة السوفياتية في كابول للحصول على مساعدة. وكانت السفارة السوفياتية متعاطفة، ولكنها لم تقدم أي مساعدة مادية، وعلى هذا تقرر أن يكون نمط العلاقات بين قوميي البلوش وموسكو في المستقبل. وفي ظل هذه الظروف، عاد الأمير إلى بلوشستان مع الميليشيا التابعة له[2].

لم يكن الأفغان مضيفين ودودين. وكانت العلاقات بين كابول وكراچي علاقات مريرة بسبب قضية پَختونستان. ولكن، منذ ظهور أحمد شاه، عامل الأفغان بلوشستان باعتبارها دولة تابعة حتى الحرب الأفغانية ـ البلوشية في عام 1758، عندما وقع اتفاق «عدم التدخل» بين الطرفين. وفي القرن التاسع عشر، رغب الحكام الأفغان مثل شاه شجاع وأمير عبد الرحمن في احتلال بلوشستان. ومع انتهاء التغليب الامبراطوري، كان مناسباً فقط في نظر كابول بأن تتحقق مطالبها التاريخية. وفشل قوميو الأمير عبد الكريم في إدراك ادعاءات كابول التحريرية والوحدوية في ما أصبح الآن إقليم بلوشستان في باكستان. وكما يقول الدكتور عناية الله بَلُوچ، «كانت فكرة بلوشستان مستقلة تناقض الأفغان بسبب أن بلوشستان الباكستانية كانت جزءاً من مفهوم أفغانستان عن پَشتونستان»[3].

ويجب الالتفات إلى أن السياسة الأفغانية التوسعية عكست الاعتبارات الاقتصادية لدولة غير ساحلية. وفي الوقت نفسه، كان من المستحيل للحكومة الأفغانية تجاهل مصالحها الوطنية، ودعم حركة بلوشستان الكبرى، التي تطالب بمنطقة البلوش في أفغانستان.

وكما ذكر سابقاً، وقع الخان وثيقة الانضمام، فأعلنت إذاعة عموم الهند أن

---

(1) Ibid.

(2) Monthly, Azad Baluchistan, London, January 1983.

(3) Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the right of self-determination», in: Zingel, W. (ed.), Pakistan in its Fourth Decade, Hamburg, 1983, p. 200.

الخانية البلوشية عرضت طلب الانضمام إلى الهند[1] ومهما كانت صحة هذا التقرير المثير للجدل، فإن الحكومة الهندية لم تتخذ أي إجراءات فعالة لقبول التقدم وحماية قادة الحزب القومي، الذين زعم أنهم أعضاء في الكونجرس الهندي. وفي عام 1948، فاتح آغا عبد الكريم، سَردارات البلوش «الإيرانيين» للحصول على مساعدة، ولكن رفضت مناشدته، لأن السردارات كانوا خائفين من القمع[2]. وفي هذه الأثناء، أرسلت رسائل إلى مير غلام فاروق من قبيلة روديني، وسردار مِهراب خان، وسردار مير جمعة، ومير وزير خان سَنجراني من چاكي، وعدة زعماء آخرين[3].

طلبت الحكومة الأفغانية سريعاً من آغا عبد الكريم وأنصاره المجاهدين البلوش، مغادرة البلاد[4]. فعاد الأمير آغا عبد الكريم والوفد المرافق له إلى بلوشستان بخيبة الأمل، في الثامن من يوليو عام 1948. وبعد اشتباك بسيط قرب هَربوي مع الجيش الباكستاني، أعتقل الأمير مع أكثر من مائة من أتباعه. وفي السابع والعشرين من نوفمبر عام 1948، حوكم أمام جيرگا خاصة في سجن مَچ وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات مع الأشغال الشاقة وغرامة قدرها خمسة آلاف روبيه. وحكم على زميله ومستشاره محمد حسين عنقا أيضاً، وهو شاعر ومفكر، بالسجن عشر سنوات. وحكم على أعضاء الحزب الآخرين بأحكام وغرامات مختلفة[5].

وهكذا في عام 1948، تم سحق الحركة القومية البلوشية من قبل باكستان جناح، التي قد ورثت جزءاً من جيوش الإمبراطورية البريطانية الهندية، وخزانتها ونظامها الإداري. وعلى الرغم من ذلك، قد احتفى ديوان (برلمان) الخانية المنتخب بما أراد قادة الحركة: بلوشستان مستقلة ذات سيادة. وبدأت الحركة السياسية البلوشية مع يوسف علي مَگسي، وعبد العزيز كورد، والآخرين في عشرينيات القرن العشرين وتواصلت خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. ولكن في 1947 ـ 48، فشلت طموحات الحركة القومية البلوشية في أن تتجسد. وواصل القادة الباقون على قيد الحياة

(1) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 321.
(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 145.
(3) Ibid., p. 193.
(4) S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 138.
(5) Gul Khan Nasir, Tarikh-e-Balochistan, p. 526.

وأتباعهم الجدد، كما سنرى في الفصول القادمة الحركة نفسها على خطوط مختلفة بعد عام 1948 عندما تم حظر الحزب من قبل حكومة باكستان.

الخلاصة

شهد القرن العشرون نقطة تحول رئيسية للبلوش. فقد أدى الحكم البريطاني المباشر في بلوشستان الشمالية إلى بناء أول شبكات الطرق والسكك الحديد وخطوط التلغراف، وإدخال التعليم الحديث، وإن كان ذلك على أساس محدود، وإقامة عدة معسكرات كبيرة، وتطوير عدة حقول للفحم، ومرافق الخدمات ذات الصلة في هذا الجزء خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبسبب هذه التطورات، عرف المثقفون البلوش ومن خلالهم أقاربهم وأصدقاؤهم ورجال قبائلهم، المزيد أكثر مما كان يعرف أجدادهم عن دولتهم والعالم ككل. وساهمت من ناحية التطورات السياسية في الهند وأفغانستان والشرق الأوسط وأوروبا، ومن ناحية أخرى المطبوعات المعدة من قبل المسؤولين البريطانيين، والمستشرقين والمبشرين في تنمية الوعي القومي البلوشي.

لم يفقد البلوش حريتهم قط قبل غزوهم من قبل جيوش بريطانيا وإيران الحديثة. ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى، جرى تعزيز الأنشطة السرية والانتشار النظامي للأفكار التي هي في معظمها حول الإيديولوجيا القومية «الكلاسيكية» والمؤيدة لمفهوم «بلوشستان الكبرى». وشملت بلوشستان الكبرى خانية كلات، والأراضي الخاضعة للإدارة البريطانية، وبلوشستان الغربية. قاوم البلوش بشدة إدماجهم قسراً في إيران من قبل رضا شاه في عام 1928. وهكذا، فإن السيطرة الأجنبية، البريطانية والفارسية كانت الدافع وراء نشوء وتطور القومية البلوشية في بداية القرن العشرين.

ملهمين بالجيشان السياسي في تركيا وروسيا، فضلاً عن الحركة المناهضة للاستعمار البريطاني في الهند نفسها، دعا بعض البلوش لدولة بلوشستان المستقلة. وكان يوسف علي مَگسي، وعبد العزيز كورد من أوائل القادة للحركة القومية البلوشية. في عام 1920 تحت قيادة مَگسي وكورد، شكلت منظمة سرية سياسية تدعى «شباب البلوش»، وظلت سرية حتى عام 1929. ولاحقاً تم تغيير اسم المنظمة إلى «انجُمَن اتحاد بَلوُچان» (منظمة توحيد البلوش).

وبعد وفاة مَگسي في عام 1935، استمرت الحركة في إطار قيادة عبد العزيز كورد. في فبراير من عام 1937، استبدل الأنجُمَن حزب سياسي رسمي بـ«حزب دولة كلات القومي»، المعروف باسم «الحزب القومي». أقنع الحزب الخان بإلغاء عدد من الضرائب المفروضة على القبائل من قبل السردارات الموالين لبريطانيا. ولكن ضمن الدولة لم يمكن للحزب أن يتجاهل قوة النظام السرداري أو مخططات الحكومة البريطانية. وكان كل ذلك عائقاً أمام التحرر الوطني، الذي هو في إقامة دولة بلوشستان المستقلة. بيد أن هذه السياسات خلقت رد فعل عنيفاً ضد القوميين. وبالتالي، فإن ضغط البريطانيين وعدد من السردارات دفع الخان لإعلان عدم شرعية الحزب في عام 1939. ومع ذلك، فإن الحزب القومي كثف أنشطته من أجل الاستقلال، باقتراب تقسيم شبه القارة بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت وجهات نظر حكومة كلات حول الوضع المستقبلي للخانية في أثناء انسحاب القوات البريطانية، كما قدمت لبعثة مجلس الوزراء في عام 1946، على النحو التالي:

في ضوء الاعتبارات السابقة، فإن حكومة كلات تؤكد، وهي مدعومة في هذا بالإجماع بإرادة رعايا الدولة: أن دولة كلات هي دولة مستقلة ذات سيادة وتحدد علاقاتها مع الحكومة البريطانية معاهدة عام 1876؛ وإن صلاتها الهندية قائمة بسبب صلاتها بالحكومة البريطانية؛ ولكون كلات دولة مستقلة، فلا يمكن للخان، ولا لحكومته ولا لشعبه أبداً أن يوافقوا على ضم كلات في أي شكل من أشكال الاتحاد الهندي؛ ومع إنهاء المعاهدة مع الحكومة البريطانية، فإن دولة كلات ستعود إلى وضعها قبل المعاهدة وهو الاستقلال الكامل، وستكون حرة الإرادة في اختيار مسارها الخاص في المستقبل[1].

على الرغم من الاحتمالات الجيدة للاستقلال بعد الانسحاب البريطاني، فإن الهيكل الاجتماعي المجمد، الذي كان إرث نظام ساندمان، وجه بلوشستان إلى مسار أكثر ظلمة. فتمت دراسة مختلف الاحتمالات بالنسبة إلى مستقبل دولة كلات والأراضي المستأجرة بريطانياً. وعلى الرغم من سوء حالة الحياة السياسية في كلات،

(1) IOR.LVP&S/13/1847.

وهي دولة ذات سيادة رسمياً تحت الراج، وإن كانت مرتبطة بمعاهدة (تم إجراء المقارنات المتكررة لها بنيپال)، بدت الرابطة الاسلامية، فضلاً عن البريطانيين المغادرين، على استعداد للسماح باستقلال كلات وعودة بعض المناطق المحيطة بها تحت الإدارة البريطانية المباشرة[1].

في الخامس عشر من أغسطس عام 1947، أعلن خان كلات، أحمد يار خان، استقلال دولته. وتم تشكيل مجلس للنواب، وجرت انتخابات، وأصبحت القوى القومية هي القوى المهيمنة في البرلمان. وكانت هي المرة الأولى التي أجريت فيها انتخابات في تاريخ بلوشستان. وعلى الرغم من أن الحزب القومي كان لا يزال منظمة غير شرعية، فإنه قد شارك بشكل غير مباشر في الانتخابات من خلال أعضائه المترشحين كأفراد مستقلين. ففاز أعضاء الحزب القومي بتسعة وثلاثين مقعداً من أصل اثنين وخمسين، وبذلك أخذوا حكومة كلات والسردارات على حين غرة.

ويبدو من الغريب أن خان كلات لجأ إلى زعيم الرابطة الاسلامية، محمد علي جناح. فكما كشفت الأحداث التي وقعت مباشرة بعد التقسيم عام 1947، لم يكن لجناح مصلحة في تعزيز موقف الخان، أو في إعطائه أي أمل بالاستقلال. وهكذا، ومنذ ذلك الحين، واجه (الخان وجناح) كلٌّ الآخر كخصمين سياسيين. أصر الخان والحزب القومي على بلوشستان مستقلة ذات سيادة. فرتب جناح ضم بعض أجزاء أراضي الخانية لباكستان بطرائق مثيرة للجدل[2]. وللجزء المتبقي من بلوشستان، طالب الخان بالانضمام الرسمي. ولمواجهة ضغط جناح، فإن الخان حول المسألة باستمرار إلى ديوان الخانية المنتخب. وكان هذا العمل موافقاً لنص وخلاصة قانون الاستقلال الهندي لعام 1947، الذي يتطلب أن يكون قرار «الأمراء» بشأن مستقبل دولهم متخذاً مع أخذ رغبة شعوبهم في الاعتبار[3].

غير أن استقلال كلات، لم يدم أكثر من ثمانية أشهر. ففي السابع والعشرين من مارس أُجبر الخان على قبول إدماج دولته بباكستان. وأثار هذا الحدث حركة ثورية

(1) IOR. UP & S/13/1846; S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 135; Inayatullah Baloch, «Baloch Qaumi Tahrik Men 'Kalat National Party' Ka Kerdar», p. 5.

(2) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, p. 509.

(3) Sir Conrad Corfield, The Princely India I Knew: From Reading to Mountbatten, India: Indo-British Historical Society, 1975, pp. 146, 139-160.

بقيادة شقيقه آغا عبد الكريم، الذي سعى دون جدوى للحصول على مساعدة من أفغانستان. وبالتالي، فإن دولة كلات مع حالة ضعفها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي انهارت في مواجهة باكستان ذات البنية التحتية والاقتصادية الحديثة والمؤسسات المدنية والعسكرية القوية نسبياً. وبالتالي، كان السبب الرئيسي لانهيار الخانية هو قوة الجيش الباكستاني الساحقة. ومع ذلك، فإن الأنظمة القبلية والاقطاعية القديمة والبالية، التي يمثلها السردارات، وعدم وجود وحدة وطنية كافية بين القبائل البلوشية من أجل قضية الاستقلال، عجلت بعملية الانهيار.

الفصل الخامس

بلوشستان ما بعد الاستعمار

المقدمة

يعتقد على نطاق واسع أن الهوية القومية البلوشية، في مقابل التماهي مع القبائل، أصبحت أقوى بسبب إدماج بلوشستان في دولتي إيران (1928) وباكستان (1948)[1]. وفي هذا الصدد، قال محمد أكرم بَلُوَج، المتحدث السابق في مجلس نواب بلوشستان: «بدأ عملنا السياسي مع الضم»[2]. وأعطى الرئيس السابق لمجلس الفنون في بلوشستان، لال بكش رِند، شرح إضافياً توضيحياً حول تطور القومية البلوشية. فوفقاً للال بكش رِند، كانت القومية البلوشية في مرحلتها البدائية وقت التقسيم. وليدعم حجته، أضاف، «حين احتلت باكستان الجزء الأكبر من بلوشستان، لم يكن هناك رد فعل جماعي قوي، وهو ما يعني أنه لم يكن هناك شعور قومي قوي. فقد كانت ردة الفعل صادرة عن آغا عبد الكريم وعدد قليل من المثقفين فحسب». «ولكن»، يتابع، «كان قمع باكستان بداية فقدان الثقة بها والدافع لنمو القومية البلوشية»[3]. ووفقاً للال بكش رِند، فحتى مطالبة نوروز خان كانت محدودة بالإفراج عن الخان أحمد يار خان. ويعتقد لال بكش رِند، رغم ذلك، أن القبض على نوروز خان ومعاونيه في حرب العصابات هو من شكل القومية البلوشية[4].

ولاحظ الكاتب الروسي، و. ف. گنكوفسكي، أن ولادة الوعي القومي

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 94-102; Paul Titus, «Routes to Ethnicity: Roads, Buses, and Differential Ethnic Relations in Pakistani Balochistan», in Paul Titus, (ed.), Marginality and Modernity, p.273.

(2) مقابلة مع محمد أكرم بَلُوَج.

(3) مقابلة مع لال بَكش رِند.

(4) Ibid.

البلوشي كانت جلية في مطلع خمسينيات القرن العشرين[1]. إذ ظهرت أولى المنشورات البلوشية في عام 1951، مع مجلة أُومان الشهرية. وكان من بين كتاب البلوش الرائدين، گُل خان نصير، وآزاد جمالديني، ومولوي خير محمد نَدَوي، وسَيِّد هاشُمي. وكان العمل بعدها لجمع وتخليق الأدب القومي في تقدم مستمر. وكانت الشخصية الأكثر إثارة للاهتمام في مجال التاريخ والمسائل الاجتماعية والسياسية وغيرها خلال فترة خمسينيات وستينيات القرن العشرين هي گُل خان نصير. فأعماله حول المواضيع الاجتماعية والفكرية المختلفة مثل التاريخ الملحمي والشعر الثوري الذي سعى فيه لتقديم صورة الخير والشر، الحق والباطل، قدمه كمفكر عصري، وكمؤرخ غير مدرب، أثر تأثيراً كبيراً في الفكر التاريخي وفي المعرفة الشعبية حول التاريخ الحديث لبلوشستان و(إلى حد ما) تاريخ العصور الوسطى. وكان أيضاً أكثر شعراء اللغة البلوشية الثوريين شعبية. وعلى الرغم من دوره الأدبي، شارك گُل خان نصير في النضال البلوشي من أجل الاستقلال الوطني، وظل وراء القضبان لعدة سنوات في الفترة من 1941 وإلى 1979.

تمتع شخصان بتأثير مماثل وقد عاصرا گُل خان نصير، وكانت لهما شهرة كبيرة في نهجهما القومي في المواضيع التاريخية، وهما محمد سردار خان بَلوُچ (گِشكوري) وخُدابكش مَري بَلوُچ. ويمكن القول إن سردار خان أدى دوراً هاماً نتج منه تعزيز الشعور القومي والعرقي المعبر عنه في الأعمال الأكاديمية. فلم يخف سردار خان في كتاباته قط أفكاره القومية والشوفينية. وتقدم أعمال سردار خان، البلوش أمة (1947)(*)، وتاريخ العرق البلوشي وبلوشستان (1958)(**)، والبلوشي العظيم (1965)(***)، رواية مثيرة للاهتمام عن العصر الذهبي البلوشي أو فترة چاكريان (1487–1511). بينما أسس خُدابكش مَري لنفسه مكانة مماثلة باعتباره ناشراً للدعاية القومية المنمقة للتاريخ والتراث القومي. ومع ذلك، كان دوره من الأدوار الهامة في توليد المشاعر القومية، وكان دور آزاد جمالديني وسَيِّد هاشُمي بالقدر نفسه من

(1) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 208.

(*) Baluch a Nation.

(**) History of Baluch Race and Baluchistan.

(***) The Great Baluch.

الأهمية. قام سَيِّد هاشُمي (1926–1977)(*) في عدة مجموعات شعرية نشرها في مطلع ستينيات القرن العشرين، بتذكير البلوش بماضيهم المجيد، وطلب منهم التضحية لكسب مرتبة الشرف والاحترام. وبالمثل، ساهم آزاد من خلال مجلته الشهرية بَلوُچي، التي نشرت في كراچي منذ عام 1956، في نشر فكر القومية البلوشية.

مجد ماضي البلوش كتاب گُل خان نصير، تاريخ بَلوُچِستان (تاريخ بلوشستان) في مجلدين عام 1952، وكتاب سردار خان تاريخ العرق البلوشي، وكتاب خُدا بكش مَري أضواء كاشفة على البلوش وبلوشستان، والعديد من الأعمال الأخرى المشابهة. وقد استبدلت هذه الأعمال الحزازات البريطانية المنشأ والانقسامات بين قبائل البلوش المختلفة خصوصاً التقسيم «البلوشي-البراهوئي»، وحل محلها فكر الأصل «البلوشي-البراهوئي» العرقي والرابط التاريخي المشترك[1]. ويشير گنكوفسكي إلى عدد من المنظمات القومية (رابطة بلوش عموم باكستان، ورابطة الطلبة البلوش، وأُستمان گَل، وغيرها)، التي يعتقد أن أعضاءها «وبمعزل عن الفئة البرجوازية والمثقفين، كانوا من مالكي الأراضي الساعين بعزم لإقامة إقليم واحد في باكستان الغربية يضم جميع الأراضي المأهولة بالبلوش»[2].

قال نواب خير بكش مري واصفاً هذه العملية التطورية للقومية البلوشية، والذي أدت قبيلته دوراً ناشطاً في الثورات الكبرى خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، «في السنوات السابقة كانت نضالاتنا قبلية ولكن منذ عام 1947 أصبحت بشكل متزايد سياسية. وهذه عملية طبيعية، مثل طفل ينمو من جنين. فقد شعر شعبنا بأنهم (الباكستانيون) سيدمرون هويتنا كأمة، إن لم نرد ونقاتل. وكانت ثورة آغا عبد الكريم أول تعبير. ولكن «ماذا كان يريد»؟ فإنه لم يكن واضحاً كفايةً حول هذا الموضوع، ولكنه كان يعلم أنه يريد إقامة دولة، شيئاً منفصلاً، وماذا فعل؟، كان لسجنه تأثير مفيد، فقد بدأ معه نمو الوعي البلوشي، الذي يتعزز وينضج منذ ذلك الحين . . . ماذا أراد نوروز خان عندما غادر إلى الجبال في عام 1958؟ كان مثل عبد الكريم، غامضاً، ولكن كانت

(*) ورد في النص (1926 ـ 1977) والصحيح (2/ 4/ 1926 ـ 3/ 3/ 1978)، انظر، صَبا دَشتياري، ساچان ءُ سهاتو، سيد هاشمي ريفرنس كتابجاه، 2004، ص81 ـ 85.

(1) Tahir Amin, Ethno-National Movements of Pakistan: Domestic and International Factors, Islamabad: Institute of Policy Studies, 1988, pp. 95-95.

(2) Yu. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan, p. 208.

رغبتهما هي إقامة دولة بلوشية. لقد كابدا، وصدقا بوعودهما في إعطاء الأمان، ثم ماذا كانت النتيجة؟ ما حدث لهما ترك انطباعاً كبيراً لدى الشباب المتعلمين، ولدى البرجوازية الصغيرة، ولدى الأجيال القادمة. سمها ثورة بركان، تدفق حمم، فما حدث هو جزءٌ من التاريخ. هم ذهبوا إلى الجبال ولحقتهم قبائلهم. وأنا أتساءل عم كان في ذهن نوروز خان؟ فهو لم يوضحه بمصطلحات القومية، ولكنه كان لحماية تقاليده، وإحساسه بالهوية. كان هناك شيء في ذهنه، رؤية ما لحرية البلوش»[1].

بدأ ضمن باكستان، اندماج الاقتصاد المحلي البلوشي في الاقتصاديات والسوق الحديثة؛ وفي الوقت ذاته، كانت في إطار شبكة واسعة من الضوابط البيروقراطية المركزية. ومن الناحية العملية، كان يعني هذا بناء الطرق والنمو في مجال النقل، وانتشار الزراعة التجارية، والمؤسسات والتكنولوجيا لمساندتها، وتعزيز الإصلاح الزراعي والتغيرات في نظم حيازة الأراضي، وتزايد الضغوط لهجرة اليد العاملة المحلية إلى المدن البعيدة وإلى مناطق في الخارج، وإنشاء صناعات جديدة و- قبل كل شيء - تراجع ثابت في القبلية واستقلاليتها الاقتصادية التقليدية[2]. وهكذا، بدأت تعمل قوى جديدة اقتصادياً وسياسياً وإدارياً وثقافياً، في كل من بلوشستان الشرقية (الباكستانية) وبلوشستان الغربية (الإيرانية)، كما سيتم مناقشتها في هذا الفصل.

الهيمنة البنجابية

تبنى مؤسس باكستان، محمد علي جناح، وحزبه الرابطة الاسلامية «نظرية الأمتين» التي أدت إلى التقسيم الجديد لشبه القارة إلى دولة إسلامية ودولة هندوسية، وهما باكستان والهند على التوالي[3]. ومع ذلك، فإن الرابطة الاسلامية، التي تسلمت

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow: Baluch Nationalism and Soviet, pp. 47-48.

(2) غير أنه مع مرور الوقت تغيرت غالباً «الملكية القبلية أو السردارية»، إلى ملكية شخصية. فقانون الإصلاح الزراعي لأعوام 1959 و1972، و1977، الذي وضع حداً لملكية الأراضي قوض أيضاً الوضع القانوني لتملك الأراضي الكبيرة. لمزيد من التفاصيل انظر،
Aijaz Ahmad, «Balochistan's Agrarian Question», in: Feroz Ahmed (ed.), Focus on Balochistan and the Pashtoon question, pp. 44-67; Syed Nawab Haider Naqvi, Mahmood Hasan Khan, M. Ghaffar Chaudry, Structural change in Pakistan's agriculture, Islamabad: PIDE, 1989.

(3) Lawrence Ziring, The Subcontinent in World Politics, New York & London: Praeger Publishers, 1978, pp. 89-90, 96-100.

السلطة من البريطانيين في وقت التقسيم، كانت عبارة عن مجموعة متنافرة من السياسيين المسلمين، بما في ذلك الزعماء الإقليميون، الذين تجمعوا قبل فترة وجيزة من التقسيم وكان هدفهم الوحيد هو تجنب هيمنة الكونجرس في هند متحدة. أضعف موت جناح في الحادي عشر من سبتمبر عام 1948 الرابطة الاسلامية بشكل عميق. فجعلتها الانشقاقات والانقسامات غير فعالة وانحلت العملية السياسية المدنية.

وجدت فكرة باكستان، كما لاحظ البروفسور لورانس زيرِنگ، الاستقبال الحار في المناطق الهندية المتعددة الإثنيات، حيث ترى الأقلية المسلمة تهديداً فورياً من الغالبية الهندوسية[1]. وكان مثل هذا القلق مؤدياً إلى زيادة مخاوف المسلمين قبل التقسيم، الذين جادلوا أنه في ظل حكم يعتمد على النظام البرلماني البريطاني، سيكون هناك حكم دائم للغالبية الهندوسية. وكان هذا الخوف من سيادة الأغلبية أحد الأسباب التي أدت إلى طرح نظرية الأمتين، أي في نهاية المطاف السبب الجوهري لإنشاء باكستان[2].

ومع ذلك، فإن البلوش والپشتون، الذين لم يشعروا بمثل هذا التهديد من الهندوس البعيدين عن مناطقهم الحدودية النائية في بلوشستان واقليم الحدود الشمالية الغربية (NWFP)، عارضوا على التوالي، فكرة باكستان منذ بدايتها[3]. وباقتراب تقسيم شبه القارة آثر البلوش الاستقلال، كما هو موضح سابقاً، في حين أن القوميين الپشتون في ظل قيادة خان عبد الغفار، رئيس خداي خدمتگار[*]، انضم (القمصان الحمر) لحزب نهرو، الكونجرس، في معارضة لتقسيم شبه القارة، وتأسيس باكستان.

حاول الحكام الباكستانيون المتعاقبون نشر تصورهم للإسلام بوصفه أساساً لقومية الدولة على أمل أن يحل التجانس الديني محل غياب التجانس العرقي، الذي من شأنه أن يوحد ويدمج في نهاية المطاف القوميات المختلفة في بنية الدولة[4]. ومع ذلك، فإن العقيدة الإسلامية المشتركة لم تمنع مختلف القوميات من التصادم أو

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(*) تعني بالپشتونية؛ خدم الرب.

(4) Ishtiaq Ahmed, Separatistrorelser i Sydasien. p. 14.

من إيذاء بعضها بعضاً منذ استقلال باكستان[1]. فهناك عوامل تاريخية وعرقية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية رئيسية تشكل مسألة القوميات التي تتألف منها باكستان أيضاً. وفي هذا الصدد فالقضية البلوشية في باكستان مثالٌ جيد، كما لاحظ سليگ هاريسون. وكتب هاريسون، «كان واضحاً في حالة البلوش بشكل خاص، عدم قدرة النخبة البنجابية والمهاجرة ذات النفوذ والسلطة على تحييد تأكيد الذات الإثنية بالنداءات الإسلامية»[2].

منذ التقسيم، رافق عدد من الاختلالات إنشاء باكستان. فمع الاختلافات في اللغة والثقافة، ناهيك عن مستويات الاهتمام غير المتكافئة حتى بمفهوم باكستان، اتصفت الأقاليم التي تشكل باكستان أيضاً بمستويات التنمية غير المتوازنة. ووقعت الدولة التي أنشئت حديثاً منذ البداية تحت هيمنة البنجابيين في تحالف مع المهاجرين، والتي كانت تتكون في الأصل من جناحين شرقي وغربي منفصلين جغرافياً. وتم النظر إلى هذه الهيمنة من قبل المجموعات الإقليمية الأخرى في إطار القومية-الإثنية. ولهذا، فإن بذور الصراع القومي قد خلقت التوتر منذ البداية في هيكل الدولة الباكستانية. وساهمت الهجرات الضخمة لمسلمي الهند في مفاقمة الخلل في التوازن العرقي بشكل كبير. ويبلغ عدد المهاجرين، وفقاً لإحصاء عام 1951 في باكستان، سبعة ملايين نسمة[3].

وكما ذكر مسبقاً، فإن المهاجرين والبنجابيين سيطروا معاً على اقتصاد باكستان وإدارتها المدنية والعسكرية كما ورثت من البريطانيين. وكان هذا هو الحال، على الرغم من حقيقة أنهم كانوا في تلك الفترة أقلية بالمقارنة بأغلبية البَنگاليين الشرقيين عدا القوميات الأخرى غير البنجابية[4]. ونظراً إلى قاعدتهم في المناطق الحضرية والوضع الاقتصادي السائد بها، وبالإضافة إلى سيطرتهم على بيروقراطية الدولة، بدأ الحكام البنجابيون وحلفاؤهم المهاجرون بتكييف وتحديد هوية الدولة وبنيتها وفقاً لمداركهم وتصوراتهم[5].

---

(1) K. K. Aziz, Party Politics in Pakistan 1947-1958, Islamabad: National Commission on Historical and Cultural Research, 1976, pp. 139-78.

(2) Harrison, Selig S., «Ethnicity and Politics in Pakistan: The Baluch Case», in: Hutchinson, John & Smith, Anthony D., (ed.), Ethnicity, New York: Oxford University Press 1996, p. 299.

(3) Ian Talbot, Pakistan: A Modem History, p. 101.

(4) Gul Khan Nasir, Balochistan Kadim aur Jadid Tarikh ki Roshani men, p. 350.

(5) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 82-83.

في البداية، كان المهاجرون ممثلين تمثيلاً زائداً في الخدمة المدنية القوية لباكستان[1]. وكان المثال الجلي على سيطرتهم هو فرضهم اللغة الأوردية، التي يتحدث بها المهاجرون فقط، كاللغة المشتركة للدولة، لاستبعاد مختلف اللغات الأخرى المستخدمة من قبل الجماعات المحلية من السكان الأصليين، وهو القرار الذي أدى إلى أعمال شغب عام 1952 في إقليم البَنگال الشرقي، والهزيمة اللاحقة للرابطة الإسلامية في انتخابات عام 1954[2]. وتجدر الإشارة إلى أن الأوردية لم تكن لغة جميع المهاجرين. فالكثير منهم يتحدث إما بالبنجابية وإما بالگجراتية. وفي بداية خمسينيات القرن العشرين كان يتحدث حوالى سبعة في المائة فقط من سكان باكستان بالأوردية كلغتهم الأم[3]. وكان مثال آخر هو اعتماد خطة الوحدة الواحدة المصممة لإدماج أربعة أقاليم متمايزة إثنياً وهي بلوشستان، والبنجاب، والسند، ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية في جناح واحد يدعى باكستان الغربية عام 1954. نظر التحالف الحاكم غير الرسمي من المهاجرين المهيمنين على البيروقراطية والعدد الكبير لمالكي الأراضي البنجابيين خلال العقد الأول من وجود باكستان، إلى الوحدة الوطنية كنظام لضمان هيمنتهم. حيث قدم المهاجرون خبرتهم الإدارية والاقتصادية، بينما تولت النخبة البنجابية القوة السياسية. فكانت أي جماعة، لا تشكل جزءاً من هذه التشكيلة أو ليست على استعداد لتكون موضعاً لانتقاء الشركاء منها كشركاء صغار، ينظر إليها على أنها تمثل تهديداً محتملاً لباكستان. ولذلك، أصبحت معظم الأقليات العرقية والحكومات المحلية مهمشة[4].

حدثت بعض التغييرات الهامة بعد التقسيم في التكوين الإثني وهيكل الأوليغارشية(*) في دولة باكستان، وكما ذكر هيتني بيورن، أصبحت تدريجاً «وبشكل

---

(1) B. All, «Political forces in Sind», p. 184.

(2) Ishtiaq Ahmed, State, Nation and Ethnicity in Contemporary South Asia, London, 1996, p. 221.

(3) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 26.

(4) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 82-83.

(*) الأوليغاركية (أحياناً: الأوليغارشية) أو حكم القلة هي شكل من أشكال الحكم بحيث تكون السلطة السياسية محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع تتميز بالمال أو النسب أو السلطة العسكرية. انظر، عبد الوهاب الكيالي (محرر)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 1999، ج. 1، ص. 415.

متزايد دولة للبنجابيين»[1]. ففي الثامن عشر من أكتوبر عام 1951، تم اغتيال رئيس الوزراء لياقت علي خان، وهو أرفع زعيم للمهاجرين، حين كان يتحدث في جلسة جماهيرية في روالپندي بالبنجاب. وفي تصورات المهاجرين كان ذلك بداية لانحسار نفوذهم في باكستان. ولا يزال الاغتيال لغزاً حتى هذا اليوم. وعلى أية حال، فإن البيروقراطيين البنجابيين وسعوا سيطرتهم على الدولة بعد ذلك على الفور. وتوضح ذلك في عام 1958 عندما قام الجنرال أيوب خان بأول انقلاب عسكري، سرح في إثره العديد من علية موظفي الخدمة المدنية من المهاجرين عام 1960، وحول أيضاً عاصمة باكستان من كراچي، وهي منطقة يهيمن عليها المهاجرون، إلى إسلام آباد في البنجاب الشمالية. فاضطر المهاجرون العاملون لدى الحكومة الفيدرالية لترك كراچي. وعلاوة على ذلك، فإن حكومات كل من أيوب خان (1958–1969)، ويحيى خان (1969–1971) وذو الفقار علي بوتو (1971–1977)، قامت بتقليص عدد موظفي الحكومة نتيجة اتهامات بالفساد. وكان البيروقراطيون المهاجرون يشكلون العدد البارز في هذا التسريح. وبشكل دراماتيكي أكثر، كان صعود حزب الشعب الباكستاني وحيازته السلطة في السند عام 1972، وما تلاه من أعمال شغب اللغة، صدمة في دوائر المهاجرين[2]. ولاحقاً عندما استولى الجنرال محمد ضياء الحق على السلطة في يوليو عام 1977، طغى الجيش البنجابي على البيروقراطية، وبذلك استولى على المفصل الثاني.

أراد محمد علي جناح باكستان على الأرجح دولة علمانية وبرجوازية وديمقراطية. وقال، «قراراتنا في شؤون الدولة يجب أن تسترشد بالمناقشة والتشاور»[3]. وفي الحادي عشر من أغسطس عام 1947، اجتمعت الجمعية التأسيسية لباكستان في كراچي لأول مرة، وقال محمد علي جناح، الذي انتخب لرئاسة الاجتماع:

أعتقد أننا يجب أن نضع غاياتنا أمامنا، وسوف نجد أنه مع مرور الوقت سوف يتوقف الهندوس عن كونهم هندوساً وسوف يتوقف المسلمون عن كونهم مسلمين،

(1) Bjom Hettne, Att Studera Intemationella Relationer, Goteborg: Padrigu Papers 1990, pp. 75-76.

(2) Khalid Bin Sayeed, Politics in Pakistan: The Nature and Direction of Change, p. 154.

(3) Government of Pakistan, Ministry of Information and Broadcasting, Directorate of Research, Reference and Publications, Speech of Quaid-e-Azam Muhammad Ali Jinnah: As Governor General of Pakistan 1947-48, Karachi: Pakistan Publications, n.d., p. 58.

وذلك ليس بالمعنى الديني، لأن ذلك هو الإيمان الشخصي لكل فرد، ولكن بالمعنى السياسي كمواطنين في الدولة[1].

ومع ذلك، فسلوكه اللاحق لا يظهر أنه كان حقاً قادراً على التقدم أبعد من السياسة الطائفية في مرحلة ما قبل تقسيم الهند. فبالقضاء على القيادات القوية وبزرع رجال يسهل التلاعب بهم في الأقاليم، جعل جناح من الصعب جداً ظهور قيادة جماعية بعد وفاته. وقد طرد جناح الزعيم السندي الشعبي ورئيس الرابطة الاسلامية لإقليم السند (خلال 1943–1945)، جي. ام. سيد، من الرابطة الاسلامية بسبب انتقاده العلني للساسة من مالكي الأراضي في السند والقيادة المركزية العليا.

وحاول بالمثل، زعيم القومية الپشتونية، عبد الغفار خان أن يتغلب على جناح لكي يحول الرابطة الاسلامية إلى حزب غير طائفي. وبسبب خيبة أملهم في إقناع جناح، شكلت هذه القيادات القومية حزب «عموم شعب باكستان» الذي سمي لاحقاً «المنظمة الشعبية» في السادس من مايو عام 1948[2]. وانتخب عبد الغفار خان رئيساً، وجي. ام. سيد أميناً عاماً للحزب. وقد طالب الحزب بالحكم الذاتي الكامل لأعلى درجة «للمجموعات اللغوية» في الدولة، والاعتراف بحق الشعب غير القابل للتحويل إلى طرف آخر في الحكم. وعلى هذا أُعتقل عبد الغفار خان في الخامس عشر من يونيو عام 1948، بتهمة خلق الكراهية الإقليمية[3]. وعلاوة على ذلك، كان جناح هو من أسس لتقليد إقالة الحكومات المنتخبة في باكستان. فبتوجيهاته الصريحة، أقال حكام المناطق الحدودية والسند وزارات الدكتور خان صاحب و ام. ايه. خُرو، في الثاني والعشرين من أغسطس عام 1947 والسادس والعشرين من أبريل عام 1948 على التوالي[4].

وما أثار استغراب القوميين كثيراً، سواء في شرق أو غرب باكستان، هو تصريح رئيس الوزراء لياقت علي خان في فبراير عام 1948، في الجمعية التأسيسية لباكستان،

(1) Ibid.

(2) Yunas Samad, A Nation in Turmoil: Nationalism and Ethnicity in Pakistan, 1937-1958, p. 129.

(3) M. Rafique Afzal, Political Parties in Pakistan, National Commission on Historical Research, Islamabad, 1976, pp. 90-91.

(4) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 128.

بأن الأوردية ستكون هي اللغة الوطنية الوحيدة في باكستان. وكرر الحاكم العام محمد علي جناح هذا في وقت لاحق في مارس بخطاب عام في دكا. وبحلول هذا الوقت، لم تكن البنگالية اللغة الأم لأكثر من خمسة وخمسين في المائة من سكان باكستان فحسب ولكن أيضاً، وهي لغة متطورة جيداً، كانت في الاستخدام الرسمي منذ فترة طويلة. أثار خطاب جناح هذا تظاهرات غاضبة من قبل الطلاب البنگاليين. وبهذا لم تصبح المسألة اللغوية محور القومية البنگالية الناشئة فقط، ولكنها أدت أيضاً إلى زيادة تسييس اللغة البلوشية، كما قال الوالي الأخير (الحاكم) لوادي سوات، ميانگُل جهانزيب[1]. وبالإضافة إلى ذلك، انتقد القوميون في جميع أنحاء باكستان موقف جناح من المسألة اللغوية. وذهب زعيم البشتون، عبد الغفار خان، إلى أبعد من ذلك بكثير، واتهم محمد علي جناح بأنه عميل للبريطانيين[2].

أعطت خطب محمد علي جناح اللاحقة في عام 1948، مؤشرات أكثر على تفكيره، ليس حول موقفه من بلوشستان فقط ولكن أيضاً حول منهجه غير الديمقراطي. فعلى سبيل المثال، في الخامس عشر من فبراير عام 1948، متحدثاً في «الدربار الملكي» في سيبي، فاجأ جناح جمهوره بالإعراب عن تفضيله لتولي حكومة ديكتاتورية بلوشستان بدلاً من ديمقراطية. وأعلن أنه حتى اكتمال دستور باكستان تماماً في عامين، سيستمر في حكم بلوشستان وحده، بمساعدة من مجلس استشاري يرشحه بنفسه[3]. وفي اليوم التالي، في مقابلة مع صحيفة الديلي تلغراف، أوضح جناح أنه لم يكن يقصد في كلمته أن نمط الحكومة الدكتاتورية سيكون أكثر مناسبة لبقية باكستان. وأوضح جناح، «بلوشستان متخلفة جداً، وأعتقد أن سجلي يدل على أنني أستطيع أن أكون مفيداً جداً لها في وضعها الحالي»[4]، وعلى أية حال، ومنذ بداية الضم، اعتقلت القيادات الشعبية في بلوشستان وسجنت، وفرض حظر على الأحزاب السياسية، باستثناء الرابطة الإسلامية.

(1) Miangul Jahanzeb, The Last Wali of Swat: An Autobiography as told to Frederick Barth, Oslo: Univesitetsforlaqet. 1985. pp. 51. 114.
(2) M. Rafique Afzal, Political Parties in Pakistan, pp. 90-91.
(3) L/P & S/13/1846.
(4) Ibid.

من الفيدرالية إلى الإقليم

مع انحدار سلطتها في عام 1947، كما ورد في الفصل الرابع، تقدمت بلوشستان (خانية كلات) حتى أصبحت فيدرالية مستقلة، وملكية دستورية، مع خان كلات رئيساً رسمياً لها. وإقليمياً، في 1947-1948، تشكلت الفيدرالية البلوشية من خانية كلات، بما في ذلك مَكُران[1]، وولايات خاران ولاس بيلا. وبصيغة أخرى، كانت جزءاً من الأراضي البلوشية فقط، أي بلوشستان الحقيقية، كما دعاها البريطانيون.

وتحت الحكم البريطاني، كما ذكر سابقاً، كان الخان رأس الدولة نظرياً فقط. حيث كانت تمنح السلطة لجميع الأغراض العملية إلى الوكيل السياسي، الذي يعمل بدوره بأوامر مباشرة من وكيل الحاكم العام. وخصص لكل من نصير آباد وچاگي ومناطق مَري وبُگتي القبلية، وكيلاً سياسياً. وضمت إلى البنجاب ديره غازي خان، وأعطيت جيكوب آباد (خانگره رسمياً) إلى السند. كما سلم جزء كبير من أراضي بلوشستان الحدودية إلى إيران وأفغانستان في عامي 1871، و1894، على التوالي. واحتلت كويتا في عام 1870، ولكن تم التوقيع على معاهدة تأجير مع الخان في الأول من أبريل عام 1883، مقابل دفع خمسة وعشرين ألف روبيه كعائدات سنوياً، وثلاثين ألفاً بدلاً للعبور. واحتلت نصير آباد في أبريل عام 1893، واستؤجرت في عام 1903، مقابل مئة وخمسة عشر ألف روبية سنوياً. وقد تم تأجير نوشكي في الأول من يوليو عام 1899، مقابل تسعة آلاف روبية سنوياً[2]. بيد أنه، ومنذ انسحاب القوات البريطانية في عام 1947، كانت الفيدرالية البلوشية تطالب بإعادة جميع أراضيها. حيث قدم الخان طلباً في مارس عام 1946، كما ذكر في مذكرة رسمية، إلى بعثة مجلس الوزراء، طالب بها بجميع المناطق التي أعطيت والتي تخضع لسيطرة القوات البريطانية، وذلك في كل المعاهدات التي تنص على أنه يجب إرجاعها إلى سيادة دولة كلات[3].

وهكذا، وحتى ضمها في عام 1948، لم تكن الفيدرالية البلوشية تكافح ضد إدماجها في باكستان فقط، ولكن أيضاً تطالب بالأراضي المفصولة عنها، لتستأنف مرة أخرى وضعها الأصلي كأجزاء من دولة كلات. ومع التقسيم البريطاني، تم تسليم هذه

(1) أصبحت مَكُران دولة منفصلة بعد التقسيم.
(2) A. B. Awan, Baluchistan, pp. 213-214.
(3) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, pp. 255-296.

الأراضي إلى باكستان. ولإجبار الدولة البلوشية على الاندماج مع باكستان، كما لوحظ في الفصل الرابع، قررت كراچي انتزاع خاران، ولاس بيلا، ومَكُران من خلال منحها وضعاً مساوياً كدولة كلات وتحقيق «إدماجها» بباكستان مباشرة قبل أسابيع قليلة من الضم الجبري لكلات نفسها[1]. ومع ضمها في السابع والعشرين من مارس عام 1948، عادت بلوشستان الحقيقية (دولة كلات) إلى الوضع الذي كانت عليه في الفترة البريطانية. وبالتالي، سياسياً، في مطلع خمسينيات القرن العشرين، كان تفكك الدولة البلوشية قد بلغ ذروته.

وبحلول هذه الفترة، ومثل أراضيهم، تم تقسيم الشعب البلوشي أيضاً. ففي مطلع خمسينيات القرن العشرين، كان هناك بلوش أكثر في السند منهم في جميع أرجاء بلوشستان. وتجدر الاشارة إلى أنه في السند تشكلت الطبقة البرجوازية البلوشية الصغيرة والبرجوازية المثقفة. فخلال الحرب العالمية الثانية، وفي السنوات التالية لما بعد الحرب، ارتفع عدد البلوش في السند من مئتين وثلاثة وخمسين ألف إلى أربعمئة واثنين وأربعين ألفاً، بزيادة قدرها ثمانية وثمانون في المائة[2]. وبالإضافة إلى ذلك، عاش أكثر من مائة ألف بلوشي في محيط كراچي. وفي عام 1951، عاش معظم المتمكنين من القراءة والكتابة باللغة البلوشية خارج حدود بلوشستان الأصلية، وغالبيتهم في كراچي[3]. وكان في السند أيضاً ظهور الصحافة البلوشية الدورية في ثلاثينيات القرن العشرين (في البداية بالأوردية وفيما بعد، في الأربعينيات بالبلوشية). ولسنوات كانت صحيفة بَلُوچستان[*]، التي نشرت باللغة الإنجليزية في كويتا، هي الصحيفة الوحيدة في بلوشستان نفسها. ولم تكن هناك صحف أو كتب نشرت بالبلوشية. وكانت الفارسية والأوردية اللغتين الأدبيتين المستخدمتين بين البلوش[**].

(1) IOR.L/P&S/13/184.

(2) Government of Pakistan, Office of the Census Commissioner, Census of Pakistan, (vol. VI), Karachi: Manager of Publications, 1951, pp. 107-108.

(3) Ibid., see Vol. I, Table 8, p. 37; Vol. II, p. 53.

(*) Baluchistan Gazette.

(**) على الرغم من محدودية التدوين باللغة البلوشية، إلا أنها كانت موجودة على نطاق صغير نسبياً. ومن أقدم الكتب التي وصلتنا، كتاب هوتمان كلمتي، المدون عام 1763، وهو يحتوي على أحداث تاريخية وقصص وأمثال باللغة البلوشية، انظر، عبدالصبور بلوچ، بلوچی قصهی لبزانك، كويتا: بلوچی اكديمي، 2009، ص. 7.

وكما ذكر سابقاً، تولت حكومة باكستان السلطة في عموم بلوشستان بما في ذلك دولة كلات في الخامس عشر من أبريل عام 1948، وأدار الإقليم مسؤولون من كراچي. وفي أواخر عام 1950 طرحت حكومة باكستان فكرة تشكيل «اتحاد ولايات بلوشستان» بإدماج ولايات لاس بيلا، ومَكُران، وخاران بكلات. وفي عام 1950، شكلت حكومة الرابطة الاسلامية، التي يرأسها لياقت علي خان، لجنة لاقتراح التعديلات الدستورية في بلوشستان[1]. وبعد حوالى شهر من وفاة لياقت علي خان، قدمت اللجنة تقريرها إلى المجلس الدستوري لباكستان. وأوصت بتشكيل إقليم يرأسه حاكم في بلوشستان، من دون إعاقة المؤسسات القائمة والتابعة للنظام السرداري[2]. وكما ذكر سابقاً، في عام 1950، شكل القوميون البلوش برئاسة عبد الكريم شورش، وهو الأمين العام السابق للحزب القومي، «لجنة سلام بلوشستان»[*]، وكان هدفها النضال من أجل حق تقرير المصير للشعب البلوشي. ولم تحرز هذه اللجنة أي تقدم، وحل محلها سريعاً أُستمان گَل[3].

حضر حكام الولايات «اجتماع عقد الاتفاقية» في الثاني عشر من أبريل عام 1951. وقد ساندوا مفهوم الإقليم البلوشي الموحد. وبموافقة الحكومة الباكستانية، أقر قادة الولايات الأربع باقتناعهم بأن رفاهية شعوب المنطقة ستضمن بأفضل وجه بإنشاء الولايات المتحدة التي تضم أراضي الولايات المعنية مع هيئة تشريعية وتنفيذية وقضائية مشتركة، وتخضع للدستور المشترك في باكستان. ونصت الاتفاقية على مجلس للحكام، مع انتخاب أحد الحكام رئيساً له. ولحكومة باكستان ترشيح الوزير الأعظم (رئيس الوزراء). وينص الدستور الموقت على وجود مجلس تشريعي، ينتخب ثمانية وعشرين من أعضائه ويتم تعيين اثني عشر. ونتيجة لهذا الترتيب أعلاه، أصبح خان كلات، مير أحمد يارخان رئيس مجلس حكام الاتحاد (ولايات بلوشستان المتحدة) في عام 1951[4]. وفي أبريل عام 1952، عينت حكومة باكستان موظفاً حكومياً، هو آغا

(1) Government of Pakistan, Report of the Committee on Constitutional and Administrative Reforms in Balochistan, Karachi, 1950, p. 21.

(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 333.

(*) Balochistan Peace Committee.

(3) Shaih Ragam, "Aqelan Sassa Kan et" in: Monthly, Balochi, Quetta February 1988 (Balochi).

(4) Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th -20th Century), p. 193.

عبد الحميد رئيساً لوزرائها[1]. وكان تشكل ولايات بلوشستان المتحدة خطوة نحو توحيد البلاد البلوشية وتكوين كيان سياسي موحد.

ولكن كانت هناك عقبات. ففي غضون عامين، اندلعت الخلافات بين الحكومة المركزية، التي يسيطر عليها البنجابيون والمهاجرون، وخان كلات. حيث اعتقد العديد من القادة الباكستانيين بمن فيهم رئيس الوزراء، محمد علي بوگر، والحاكم العام، اسكندر ميرزا، أن للخان أجندته الخاصة، وأنه يعمل من أجل إنشاء بلوشستان مستقلة[2]. وهكذا، حلت وزارة الولايات الباكستانية مجلس ولايات بلوشستان المتحدة في مطلع يونيو عام 1954[3]. وبعد مرور نحو عام، تم حل الاتحاد نفسه وإدماجه وفقاً لخطة الوحدة الواحدة، في باكستان الغربية عام 1955[4].

تم إدماج قوى القوميات المضطهدة، والمناطق الأربع المتمايزة إثنياً، بلوشستان والبنجاب والسند ومقاطعة الحدود الشمالية الغربية في إطار ما يسمى خطة الوحدة الواحدة في وحدة سياسية واحدة وهي باكستان الغربية في الثلاثين من سبتمبر عام 1955[5]. وكان الغرض من هذه الخطة مواجهة الغالبية العددية العظمى للجناح الشرقي من أجل ضمان السيطرة البنجابية على الحكومة وكذلك لمنع التحالف السياسي المتنامي والتعاون بين القوميات غير البنجابية في باكستان الغربية مع البنگاليين الشرقيين[6].

تجاهل حكام باكستان اعتراضات ومعارضة القوميين في بداية خمسينيات القرن العشرين،بسبب كونهم محاصرين بمشاحنات باكستان المتواصلة مع الهند حول

(1) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, pp. 530-31.
(2) مقابلة مع آغا نصير خان أحمد زئي.
(3) Outlook, Vol. 2, No. 41 January 12, 1974, p. 10.
(4) Gul Khan Nasir, Tarikh-e Balochistan, p. 541.
(5) IshtiaqAhmed, State, Nation and Ethnicity in Contemporary South Asia, p. 192.
في الثاني والعشرين من نوفمبر عام 1954، اقترح محمد علي بوگر رئيس وزراء باكستان خطة الوحدة الواحدة، التي تهدف إلى إدماج مختلف الأقاليم والدول الأميرية في الجناح الغربي من باكستان في إقليم واحد.
(6) Inayatullah Baloch, «Afghanistan-Pashtunistan-Baluchistan», in: Aussen Politik, no. 3, 1980, p. 295; Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 27.

كشمير، والبنجاب، ومياه نهر السند[1]، والحدود والجيوب المتنازع بشأنها، وتوزيع الأصول والمسؤوليات القانونية، وإدارة عقارات الذين تم إجلاؤهم، وعدم وجود دستور عملي. وقد انعكس هذا على عملية صنع السياسات[2]. وطورت النخبة السياسية غير الآمنة روابطها مع الجهاز البيروقراطي المدني والعسكري، والمهيمن عليه بنجابياً، والذي كان يمسك بكل البنية الفوقية الإمبريالية، التي أصبحت الصائنة للنظام الجديد. وقدمت الإقطاعية البنجابية الدعم وشاركت في تشكيل بنية الدولة باعتبار أن هذه البنية ضمان لها. وكانت هذه هي طبيعة القوة النخبوية الناشئة في باكستان، عندما بدأت غالبية الدولة الجديدة البنگالية بالمطالبة بحصة متساوية في الحياة السياسية وعملية صنع القرار الاقتصادي. وباقتراب باكستان من الحكم الدستوري، نما التهديد المحتمل الذي تشكله البورجوازية الصغيرة البنگالية. ولمواجهة أهمية البنگال الشرقية الديموغرافية، رسم الحكام في كراچي خطة الوحدة الواحدة، التي ستجعل بموجبها البنجاب والسند والاقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان ومختلف الولايات في إقليم واحد يتمتع بالتكافؤ البرلماني مع باكستان الشرقية[3].

أصبحت معارضة نظام الوحدة الواحدة هو العامل المشترك في نضال جميع الأحزاب والعناصر القومية داخل باكستان الغربية. وأدى التهديد المنظور بالذوبان في الأكثرية البنجابية، والقلق من حماية هويتهم القومية والثقافية، إلى تكوين القوة الدافعة الرئيسية في الحركة القومية للبلوش والقوميات الأخرى داخل باكستان. وكما قال البروفسور لورانس زيرنگ:

برفع الرابطة الاسلامية نداء «الإسلام في خطر» وحشدها حركة من أجل استقلال دولة إسلامية في شبه القارة، اعتقد السنود والبلوش والپتان أن طريقتهم في الحياة وخصوصاً ثقافاتهم المتمايزة معرضة للخطر، وخصوصاً بتجربتهم مع حركة باكستان وخوفهم من الأكثرية البنجابية. وببعض النواحي هو الخوف ذاته الذي استغله جناح لدفع البريطانيين إلى التقسيم[4].

(1) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, London: Hurst & Company, 1998, pp. 112-113.
(2) C.f., Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 167.
(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 236.
(4) Lawrence Ziring, The Subcontinent in World Politics, p. 89.

عندما أطلق سراح آغا عبد الكريم ومحمد حسين عنقا بعد الانتهاء من فترة سجنهما في عام 1955، دعوا إلى اجتماع أتباعهما البارزين في كراچي لتنظيم حزب سياسي، تحت اسم أُستمان گَل، (حزب الشعب). فانتخب آغا عبد الكريم رئيساً، في حين أصبح محمد حسين عنقا الأمين العام. وكان للحزب أهداف مماثلة لتلك التي تبناها حزب دولة كلات القومي. لكن وفي ظل الظروف المتغيرة، صرح أُستمان گَل أن هدفه يتمثل في إنشاء إقليم منفصل للشعب البلوشي على أساس الإثنية والثقافة والجغرافيا واللغة[1]. كما هدف إلى إنشاء نظام سياسي جمهوري فيدرالي في الدولة مع المساواة في الحقوق والحكم الذاتي الإقليمي الشامل للوحدات المكونة؛ وإدماج جميع المناطق البلوشية في بلوشستان في إقليم مستقل حيث تكون اللغة البلوشية هي اللغة الرسمية[2].

وخلال حياة ولايات بلوشستان المتحدة (1951–1954)، تم القيام بالقليل من أجل التنمية الاقتصادية. وفي ظل مخطط الوحدة الواحدة، تم إنهاء الحكم الذاتي المحلي الذي تتمتع به الخانية مرة أخرى. وكان يقابل معارضة السياسيين البلوش والسنود والپتان، دعم من رعاة باكستان في واشنطن. حيث كان ينظر إلى هذه الخطة على أنها وسيلة لتقوية الدولة الباكستانية، التي يمكن أن تكون بمثابة أقوى حلقة في سلسلة معاداة الشيوعية العالمية[3]. فأصبحت باكستان جزءاً من الاستراتيجية الغربية لتطويق الاتحاد السوفياتي مع قواعد عسكرية وجوية في أوائل خمسينيات القرن العشرين. ووقعت البلاد اتفاقية تقديم الدفاع المشترك في مايو عام 1954، وانضمت إلى معاهدة منظمة جنوب شرق آسيا (SEATO) في سبتمبر عام 1954، وحلف بغداد (لاحقاً منظمة الحلف المركزي، السينتو – CENTO) في فبراير 1955.

زاد حل ولايات بلوشستان المتحدة المخاوف الباكستانية من ردة فعل البلوش على مخطط الوحدة الواحدة. ولمنع الاحتجاجات على أسباب قانونية، قدمت الحكومة «اتفاقية جديدة للضم»[4]. وأعرب خان كلات تحت ضغط من قبل المركز،

(1) Gul Khan Nasir, Baluchistan Kadlm aur Jadid Tarikh ki Roshani men, Quetta: Nisa Traders, 1982, pp. 337-38.
(2) Baluchi Dunya, Multan, June-July 1973, p. 19.
(3) S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 139.
(4) Ibid.

عن دعمه لخطة الإدماج في الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1954. وقال آغا نصير خان أحمد زئي حول هذا الموضوع، في محادثة مع وزير المحكمة: «وقع الخان الاتفاقية تحت الإكراه، وتنكر لدعمه في وقت لاحق»[1]. وفي الواقع دعم الخان لخطة الادماج أعلن من جانب الحكومة في الثالث من يناير عام 1955[2]. حيث أثار تأخر الإعلان عن دعم الخان تكهنات بأنه لم يوافق بملء إرادته.

وقيل إن الخان كان مأموراً أن يأتي إلى كراچي في ديسمبر عام 1954، لمناقشة الخطة مع وزير الولايات والمناطق الحدودية. ولدى وصوله إلى الوزارة في كراچي طلب منه التوقيع على صك الضم. فامتثل الخان للتعليمات قبل خروجه من القاعة[3].

في الثلاثين من نوفمبر عام 1956، انضمت ستة أحزاب سياسية قومية وشكلت معاً في اجتماع عقد في لاهور حزباً سياسياً جديداً، هو حزب باكستان القومي. وشمل الذين حضروا أُستمان گل (حزب الشعب) من بلوشستان، و«حزب آزاد باكستان» من البنجاب، و«خدائى خدمتگار» (القمصان الحمر) لعبد الغفار خان من إقليم الحدود، و«حزب عوامي» لجي. ام. سيد من السند، و«لجنة سنده هاري» لحيدر بكش خان جتوئي، و«ورور پشتون» لعبد الصمد اچكزي. وكان الهدف الرئيسي للحزب المنشأ حديثاً، معارضة خطة الوحدة الواحدة، لأنه، وفقاً للحزب، أشعرت هذه الخطة الأقاليم الأصغر بأنها «قد حرمت من حقوقها الدستورية، والوطنية والاقتصادية». وطالب حزب باكستان القومي بحل مجلس إقليم باكستان الغربية، وبالحكم الذاتي الإقليمي. وفي عام 1957، انضم مولانا بَشاني من رابطة عوامي في باكستان الشرقية إلى الحزب الجديد، وتم تغيير اسم الحزب، إلى حزب عوامي القومي، المعروف عموماً بـNAP[*][4].

حدد حزب عوامي القومي أهدافه الرئيسية كما يلي: 1 ـ الدفاع عن سيادة وسلامة واستقلال باكستان. 2 ـ سياسة خارجية مستقلة وغير منحازة. 3 ـ وضع حد

(1) مقابلة مع آغا نصير خان أحمد زئي.
(2) Lawrence Ziring, The Subcontinent in World Politics, p. 338.
(3) Ibid.
(*) National Awami Party.
(4) Gul Khan Nasir, Balochistan Kadim aur Jadid Tarikh ki Roshani men, p. 339.

لاستغلال باكستان خارجياً وشعبها داخلياً. 4 ـ إلغاء الوحدة الواحدة وإعادة تنظيم الأقاليم على أساس لغوي. 5 ـ الحق في التصويت لكل مواطن بالغ[1]. كما طالب بيان حزب عوامي القومي المعلن في يوليو عام 1965، أن يكون نظام الحكم في البلاد طبقاً لمفهوم سيادة الشعب. ودعا الحزب إلى الحكم الذاتي الكامل للأقاليم ضمن بنية فيدرالية يترك فيها الدفاع وشؤون الخارجية والعملة فقط للحكومة الفيدرالية، بينما تكون الحقائب الأخرى من مسؤولية الوحدات المحكومة ذاتياً. ويجب استبدال الوحدة الواحدة في باكستان الغربية ليحل محلها «فيدرالية إقليمية»، بحيث لا يمكن لإقليم أن يهيمن على الآخر على أساس عدد سكانه»، وهي إشارة واضحة إلى البنجاب، التي طغت قوتها العددية على جميع الأقاليم الأخرى في الجناح الغربي. وبالنسبة للشؤون الخارجية، طالب البيان بعدم الانحياز والانسحاب من الأحلاف العسكرية[2].

وبالتالي أثر في القوميين البلوش موقف حزب عوامي القومي حول الحكم الذاتي الإقليمي، وجعل أنشطتهم ضمن نطاق المعارضة السياسية في باكستان، وأدى إلى إقامة العلاقات القومية الإقليمية والتقدمية، التي ظلت في وضع حرج من قبل النخبة الراسخة؛ وكما أنها قدمت قناة رسمية للجماعات اليسارية للتعبير عن وجهة نظرها البديلة حول كيف يجب أن تكون الدولة الباكستانية.

كانت ستينيات القرن العشرين فترة حاسمة جداً بالنسبة إلى القومية البلوشية. وكانت ردة فعل باكستان هي بتنحية السردارات التقليديين واستبدالهم بمؤيديها الخاصين. فأظهر البلوش استياءهم من الحكومة عن طريق قتل السردارات الذين اختارتهم باكستان[3]. وأدت هذه الأحداث إلى فتح مواجهة بين البلوش والمركز، مما ألهب الشعور الانفصالي[4]. وكانت هذه الفترة هي الفترة التي أدرك فيها الطلاب البلوش ضرورة إنشاء منظمتهم الخاصة. ففي عام 1967، تشكلت منظمة الطلبة البلوش

---

(1) Ibid.

(2) National Awami Party (NAP), The Manifesto of National Awami Party of Pakistan, Karachi: Anjuman Press, n.d., p. 5.

(3) اغتال رجال القبائل دودا خان أحد أعمام خير بكش مَري، وكرم خان مينگل، عم والد عطاء الله مينگل، انظر Pakistan Progressive, Vol. III, No. III and IV December 1980, p. 33. وفي أبريل عام 1963، قتل السردار المعين من قبل الحكومة المركزية، كرم خان، بعد عشرة أيام من ترشيحه.

(4) مقابلة مع عبد الغفار نديم، وزير التعليم السابق في بلوشستان.

(BSO)(*). وظهرت الصحافة البلوشية على نطاق لم يسبق له مثيل. ووحدت اللغة البلوشية جزئياً من خلال البرنامج الإذاعي، بَلوُچي، الذي كان يبث في كل من إيران وباكستان، وجزئياً من خلال الأكاديميات التعليمية والجمعيات المنشأة حديثاً. وفي رأي البروفسور عزيز محمد بُگتي، كان من الصعب فهم لهجات اللغة البلوشية المختلفة قبل ستينيات القرن العشرين. ولكونه متحدثاً بالبلوشية الشرقية، رأى البروفسور عزيز محمد بُگتي «أنهم لم يفهموا اللهجة البلوشية الغربية بشكل صحيح حتى ستينيات القرن العشرين، كما يفهمونها اليوم»[1]. ويبدو أنه منذ هذا الوقت أصبحت البلوشية متجانسة أكثر ويتحدث بها على نحو مشترك.

في عام 1969، حل يحيى خان بقادة البلوش، محل أيوب خان. ومع رحيل أيوب خان، أطلق سراح قادة البلوش وانسحب الجيش. والتقى يحيى خان بقادة البلوش، عطاء الله مينگل، وأكبر بُگتي، وخير بكش مَري. ووافق الحاكم العسكري الجديد على سحب خطة الوحدة الواحدة، وإنشاء إقليم بلوشستان الموحد، وإجراء الانتخابات الحرة في البلد، وبذلك توقف إطلاق النار بين مقاتلي حرب العصابات البلوش والجيش الباكستاني[2]. وتشكل استعادة بلوشستان باعتبارها إقليماً موحداً إنجازاً كبيراً للقوميين البلوش.

بلوشستان الغربية: نهاية الحكومات

مثل بلوشستان الشرقية، استغرق الأمر فترة طويلة في عملية مماثلة في بلوشستان الغربية (إيران)، لتصبح إقليماً كاملاً في عام 1959. وكما نوقش في الفصل الثالث، فقبل الاحتلال الفارسي في عام 1928، تم تقسيم بلوشستان الغربية إلى عدة وحدات سياسية وإدارية دُعيت حكومات[3]. وبعد وفاة مير نصير خان الكبير (1795)، أصبح

(*) Baloch Students Organisation.

(1) مقابلة مع البروفسور عزيز محمد بُگتي.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 29-33.

(3) المنطقة التي تحكم بهاكُم (حاكم) دعيت حكومت. وقبل عام 1928، كانت بلوشستان الغربية مقسمة إلى عدة حكومات، وهي بمپور، وديزَك، ومَگس، ورِگه، وجاشك أو جاسك، وكَسَرگَند، وباهو ـ دشتياري.

لمَكُران وسَرهَد هويات سياسية منفصلة. وفي أوائل القرن العشرين احتل البريطانيون سَرهَد، وظلت المنطقة تحت النفوذ البريطاني حتى مغادرتهم المنطقة في عام 1948[1]، بينما مَكُران مع «حكوماتها» المتعددة بقيت فيدرالية شبه مستقلة، برئاسة بمپور[2]. ومع الغزو الفارسي وضم بلوشستان الغربية في عام 1928، تعطلت عملية تقوية السلطة المركزية أو إنهاء التنظيم القبلي، التي بدأها مير دوست محمد خان. وبعد سنوات من الحرب، وخصوصاً مع قبائل سَرهَد، عزز الفرس وضعهم في بلوشستان الغربية حتى نهاية ثلاثينيات القرن العشرين. وفي عام 1937، أعلنت بلوشستان كحكومة، ودعيت «حكومة مَكُران»، وسميت لاحقاً «حكومة بلوشستان»[3]. وكانت حكومة بلوشستان سياسياً وإدارياً، واقعة تحت سيطرة الإقليم العاشر، وهو كِرمان.

وكما ذكر سابقاً، في منتصف القرن التاسع عشر، اجتاحت القوات الفارسية بلوشستان الغربية. وبعد مختلف المعارك الحامية الوطيس مع البلوش، انسحبت القوات الفارسية المتعبة والنصف مهزومة، والمضغوطة أيضاً بالثورات والانتفاضات داخل فارس، من بلوشستان إلى إقليمهم في عام 1907، ولكن بقيت الادعاءات الفارسية على الأراضي البلوشية[4]. في عام 1905، عندما أصبحت فارس لأول مرة ملكية دستورية، واعترف مجلس الشورى الأول (البرلمان) بالدولة ككيان يتألف من خمس إيالات/ أقاليم منفصلة، بما في ذلك بلوشستان[5]. وكانت الأربع الأخرى هي أذربيجان، وفارس، وكِرمان، وخراسان. ولكن عملياً لم تكن بلوشستان تحت النفوذ الفارسي في الربع الأول من القرن العشرين.

---

(1) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 355-56.

(2) N. P. Grant, «Journal of a Route through the Western Part of Mekran», pp. 329-340.

(3) Hossein Ali Razm-Ara, Joahrafiya-e Nezami Shahrestan-ha-e Marzi, p. 97; مقابلة مع أمير حسين خان خزيمه علم الذي كان أول حاكم عام على بلوشستان في 1939 ـ 1940.

(4) أدت المطالبة الفارسية بالأراضي البلوشية إلى تشكيل لجنة مشتركة في عام 1870 لتسوية الحدود التي على فارس أن لا تتقدم شرقها. وعندما أعلنت نتائج اللجنة، اعترض عليها المسؤولون البريطانيون أيضاً لأسباب مختلفة. ولاحظ الكولونيل هولديتش أنه بالكاد يمكنه الموافقة على الادعاءات حول الحدود من نقطة إلى نقطة، التي انتهت منها اللجنة الفارسية ـ البلوشية. لمزيد من التفاصيل انظر، Government of Pakistan, The Frontier of Pakistan, Karachi: The NationalPublishing House, 1971, p. 205.

(5) Mehrdad Arfah-Zadeh, 188-Payeqah-e Mardom-Salari, Paris, 1376/1998, p. 24.

وعلاوة على ذلك، لم يعترف حاكم بمپور (بلوشستان)، بهرام خان بالمجلس الإيراني وسبق أن رفض إرسال أي ممثل إلى طهران. وبالتالي، لم يكن هناك أي ممثل في المجلس الإيراني من بلوشستان عام 1905. بل كان ذلك في عام 1935، حيث انتخب أول بلوشي ليكون ممثل بلوشستان، مُراد خان ريگي، في المجلس العاشر. وتجدر الاشارة إلى أن بعض القوميين الفرس يدعون أنه قبل احتلال بلوشستان الغربية في عام 1928، كان لبلوشستان ممثل في المجلس الإيراني عام 1922. ويشيرون إلى سيد حسن خان نَرماشيري، ممثل بَم، كرمان. ووفقاً للكاتب الفارسي، جعفر مهدينيا، أرسل حاكم بمپور، مير بهرام خان، المدعو سيد حسن خان نَرماشيري، إلى مجلس الشورى الرابع، ليمثل بلوشستان[1].

غير أن أكبر باركزئي رفض بشدة في محادثة معه حول هذا الموضوع، وجود التمثيل البلوشي في المجلس الإيراني في عام 1922، ووصفه بأنه زعم فارسي لا أساس له، لتبرير الاحتلال والضم الجبري لأرض البلوش على يد رضا شاه في 1928[2]. وهناك عدة أسباب لدى البلوش ليعتبروا هذا ادعاءً باطلاً. فالمرة الأولى، التي افتتح فيها مجلس الشورى الرابع كان عام 1922، في عهد دوست محمد خان، وليس في عهد بهرام خان كما قال مهدينيا. وقد أعلن مير دوست محمد خان بالفعل نفسه، «شاهِ بَلُوچِسْتان» (ملك بلوشستان)، ولم يعترف بالسلطة الفارسية. ثانياً، لم يكن حسن خان نَرماشيري ينتمي إلى بلوشستان، ولكن إلى كرمان، وكان أيضاً ممثل تلك المنطقة. ثالثاً، وكما نوقش في الفصل الثالث، كانت بلوشستان الغربية، وحتى نهاية عشرينيات القرن العشرين، تناضل ضد الفرس والبريطانيين للحفاظ على استقلالها[3].

قدم رضا شاه في عام 1937، تنظيماً سياسياً جديداً، ووفقاً له تنقسم إيران سياسياً وإدارياً إلى عشر استانات أو أقاليم. وتم تقسيم كل استان إلى عدد من الشَهرستانات (يماثل التقسيم في بلوشستان الباكستانية). وكان كل شَهرستان ينقسم إلى بخش واحد أو أكثر؛ وكل بخش بدوره، ينقسم إلى دهستان واحد أو أكثر؛ وكل دهستان يضم عدداً

---

(1) Jafar Mehdinia, Nakhost Waziran Iran, No 4: Zendagi-e Seyasi-e Syed Ziauddin Tabatabai. Tehran, 1369/1991, p. 605.

(2) مقابلة مع أكبر باركزئي.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر، Jafar Mehdinia, Nakhost Waziran Iran, No 4: Zendaoi-e Seyasi-e Sved Ziauddin Tabatabai. p. 605.

من البلدات والقرى الصغيرة. وبالإضافة إلى ذلك، تم تشكيل وحدة إدارية أصغر معروفة باسم فرمانداري كُل، على درجة أقل من ذاك الذي للأُستان[1]. وعلى نحو مقارن، فمنذ عام 1970، وبلوشستان الشرقية تضم ستة تقسيمات إدارية، وهي كويتا، وسيبي، وكلات، ومَكُران، ولورالاي، ونصير آباد. وبالإضافة إلى ذلك، فكل قسم يتكون من عدة مناطق. وعلى الرغم من الخطة المذكورة أعلاه، كانت تشكل بلوشستان الإيرانية رسمياً أُستاناً نظامياً (إقليماً عسكرياً) في عام 1937[2]. وفي عام 1939، ولأول مرة، عينت حكومة رضا شاه، أمير حسين خزيمة علم، حاكماً عاماً على بلوشستان[3].

مع الغزو الأنجلو الروسي للبلاد، وتنازل رضا شاه القسري عام 1940، فقدت الحكومة المركزية السيطرة موقتاً على المنطقة بسبب ما تلا ذلك من تفكك القوات المسلحة الإيرانية، وفي الوقت ذاته ثورة البلوش، والأحداث التي عطلت عملية إدماج بلوشستان بإيران خلال الحرب. أعاد نجل رضا شاه وخليفته، محمد رضا شاه، السلطة المركزية بعد الحرب العالمية الثانية، وشرع في سياسة أكثر صرامة في تطبيق الإدماج، الذي استمر في التقدم حتى سقوطه في عام 1979[4].

اتبع الشاه سياسة متشددة وقاسية تجاه البلوش، هدفت إلى خنق أي تعبير عن الهوية البلوشية، خوفاً من أن تؤثر حركة بلوشستان الكبرى النامية في باكستان في البلوش في إيران. حيث كان عازماً على الخصوص على منع نمو نخبة بلوشية مثقفة ومسيسة. وبتقييده التعليم بحدة في المناطق البلوشية، منع استخدام اللغة البلوشية في المدارس القليلة التي تعلم بها الطلاب البلوش، وجعل استخدام اللغة الفارسية إلزامياً. وفرض على الطلبة البلوش بقوة استخدام كتب التاريخ المدرسية، التي وصفت البلوش بأنهم فرس في الأصل العرقي، وحظر استخدام اللغة البلوشية في المكاتب الحكومية. وإضافة إلى ذلك، جعل نشر أو توزيع أو حتى حيازة كتب أو مجلات أو صحف باللغة

(1) Dr. KazemVadiei, Moghaddameh-i bar Joqhrafiya-e Iran, (An Introduction to the Geography of Iran), Tehran, 1974, p. 194.

(2) Hossein Ali Razm-Ara, Joqhrafiya-e Nezami Shahrestan-ha-e Marzi, p. 97.

(3) مقابلة مع أمير حسين خان خزيمه علم؛ c.f. Pirouz Mojtahed-Zadeh, The Amirs of Borderlands and Eastern Iranian Borders, pp. 195-96.

(4) E. Jansson, Pakistan and Indien 1947-83, p. 39.

البلوشية جريمة جنائية، وهذا الحظر قلص ولكنه لم يخنق تماماً تدفق المطبوعات السرية من باكستان[1].

في عام 1959، كانت بلوشستان، في ظل حكم محمد رضا شاه، تنقسم إدارياً إلى ثلاثة أجزاء رئيسية منفصلة، وهذه هي الحال منذ ذلك الحين. فأُلحق الجزء الشمالي بالإقليم المجاور والناطق بالفارسية، كِرمان. وأُلحق أقصى الجزء الغربي بالإقليم العام للموانئ والسواحل، الذي أصبح لاحقاً إقليماً كاملاً يدعى أُستان ساحلي (الإقليم الساحلي)، وهو في الوقت الحاضر يعرف باسم إقليم هُرمُزگان. أما الجزء الثالث والأكبر فشكل «أُستان سيستان وبَلوُچستان» (إقليم سيستان وبلوشستان). وهو يغطي مئة وواحداً وثمانين ألفاً وخمسمئة وسبعة ثمانين كيلومتراً مربعاً، وهو بذلك هو في حد ذاته ثاني أكبر إقليم بعد خراسان[*]. وهو مقسم إلى سبعة شهرستانات (مناطق أو نواحٍ)، وهي مدينة زاهدان (عاصمة الإقليم)، إيرانشهر (بَهره)، وسراوان (ديزك)، ونيكشهر (گِه)، وميناء چابهار، وخاش، وسيستان. ويبدو أن سياسة تقسيم وتخصيص أجزاء كبيرة من بلوشستان الغربية للأقاليم المجاورة الناطقة بالفارسية، تهدف إلى تسريع عملية الإدماج في إطار الآليات المدنية والعسكرية الإيرانية، مما يسهل اندماجها في الدولة[2].

في بداية سبعينيات القرن العشرين، تم تقسيم إيران إلى واحد وعشرين إقليماً، بما في ذلك بلوشستان. وبموجب مرسوم ملكي، عين أُستاندار (حاكم عام) لإدارة الإقليم[3]. ولم يعين بلوشي واحد في هذا المنصب طوال العهد البهلوي. في الواقع، كان أول حاكم عام بلوشي هو الدكتور دانش ناروئي، الذي عين مباشرة بعد ثورة عام 1979، وهو منصب شغله لمدة تقل عن سنة[4].

كانت ثورة داد شاه بَلوُچ على ما يبدو أهم حدث في خلال حكم البهلوي

(1) Brian Spooner, Baluchistan: Geography, History, and Ethnology, p. 620; E. Jansson, Pakistan and Indien 1947-83, p. 39.

(*) حالياً إقليم سيستان وبلوشستان هو الأكبر مساحة في إيران، بعد تقسيم إقليم خراسان إلى خراسان رضوي وخراسان شمالي وخراسان جنوبي في عام 2004.

(2) Shah Mohammad Marri, Baloch Qaum, p. 295.

(3) Iran Yearbook 1977, Tehran, 1977, p. 47.

(4) مقابلة مع الدكتور دانش ناروئي.

الثاني، محمد رضا شاه، الذي عززت ثورته العواطف القومية البلوشية في كل من إيران وباكستان. بدأ داد شاه بأنشطته الثورية في مطلع عام 1944 من خلال مهاجمة مواقع الحكومة ومضايقة المسؤولين الإيرانيين بغارات متكررة. وبحلول عام 1957، جذبت العديد من أحداث ثورة داد شاه الاهتمام العالمي. وأهمها هي حين كمن داد شاه لقافلة، في الرابع والعشرين من مارس عام 1957، مما أسفر عن مقتل جنديين أمريكيين مسؤولين عن المساعدات العسكرية، وكما قتل مقاول أمريكي وإيرانيان في الهجوم كانوا في سيارات متوجهين إلى چابهار، وهي مدينة ذات ميناء على ساحل مَكُران[1].

من ثم اتسع نطاق حركة داد شاه، وتغير طابعها بشكل جذري. واستقطبت حركته للقضية البلوشية اهتمام القوميين والقوى المناهضة للإمبريالية في المنطقة. ومع ذلك، كان قتل الأميركيين غير مقصود[2]. وأخذ داد شاه ورجاله سيارة الجيب، لاحتوائها على جنود الفرس، الگجر[3]. وقدمت تغطية بارزة لهذا الحدث في الصحافة الغربية التي عَرَفَت العالم الخارجي على استياء البلوش من الحكومة الإيرانية للمرة الأولى منذ عقود عديدة. واعتبرها الفرس إهانة كبيرة لهم. فاستقال رئيس مجلس الوزراء، حسين علاء ووضع الشاه مكافأة قدرها عشرة آلاف دولار على رأس كل مقاتل من مقاتلي داد شاه أحياء أو أمواتاً[4]. وبدأت عملية عسكرية للقوات الإيرانية على نطاق غير مسبوق بالاشتراك مع القوات الباكستانية، واستمرت لمدة عشرة أشهر تقريباً بعد عمليات قتل المسؤولين الأميركيين. لم يواجه داد شاه بنجاح هذا الوضع فقط، ولكن أيضاً حشد حوله المزيد من الرجال لمحاربة العدو.

في مارس عام 1957، شنت القوات المسلحة الإيرانية هجوماً كثيفاً على معقل داد شاه، اهوران. ونتيجة لذلك، أصيب عدد من رجاله، وقتل ابنه الأصغر، كمال. ولتجنب المزيد من عمليات الجيش والدرك، دخل شقيقه الأكبر، أحمد شاه مع النساء والأطفال وكبار السن من أفراد القبيلة، منطقة باكستانية[*] مجاورة في بلوشستان الشرقية، وطلب اللجوء في ذلك البلد. ومع ذلك، ألقت السلطات الباكستانية القبض

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 104.
(2) Ibid.
(3) يشير البلوش دائماً إلى الفرس سواء إلى المفرد أو إلى الجمع بالگجر.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 104.
(*) هي منطقة مَنْد بمَكُران الشرقية، حيث قبضت عليهم السلطات الباكستانية بالتعاون مع مخبرين محليين (مقابلة مع جمعة خان بلوج).

عليهم وسلمتهم إلى إيران في وقت لاحق من العام نفسه، على الرغم من عدم وجود معاهدة لتسليم المجرمين بين البلدين[1].

في عام 1957، قام جمعة خان، وهو من القوميين البلوش، بشجب تسليم أحمد شاه باعتباره انتهاكاً لحقوق الإنسان، ونظم حركة احتجاج بلوشية قوية في باكستان، أخذت بسرعة وبشكل واسع إيحاءات قومية[2]. وقد أثار قضية أحمد شاه في المحكمة العليا في باكستان. ومع أن المحكمة العليا أصدرت بياناً لمصلحة أحمد شاه، لكن وكما هو مبين أعلاه، فإن الحكومة الباكستانية سلمته إلى السلطات الإيرانية[3].

خرج القوميون البلوش في إثر ذلك احتجاجاً على هذا الإجراء من جانب الحكومة الباكستانية، في المدن الكبرى من باكستان مثل كويتا وكراچي. وتعاطف مع داد شاه حتى البلوش من البنجاب والسند الداخلية[4]. ورأت الجماهير البلوشية فيه رمزاً لـ«البلوشي الحقيقي» الذي أيد رمز الشرف والفضائل العسكرية البلوشية ضد الگجر، وقد أصبح يضرب به المثل لدرجة أن كل شخص اعتبر نفسه داد شاه محتملاً. وأجله القوميون «كزعيم قومي رفع علم الثورة» و«قدم تضحيات كبيرة في سبيل الاستقلال، ومن أجل إيقاظ الأمة البلوشية، ومحاربة الامبريالية»[5]. ونعتته بَلوُچي الشهرية، كراچي، في عددها الصادر في مارس عام 1958، باعتباره واحداً من أعظم الأبطال البلوش الذين ضحوا بحياتهم من أجل القضية العظيمة[6]. ووفقاً لهاريسون، «كانت حداثة داد شاه، هي أول مرة حاول فيها زعيم بلوشي حشد المشاعر القومية في كل من باكستان وإيران حول قضية ذات اهتمام مشترك تحت راية بلوشستان الكبرى»[*][7].

(1) Ibid., p. 105.
(2) Azim Shahbakhsh, Pozhuheshi dar Tarikh-e Maaser-e Balochistan, Shiraz, 1373/1995, p. 161.
(3) لمزيد من التفاصيل انظر، Ibid., pp. 114-116.
(4) مقابلة مع البروفسور علي محمد شاهين.
(5) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 105.
(6) Monthly Balochi, Karachi, March 1958.
(*) يعود الفضل في التعريف بقضية داد شاه في بلوشستان الشرقية إلى المناضل جمعة خان، الذي حشد الدعم الجماهيري لنصرة قضية داد شاه وعائلته، وهو بذلك أول زعيم بلوشي يحشد المشاعر القومية في بلوشستان بأسرها في إطار راية بلوشستان الكبرى، (مقابلة مع جمعة خان).
(7) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 105.

ولكونهم غير قادرين على قمع نشاطاته، اعتمد الفرس مرة أخرى على أساليب الغدر من خلال التفاوض مع داد شاه. ولكن خلال المفاوضات في عام 1958، قتله عملاء الحكومة الإيرانية. وكانت ثورة داد شاه محفزة لإيقاظ الوعي القومي للبلوش وإحياء شعورهم بالفخر. ووفقاً لمؤلف بژوهشي در تاريخ معاصر بلوچستان (بحث في التاريخ المعاصر لبلوشستان)، عظيم شاه بكش، جمعت قضية داد شاه لأول مرة المجتمع البلوشي كله معاً، بعد تقسيم بلوشستان في دول مختلفة (باكستان وإيران وأفغانستان)[1]. وقال الناشط السياسي البلوشي السابق من كراچي، أكبر باركزئي، «عندما ألقي القبض على شقيق داد شاه، أحمد شاه من قبل الجيش الباكستاني، أيدناه، لأنه كان بلوشياً»[2].

أول عمل قام به نظام أيوب خان لإقامة علاقات وثيقة مع شاه إيران هو معاقبة أنصار داد شاه. هكذا، وبعد فترة وجيزة من الأحكام العرفية في عام 1958، فر جمعة خان إلى دبي[3]. وببقائه في دبي، واصل جمعة خان نشاطاته القومية من هناك. وبتشجيع من المعارضة البلوشية في بلوشستان الإيرانية، حول مركز نشاطه إلى بغداد في عام 1964[*]. وبتأييد من الحكومة العراقية، نُظمت المعارضة البلوشية

(1) Azim Shahbakhsh, Pozhuheshi dar Tarikh-e Maaser-e Balochistan, p. 161.

(2) مقابلة مع أكبر باركزئي.

(3) Abdul Samad Amiri, «Chest o Eyr», in: Monthly Balochi, Quetta, Feb. 2001, p. 17.

(*) الصحيح في هذه الوقائع هو ما يلي: أثناء عمل جمعة خان كُلانچي بلوچ في محطة الإذاعة بكراچي التي كان ينشر من خلالها أخبار الشعب البلوشي، تم اتهامه زوراً بنشر مقال في صحيفة The Times of India، تبين انتهاكات الدولة الباكستانية لحقوق الإنسان في بلوشستان. وكذلك تم اتهامه لمعارضته بيع سلطنة عُمان منطقة گوادر لباكستان، حيث طالب بإجراء استفتاء لكي يقرر سكانها مصيرهم. فغادر على إثر ذلك إلى إمارة الشارقة في عام 1959 وبقي بها حتى 1964. وفي خلال اجتماع عقده في 1963، مع عدد من زعماء القبائل الذين لجاءوا إليه لمساعدتهم في استخراج الجوازات لأداء الحج، وهم عبدي خان سَردار زئي، وإسلام خان، ومحمود وعلم خان مُباركي، وسيد محمد شاه رضا كَسَركَندي، وجان محمد وميرزا أبناء بركت، قال جمعة خان لهم «أنتم من أمةٍ أفرادها بالملايين، ولستم بحاجة إلى جوازات غيركم في الوقت الذي لكم وطنٌ عليكم تحريره، حيث تكونون أنتم سادته»، فاتفقوا على المضي قدماً لهذا الهدف. فغادر جمعة خان بعدها إلى الكويت في 1964، بدعوة من مير عبدي خان العائد من الحج، وحينها اعتقل ثلاثة عشر من علماء الدين البلوش أثناء عودتهم من الحج في عابدان بتهمة الاجتماع بجمعة خان. فاتجه جمعة خان إلى السفارة الإيرانية، وقام بتهديد السفير لإطلاق سراحهم، وإلا سوف يقوم أتباعه بحرق السفارات الإيرانية، فاستجاب السفير متخوفاً من الدعم المصري الذي سمع به للأهواز وبلوشستان، وتم تحريرهم. وبعدها حاولت السلطات الإيرانية دفع نظريتها الكويتية لاعتقاله. =

في المنفى وخصوصاً في دول الخليج تحت اسم «جبهة تحرير بلوشستان» (BLF)[1](*).

سجلت جبهة تحرير بلوشستان نجاحاً كبيراً عندما جذبت دعم أحد أشهر زعماء القبائل المعروفين في بلوشستان الإيرانية، وهو مير عبدي خان سردار زئي[2]. في أواخر خمسينيات القرن العشرين، اشتبك مير عبدي خان، عند مطالبته بمزيد من الحكم الذاتي، مع الحكومة الإيرانية. وأيده في ذلك علي خان نقدي من بِنت، وهُوُت إبراهيم من كوچو، والعديد من السردارات الأقل شأناً[3]. هاجمت قوات الدرك الإيراني معقله في دشتياري، وكَسَركَند وسَرباز. فقتل الكثير من البلوش بينهم هُوُت إبراهيم والزعيم الشهير محمد شيرهان، وهزم عبدي خان ولكنه لم يخضع للإرادة الإيرانية[4].

وللاحتجاج على الفظائع الفارسية في بلوشستان، ذهب مير عبدي خان إلى

= فحاول المغادرة إلى العراق التي كانت تحت حكم عبد السلام عارف الجميلي، ولكن تعلل وكيل وزارة الخارجية العراقي عبد الحسين الجمالي في منحه تأشيرة الدخول بسبب التخوف على علاقات العراق بإيران وباكستان. فغادر بعد دعوته من قبل الدولة المصرية إلى القاهرة، حيث التقى بعض المسؤولين الذين وعدوه بالدعم. ولكن بعد عرض القضية البلوشية في جامعة الدول العربية، أجابه سيد نوفل الأمين العام المساعد للشؤون السياسية في الجامعة العربية، بأن هناك دولاً عربية رفضت طرح القضية البلوشية. وقد علم لاحقاً من الأجهزة المصرية بأن السعودية والأردن رفضتا طرحها في جدول الأعمال بينما وافقت السودان والجزائر وغيرها. وبعد لقاء جمعة خان بالسيد سامي الجندي من الوفد السوري، والذي أبدى استعداداً لدعمه، غادر إلى دمشق في 1965، وبقي بها حتى 1968. وبعد الانقلاب في العراق أرسل برقية تهنئة لأحمد حسن البكر. ثم جاء صلاح عُمر العلي عضو قيادة قطرية في حزب البعث إلى سوريا لفتح مكتب لجبهة التحرير العربية، والتقى بسبب تلك البرقية بجمعة خان، وعرض عليه الانتقال للعراق للعمل ضد العدو المشترك إيران، ومنحه الدعم المطلوب، والذي لم يجده في سوريا بسبب الاضطرابات السياسية. فنقل جمع خان نشاطاته رسمياً إلى العراق في 1969. وكان ناشطاً حتى 1974، حيث سجن بعدها لمدة مئة يوم بسبب محاولة انقلاب فاشلة قام بها مدير الامن، والذي كان على صلة به، وبعدها بقي ببيته في بغداد حتى عام 1979 تحت الإقامة الجبرية، ثم عاد لنشاطه القومي قبيل الثورة الإيرانية. (مقابلة مع جمعة خان).

(1) مقابلة مع يوسف نسكنتي.

(*) Balochistan Liberation Front.

(2) Ibid.

(3) A. B. Adenag, Salarani Karawan, no detail, 1999, p. 260.

(4) Ibid.

منفاه الاختياري في دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1963[1]. وبعد انقلاب حزب البعث عام 1968 في العراق، حصل عبدي خان على دعم الدولة العراقية، التي أنشأت له مكتباً في بغداد. ومنذ ذلك الحين، بث القوميون البلوش باللغة البلوشية من بغداد إلى بلوشستان الإيرانية، وجالوا بانتظام في مشيخات الخليج، يستقطبون المهاجرين والعمال البلوش تحت لواء بلوشستان الكبرى. وانضم العديد من المثقفين البلوش، مثل عبدالصمد أميري، وعبدالرشيد أميري، وأكبر باركزئي، ورحيم زَردكوهي ويار محمد بَلوُج (بي وطن)، وفي أواخر عام 1971، انضم موسى خان مُباركي إلى الحركة.

نَظمت المليشيا البلوشية المسلحة تسليحاً خفيفاً، هجمات على وحدات الجيش الإيراني باسم الجبهة. ولكنه كان تحديداً مير عبدي خان هو من أعطى الحركة مسحة من الشرعية التي افتقرت إليها في السابق، ليس في بلوشستان الإيرانية نفسها فحسب، بل أيضاً في نظر المتعاطفين معها وأنصارها خارج إيران، وخصوصاً في العالم العربي. وصرح الشاعر القومي عزيز الله بَلوُج، «أراد عبدي خان الاستقلال، وقد قام بتدويل القضية البلوشية»[2]. غير أنه مع الاتفاق بين إيران والعراق في عام 1975، الذي حرم الكورد العراقيين من دعم الشاه، سحب العراقيون من جانبهم أيضاً المساعدة للمعارضين البلوش، واستعمالهم لوسائل الإعلام الدعائية وصل إلى نهاية مفاجئة[3].

شرعت الحكومة الإيرانية المركزية، بالإضافة إلى الضغط العسكري والإغراءات الاقتصادية، في سياسة العفو العام لثوار البلوش الذين يلقون أسلحتهم، واعدةً إياهم بفرص العمل والإعانات كذلك. وحقق هذا البرنامج نجاحاً كبيراً، خصوصاً بعد أن استعمل السافاك (اختصار: سازمان امنيت واطلاعات كشور: منظمة المخابرات والأمن القومي) وسطاء لإقناع مير عبدي خان بالعودة من المنفى في العراق في عام 1971[4]. لكن، وكما ذكر سابقاً، جاءت الضربة القاضية للحركة نتيجة لإنهاء العراق دعمه في أعقاب اتفاق الجزائر الموقع بين الشاه وصدام حسين في عام 1975. وبناءً

(1) Abdul SamadAmiri, «Chest o Eyr», in: Monthly Balochi, Quetta, Feb. 2001, p. 18.
(2) A. B. Adenag, Salarani Karawan, no detail, 1999, p. 260.
(3) مقابلة مع عبد الصمد أميري.
(4) Abdul Samad Amiri, «Chest o Eyr», in: Monthly Balochi, Quetta, Feb. 2001, p. 19.

على ذلك، لم تفقد جبهة تحرير بلوشستان قاعدتها الخارجية للدعم فحسب، ولكن أيضاً أجبر قادتها على مغادرة بغداد وطلب ملاذ في غيرها من دول الخليج العربية. وفي نهاية المطاف، تم اعتقال عبد الصمد أميري، وهو زعيم قومي بارز، وتم تسليمه إلى إيران بواسطة السافاك[*]. وتم اغتيال شقيقه عبد الرشيد أميري وابنه في بغداد[1]. وبسبب تهديدهم بالقتل، غادر اثنان آخران من القادة القوميين البارزين، وهما أكبر باركزئي، وقادر بكش نظاماني إلى لندن.

أثبت قمع هذه الحركة الثورية الصغيرة فعاليته. فلم يكن هناك نشاط سياسي منظم في بلوشستان الإيرانية في السنوات الأخيرة من حكم الشاه[2]. إذ أبقت شرطة الشاه السرية (السافاك) وقوات الدرك المنطقة تحت السيطرة المحكمة. وعلاوة على ذلك، سمح الازدهار الاقتصادي في سبعينيات القرن العشرين، للدولة بتوظيف قطاع هام من السكان، وبهذا تمت تهدئة الاستياء الشعبي. وكما ارتفعت رواتب المعلمين وموظفي الخدمة المدنية إلى حد كبير، وازدهر القطاع الخاص كثيراً.

كان لنشاط جبهة تحرير بلوشستان تأثير كبير في الحركة القومية البلوشية في إيران، على الرغم من أن ثقل الشاه العسكري والضغوط الاقتصادية مجتمعة كانا عائقاً كبيراً أمامها. فكان استخدام الجبهة للبرامج الإذاعية باللغة البلوشية فعالاً، إن لم يكن أكثر من ذلك، وكما ساهمت الحرب العصابية التي شاركت فيها في رفع مستوى الوعي القومي البلوشي. ثانياً، أعطى ظهور جبهة تحرير بلوشستان مسألة البلوش وبلوشستان طابعاً ملحاً جديداً في إيران، وبالتالي أجبر الحكومة المركزية على عكس سياسة

(*) تم ذلك بعد مغادرته بغداد، حيث توجه عبد الغني ابن مير مَندو پشيني بأمر من موسى خان مُباركي لقتل عبد الصمد أميري، ولكنه لم يجده، ووجد ابنه، عبد الغني أميري (في السادسة عشر من عمره) فقام بطعنه وقتله، بتاريخ 24/ 7/ 1974. ثم توجه عبد الصمد أميري مع عائلته في أغسطس عام 1974 إلى دولة خليجية واستقر بها. ثم انتقل إلى أخرى مجاورة، وهي بدورها تعاونت مع السافاك وسلمته له في 1975. وفي عام 1976 قتل أخيه عبد الرشيد أميري (عمره في منتصف العشرينيات) خنقاً على يد موسى خان مُباركي، والذي قام بتقطيعه ودفنه قرب ضفة النهر. وتم القبض على كل من عبد الغني ابن مير مَندو، وموسى خان مُباركي. واعترف موسى خان في محاكمته بأنه عميل للسافاك، بعدما وجد في صندوقه مراسلات مع وزير البلاط الإيراني أسد الله علم، وتمت محاكمته وإعدامه في بغداد. وأطلق سراح عبد الصمد أميري قبيل الثورة الإيرانية. (مقابلة مع جمعة خان، وعبد الصمد أميري).
(1) مقابلة مع عبد الصمد أميري.
(2) Hamid Ahmadi, Qaumiyyat wa Oaumgarai dar Iran: Az Afsaneh ta Waqiyyat, p. 118.

الإهمال الاقتصادي والاجتماعي تجاه البلوش، الذي كانت تمارسه منذ فترة طويلة[1]. وفي مناقشة مع الصحافي الأميركي، هاريسون، اعترف رئيس الوزراء السابق لدى الشاه، عباس هويدا، «لو لم يكن بسبب الاتحاد السوفياتي وأصدقائه في العراق، لما أعطينا هذه الأهمية المبالغ فيها لهذا الجزء الصغير من سكاننا»[2]. وأخيراً، نجحت جبهة تحرير بلوشستان في الحصول على درجة محدودة من الدعم الدولي والاعتراف بالحركة البلوشية على الرغم من أنه كان مقتصراً على الجهات العربية الراديكالية[3].

كتبت الجبهة الشعبية[*] منتقدة موقف الفرس تجاه القضية البلوشية، في مايو عام 1973: «لقد تعلمنا أنه ناهيك عن النظام الاقطاعي الملكي، فحتى التقدميون الفرس، يرفضون حقنا في الحكم الذاتي»[4]. وطبقاً للجبهة الشعبية، فحتى حزب توده (الحزب الشيوعي لإيران) لا يمكنه تحمل سماع أي ذكر للاضطهاد القومي من قبل طهران[5]. وقد دعمت وجهة النظر هذه من قبل المراقبين الآخرين. فعلى سبيل المثال، في عام 1979، كتب رتشارد كوتام الخبير البارز في موضوع القومية الفارسية، أن معظم «الإيرانيين» الليبراليين، وهذا يعني هنا الفرس، يحبذون حظر المنشورات غير الفارسية في الدولة[6].

وعلى الرغم من ذلك، حدد حزب توده في عام 1952، سياسته تجاه «المسألة القومية» التي يحتذى بها مباشرة بالنموذج السوفياتي، الذي دعم حق البلوش والأقليات القومية الأخرى في تقرير المصير دائماً، «من المفروض على التقدميين في كل أنحاء إيران العمل معاً من أجل الإطاحة بالإقطاع والإمبريالية اللذين تسيطر عليهما طهران». وكان هناك حفنة من المتعاطفين مع حزب توده بين البلوش الإيرانيين، وبعضهم انضم إلى مجموعة ترعاها توده في بغداد والمعروفة باسم «الجبهة الوطنية للشعوب الإيرانية». بقيادة الجنرال السابق في الجيش الإيراني محمود پناهيان، وهو تركي من

(1) Ibid.
(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 159.
(3) Ibid., pp. 106-107.
(*) People's Front.
(4) People's Front, May 1973, p. 4.
(5) Ibid.
(6) W. Richard Cottam, Nationalism in Iran, p. 32.

أذربيجان، ولم تدافع هذه المجموعة عن مظالم البلوش فحسب ولكن أيضاً عن الأذربيجانيين، والكورد، والعرب في خوزستان. ونشرت مجلتها الخاصة، راه اتحاد (طريق الوحدة)، باللغات العربية والكوردية والفارسية والتركية والبلوشية، وبثت إذاعتها الخاصة بهذه اللغات[1].

من خلال تركيز النار على طهران، كانت القيادات العراقية قادرة على اقناع جبهة محمود پناهيان الوطنية والقوميين البلوش بتجنب الصراع فيما بينهما. ولكن كانت الفروق عميقة الجذور بين الجماعتين[2]. حيث دعا الفرع البلوشي في تحالف پناهيان، في برنامجه السياسي نفسه، «حزب بلوشستان الديموقراطي»، ودعا إلى «حكومة ديموقراطية قومية» في بلوشستان التي من شأنها أن تكون عنصراً إقليمياً في «إيران فيدرالية واشتراكية». وطالب بإعادة ترسيم حدود الأقاليم في إيران على أساس لغوي، والحق في استخدام اللغة البلوشية كلغة للتعليم في المدارس. غير أن البرنامج تجنب الحديث عما ما إذا كان ينبغي للحزب السعي لذلك سلمياً أو من خلال الكفاح المسلح[3]. وعلى العكس من ذلك، كان القوميون البلوش يصرون على أن السبيل الوحيد لتحرير بلادهم هو من خلال الكفاح المسلح، وبالتالي، رفضوا المساومة والحلول السياسية[4].

الأيرَنَة أو التفريس

إن إيران دولة مبنية على القومية الفارسية، والأقليات القومية مثل الأتراك، والبلوش، والكورد، وغيرها في ظل هذه النزعة القومية؛ ليست غير ممثلة على قدم المساواة في الدولة فحسب، ولكن يتم باستمرار تذويبها في قومية الدولة؛ وهذا يعني عملياً «القومية الفارسية». عند إدماج بلوشستان الغربية في عام 1928، بدأت الحكومة عملية إدماجها في الدولة الإيرانية. وتحت تأثير ألمانيا النازية، بدأ رضا شاه بحركة الأيرنة. وفي عام 1937، أسفرت هذه السياسة الجديدة على النحو المشار إليه سابقاً عن

(1) مقابلة مع يوسف نسكنتي.
(2) Ibid.
(3) Political Program of the Democratic Party of Balochistan, in Mahmud Panahiyan, Farhang Joghrafiya-e Milli Balochistan Iran, Baghdad, 1971, pp. 8, 11, 15-19.
(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», PhD. Thesis, The American university, 1984, pp. 194-195.

التقسيم الإداري لإيران إلى عشرة أُستانات (أقاليم) بهدف تقسيم وتقويض الأمم غير الفارسية. وأسقطت رسمياً أسماء الأقاليم مثل بَلوُچستان من الاستخدام. واعتمدت حكومة رضا شاه، على الجيش في إدارتها لبلوشستان. وكان سبب ذلك أن الجيش هو من أنجز إدماج بلوشستان، وأيضاً هو من مهدَ الطريق للتقدم التدريجي للبيروقراطية المدنية في المنطقة. ولهذا الغرض، كان على الجيش تهدئة سلسلة من الثورات القبلية المتعاقبة، التي استمرت حتى عام 1938 من أجل تأمين سيطرته الخاصة على المنطقة[1].

جمعت الملكية البهلوية بين العنف الشديد مع الدعاية الممنهجة من أجل بناء دولة إيران القومية، وذلك يعني أن تكون أمة واحدة، ولغة واحدة، ودولة مركزية واحدة. فكرياً، قامت الدولة البهلوية بنشر العنصرية والأساطير الشوفينية القومية في وسائل الاعلام التي تتحكم فيها الدولة، وفي المؤسسات التعليمية (التي كلها مملوكة للدولة)، وفي الدوائر الحكومية. وأعلنت أن «الإيرانيين» هم «نژاد اصيل آريايى» (من الجنس الآري الأصيل) مفتخرةً بحضارة عمرها ألفان وخمسمائة سنة. وكانت القوة الإمبراطورية هي حجر الزاوية في هذه الحضارة القديمة، التي قيل أنها امتدت من مصر إلى الهند. فتم تمجيد الماضي ما قبل الإسلامي المرتبط بالثقافة الفارسية ودينها الزرادشتي، في حين تم ذم الثقافة ما بعد الإسلامية، والمتجذرة في اللغة والتقاليد العربية. وأعلن أن الهيمنة التركية والعربية على إيران في الماضي البعيد هي العقبة الرئيسية أمام استمرارية الامبراطورية الفارسية المجيدة[2].

رفضت هذه الأيديولوجيا العنصرية التنوع القومي واللغوي والثقافي لإيران. وقد وصفت التركية والكوردية والبلوشية وغيرها من اللغات بأنها «لهجات محلية» للفارسية. ووصفت ثقافة الشعوب غير الفارسية (على سبيل المثال، الرقص والملابس والموسيقى والطعام) بأنها أيضاً أصناف محلي (محلية) أو عشائري (قبلية) من الثقافة «الإيرانية»، والمقصود في هذه الحال الثقافة الفارسية. واعتادت أدوات الدولة وخصوصاً النظام التعليمي ووسائل الإعلام تفريس ما هو غير فارسي[3]. وذهب بعض

(1) M.G. Pikulin, Baloch, pp. 194-95.

(2) Ali Reza Ardbili, «Dad-Nameh-e Azerbaijan», in: Tribune, Solna, No. 4, Winter 1999, pp. 270-72.

(3) Ibid., pp. 276-82.

أنصار القومية الفارسية مثل محمود أفشار، حتى إلى حد المطالبة بالقضاء على التنوع اللغوي في إيران باقتلاع القوميات غيرالناطقة بالفارسية من أوطانها وتشتيتها في الأجزاء الأخرى من إيران[1].

في عام 1935، استبدل نظام رضا شاه كلمة «فارس» بكلمة «إيران» في المستندات الرسمية (على سبيل المثال، المراسلات الدبلوماسية في اللغات الأوروبية، وجوازات السفر، والطوابع)، وأبلغ الحكومات الأخرى بالتغيير[2]. ومع ذلك، لم يكن احترام الشعوب غير الفارسية الدافع وراء هذا الإجراء. فعلى العكس من ذلك، ففي بلد قام بإدماج غير الفرس قسراً في الكيان الفارسي، لم يمكن أن يكون «الإيراني»، والفارسي إلا مترادفين تامين. وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم ملت إيران (الأمة الإيرانية) وضع خلال الثورة الدستورية (1905-1906)، للمرة الأولى في تاريخ فارس[3].

لا يمكن أن يتحقق بناء الدولة القومية في بلد متعدد القوميات حيث تشكل القومية المهيمنة ما لا يزيد على الخمسين في المائة من السكان، من دون تدمير الهوية القومية واللغوية للشعوب غير الفارسية[4]. فأدارت الدولة البهلوية، خصوصاً في ظل رضا شاه، إبادة جماعية وإبادة للثقافة الإثنية وإبادة لغوية من أجل تفريس غير الفرس[5]. ومنع منعاً باتاً استخدام اللغات الأخرى غير الفارسية للأغراض الأدبية وكذلك للاستعمال الرسمي في أوطانهم المعنية. وكما أشارت أيدن نابي، كان يدرس التاريخ الفارسي فقط على أنه التاريخ «الإيراني»، وليس تاريخ الجماعات القومية الأخرى أبداً. ولم يتساهل مع وجود أي أنشطة أو مؤسسات ثقافية بين غير

(1) Mahmud Afshar, «The Problem of Nationalism and the Unity of Iran», in: Ayandeh, Spring 1927, pp. 566-67. See also Ziya Sadr, Kasrat-e Qaumi wa Huwiyat-e Milli-e Iranian, Tehran: Andishah-e Now, 1377/1998, p. 62.

(2) Mo'assesa-e Tahqiqat Strategic America, Tarh-e Strategic America dar Bareh-e Iran wa Khawar Mayaneh, London, 1987, p. 29.

(3) Ervand Abrahimian, Iran Between Two Revolutions, New Jersey: Princeton University Press, 1982, p. 82.

(4) يشكل الفرس خمسة وأربعين في المئة من سكان إيران. لمزيد من التفاصيل، Ingvar Svanberg, "Etniska och sprakliga minoriteter i Iran", in: Hans Backman (ed.), Inte barashi'a, Stockholm: Gildlunds, 1992, p. 109.

(5) لتعريف الإبادة الجماعية، انظر اتفاقية نص الإبادة الجماعية للأمم المتحدة عام 1948، in Kuper Leo, International Action Against Genocide, London:Minority Rights Group, Report No. 53, revised edn.

الفرس[1]. وفي هذا الصدد، قسمت كل منطقة من المناطق الإثنية إلى عدة أجزاء، تم إدماجها في أقاليم مختلفة في فترات مختلفة. فعلى سبيل المثال، في فترة محمد رضا شاه، تم تقسيم كوردستان إلى ثلاثة أجزاء وكان كل جزء يمثل إقليماً منفصلاً، وهي كوردستان، وكِرمانشاه، وأذربيجان الغربية، في حين تم تقسيم أذربيجان نفسها أيضاً نصفياً إلى غربية وشرقية وكل منها يشكل إقليماً مستقلاً. وكذلك كان الحال في بلوشستان.

اتبع الشاه سياسة تهدف إلى القضاء على الهوية القومية البلوشية. فكان يحاول دون تردد تفريس كل جانب من جوانب المجتمع البلوشي، وفقاً لعضو البرلمان الإيراني السابق، محمد خان مير لاشاري[2]. وكما ذكر من قبل، اتخذ استيعاب البلوش في إيران أشكالاً مختلفة، وكان يمارس على مختلف المستويات. فكان هناك تجنيد إلزامي لشباب البلوش في الجيش الإيراني. وكانت هذه التدابير صارمة لأن البلوش كرهوا الجيش الفارسي. غير أنه، وعلى الرغم من جميع الصعوبات، تمكن البلوش من الحفاظ على هويتهم المنفصلة. واعتبر البهلويون تشبث البلوش بمميزات ثقافتهم تهديداً لبناء ملت إيران (الأمة الإيرانية) على أساس القومية واللغة والهوية الثقافية الفارسية[3].

ولاستئصال وجود ذات الهوية البلوشية، استبدل الفرس الأسماء التاريخية للمدن والمناطق البلوشية المهمة بأسماء فارسية. وهكذا، أصبحت دُزآپ، وپَهره، وگِه، ومَگَس، وديزَك، على التوالي، زاهدان، وإيرانشهر، ونيكشَهر، وزابُلي[*]، وداورپناه. وضموا المناطق الحدودية المختلطة إثنياً، حيث للبلوش سكان يقدر عددهم بثلاثمائة ألف نسمة، إلى الأقاليم المجاورة مثل كِرمان وخراسان[4]. وعلاوة على ذلك، فإن سياسة تقويض البلوش سياسياً وتقسيمهم تم تعزيزها بالهجرة المنتظمة للمستوطنين الفرس، الذين اشتروا وصادروا الأراضي والأعمال

(1) Eden Naby, «The Iranian Frontier Nationalities», pp. 72-79, 83-110.

(2) مقابلة مع محمد خان مير لاشاري.

(3) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», PhD. Thesis, The American university, 1984.

(*) تم تغيير اسم زابُلي في عام 2011 إلى مِهرستان.

(4) مقابلة مع صدر شير علي ناروئي.

البلوشية بدعم من البيروقراطية التي يهيمن عليها الفرس وقوات الدرك. وبحلول عام 1978، شكل المهاجرون الفرس نحو أربعين في المائة من السكان البالغ عددهم خمسة وسبعين ألفاً في العاصمة الإقليمية زاهدان. ويعتقد أن ما يقدر بمئة وخمسين ألف بلوشي هاجروا من إيران في عهد الشاه إلى المشيخات العربية عبر الخليج[1]. ومن المهم ملاحظة أن بيانات التعداد الإيراني لا تعكس طبيعة الدولة غير المتجانسة إثنياً. وبدلاً من ذلك تستخدم التسميات الدينية للتأكيد على تجانسها الاسلامي، وبالتالي تحرف طبيعة البلاد المتعددة الأعراق. ولذا، ليس هناك بيانات دقيقة عن مختلف الجماعات الإثنية في إيران[2].

أجرى جيش رضا شاه العديد من العمليات من أجل إدماج القوميات، وقمع طرائق الحياة القبلية والبدوية. ولكن لم ينجح في اجتثاث الهوية الإثنية للقوميات، وبدلاً من ذلك، هيج لهيب القمع النزعة القومية، وخصوصاً في أذربيجان وكوردستان وبلوشستان. وبعد عزل رضا شاه، هدأت الأعمال القمعية بين1941 و 1953، ولكن سياساته في بناء الأمة تواصل العمل بها حتى سقوط السلالة[3].

تحت حكم محمد رضا شاه، أظهرت السلطة المركزية نفسها في بلوشستان بشكل رئيسي في شكل آليات عسكرية وإدارية على مدار الوقت مدارة بإحكام من طهران. وعزز هذا إلى حد ما، ولا سيما بعد عام 1963، تنفيذ ما اعتبره الشاه الثورة البيضاء، التي حاول بها ادخال الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[4]. وكان محور الثورة البيضاء تفكيك الملكيات الكبيرة وتوزيع الأراضي على الفلاحين الفقراء؛ ولكن كان يجب توجيه الموارد البشرية والمادية الواسعة لتحرير المرأة ومحو

(1) مقابلة مع عيد محمد كورد وعبد الصمد أميري. غير أن محمد حسن حسينبور يعتقد أن هناك ما يقدر عدده بثلاثمئة وأربعين ألف بلوشي يعيشون في دول الخليج العربية في نهاية سبعينيات القرن العشرين، انظر،

M. H.Hosseinbor, «Iran and its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», p. 294.

(2) Eden Naby, «The Iranian Frontier Nationalities», pp. 72-79, 83-110.

(3) W. Richard Cottam, Nationalism in Iran, pp. 98,102, 115.

(4) بدأ الشاه وسط ضجة كبيرة برنامجاً من ست نقاط عرف باسم الثورة البيضاء. بالإضافة إلى توزيع الأراضي، دعت النقاط الست لتأميم الغابات، وبيع مصانع الدولة لأصحاب المشاريع الخاصة، ومشاركة عمال الصناعة في الأرباح، وتوسيع حق التصويت للنساء، وإنشاء فرق محو الأمية في المناطق الريفية. ولإضفاء الشرعية على «الثورة» قام الشاه بتنظيم استفتاء وطني. ووفقاً للحكومة، في يناير عام 1963، أيد تسعة وتسعون فاصل تسعة في المائة من الناخبين برنامج الست نقاط للإصلاح.

الأمية والصحة وغيرها من برامج الرعاية الاجتماعية والتنمية[1]. ومع ذلك، وفيما يتعلق بسيستان وبلوشستان، لم يظهر النظام الملكي أي علامة على اهتمامه بتشجيع تعبير أوسع عن الذات الثقافية أو السياسية بين البلوش، حتى للنوع الذي يقبل في باكستان. وعلى العكس من ذلك، كانت استجابة طهران في سبعينيات القرن العشرين للاضطرابات في الجانب الآخر من الحدود لقمع لغة البلوش وملبسهم أو أي تعبير آخر عن الهوية البلوشية بقوة أكبر من ذي قبل[2].

كانت الفترة بين نهاية الحرب العالمية الثانية والثورة الإيرانية في التاريخ الإيراني فترة مضطربة. فقد عصفت رياح التغيير بالدولة الإيرانية: من انقلاب مصدق، والانقلاب المضاد عام 1953، وثورة الشاه البيضاء، إلى صعود المعارضة الدينية. في حين أن هذه الأحداث كانت تجري في طهران، ولكنها كانت تنعكس بشكل محدود على بلوشستان الإيرانية. غير أن الثورة الإيرانية، كانت أهم الأحداث التي أثرت في المجتمع البلوشي. ففي حين أنها كانت في المقام الأول ظاهرة حضرية تتركز في (ولكن لا تقتصر على) طهران، شاركت الطبقة المثقفة البلوشية على هامش الصراع. وعندما أطيح بالنظام الملكي وتولى الخميني السلطة في إيران، كان هناك ابتهاج في جميع أنحاء بلوشستان. إذ أدت تصريحات الخميني أثناء وجوده في المنفى عن الطبيعة الديمقراطية لنظامه المقترح إلى أن يعتقد العديد من المثقفين البلوش أنه سيكون متعاطفاً مع مطالب البلوش بالحكم الذاتي.

مثل البلوش الإيرانيين، تلقى البلوش في أفغانستان أقل درجات الاهتمام من الحكومة المركزية. وكان الأثر الرئيسي في حياتهم هو مشروع هلمند الذي بدأ في عام 1948، واستمر بأشكال مختلفة حتى نهاية نظام محمد داود في عام 1978، وكان هدف المشروع إيجاد تدفق مستمر للماء من الخارج إلى ذلك الجزء المعزول من البلاد[3]. وكان إعلان الحكومة الأفغانية من أجل «پختونستان» مستوحاة من فكرة استعادة الحكم الأفغاني على المناطق التي خسرها لخانية كلات والبريطانيون. ووفقاً لسيد محمد شيرانزئي، وهو مسؤول حكومي سابق في مقاطعة نيمروز، فحتى نهاية سبعينيات القرن

(1) Nationalencyklopedin (nionde bandet), Hoganas: Bokforlaget Bra Bocker AB, 1992, p. 561.
(2) Selig S. Harrison, «Nightmare in Baluchistan», p. 155-56.
(3) مقابلة مع رسول راهين.

العشرين، شعر البلوش في أفغانستان بانتمائهم إلى إخوتهم في إيران وباكستان أكثر من بقية أفغانستان[1].

الثورة الثانية: القومية تخطو قُدماً

بدأت الجولة الثانية من المواجهات بين البلوش وباكستان خلال السنوات الأولى لنظام أيوب خان (1958–1969). فمع إدماج ولايات بلوشستان المتحدة في إقليم غرب باكستان عام 1955، نما الشعور بالإهمال والحرمان وأصبح أكثر عمقاً وحِدة[2]. وكانت ردة فعل قادة البلوش فورية بتنظيم معارضة علنية في تحدٍ للحظر المفروض على الأنشطة السياسية.

حشد الخان تظاهرات واسعة النطاق ضد خطة الوحدة الواحدة من خلال الزعماء القبليين المنضوين تحت حكمه السابق؛ لإحياء مطالبته في عام 1947 باستعادة كلات للمناطق البلوشية التي أخذها البريطانيون. وفي أكتوبر عام 1957، خرج جمع غفير من القيادات البلوشية في كراچي، شارك فيه أربعة وأربعون سرداراً، ومنهم سردارات البلوش في ديره غازي خان والسند. وطالب الاجتماع الذي ترأسه خان كلات، مير أحمد يار خان، بإلغاء نظام الوحدة الواحدة واستعادة وضع كلات الأصلي[3]. ويقال أن الخان خلال ذلك الوقت رفع علم كلات القديم على قصره[4]. ومع ذلك، فإن المعارضة الرئيسية لخطة الوحدة الواحدة قادها أُستمان گل، ولاحقاً خليفته، حزب عوامي القومي (NAP).

في السابع من أكتوبر عام 1958، أبطل الرئيس ميرزا والجنرال أيوب خان الدستور، وحلا الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية، كما حلا الجمعيات التأسيسية والإقليمية، وحظرا جميع الأحزاب السياسية، وأعلنا الأحكام العرفية. ومع ذلك، يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن في السادس من أكتوبر، قبل يوم واحد من إعلان الأحكام العرفية، شن الجيش الباكستاني هجوماً على بلوشستان بسبب التحرك الثوري

(1) Syed Mohammed Shiranzai, «Baloch-ha-e Afghanistan», unpublished, September 1999.
(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 340.
(3) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 172.
(4) Sherbaz Khan Mazari, A Journey to Disillusionment, Karachi: Oxford University Press, 1999, p. 83.

في بلوشستان الهادف إلى حق تقرير المصير[1]. ووصف خان كلات العمل العسكري بالكلمات التالية:

سلمت نفسي إلى الجيش الذي طاف بي يستعرض قوته على طرق وشوارع كلات. وشاهدت العديد من رجال يسقطون قتلى على الأرض بالقصف العشوائي للجيش ... وعندما رآني شعبي هرع مع عيون دامعة تجاهي لتوديعي، ولكن تم فتح النار عليه. أغلقت عيني معذباً، ولم أعرف شيئاً عما حدث هناك حتى وجدت نفسي في سجن لاهور[2].

وهكذا ألقوا القبض على الخان ومستشاريه، وصادروا ممتلكاته، واعتقلوا حوالى ثلاثمائة من قادة البلوش في أجزاء أخرى من بلوشستان. واتهموا آغا عبد الكريم، شقيق الخان، بالتعاون مع أفغانستان لتشكيل قوة قبلية من ثمانين ألف رجل للتمرد والتآمر ضد الحكومة المركزية. وصف الخان الذي شاهد الحادثة كاملة بأنها ذريعة ملفقة لإعلان الأحكام العرفية من قبل حكومة الجنرال أيوب خان العسكري في أكتوبر من عام 1958، ونفى بشدة هذه الاتهامات[3]. وكما لاحظ يونس صمد، قد بُيِّتت للجيش الباكستاني خطته للاستيلاء على السلطة في الخامس عشر من سبتمبر، أي قبل «تمرد خان كلات»[4].

أثارت حملة الجيش الباكستاني على بلوشستان وإلقاء القبض على الخان، الثورة البلوشية الرئيسية الثانية في أقل من عقد واحد. حيث كانت الأولى، كما ذكر من قبل، ثورة آغا عبد الكريم ضد ضم باكستان إلى بلوشستان في عام 1948[5]. ففي العاشر من أكتوبر عام 1958، بعد أربعة أيام من اعتقال الخان، تواجه الجيش مع اللَشكر (القوة القبلية) قرب وَدَه، حوالى 40 ميلاً إلى الجنوب من خُزدار، وحاولت قوات الجيش إيقاع الخسائر بالثوار، ولكن لم يمكنها كسر قوة الثوار. في الواقع اعترفوا بأنهم استمروا بالضرب أينما سنحت الفرصة.

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 202.
(2) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 183.
(3) Ibid., pp. 180-90.
(4) Yunas Samad, A Nation in Turmoil: Nationalism and Ethnicity in Pakistan, 1937-1958, New Delhi: Sage Publications, 1995, p. 196.
(5) Ahmad Salim, "Balochistan ke Awam Kabi Por-amn aur Kabi Mossallah Jadd ow Johd Kartey Rahey Hem", in: Monthly, Rastah, Lahore, July 1990, p. 8.

من هذه النقطة فصاعداً أصبحت القومية البلوشية قوة لا يستهان بها. وانتشرت الحركة في المقام الأول في قرى جَهلاوان ونظم رجال القبائل من خلال الاتحاد بموقف قومي حازم. وحينها برز الزعيم المثار بتفجير منزله ومصادرة ممتلكاته، ذو التسعين عاماً، نوروز خان، زعيم قبيلة زِهري، الذي شارك سابقاً في سلسلة من الثورات المسلحة ضد البريطانيين في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، بوصفه زعيماً لقوة تمّ تجميعها بسرعة، ويبلغ عددها وفقاً لهاريسون، من سبعمئة وخمسين رجلاً إلى ألف رجل[1]. وبنمو روح الثورة، انضم إليه في الجبال، عدد من الفرق المقاتلة المتبعة لتكتيك حرب العصابات، وهي من مختلف القبائل. وسرعان ما انتشرت الثورة في جميع أنحاء جَهلاوان، وهي مقاطعة في كلات، وانهمك الجيش بشدة في تدابير مكافحة العصيان.

ردت الحكومة بقصف القرى ونشرت الإرهاب والذعر في المنطقة بأسرها. ولكن فشلت القوات في التصدي لأنشطة المدافعين. ومن أجل خداع زعيم الثورة، اجتمع مندوبو الحكومة بممثلي زعيم الثوار، وأقسموا على القرآن، كتاب المسلمين المقدس، أنه وإذا ما توقف عن القتال واستسلم للحكومة مع رفاقه، فإنه سوف يستقبل بشرف، وستجري مفاوضات سلام وسينظر في مطالب البلوش بتعاطف[2]. نوروز، وهو رجل بسيط وصريح، كما وصفه خان كلات، أحمد يارخان، لم يمكنه أن يتصور مثل هذه المخادعة بعد أداء المسؤولين الحكوميين القسم على القرآن الكريم. وعندما نزل الثوار من ملاجئهم في الجبال، حوصرت قيادتهم ووضعوا في الحجز. وتم ترحيلهم إلى معسكر كولي في كويتا. ونفت حكومة أيوب خان العسكرية، ومع ذلك، تقديم ضباطها مثل هذا الوعد[3].

حوكم نوروز خان وسبعة من رفاقه، بما في ذلك ابنه البكر، في حيدر آباد وحكم عليهم بالإعدام بتهمة الخيانة. وتم تخفيف حكم الإعدام على نوروز إلى السجن مدى الحياة بسبب عمره المتقدم[4]، حيث كان فوق التسعين عاماً في ذلك الوقت. وتوفي في أحد السجون الباكستانية عام 1964. بينما شنق، وَلي محمد زَركزئي، وغلام محمد

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 28.
(2) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 186.
(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 28.
(4) Ibid.

نيچاري، وسَبزل خان، ومَستي خان، وبهاوَل خان، وجمال خان، والنجل الأكبر لنوروز، مير بتي خان، في الخامس عشر من يوليو عام 1960 في سجون حيدر آباد وسكهر. بينما حكم على جلال خان زَركزئي، وباهَند خان، ومحمد عمر، ودِل مُراد، بالسجن مدى الحياة. وقد نقلت جثثهم إلى بلوشستان ودفنوا في مقبرة نصيري بكلات. وكان هناك حداد عام على الأرواح المزهقة. وقد استقبلت جثثهم بإجلال واحترام بالغين. وشارك الآلاف من الناس في مراسم الدفن في كلات[1].

هزت جريمة الجيش الباكستاني البشعة المجتمع البلوشي بأسره، ليس في بلوشستان فقط، ولكن حتى في مناطق بعيدة مثل السند والبنجاب. وفي هذا الصدد، قال الرئيس السابق للحزب الوطني الديمقراطي (NDP)، شيرباز خان مَزاري، من البنجاب، «كانت انتفاضة نوروز خان مصدر الالهام لمعظمنا، فلأول مرة أدركت أنها كانت كما أعتقد، بداية القومية البلوشية. وخلال هذا الوقت حاول الناس في كراچي ولاهور أن يبدوا مثل البلوش. فكانوا ينتعلون سَواس البلوش، (حذاء تقليدي)، وشذبوا اللحية على غرار النمط البلوشي، وارتدوا الثياب البلوشية. وأتذكر أنه في ذلك الوقت، ظهرت القضية البلوشية على الصعيد الدولي وانهارت الحواجز والحدود. ولأول مرة شعرت أن قضية البلوش كانت قضية دولية. فالآن، لم تقتصر على بلوشستان فقط. وكان هذا أول تعبير عن القومية البلوشية في السند والبنجاب. وما جعل البلوش يشعرون أن هذا الجيش ليس بجيشهم وإنما جيش غازٍ، أكثر من الوحدة الواحدة، هي الفظائع والقمع الذي ارتكبه الجيش، والقرى التي أحرقها، والناس الذين قتلهم بلا رحمة، ومصادرته المواشي وبيعها. أعتقد أنه في تلك الفترة، انتشرت روح بلوشستان وهويتها القومية، وتواصلت وصولاً إلى عهد بوتو»[2].

بمقارنته بآغا عبدالكريم، خاض نوروز خان في منطقة أوسع ضد الجيش وكان معه حوالى ألف إلى خمسة آلاف مقاتل[3]. وكانت مطالبه الرئيسية هي الإفراج عن الخان، والانسحاب من خطة الوحدة الواحدة. فردت الحكومة من خلال تعزيز وحدات الجيش وقصف القرى باشتباهها في إيوائها مسلحين. وفي نهاية الأمر، ومع عدم وجود بوادر

(1) مقابلة مع جاكر خان بَلوُج.
(2) مقابلة مع شيرباز خان مَزاري.
(3) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 357.

لانتهاء أعمال العنف في الأفق، اجتمع ممثلو الجيش مع المسلحين في بداية عام 1960 لمناقشة شروط السلام. وكما ذكر سابقاً، ووفقاً لمصادر باكستانية، لم يتم التوصل إلى أي اتفاق. ولكن في رواية القوميين، وافق نوروز خان ورجاله على إلقاء أسلحتهم في مقابل الانسحاب من مخطط الوحدة الواحدة وتعهد السلوك السلمي والعفو[1]. ومرة أخرى، وكما هو الحال بالنسبة للآغا عبد الكريم في عام 1948، أقسم ممثلو الجيش اليمين على القرآن الكريم بتعهدهم إعطاء الأمان والسلوك السلمي، لكن ومرة أخرى، امتهنوا هذا التعهد. وكانت أهمية هذه الأحداث للحركة القومية البلوشية مباشرة وملموسة. وكانت إحدى نتائجها نمو الشعور القومي بعمق أكبر والاعراب عنه بوضوح أكثر في الأدب السياسي الصادر في مطلع الستينيات، التي ظهر بها نوروز خان بطلاً مثالياً وصور البلوش بأنهم يتم استغلالهم من قبل قوى المركز المعادية للبلوش[2].

أمرت الحكومة بعد عمليات الاعدام بتكثيف عمليات الجيش. وفي هذه المرحلة انتقلت قيادة الثورة إلى أيدي الناشطين السياسيين، الذين أدانوا أعمال الجيش الوحشية ضد الشعب. وعشية زيارة أيوب خان لمدينة كويتا في أغسطس عام 1962، عقد اجتماع للنشطاء السياسيين، حذر فيه قادة البلوش أيوب خان من التفكير في حل عسكري لهذه القضية. فغضب الدكتاتور العسكري الباكستاني وفي جلسة علنية هدد البلوش «بجعلهم ينقرضون تماماً» إذا واصلوا المقاومة[3]. وخلافاً لهذا التهديد، زادت منذ مطلع ستينيات القرن العشرين،أنشطة حرب العصابات في مناطق جَهلاوان ومَري. وفي عام 1963، بدأت مجموعة من القوميين البلوش يرأسها شير محمد مَري، البلوشي الرائد في استراتيجيات الحرب غير النظامية، والرجل الذي كان قد سبق له أن سجن لمدة أربع عشرة سنة للأنشطة التحريضية، بوضع البنية التنظيمية التحتية لحركة پَراري بغية شن حرب عصابات شاملة لدعم المطالبة البلوشية بانسحاب الجيش الباكستاني من بلوشستان، وإلغاء خطة الوحدة الواحدة، واستعادة بلوشستان كإقليم موحد[4].

ولد شير محمد مَري، المعروف أيضاً باسم جنرال شيروف، في عام 1924 في

(1) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 186.
(2) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 132-34.
(3) Mir Ahmad Yar Khan Baluch, Inside Baluchistan, p. 189.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan Shadow, p. 28.

كوهلو، وهي منطقة نائية في بلوشستان. وتلقى تعليمه في سيبي وانخرط في السياسة عام 1945. أسس «حزب مظلوم» (حزب المضطهدين) في المناطق القبلية بجبال سليمان، وكان يهدف إلى معارضة النظام السرداري ودعم استقلال بلوشستان[1]. وفي عام 1963، وكما ذكر آنفاً، نظم شير محمد مَري حركة بَراري. وكان قائداً «الفرقتين، وهما الشمالية والجنوبية. وكانت قيادة منطقة مَري-بُگتي الشمالية، تحت إشرافه الشخصي. وكان يعاونه فيها مير هزار رَمخاني المسؤول عن التجنيد والتدريب[2]. وكان علي محمد مينگل يتولى القيادة الجنوبية في منطقة جَهلاوان[3]. وكانت تتألف قوى كل من الفريقين من أربعمائة رجل. وكان بإمكانهم أيضاً استدعاء المئات من جنود الاحتياط بإشعار قصير[4].

في بداية عام 1968، ضرب الجيش بقيادة اللواء تكاخان، «البَراري». فأبدى شير محمد مَري مقاومة شديدة. وفي غضون ذلك، اتخذت الحكومة بعض التدابير الإدارية لكسر قوة السردارات، وأبناء وأقارب السردارات، الذين من وجهة نظرها كانوا وراء ما يظهر أنها ثورة شعبية. وتم عزل زعماء القبائل البارزين، مثل أكبر بُگتي، وعطاء الله مينگل، وخير بَكش مَري من زعامتهم القبلية[5]. وعين حاكم باكستان الغربية أمير محمد خان كالاباغ غيرهم من الرجال في أماكنهم، ممن كانوا يميلون إلى الحكومة بشكل إيجابي. وفي هذا الصدد، لم يقم حتى البريطانيون بتغيير السردارات بهذه الطريقة التعسفية كما فعل كالاباغ. في عام 1963، اغتال رجال القبائل المعينون الجدد، وهم دودا خان، أحد أعمام خير بكش مَري، وكرم خان مينگل، عم والد عطاء الله مينگل[6]. وكان قتل الزعماء المرشحين هو لتقويض سلطة الحكومة. مما جعل البلوش يبدون متحدين الآن أكثر. وفي الواقع، خلقت العمليات العسكرية التي تدعمها القوات الجوية منهم مقاومين أشداء ومتمرسين[7]. واكتسبت حركة شير محمد

(1) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 282.
(2) Outlook, Vol. 2, No. 41 January 12 1975, p. 10.
(3) Ibid.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 30.
(5) Outlook, Vol. 1, No. 24,16 September 1972, p. 11.
(6) Pakistan Progressive, Vol. III, No. III, and IV December 1980, p. 33.
(7) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 33.

مَري زخماً، وبدأ الشباب البلوش من المراكز الحضرية بالانضمام إلى البَراري في الجبال. وأصبحت جبهة تحرير الشعب البلوشي (BPLF) أقوى من ذي قبل. ونشر البَراري ورقة أسبوعية سرية تسمى چنگاري (الشعلة)، باللغة البلوشية، والأوردية، والإنكليزية[1]. ويقال إن چنگاري اكتسبت رواجاً بين البنگاليين كما البلوش[2].

أعلنت الحركة في الچنگاري، أن هدفها النهائي هو أن يحصل البلوش على حق تقرير المصير، ولكن من دون أن تحدد مفهومه من حيث هل هو للحكم الذاتي أم الاستقلال. وأعلن شير محمد في مقابلة مع صحيفة الأخبار الدولية بعد عودته من كابول، «كان كفاحنا من أجل المساواة في الحقوق، وتشكيل الأقاليم على أسس قومية وعلى حق تقرير المصير والحكم الذاتي. كانت لدينا شكاوى ضد الوحدة الواحدة. . . ثم كانت هناك مؤامرة من قبل شاه إيران لتحويل البلوش إلى أقلية في وطنهم. فكانت هذه هي العوامل الرئيسية التي دفعتنا إلى اقتحام الجبال، وليس كحالمين بأحلام يقظة هاربين من الواقع، ولكننا ثوريون»[3]. البَراري، ومع ذلك، كانوا على تقارب ايديولوجي وثيق وصلات تنظيمية مع حزب عوامي القومي. وبما أن حزب عوامي القومي أعلن بشكل واضح أن هدفه هو حق البلوش بتقرير المصير ضمن باكستان «فيدرالية واشتراكية»، فيمكن للمرء أن يفترض أن البَراري قد قبل ضمناً موقف حزب عوامي القومي بشأن تقرير المصير، وهو الحكم الذاتي[4]. بين عام 1962 وعام 1969، تم اعتقال حوالى مئتين من قادة البلوش في كراچي وكويتا وكلات وغيرها من المناطق. ووجهت إليهم المحاكم اتهامات «بالتمرد» سجنوا في إثره في كويتا، ومَچ، وبولان، وغيرها[5].

وكان يعتقد أنه بحلول يوليو عام 1963 كان هناك حوالى عشرة معسكرات في منطقة مَري- بُگتي، التي أنشأها المقاتلون البلوش. وكما كانت الحال كذلك في الأقسام الفرعية بجَهلاوان وسَراوان. وأنشئت هذه المخيمات لغرض تقديم التدريب

(1) Outlook, Vol. 1, No. 24, 16 September 1972, p. 11.
(2) Ibid.
(3) مقابلة شير محمد مَري مع The News International, 3th-9th July 1992.
(4) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 296.
(5) Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the right of self-determination», in: W. Zingel (ed.), Pakistan in its Fourth Decade, Hamburg, 1983, p. 202.

للأفراد في تكتيكات حرب العصابات. وكان يقدر وجود ما يقرب من أربعمائة مقاتل متمرس في كل منطقة عدا المئات من الجنود الاحتياطيين المنظمين بشكل فضفاض. واشتبك المقاتلون مع الجيش الباكستاني على مساحة أربعة آلاف ميل مربع. وانقسمت قوات حرب العصابات في مجموعات يرأسها مغاوير، وتجنبوا المعارك الضارية، ولجأوا إلى إرهاق الجيش بغارات متكررة بأسلوب حرب العصابات الكلاسيكي. ونصبوا كمائن لمواكب الجيش ومهندسيه العاملين في بناء الطرق وصيانة أعمدة إشارات الاتصالات الهاتفية. فضرب الجيش مرة أخرى بقوة ولكنه لم يتمكن من متابعتهم في منطقة صعبة التضاريس، لأنه ليست لديه خبرة في مكافحة قوى حرب العصابات في منطقة جبلية. وعمل مغاوير حرب العصابات في نهاية المطاف بأنفسهم في تنظيم ودعم أنشطة القتال على نطاق واسع في منطقة واسعة ضد الحكومة الباكستانية.

تأثر پَراري شير محمد مَري بشدة بمفهوم «الحرب الشعبية» كما اختبرت في الجزائر وكوبا والصين وفيتنام. وأنشأ الپَراري تدريجياً شبكة من ثلاثة وعشرين مخيماً للقواعد في نقاط استراتيجية رئيسية بوسط وشرق بلوشستان(1). وبحلول عام 1969، وظفت هذه المخيمات قوة القيادة من تسعمائة ناشط عامل بدوام كامل مسؤول عن تنظيم وتدريب قوات الاحتياط، وإدارة المدارس والمرافق الطبية، والإمدادات اللوجستية في المناطق الخاضعة لسيطرتها. وبهذه البنية التحتية التنظيمية، كانوا قادرين على شن حرب غير نظامية للاستنزاف لمدة تسع سنوات، انتهت في عام 1969 عندما حل محل الجنرال يحيى خان، المشير أيوب خان كرئيس للحكومة. قام يحيى خان بالتفاوض مع الپَراري للتهادن من خلال الحاكم المعين على باكستان الغربية، المارشال الجوي نور خان(2).

في نوفمبر عام 1969، أعلن الجنرال يحيى خان تغييرين رئيسيين في النظام السياسي القادم. وكان أولهما هو الحل المقترح للوحدة الواحدة في باكستان الغربية. وكان الاعلان الرئيسي الآخر هو التزام النظام بمبدأ «رجل واحد صوت واحد». وجاء الأمر الأول في الإطار القانوني في الثلاثين من مارس عام 1970. وأنهى هذا الأمر

(1) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan, p. 197.

(2) Hashed Rahman, «The Rise and fall of Baloch Nationalism», in: The Quetta Times (Weekly), Quetta, October 27-November 2, 1997.

الوحدة الواحدة في غرب باكستان وأعاده إلى أربعة أقاليم هي البنجاب والسند والحدود وبلوشستان(1). وكما فعل أيضاً بحل «صيغة التكافؤ»(2). وفي هذا الإطار أجريت انتخابات عامة لأجل المجالس الوطنية والاقليمية في السابع والسابع عشر من ديسمبر عام 1970 على التوالي. وبالتالي، ومن خلال إلغاء نظام الوحدة الواحدة والسماح لأول انتخابات حرة، افتتح الجنرال يحيى خان الطريق لمحاولة جديدة لإيجاد حل فيدرالي لباكستان في ديسمبر عام 1970.

كان يمثل شرق باكستان التحدي الأكبر للنخبة الحاكمة في باكستان، البنجابيين. وقد تزعم شرق باكستان الشيخ مجيب الرحمن، زعيم حزب رابطة عوامي، الذي أصر على فيدرالية بموجبها يكون شرق باكستان مستقلاً فعلياً. وتصور حكومة فيدرالية من شأنها أن تتعامل مع الدفاع والخارجية فقط(3). وحتى العملات في هذه الفيدرالية تكون مختلفة، ولكن قابلة للتحويل بحرية. وكان برنامجه يروق الكثير في باكستان الشرقية، وفي انتخاب ديسمبر 1970 الذي دعا إليه يحيى، حقق مجيب، كما كان يسمى عموماً، فوزاً ساحقاً في باكستان الشرقية، وبهذا يفوز بغالبية واضحة في الجمعية الوطنية. فمن إجمالي ثلاثمئة وثلاثة عشر مقعداً في المجلس الوطني، فاز حزب رابطة عوامي بمئة وسبعة وستين مقعداً من أصل مئة وتسعة وستين في شرق باكستان، بينما فاز حزب بوتو، حزب الشعب الباكستاني بثمانية وثمانين مقعداً من أصل ما مجموعه مئة وأربعة عشر مقعداً في باكستان الغربية(4). وفي انتخابات مجالس الأقاليم اكتسح حزب رابطة

(1) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, p. 117.

(2) كان دستور باكستان لعام 1956 قائماً على صيغة تكافئية، يضمن تمثيلاً متساوياً في البرلمان لباكستان الشرقية والغربية.

(3) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 188.

(4) باتهام مُجيب بالسياسات الانفصالية، أجل يحيى في مارس عام 1971 إلى أجل غير مسمى، انعقاد الجمعية الوطنية. مُجيب في المقابل اتهم يحيى بإنشاء حكومة مستقلة فعلياً في غرب باكستان بالتواطؤ مع بوتو. قام يحيى بالتفاوض مع مُجيب في دكا بمنتصف مارس، ولكن سرعان ما فشلت المحاولة. اعتقل مُجيب الرحمن ونقل إلى غرب باكستان لمحاكمته على الخيانة. في هذه الأثناء ذهب الجيش الباكستاني لقتال مقاتلي الحرية البنگاليين، الذين طالبوا باستقلال باكستان الشرقية، كدولة بنگلاديش. لجأ قادة رابطة عوامي إلى كلكتا وشكلوا حكومة في المنفى. وتدخلت الهند أخيراً في الثالث من ديسمبر عام 1971، واستسلم الجيش الباكستاني بعد ثلاثة عشر يوماً. في العشرين من ديسمبر، تخلى يحيى عن السلطة لبوتو، وفي يناير عام 1972 أنشأت بنگلاديش حكومة مستقلة. وعندما اعترف الكومنولث ببنگلاديش لاحقاً في ذاك العام، سحبت باكستان عضويتها، ولم تعد حتى عام 1989. ومع ذلك، فإن حكومة بوتو منحت الاعتراف الدبلوماسي لبنگلاديش في عام 1974.

عوامي الانتخابات. وفاز في باكستان الغربية حزب الشعب الباكستاني بأغلبية كبيرة في البنجاب وجمعيات السند بينما في الإقليمين الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان كان حزب عوامي القومي وجمعية علماء الاسلام معاً هم الغالبية[1].

القومية البلوشية والپشتون

اكتسبت هوية البلوش الإثنية أهميتها، وفقاً للمؤرخ إيان تالبوت، في حقبة ما بعد الاستعمار بسبب التنافس في الموارد مع الپشتون[2]. ينظر القوميون البلوش إلى الپشتون في الإقليم كعنصر عدائي كثيراً ما هيمن على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للإقليم[3]. وجذور الخلافات بين البلوش والپشتون متأصلة في التاريخ. وكما ذكر سابقاً، قسم البريطانيون بلوشستان بعد احتلالها إلى بلوشستان البريطانية، التي تضمنت في معظمها المناطق الشمالية الشرقية المتحدثة بالپشتونية، ولأسباب استراتيجية بنيت فيها بنية تحتية حديثة نسبياً، في حين ظلت بلوشستان تحت حكم الخان متخلفة ومهملة. يعتقد تالبوت أنه «على الرغم من ذلك، كان الميراث الاستعماري للمنطقة هو تفضيل السكان الپشتون في المنافسة مع البلوش في الموارد والسلطة»[4]. ومع ذلك، فإن النضال المشترك ضد البنجاب في البرنامج السياسي لحزب عوامي القومي لم يمكنه أن يقلل من شكوك البلوش في أهداف الپشتون على المدى البعيد.

عندما أصبحت بلوشستان إقليماً كامل العضوية في عام 1970، اتسعت الخلافات بين المجتمعين. سيطر البلوش على الحكومة الإقليمية، وذلك بسبب تفوقهم العددي. ولكن لم يكن هذا الوضع مقبولاً للكثير من القوميين الپشتون، ففي واقع الأمر، كان انشقاق خان صمد خان وحركته من حزب عوامي القومي استجابةً مباشرة لهذا التطور. وعلاوة على ذلك، أدت المقاومة المسلحة في بلوشستان والحظر الحكومي لحزب عوامي القومي إلى تسريع عملية النفور بين الشعبين، التي وصلت إلى ذروتها عندما شكلت قيادة البلوش حزبها المستقل، حزب باكستان الوطني[*]، في الأول من يونيو عام 1979[5]. ومن المهم ملاحظة أن كلاً من

(1) A. B. Awan, Baluchistan, p. 254.
(2) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, pp. 56-57.
(3) مقابلة مع داود خان أحمد زئي.
(4) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 58.
(*) Pakistan National Party.
(5) The Herald, Karachi, March 1992, p. 63.

البلوش والپشتون جغرافياً يسكنون مناطق عرقية منفصلة ومقصورة على كلاً منهم إلى حد ما؛ وهناك حدود ثقافية، ففي الشمال هناك الپشتون وإلى الجنوب البلوش. وهذا الفصل الإقليمي ينطبق على الواقع تماماً. ويعتبر أعضاء الجماعتين أنفسهم أصحاب الأراضي، ويتشكل التنافس غالباً للحصول على مجموعة من الفرص والموارد في إطار مكاني. وكما ذكر سابقاً، في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وحدت الخانية البلوشية قبائل البلوش في دولة قومية أولية، وفعلت الدولة الأفغانية الشيء ذاته بالنسبة إلى قبائل الپشتون، عندما أُنشِئت بعد مائة سنة من الخانية البلوشية، على يد أحمد شاه دوراني[1]. وقبل ذلك، كانت مناطق الپشتون إما تحت سيطرة جماعات من آسيا الوسطى وإما بلاد فارس، وإما لا تخضع لسلطة مركزية ومنقسمة بين قبائل مستقلة بذاتها.

إن أراضي البَتان في بلوشستان هي في الدرجة الأولى نتيجة معاهدة گندمَك في عام 1879م، ومعاهدة دوراند في عام 1894م. وأبرم البريطانيون معاهدة گندمَك مع يعقوب خان، نجل شير علي، حاكم أفغانستان في وقتها[2]. ومساحة المنطقة التي تغطيها قبائل الپشتون، هي ثلاثة وعشرون ألف ميل مربع من أصل ما مجموعه مئة وأربعة وثلاثون ألف ميل مربع من إقليم بلوشستان في باكستان. وكان تعداد السكان الپشتون، وفقاً لإحصاء باكستان السكاني لعام 1972، خمسمائة ألف[3]. ووفقاً للإحصاء السكاني نفسه، كان مجموع سكان الإقليم مليونين وخمسمئة ألف نسمة. والمنطقة التي يحتلها البَتان جبلية تتعرض لمناخ شديد البرودة، مع تساقط الثلوج بكثافة في فصل الشتاء[4].

وإلى هذا، خلق تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الأفغان خلال عامي 1980 و1981، الذين كانت غالبيتهم العظمى من الپشتون من أقاليم أفغانستان الشرقية، صعوبة في ما يتعلق بالتوازن العرقي والسياسي في إقليم بلوشستان. حيث أينما استقر اللاجئون، كانوا يتنافسون في الموارد الاقتصادية المحدودة. فلا عجب بعد ذلك، أن ينتقد الزعيم القومي مير غوث بكش بيزَنجو الحكومة في بداية يوليو عام 1979،

(1) أُسِّسَت خانية بلوشستان في منتصف القرن السابع عشر، في حين أن أفغانستان استقلت بعد وفاة نادر شاه الفارسي في منتصف القرن الثامن عشر. لمزيد من المعلومات، انظر
Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, pp. 101-105.
(2) Olaf Caro, The Pathan, p. 375.
(3) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight on Baloches and Balochistan, p. 291.
(4) Syed Abdul Quddus, The Tribal Balochistan, Lahore: Ferozsons (Pvt.) Ltd., 1991, p. 109.

لتحويلها بلوشستان إلى مُهاجرستان (أرض المهاجرين)، وطالب أن يتم إرجاع اللاجئين الأفغان إلى وطنهم[1]. وتكرر صدى مشاعره عدة مرات منذ ذلك الحين بين البلوش.

لا يزال يمثل الصراع بين البلوش والپشتون قضية ساخنة خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين. وصرح رئيس وزراء بلوشستان القومي، أختر مينگل، معرباً عن قلقه إزاء المسألة في عام 1997، «نحن نعتبر الپشتون والهزارة، والمستوطنين الذين يعيشون في بلوشستان كبلوشستانيين. وهم يتمتعون بحقوق متساوية. ولكننا لا نستطيع السماح لعناصر معينة من الپشتون ممن يدعون أنفسهم «قوميين» بتدمير العلاقة القديمة قدم التاريخ بين الپشتون والبلوش لمجرد زيادة كتلتهم التصويتية»[2]. وهكذا، فإن التهديد البشتوني أثار المشاعر القومية البلوشية، كرد فعل مضاد، كما يعتقد العديد من القوميين البلوش[3].

الخلاصة

كما نوقش في هذا الفصل، أصبح التعبير الحديث عن الهوية الإثنية البلوشية، بدلاً من تحديد الهوية القبلية، أقوى في حقبة ما بعد الاستعمار، ويرجع ذلك إلى نمو الطبقة المتوسطة (حتى وإن كانت صغيرة)، والتمدن، وتحديث وسائل النقل ونظام الاتصالات وازدياد النفوذ السياسي لحركات القوميات التقدمية الأخرى.

في تلك الفترة، تشكلت التعبئة السياسية حول مسألة إلغاء نظام الوحدة الواحدة وإعادة وضع بلوشستان إقليماً موحداً، والحقوق اللغوية، وما إلى ذلك. وسرعان ما أثارت المشاعر القومية البلوشية، مشكلة التفاوتات الاقتصادية وعدم المساواة، وعدم المشاركة في صنع القرار، وعدم الحصول على فرص العمل، واستيطان الأراضي المروية حديثاً من قبل المهاجرين البنجابيين،وسيطرة البيروقراطية البنجابية المدنية والعسكرية. وذلك إلى الحد الذي أدى إلى ثورات خمسينيات وستينيات القرن العشرين.

لم يأخذ قرار لاهور في مارس 1940، لباكستان كفيدرالية في الاعتبار، التراث

(1) The Muslim, 28 July 1979.
(2) Daily Jang, London, 18 October 1997.
(3) مقابلة مع داود خان أحمد زئي.

المعقد لشعوب ذات خلفيات تاريخية واجتماعية وثقافية ولغوية واقتصادية مختلفة، (ناهيك عن التوزيع الجغرافي الحرج للأجزاء المحتملة لتأسيس الدولة الإسلامية المستقبلية). غير أن النتيجة الواقعية هي أن يكون للبنجابيين خمسة وثمانون في المائة من القوات المسلحة والإدارة المدنية والسيطرة على برلمان ذي أغلبية بنگالية. وحلت الأنظمة الديكتاتورية العسكرية المتعاقبة محل الأنظمة المدنية، التي أصبحت في شرك المكائد والخصومات السياسية، والتي كانت غير قادرة على التعامل مع التشوهات الإقليمية الأساسية في الدولة المنشأة حديثاً. ولم يف النظام السياسي مع ما يسمى «الديمقراطية المبدئية»، ولا دستور عام 1973 الذي أعاد اسمياً فيدرالية الدولة وراية رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو للاشتراكية الإسلامية، بمطالب الپشتون والبلوش والسنود بالحكم الذاتي الإقليمي أو نصيبهم المستحق من التمثيل داخل مؤسسات الدولة.

منذ بداية باكستان، هيمن البنجابيون والمهاجرون على المستويات العليا في بيروقراطية الدولة والجيش. وكانت البنجاب المتقدمة نسبياً في ظل البريطانيين، أرضية مهمة لتجنيد البيروقراطية الاستعمارية والجيش. وفي غيرها من المناطق هيمن الهندوس وليس المسلمين على الخدمة المدنية الاستعمارية، وفي بعضها، مثل بلوشستان، تم تعيين معظم موظفي الخدمة المدنية من خارج الاقليم. وأدت عوامل مثل ارتفاع مستويات التحضر في السند إلى هيمنة المهاجرين والبنجابيين وليس السنود، على مدن السند، الذين قاموا بالتعيينات على أساس الصلات الاجتماعية، عوضاً عن الجدارة، مما أدى إلى نمط من التمثيل المفرط للبنجابيين والمهاجرين في البيروقراطية في العقود الأولى لباكستان. وساهم التصور أن الدولة تدار من قبل تلك الجماعات ولها في تفكك باكستان عام 1971، وكانت مثل هذه التصورات مصدراً للاحتكاك المستمر بين الأقاليم الأصغر من جهة، والبنجاب و/ أو الحكومة المركزية من جهة أخرى.

تقدمت الطبقة المثقفة البلوشية بانضمامها مع «أُستمان گل» (حزب الشعب)، والمنظمات الاجتماعية والسياسية الأخرى مثل «الرابطة البلوشية»، و «اتحاد طلبة البلوش»، وغيرها، بمطالبتها بالمزيد من الحكم الذاتي داخل باكستان في مطلع خمسينيات القرن العشرين. وطالبت الطبقة المثقفة بالإصلاحات الاجتماعية

والاقتصادية الموجهة نحو رفع المستوى الوطني للشعب. وكان الهم الرئيسي في هذه الفترة للبلوش، وكذلك القوميات الأخرى في باكستان، الوحدة الواحدة. كان هدف النظام الفاشل توحيد مختلف الأقاليم والكيانات شبه المستقلة في وحدة إدارية واحدة، هي غرب باكستان، التي وعلى الرغم من عدد سكانها الأصغر، كانت ممثلة بتكافؤ مع باكستان الشرقية المتجانسة عرقياً. واعتبر البلوش أن هذه البنية الإدارية والسياسية تحد من استقلاليتهم، ونتيجة لذلك نمت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، معارضتهم للحكومة المركزية. واتخذت المعارضة لنظام الوحدة الواحدة والوجود الموسع للجيش الذي جلبه في بلوشستان أشكالاً مختلفة، بما في ذلك المعارضة المسلحة المنظمة جيداً، وإن كانت صغيرة الحجم.

سبب نظام الوحدة الواحدة، وصيغة التكافؤ ردة فعل حاده بين البلوش، واتخذت المطالبة بإنهائه منعطفاً عنيفاً في بلوشستان. وبهذا، شهدت الخمسينات عودة ظهور التطلعات القومية. وضع آغا عبد الكريم، الذي أفرج عنه في عام 1955، الأساس لأُستمان گل (حزب الشعب) في العام نفسه، والذي كانت نواته «الحزب القومي» (حزب دولة كلات القومي) السابق، وأعلن بيانه أنه سينشأ «إقليم بلوشي على الأسس اللغوية والثقافية» مع اللغة البلوشية باعتبارها اللغة الرسمية. وفي عام 1956، انضم أُستمان گل إلى حزب باكستان الوطني الذي اندمج في حزب عوامي القومي (NAP) لاحقاً. وكانت قوى القومية الإثنية ممثلة بحزب عوامي القومي في كل من شرق وغرب باكستان.

في بلوشستان الغربية (إيران)، قمع البهلويون بنجاح جميع مظاهر الشعور القومي الناشئ لدى البلوش في ثلاثينيات القرن العشرين إلى خمسينيات القرن العشرين. واتخذت إجراءات قاسية لقمع البلوش وإجبارهم على الاندماج. ونفي وجود حتى مجرد ذات البلوش. وحظرت اللغة البلوشية، والمنشورات البلوشية، والجمعيات البلوشية، والأسماء البلوشية، والموسيقى البلوشية. ومع ذلك، تيقظت القومية البلوشية خلال ستينيات القرن العشرين، المستوحاة جزئياً من القومية العربية في دول الخليج، ولكن أيضاً نتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إيران. وأصبح العديد من البلوش على وعي بتخلف مناطقهم اقتصادياً وعنف الدولة في قمع قوميتهم.

تميزت سبعينيات القرن العشرين في بلوشستان الإيرانية بعفوية ومحدودية طبيعة الثورات البلوشية. وبالنظر إلى القواسم المشتركة لقضيتهم، وهدفهم، وتأثيرهم، كانت هذه الثورات مظهراً من مظاهر حركة شعبية سياسية عسكرية ضد الحكومة المركزية أو، كما دعوا من قبل البلوش، ضد الگجر. وبصرف النظر عن الخسائر الاقتصادية والعسكرية التي كبدتها للنظام الإيراني، فإنها عملت أيضاً على تسييس الجماهير، وتنبيه الوعي القومي البلوشي، وباختصار، إبقاء روح المقاومة على قيد الحياة.

استمرت ثورة نوروز خان حتى عام 1960، عندما تلقى وعد الحكومة بسحب خطة الوحدة الواحدة، وبالتالي وافق على وقف إطلاق النار مع الجيش. ولكنه تعرض للخداع واعتقله نظام أيوب خان مع رفاقه. وحكم عليهم جميعاً بالإعدام؛ واستبقي نوروز خان، الذي كان في العقد التاسع، من المشنقة بسبب عمره. وفي ستينيات القرن العشرين، كان البلوش تحت تأثير القوميين اليساريين، وخصوصاً البَراري بقيادة شير محمد مَري. وكان أعضاء البَراري حريصين على تطبيق النظرية الماركسية اللينينية على المنطقة. وطوال ستينيات القرن العشرين كانت جبال البلوش مسرحاً لنشاطات الحرب العصابية.

بيد أن الجزء الأكبر من المعارضة السياسية للوحدة الواحدة توجه من خلال حزب عوامي القومي، الذي هو ائتلاف من الأحزاب اليسارية والقومية الإثنية، من شرق وغرب باكستان. ولأنه كان تحالفاً للأحزاب، كان برنامج حزب عوامي القومي واسعاً ومخاطباً كل القضايا الوطنية والدولية. وكان ما يحظى باهتمام خاص من البلوش وغيرهم من الباكستانيين الغربيين في حزب عوامي القومي هو استبدال الوحدة الواحدة بأربعة أقاليم محددة إثنياً. ودعا برنامج حزب عوامي القومي إلى تطابق الحدود «الإثنية والثقافية» مع الجغرافيا، وليكون لتلك الأقاليم أقصى درجات الحكم الذاتي في بنية فيدرالية. والعديد من سردارات البلوش إما انضموا إلى حزب عوامي القومي وإما دعموا نشاطاته من دون الانضمام فعلاً.

في عام 1970، أصبحت بلوشستان إقليماً كامل العضوية بعد سقوط أيوب خان، وقرار يحيى إنهاء نظام الوحدة الواحدة، وصيغة التكافؤ. إلا أنه أضر بالدولة كثيراً من خلال عدم ترسيمها الأقاليم على أساس اللغة والجغرافيا. وأعلنت بلوشستان إقليماً

منفصلاً ولكن تم تضمين الإقليم عدداً كبيراً من الپشتون في المقاطعات الثلاث، لورالاي، وژوب، وپيشين، في حين استبعد البلوش الذين يعيشون في المناطق المجاورة في السند والبنجاب (جيكوب آباد وديره غازي خان) من الانضمام إلى بلوشستان ضد رغبات البلوش. وفي العام التالي أجريت الانتخابات، وظهر القوميون البلوش فيها كغالبية في البرلمان الإقليمي لبلوشستان، وشكلوا أول حكومة تمثلهم في تاريخ باكستان عام 1972.

الفصل السادس

الحكم الذاتي: قيامه وسقوطه

القوميون في السلطة

مع تمزق باكستان في عام 1971، تكشف أن «نظرية الأمتين» كانت مبنية على الأماني لا على الحقيقة والواقع(1). وأصبحت باكستان الشرقية سابقاً، دولة بنگلاديش المستقلة الجديدة، بعد حرب أهلية وحرب خارجية، انضمت فيهما قوات البنگاليين المسلمين من شرق باكستان إلى قوات «العدو الهندوسي»، من الهند، ضد غرب باكستان الإسلامي. وكنتيجة لهذه الهزيمة، دعا الجيش الباكستاني ذو الفقار علي بوتو إلى إمساك زمام السيطرة على بقية البلاد. فأصبح الأخير مدير إدارة الأحكام العرفية في باكستان في العشرين من ديسمبر عام 1971. بدأ بوتو، وهو من علية الاقطاعيين السنود، حياته السياسية عندما عينه الجنرال أيوب خان وزيراً. وبعد أن خدم في بعض الوزارات الصغيرة، صعد بوتو بسرعة ليصبح الوزير البارز لخارجية باكستان. وفي عام 1967 أسس حزب الشعب الباكستاني (PPP). وفي انتخابات عام 1970 العامة حقق حزب الشعب الباكستاني نصره في البنجاب والسند، ولكن ليس في بلوشستان(2).

في مساء العشرين من ديسمبر عام 1971، ألقى بوتو لدى تسلمه حقائب الرئاسة والادارة المدنية لإدارة الأحكام العرفية، خطابه العاطفي المعروف باسم «الملمة ما تبقى» في الإذاعة وشبكة التلفزيون الوطنية. وقال بوتو متحدثاً بالإنجليزية: «علينا لملمة القطع، وهي قطع صغيرة جداً، ولكننا سوف نُشيد باكستان جديدة»(3). ومن أجل تلبية التحدي المتمثل في بناء باكستان فيدرالية جديدة، طلب بوتو من حزب الأغلبية في الاقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان التعاون معه على خلق نظام

(1) C.f. Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 188.
(2) Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 200.
(3) The Pakistan Times, Lahore. 21 December 1971.

ديمقراطي. وقد وقع اتفاقاً معه في السادس من مارس عام 1972. وكانت أهم بنود الاتفاق على النحو التالي: 1 ـ سيتم رفع الأحكام العرفية وذلك اعتباراً من الرابع عشر من أغسطس، في اليوم الذي ستعقد الجمعية الوطنية للنظر في مسودة الدستور. 2 ـ . . . سيعين المركز الحكام بالتشاور مع حزب الأغلبية في الإقليمين الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان. 3 ـ ستشكل الحكومة في المركز والأقاليم على أساس الأغلبية البرلمانية. انتخبت الأطراف الثلاثة المركز والبنجاب والسند، حزب الشعب الباكستاني للحكم، واختار الاقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان، جمعية علماء الاسلام (JUI) وحزب عوامي القومي (NAP)[1].

شكل حزب عوامي القومي أكبر مجموعة منفردة في كل من الإقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان (ثمانية مقاعد من أصل عشرين مقعداً)، ولكن من أجل الحصول على الأغلبية، اضطر للتحالف مع جمعية علماء الاسلام الممثلة لمصالح المسلمين المتشددين في مناطق معينة من پختونستان[2]. عينت الحكومة الفيدرالية الزعيم البلوشي القومي المخضرم، مير غوث بكش بيزَنجو، حاكماً لبلوشستان. ولد بيزَنجو (1917 ـ 1989) في منطقة نال، وهو من زعماء القبيلة (عائلة السردار) في قبيلة بيزَنجو. بعد إنهاء دراسته الأولية في كويتا، التحق بيزَنجو بجامعة عليگره في عام 1936. وبعد عودته من عليگره في عام 1939، بدأ حياته السياسية بالانضمام إلى «الرابطة البلوشية» في كراچي. في العام نفسه (1939)، وكممثل للرابطة البلوشية، شارك بيزَنجو في اجتماع الحزب القومي في مَستونگ[3]. وبعد أن انضم إلى الحزب القومي في بداية أربعينيات القرن العشرين، عمل رئيساً له في 1946 ـ 1947، وعارض الاحتلال الباكستاني لبلوشستان. وأصبح نائب رئيس حزب أُستمان گل ولاحقاً حزب عوامي القومي. وكما لوحظ من قبل أحد زملائه المقربين، شيرباز خان مزاري فقد «فضل بيزَنجو دائماً التفاوض على المواجهة. وأعرب عن اعتقاده أن الباب للتوصل إلى تسوية ينبغي أن يترك مفتوحاً دائماً»[4]. وهكذا، ولكونه زعيماً شعبياً، كان بيزَنجو

(1) Dawn, Karachi, 7 March 1972.
(2) Ibid.
(3) Ibrahim J. Negwari, «Balochistan-e Siasi Tarikh o Gall o Sarokani Kerd» in Monthly Balochi Labzank, Hab (Balochistan), May-June 1996, pp. 42-43.
(4) Sherbaz Khan Mazari, A Journey to Disillusionment, p. 310.

معروفاً على نطاق واسع باعتباره «باباي بلوچستان» (أب بلوشستان). وبنظر هاريسون، كان واحداً من أقدر الساسة في باكستان في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين[1].

تم تعيين سردار قبيلة مينگل، عطاء الله مينگل كرئيس للوزراء. وسيطرت حكومته بأغلبية 13 ـ 7 على برلمان بلوشستان، وكان معارضوه وفقاً لهاريسون، «كلهم تقريباً من الپشتون ومن غير البلوش»[2]. ولد مينگل في بداية ثلاثينيات القرن العشرين(*)، بمنطقة وَدّ، وهي قرية نائية في جنوب بلوشستان. بحلول عام 1956، تأثر عطاء الله مينگل مع نواب أكبر بُگتي وخير بكش مَري بييزَنجو وبدأوا بتبني نمط من الحياة السياسية، التي كانت تختلف عن السياسة الإقطاعية التقليدية العاملة لحساب الحكومة[3].

ترأس نواب خير بكش مَري، والمعروف بأنه أكثر العمالقة الثلاثة راديكالية وتصلباً في السياسات البلوشية منذ التقسيم، حزب عوامي القومي في البرلمان، الذي اجتمع في أبريل عام 1972. وكان سردار القبيلة الأكبر عدداً، مَري، والبالغ عدد أفرادها حوالى مئة وخمسة وثلاثين ألف نسمة، والمتركزة تاريخياً في منطقة استراتيجية تبلغ مساحتها ثلاثة آلاف وثلاثمئة ميل مربع في الركن الشمالي الشرقي لبلوشستان[4]. لم يكن بوتو في البداية عازماً على السماح لهم بحكم بلوشستان ولكن غيرت رأيه موجة من التظاهرات ضد تعيينه حاكماً لا يتمتع بأي شعبية، وهو غوث بكش ريساني. ووفقاً لسردار عطاء الله مينگل، لم يكن بوتو ليوافق قط على هذا؛ والسبب الوحيد الذي جعله يستسلم كون الجيش لا يزال يواجه القوات الهندية على الحدود؛ وبالتالي لم يستطع تحمل المواجهة مع القوميين في بلوشستان[5].

أدت المحاولات الأولى من قبل حكومة الإقليم «بلوشستانيت»(**) الإدارة الإقليمية، وكذلك الضغوط التي مورست من قبل أبناء القبائل على مالكي الأراضي

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 52.
(2) Ibid, p. 34.
(*) عام 1929.
(3) ZainabRizvi, «The Last Warrior», in: Friday Times, April 18-24, 1997.
(4) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 42.
(5) Weekly, Friday Times, April 18-24, 1997, pp. 24.
(**) أي جعلها بلوشستانية.

البنجابيين إلى استعداء البنجابيين. وبدأت حكومة الإقليم بتجنيد حرس إقليم يعرف باسم ديهي محافظ(شرطة المناطق الريفية)، وبإنشاء مطبعتها الخاصة. وأطلقت برنامجاً يهدف إلى تطوير الثقافة البلوشية في الإقليم. وأنشأت المجلس الوطني للفنون في كويتا، برئاسة لال بكش رند، وهو زعيم بلوشي بارز من كراچي. وكانت مساهمات المجلس هي في الأدب والثقافة البلوشية. وحاولت الحكومة الإقليمية التي يسيطر عليها حزب عوامي القومي معالجة قضايا التعليم باللغة الأم في بلوشستان ووضع نظام كتابة معياري وموحد للبلوشية(1). ولحل هذه المشكلات عقد وزير التعليم الإقليمي، گُل خان نصير، مؤتمراً في كويتا في سبتمبر عام 1972. وكان المؤتمر محاولة للحصول على دعم رسمي من المثقفين البلوش لتدوين البلوشية بالحرف اللاتيني. وأشار گُل خان نصير في كلمة ألقاها إلى أن الخط العربي لم يكن الخط الذي اختاره البلوش بأنفسهم، وبه عددٌ من المشاكل الهجائية غير المحلولة في كتابة اللغة البلوشية.

فاقترح گُل خان نصير بدعم من المثقفين البلوش ذوي الميول اليسارية(2)، استخدام أبجدية «لاتينية ـ صوتية»، قال إنها ستكون سهلة التعلم وكذلك سيكون استخدامها مكسباً في العصر العلمي الحالي(3). وحبذ اعتماد أبجدية لاتينية صوتية ذات ستة وثلاثين حرفاً. وبدا طلاب منظمة الطلبة البلوش BSO داعمين للأبجدية اللاتينية، معتمدين على الحجج اللغوية، وكردة فعل على تشديد الدولة الباكستانية على العربية كمَعلم للهوية والإسلام الباكستاني. وبالنسبة إليهم فإن الكتابة بالأبجدية العربية لن ترمز إلى تميز الهوية البلوشية، بما أنها كانت الشائعة في كتابة جميع اللغات في باكستان. ولمعارضتها للقومية الإثنية العلمانية لحزب عوامي القومي، هاجمت أحزاب اليمين الديني الكتابة بالأحرف اللاتينية، باعتبارها مؤامرة من الاشتراكيين ضد الإسلام وباكستان(4). وفي هذه الأثناء، ومع ذلك، تراجعت حكومة مينگل حول هذه القضية،

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 41; Tariq Ali, Can Pakistan Survive? 2nd printing, Penguin Books, 1983, pp. 112-14.

(2) Abdul Hamid, «Balochi Zaban ke Rasmullkht ka Convention», in: Jang, (Daily) Karachi, October 1,1972.

(3) Government of Balochistan, Balochi Rasm ul-Khatte Kanwinshin, Quetta, Text Book Board, 1972.

(4) See editorials in Jang, (Daily) Karachi, 6 Aug. 1972; Nawai Waqt, Aug. 6 & Sep. 8, 1972; see also, M. Musa Bhutto, «Balochi Zaban ke Rasmullkht ka Masla», in: Jasarat, September 14, 1972.

واعتمدت اللغة الأوردية لغة للإقليم. فأُهملت اللغة البلوشية، ولم تحظ بمكانتها باعتبارها لغة الإقليم. وبصرف النظر عن تأكيده على اهتمامه بالحفاظ على الهوية البلوشية من خلال موقفه بشأن توحيد ومعيارية اللغة البلوشية، لم يفعل حزب عوامي القومي الكثير لتعزيز استخدام اللغة البلوشية. وربما كان الحدث الوحيد الذي يستحق الذكر هو صدور قرار في الجمعية التشريعية يلزم راديو باكستان في كويتا بمنح ثلثي الوقت إلى اللغات المحلية، والثلث الباقي إلى الأوردية(1). ولكن كانت هذه لفتة جوفاء فقط، حيث بقيت الأوردية تزداد قوة على حساب اللغات المحلية في جميع المجالات.

قبل توليه السلطة في بلوشستان عام 1972، دعم حزب عوامي القومي اللغات الإقليمية وعارض فرض الأوردية من قبل المركز. وبالتالي، فقد كان من المتوقع أن تكون اللغة البلوشية هي اللغة الرسمية للإقليم. وبما أن كلاً من الحاكم، غوث بكش بيزَنجو، ورئيس الوزراء، عطاء الله مينگل، ووزير التعليم، مير گُل خان نصير، كانوا جميعاً من القوميين، لذا شعر معظم البلوش أنه لن يسمح للأوردية بالحفاظ على مكانتها المميزة في بلوشستان. ومع ذلك، أعلن الحاكم أن الأوردية ستكون هي اللغة الرسمية في بلوشستان(2). والمفارقة لم تكن قط واضحة تماماً ولكنها تعتبر معلماً هاماً في السياسة القومية، والآراء حول هذا الموضوع بحاجة إلى تسجيلها. ووفقاً لجان محمد:

تصرف قادة البلوش، إدراكاً منهم لدور الپتان، بحذر شديد. فقرروا على مضض أن يعلنوا أن الأوردية هي اللغة الرسمية للإقليم، ليس لأنهم يكنون أي حب لهذه اللغة، أو بسبب أن الأوردية كانت لها مكانة في الحياة السياسية والاجتماعية للإقليم، لا على الاطلاق، ولكن لأن من شأن اعتماد اللغة البلوشية لغة رسمية أن يلقى معارضة شديدة من الپختون، الذين سيطالبون بأنه ينبغي أن تكون للغتهم أيضاً صفة رسمية(3).

ومثل جان محمد، يعتقد اللغوي تيم فاريل أن البلوش والبراهوئيين عرقياً هم شعب واحد، ولكن متمايزون لغوياً. وبالتالي، حسب قوله، ما دامت الأوردية هي لغة

(1) مقابلة مع بشير أحمد بلوج.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 52-61.

(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 292.

التعليم في مدارس بلوشستان، فلن يُرتاب في وحدتهم العرقية، ولكن عند إنشاء مدارس بلوشية وبراهوئية منفصلة ستكون الأسس التي تميز الجماعتين اللغويتين واضحةً أكثر. وكان يخشى أنه إذا نظر إلى البلوش والبراهوئيين على أنهما شعبان، بدلاً من شعب واحد، سيدعي البِتّان حينئذ أنهم العرقية الأكبر في الإقليم. ولكون الديموغرافيا واحدة من أقوى القوى في السياسة، رأى البعض أنه سيكون من الأفضل استمرار التعليم بالأوردية في الإقليم حتى لا تثار الاختلافات اللغوية بين الشعب البلوشي/ البراهوئي»[1].

وأغلب الظن أن حكومة حزب عوامي القومي نظراً إلى بنية وضعه غير المستقرة مقابل الحكومة المركزية، لم يكن راغباً في تسليط الضوء على ما كان سبباً رئيسياً لانفصال البنگال الشرقية. وكما لاحظ الدكتور عناية الله بَلوُج، «إن اتخاذ قرار ضد الأوردية كان من شأنه على الفور أن يثير ذعر الانفصال»[2]. ومع ذلك، فرأي هاريسون، يختلف بعض الشيء. فحسب قوله إنها «كانت في جزء منها لتحويل الضغوط البراهوئية، فوافق بيزَنجو ومينگل على اختيار الأوردية، لغة باكستان الوطنية، لغة رسمية لحكومة الإقليم، وبالتالي توفير ذريعة لوضع الاختيار موقتاً بين البلوشية والبراهوئية والپَشتونية جانباً»[3].

وبفقد إدارة بوتو تدريجاً شعبيتها، وصورتها الإسلامية الاشتراكية، واعتمادها بشكل متزايد على مصالحها الشخصية، بدا لبوتو أن حزب عوامي القومي، وخصوصاً الادارة في بلوشستان، راديكالية بشكل خطير. والصخب الذي دعم به حزب عوامي القومي الراديكالية كان من الممكن أيضاً أن يؤدي إلى صعوبات في بلوشستان الإيرانية. ففي بداية سبعينيات القرن العشرين، أصبحت إيران قوة مؤثرة في غرب آسيا، وممسكة بصرح التحالف مع الغرب. وبنمو السلطة في المركز الإيراني، تراجع التأثير النسبي للمحيط الخارجي. ولذلك، بدت أي مقاومة تحدياً لا بد من مواجهته.

(1) Tim Farrell, «Mother Tongue Education and the Health and Survival of the Balochi Language», paper for the Symposium on the Balochi Language at Uppsala University, Sweden, 16th August 1997 (unpublished manuscript).

(2) Inayatullah Baloch, «Nationality Problems and Political Parties of Pakistan: The National Awami Party (NAP) and its Successors» in: Georg Berkemer, Tilman Frasch, Hermann Kulke, and Jurgen Lutt (ed.), Explorations in the History of South Asia, New Delhi: Manohar, 2001, p. 359.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 185.

وبيدو أن دعوة الشاه لغوث بكش بيزَنجو لزيارة طهران في بداية عام 1973، حادثة لم يسبق لها مثيل من حيث الدبلوماسية والبروتوكول. وعكس ذلك شدة اضطراب الشاه، والدرجة التي كان مرتبطاً بها بوتو بطهران. ووفقاً للشاعر القومي المنفي، أكبر باركزئي، دعت الحكومة الإيرانية مير غوث بكش بيزَنجو، لأنها اعتقدت أنه ضمن لها عدم التدخل في بلوشستان الإيرانية[1]. ولكن بيزَنجو لم يعد بخفض نبرة الخطاب أو العمل البلوشي. فقد قال صديقه المقرب گُل محمد هُوُت، «حتى بعد زيارة بيزَنجو لطهران، واصل حزب عوامي القومي تشجيعه للنزعة القومية في بلوشستان الإيرانية»[2]. وعلى العكس من ذلك، شجعت زيارة بيزَنجو إلى طهران، كما يقول القوميون البلوش في بلوشستان الإيرانية، مشاعرهم القومية أكثر[3]. ومع ذلك، ووفقاً لآخر رئيس للسافاك، الجنرال حسين فردوست، وعد بيزَنجو الشاه أنه لن يوسع أنشطة حزبه إلى بلوشستان الإيرانية. كما أشار إلى ذلك الجنرال فردوست، أبقى بيزَنجو وعده حتى انقلاب الجنرال ضياء الحق في عام 1977[4]. وبطبيعة الحال، فإنه من الصعب الوثوق بتصريح الجنرال فردوست، لأنه بعد أشهر قليلة من عودته من طهران، أطيح بحزب عوامي القومي، واعتُقل بيزَنجو مع قادة حزب عوامي القومي الأخرين، وبقي في السجن حتى إطلاق سراحه بانقلاب الجنرال ضياء الحق في عام 1978. ومن المهم ملاحظة أن طلب مير غوث بكش بيزَنجو لزيارة بلوشستان الإيرانية قد رفض من جانب الشاه[5].

اعتبر الشاه على نطاق واسع أنه حارس للسلام في المنطقة، وكما يمكن تصوره، فقد قرر أنه لم يعد بالإمكان السماح للبلوش في باكستان بأن ينعموا بالحكم الذاتي الإقليمي. وراقب بوتو أيضاً تحركات حكومة الاقليم بقلق، وحذر الحاكم من الخطوات التي يمكن أن تهدد الوحدة الوطنية. فأعلن بيزَنجو أن حكومة حزب عوامي القومي وجمعية علماء الاسلام، بعيدتان عن تهديد الوحدة الوطنية، بل هما تقويان

(1) مقابلة مع أكبر باركزئي.

(2) مقابلة مع گُل محمد هُوُت.

(3) مقابلة مع د. حبيب الله ملك، وعزيز الله بلوج، والسردار شير علي ناروئي.

(4) Hossein Fardoost, Zahoor wa Soqoot-e Saltenat-e Pahlavi, vol. 1, p. 547.

(5) مقابلة مع صديق بلوج.

باكستان من خلال تطوير القوى الديمقراطية في بلوشستان. لم تساعد تبادلات التهم هذه على نمو الثقة المتبادلة. وتصاعدت حدة التوتر في سبتمبر عام 1972، عندما اتهمت إسلام آباد قادة حزب عوامي القومي، خان عبد الولي خان، وعطاء الله مينگل بتدبير «مؤامرة لندن» مع رئيس وزراء بنگلاديش شيخ مجيب الرحمن، عندما كانوا في لندن. وزعم أنهم وافقوا على تحويل باكستان إلى اتحاد كونفدرالي من أربع دول محكومة ذاتياً، يمكن بعد ذلك أن تنضم إليها بنگلاديش والهند وأفغانستان. ورفض حزب عوامي القومي هذه التهمة، واعتبرها محض «نسج خيال»[(1)].

التخريب والتمرد المنظمان من قبل المركز

وقفت المؤسسة العسكرية مكشوفةً تماماً عندما جاء بوتو إلى السلطة في ديسمبر عام 1971، كنتيجة لسياساتها الجنونية والوحشية في باكستان الشرقية. فرفع بوتو الحظر المفروض على حزب عوامي القومي بغية الحصول على دعم الحزب لتعزيز موقفه المتحالف مع البيروقراطية العسكرية. وعلاوة على ذلك، لم يكن بوتو في تلك المرحلة في موقف يسمح له بالمواجهة مع حزب عوامي القومي أو تجاهله، لسجل الحزب النظيف وحيازته للأغلبية في إقليمين[(2)]. ولهذا قدم فوراً مقعدين لحزب عوامي القومي في مجلس الوزراء الفيدرالي. ومع ذلك، دهش لرفض حزب عوامي القومي التعاون معه، إذ إنه كان رئيس إدارة الأحكام العرفية، ومع عدم وجود تاريخ محدد لإنهائها[(3)]. وكان هذا هو السبب الحقيقي في اختلاف حزب عوامي القومي معه.

بمجرد أن وجد بوتو وضعه آمناً، بعد الموافقة على دستوره، شن حملة لتشويه سمعة وزارات حزب عوامي القومي[(4)]. وبذلت كل الجهود الممكنة لشل إدارة حزب

(1) A. B. Awan, Baluchistan, p. 267.

(2) Friday Times, Lahore, Aril 18-24, 1997, p. 24.

(3) Hashed Rahman, «The rise and fall of Baloch Nationalism», in: The Quetta Times October 27-November 2, 1997, pp. 6-7.

(4) تجدر الاشارة إلى أن الغالبية العظمى من قادة البلوش لم يوقعوا دستور 1973، لأنهم لم يكونوا راضين عن مقدار الحكم الذاتي الإقليمي الممنوح في الوثيقة. ومن أصل خمسة من أعضاء بلوشستان في الجمعية الوطنية الباكستانية، وقع اثنان فقط، وهما غوث بكش بيزَنجو، وعبد الحق، في حين أن الثلاثة الآخرين، الدكتور عبد الحي بلوج، وخير بكش مَري، والسيدة جينفر موسى رفضوا التوقيع على الدستور. حيث كانوا يعارضون القائمة التي كانت متنافية مع الفيدرالية والوحدات الفيدرالية الواردة في الدستور. =

عوامي القومي في الأقاليم التي يسيطر عليها، ولا سيما بلوشستان بجميع الوسائل المتاحة[(1)]. جاء تقريباً جميع الأمناء ورؤساء الإدارات من كوادر البيروقراطية البنجابية حيثما سيطر حزب الشعب الباكستاني[(2)]. واعتمدت هذه الكوادر في تأمين عملها وترقياتها على مشيئة حزب الشعب الباكستاني. وصدرت تعليمات لها بإعاقة كل شيء ممكن في الادارة الإقليمية. فقام هؤلاء المسؤولون، الذين اعتبروا أنفسهم خدماً لحكومة حزب الشعب الباكستاني في إسلام آباد، بتجاهل تعليمات وزرائهم كافة. وجعلهم المركز يعتقدون أن وزارات حزب عوامي القومي ستبقى لفترة قصيرة فقط. وبالتالي لا ينبغي أن يدمروا مستقبلهم بأن يصبحوا موالين لها[(3)].

جندت وزارة مينگل قوة جديدة تسمى ديهي محافظ (شرطة المناطق الريفية) مؤلفة من البلوش وغيرهم من السكان المحليين في عام 1973، بعدما وجدت نفسها عاجزة عن مواجهة تعنت الحكومة الفيدرالية. ونظرت الحكومة الفيدرالية إلى تلك الخطوة بريبة كبيرة، وخططت لدحر هذه الخطوة بأي وسيلة. ووفقاً لمير غوث بكش بيزَنجو، تم تنظيم قوة ديهي محافظ في بلوشستان مع كامل علم وموافقة ومشاورة مع الحاكم. ومع ذلك، أطلق المركز حملة زعم بها أنه «جيش» لحزب عوامي القومي[(4)]. أبقت وزارة حزب الشعب الباكستاني لاحقاً على هذه القوة، مع تغيير اسمها فقط إلى «شرطة بلوشستان الاحتياطية»، وإقالة قائدها العقيد سلطان محمد مينگل. وقبل أن يتولى حزب عوامي القومي، كانت هناك قوة مدنية مسلحة في إقليم بلوشستان والإقليم الحدودي الشمالي الغربي. وكان المفتش العام لحرس الحدود سكرتيراً للحاكم في الإقليم الحدودي الشمالي الغربي. وفي بلوشستان، كان نائب المفتش العام لهذه القوة سكرتير وكيل الحاكم العام. وعندما تولى حزب عوامي القومي الإدارة، ألغت الحكومة الفيدرالية هذه القوة المدنية، مما حرم الوزارتين الإقليميتين من وسيلتيهما في

= وكانوا يشددون على أن الحكومة الفيدرالية يجب أن تدير العملة والسياسة الخارجية والدفاع فقط. وينبغي جمع الضرائب من قبل الحكومات الفيدرالية وأن تساهم مالياً للفيدرالية وفقاً لصيغة متفق عليها لتمكين الحكومة الفيدرالية من رعاية نفسها، انظر، Daily Balochistan Express, Saturday, 12 May 2001.

(1) People's Front, London. Vol. 2 No. 6-7. 1975. p. 5.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

(4) Ibid.

حفظ القانون والنظام[1]. وقال رئيس الوزراء السابق، سردار عطاء الله مينگل، مشيراً إلى هذا الحدث لطارق علي في عام 1981: «عندما حاولنا تصحيح التوازن في قوة الشرطة، نظم بوتو مع معوانيه البنجابيين إضراب الشرطة ضد حكومتنا»[2]. كما سحب حاكم البنجاب، غلام مصطفى خار، جميع البيروقراطيين البنجابيين الذين كانوا يخدمون في بلوشستان، مما خلق مشكلة إدارية حادة. وتلا ذلك إضراب للشرطة، مما شل الحركة في الاقليم[3].

حاولت حكومة بلوشستان لتنفيذ وعودها الانتخابية، توطيد سلطتها عن طريق تطهير بيروقراطية الاقليم من الأغلبية الساحقة للموظفين من غير البلوش، بالسيطرة على قوات الشرطة وإنفاذ القانون، ومقاومة التدخل العسكري الباكستاني المعتاد في الشؤون الاقليمية. وتمت معارضة هذه النشاطات بقوة من قبل حكومة بوتو لكونها تتعارض مع الدستور الوطني. وفي الوقت نفسه لحقت أضرار أخرى بالعلاقة بين الطرفين بسبب نمو الاستياء الشعبي البلوشي من المستوطنين غير البلوش، الذين كانوا ينافسونهم على الأراضي الصالحة للزراعة المحدودة في الاقليم، مما حرض مسؤولي الحكومة المركزية، الذين شجعوا النزاعات بين المزارعين. وعندما اقترحت الحكومة الاقليمية تأميم جميع الأراضي وتوزيعها على الفلاحين الأصليين، تم تجاهل هذا الاقتراح من قبل المركز. وعلى ما يبدو، لم يكن لحكام حزب الشعب الباكستاني مصلحة في القضاء على الملكية الاقطاعية، التي كانوا يزعمون أنهم لا يدعمونها[4]. إلا أن بوتو، ألقى اللوم في الحادثة على قادة البلوش[5].

عندما فشلت كل هذه الوسائل في هزيمة إدارة حزب عوامي القومي، اصطنعت الحكومة الفيدرالية في بداية عام 1973، من أجل حل حكومة إقليم بلوشستان، مشكلة غياب الأمن والقانون في مناطق لاس بيلا وپَت فيدر ببلوشستان[6]. وهكذا، وبسبب مبادرة حكومة باكستان الفيدرالية، وقعت عدة اضطرابات في كويتا ولاس بيلا وپَت

(1) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 390.
(2) Tariq Ali, Can Pakistan Survive?, pp. 117-118.
(3) Zainab Rizvi, «The last warrior», p. 24.
(4) The Herald, Karachi. July 1986. p.59.
(5) Ibid.
(6) Janmahmad, Essay on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 301-302.

فيدر. وتقدم ديهي محافظ (قوة ريفية)، ومؤيدو حزب عوامي القومي لمنع البلطجية المدعومين من المركز من الاغارة على لاس بيلا، وطردوهم من مخابئهم ووضعوا حداً لإفسادهم. فتدخل المركز وأرسل قواته المسلحة الخاصة لمعارضة قوة الاقليم! وعندما احتج حزب عوامي القومي على تدخل قوات الحكومة الفيدرالية المسلحة في بلوشستان، نفى المركز ذلك بشكل قاطع[1]. ومع ذلك، فإنها واصلت بخلسة إرسال المزيد والمزيد من القوات الفيدرالية إلى لاس بيلا. وتدفقت التقارير من كل أرجاء بلوشستان حول انتشار الجيش والميليشيا. وفي الوقت نفسه دهش حزب عوامي القومي، أن وسائل الإعلام الخاضعة للرقابة الحكومية بدأت بشرح هذه التحركات على أنها بناء على طلب من رئيس وزراء الاقليم، وذلك بهدف مساعدة القوات المحلية على استعادة القانون والنظام، على الرغم من أنه بحلول هذا الوقت تمت استعادة الامن والقانون بشكل تام[2]. وسحقت حكومة مينگل تلك المحاولات بنجاح. فتم الزعم أن حكومة مينگل كانت تحاول إحداث حرب أهلية[3]. فحُلت الحكومة، بعد ذلك اعتقل غالبية أعضاء برلمان الاقليم بمن في ذلك الحاكم، مير غوث بكش بيزَنجو، ورئيس حزب عوامي القومي، نواب خير بكش مَري، ورئيس الوزراء، سردار عطاء الله مينگل.

وفي الثاني من ديسمبر عام 1973، اغتيل عبد الصمد اچكزي من حزب عوامي القومي - پَختونخواه، وكان موته يعني مقعداً أقل للمعارضة في البرلمان الاقليمي. وكان اچكزي منتقداً شديداً لسياسة ذو الفقار علي بوتو وأسلوب حكمه. وبطبيعة الحال لم يتم تعقب المجرم. ووفقاً لزعيم حزب عوامي القومي، خان عبد الولي خان، فمن خلال قتل عبد الصمد اچكزي، خلق بوتو حرباً أهلية بين البلوش والپَشتون. وفي مقابلة مع الجبهة الشعبية، ذكر خان عبد الولي خان:

ينبغي أن يكون قتل عبد الصمد خان اچكزي ملائماً للسيد بوتو، حيث سيكون قتل بلوشي بارز انتقاماً هناك، سبباً حقيقياً لحرب أهلية بين البلوش والپَشتون، مما من شأنه أن يناسب تماماً سياسة بوتو[4].

(1) People's Front, London, Vol. 2 No. 6-7,1975, pp. 3-4.
(2) Ibid.
(3) S. Mahmud All, The Fearful State, pp. 145-46.
(4) People's Front, Vol. 2, No.1, 1974.

ربما ستتعامل هنا مع ضحية أخرى، وهو مولوي شمس الدين. في أحد أيام مارس عام 1974، اختفى مولوي شمس الدين، المتحدث الممثل لبرلمان بلوشستان من حزب المعارضة جمعية علماء الاسلام (JUI)، ولكن ثبت أن من الصعب التخلص منه. وشاع أنه خطف، ولكنه كان في الاعتقال للضغط عليه لتغيير موقفه، ولكن لم يستسلم المولوي؛ ولم يفتح فمه. وتم العثور في الثالث عشر من مارس عام 1974، على جثته في سيارة كانت متوقفة، وبذلك تم إخراج عضو آخر من المعارضة من الطريق. وقالت الشرطة إن هذا كان «مخططاً له بمؤامرة من جانب الأفغان»، ولكن فشلوا في تعقب الجناة[1].

في انتخابات عام 1970، لم يتمكن حزب الشعب الباكستاني من الحصول على عضو واحد منتخب في برلمان بلوشستان[2]. بينما في عام 1974، كان له الأغلبية في البرلمان على الرغم من عدم إجراء انتخابات عامة خلال هذه الفترة[3]. فكيف حدث هذا؟ حقق حزب الشعب الباكستاني الأغلبية بوسائل غير دستورية، مثل القوة الغاشمة، والرشوة السياسية والابتزاز. وأقيمت دعاوى باطلة ضد أعضاء حزب عوامي القومي، وأعلن أن مقاعدهم شاغرة، فجلب بعد ذلك حزب الشعب الباكستاني رجاله من دون معارضة[4]. وكان تعيين غلام قادر (جام لاس بيلا) رئيساً للوزراء انتهاكاً للمادة مئة وإحدى وثلاثين من الدستور، التي تقتضي التصويت على الثقة بأغلبية أعضاء المجلس التشريعي لمثل هذا التعيين[5]. وبدلاً من استدعاء جلسة برلمانية، تم تحصيل توقيعات قسرية من الأعضاء، شكلت بالكاد ربع مجموع أعضاء المجلس التشريعي. وتم تجاهل عريضة بعدم الثقة بالجام غلام قادر وفقاً للمادة الرابعة والخمسين (الثانية) ولم يسمح بمناقشتها. وعوقبت الميزانية عن طريق مرسوم في انتهاك تام للمادة مئة وخمسة وعشرين من الدستور[6].

(1) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, p. 138.
(2) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 200.
(3) People's Front, London, Vol. 2, No. 6-7, 1975.
(4) Ibid.
(5) See Sardar Muhammad Ishaq Khan (ed.), The Constitution of Islamic Republic of Pakistan, Lahore, 1973.
(6) People's Front, London, Vol. 2, No. 6-7, 1975.

وفي العشرين من أكتوبر عام 1974، نشرت الحكومة الباكستانية كتابها الأبيض عن بلوشستان. وكان الزعم الرئيسي في الكتاب الأبيض ضد حكومة إقليم بلوشستان هو طرد الموظفين البنجابيين من المرافق والإدارات المختلفة مثل السكك الحديد، وقطاعي التعليم والإدارة، والطلب منهم العودة إلى الأقاليم التي شهدت ولادتهم[1]. وتجدر الإشارة إلى أن اتخاذ هذا القرار كان عند تفكك الوحدة الواحدة خلال حكم الجنرال يحيى خان في عام 1970، وكان القرار في عملية التنفيذ في عام 1972 عندما جاء ائتلاف حزب عوامي القومي وجمعية علماء الاسلام إلى السلطة. وكان القرار عند تفكك الوحدة الواحدة أن يرجع هؤلاء الموظفون تدريجاً إلى أقاليمهم[2].

صرحت حكومة باكستان أن من آثار النزاع هي مجموعة صغيرة من الزعماء القبليين، صممت على مقاومة أي شكل من أشكال التغير الاجتماعي والاقتصادي التي يمكن أن تؤثر في سلطتهم الإقطاعية المطلقة. وأعلنت الحكومة في ورقتها البيضاء في أكتوبر 1974:

ولكن بعض السردارات الذين يريدون الابقاء على قبائلهم معزولة وأراضيهم خالية من تأثير الطرق والمدارس والمستوصفات والكهرباء والآبار الأنبوبية، والصناعات والإدارة الموضوعية، وإبقاء رجال القبائل كعبيد، قرروا مقاومة إنهاء امتيازاتهم. مما أدى إلى المقاومة للتغيير، في بعض مناطق بلوشستان، بين القوى التقدمية وتلك الرجعية[3].

لطالما تجاهلت إسلام آباد نشوء القومية البلوشية. لأنها تميل في النظر إلى المجتمع البلوشي من حيث طابعه القبلي التقليدي وأنماطه التنظيمية فقط. وتحاول أن تبرهن أن استياء البلوش تم تحفيزه اصطناعياً من قبل السردارات القبليين لحماية امتيازاتهم الإقطاعية، وأن من شأن التحديث الاقتصادي أن يخفف من الاضطرابات البلوشية من خلال تآكل النظام السرداري تدريجاً[4]. ووفقاً لهاريسون فهذه حجة ناقصة وضعيفة، بحقيقة أن الحكومة المركزية كانت على أتم الاستعداد لحماية وتوسيع نطاق

(1) Government of Pakistan, White Paper on Baluchistan, Rawalpindi, 19 October 1974, pp. 5-39.
(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 394.
(3) Government of Pakistan, White Paper on Baluchistan, p. 5.
(4) Ibid, p. 39.

امتيازات السردارات المتعاونين[1]. وقال زعيم حزب عوامي القومي، خان عبد الولي خان، في مقابلة مع صحيفة الجبهة الشعبية:

يدعي بوتو أنه ضد النظام السرداري، ووفقاً له [بوتو] تمت إقالة بيزَنجو لأنه كان سرداراً، في حين أنه لم يكن كذلك. ولكن بعدها أحل محل بيزَنجو، أكبر بُگتي، وهو سردارٌ كبيرٌ حقاً! وكان أكبر بُگتي سرداراً أكبر من بيزَنجو، والآن لديه بالطبع خان كلات، وهو خان جميع السردارات معاً، ومع كل ذلك يدعي السيد بوتو أنه مخالف تماماً للسردارات والنظام السرداري![2]

استغل بوتو النظام السرداري. وعن هذا كتبت الجبهة الشعبية، في عددها العاشر في عام 1974، «إنه كان يدعي أنه يرغب في التخلص من النظام السرداري في بلوشستان. واستمر توقه الشديد ولكنه افتقر إلى الشجاعة للتصرف. لأنه وعلى خلاف كل مزاعمه في العلن، يستمد هو وأذنابه في بلوشستان قوتهم من هذا النظام السرداري نفسه»[3]. لقد تلاعب بالمَري والمينگل ضد البُگتي، وبعد ذلك غير موقفه كلياً، فتلاعب بالبُگتي ضد الآخرين. وعندما لم يعد البُگتي مفيدين، انتقل إلى جانب خان كلات وشرع يوجه الجيش الباكستاني ضد القبائل، بدعوى أنهم كانوا في تمرد علني[4]. في الواقع، طرحت الثورة في بلوشستان مشكلة على الحكومة الباكستانية لتبرير عملياتها العسكرية. ولهذا الغرض، تم تصوير جميع قادة البلوش القوميين كسردارات متوحشين يقاتلون من أجل غاياتهم الأنانية. وعندما اقترحت حكومة مينگل في عام 1973، إلغاء النظام السرداري في بلوشستان، رفض ذو الفقار علي بوتو، رئيس الوزراء ورئيس حزب الشعب الباكستاني (PPP)، خلافاً لبرنامج حزبه، الموافقة على اقتراح حكومة مينگل لإلغاء النظام السرداري[5]. وبدلاً من ذلك، ووفقاً للمؤرخ الدكتور عناية الله بَلُوچ، احتضن بوتو زعماء القبائل والإقطاعيين في حزبه وعقد

(1) Selig S. Harrison, «Ethnicity and Political Stalemate in Pakistan», pp. 298-299.
(2) People's Front, vol. 2, No.I, 1974, p. 4.
(3) People's Front, vol. 1, No. 10-11, 1974, p. 3.
(4) Lawrence Ziring, Pakistan, The Enigma of Political Development, Wm Dawson & Sons Ltd., 1980, p. 164.
(5) Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the right of Self-determination», p. 204.

تحالفات سياسية لإطاحة حكومة مينگل. وكما ذكر عناية الله بَلُوچ «ومن بين هؤلاء الذين انضموا إليه، كان من أبرزهم نواب أكبر خان، زعيم قبيلة بُگتي، الذي أدى دوراً هاماً في إطاحة حكومة مينگل عام 1973»[1].

قال مير غوث بكش بيزَنجو متهماً بوتو، بأنه الداعم الحقيقي للسردارات والزعماء القبليين، في مقابلة مع هيرالد الشهرية، في يوليو عام 1986: عرض حزب عوامي القومي مشروع قانون في برلمان بلوشستان في عام 1973، من أجل إلغاء النظام السرداري. فعارض حزب الشعب الباكستاني مشروع القانون ورفضت الحكومة المركزية التصديق عليه. . . . وفي الواقع منح حزب الشعب الباكستاني بعد ذلك من خلال نظام الأحكام العرفية، فرصة جديدة لضخ الحياة في النظام السرداري. وعدا نواب خير بكش وعطاء الله مينگل، كان جميع السردارات الآخرين مؤيدين لكل حكومة في السلطة[2].

أكد أحد قادة منظمة الطلبة البلوش (BSO)، أنه في سبعينيات القرن العشرين، أيد من بين سبعين زعيم قبيلة (سردار) في بلوشستان، خمسة منهم فقط، بما في ذلك أكبر بُگتي، وخير بخش مَري، وعطاء الله مينگل، حزب عوامي القومي. بينما عارض جميع السردارات المهمين الآخرين، بمن فيهم «زعيم الزعماء» خان كلات، حزب عوامي القومي[3]. وقال رئيس مجلس الفنون في بلوشستان تحت حكم حزب عوامي القومي، لال بكش رِند، على سبيل المزاح، «كان لدينا سرداران ونصف سردار فقط، وهم مَري، ومينگل، وبيزَنجو النصف سردار»[4]. وقبل أن يفقد منصبه، أعلن بوتو نهاية النظام السرداري وادعى أن شعب بلوشستان سوف يختار قادته بحرية، ولكن في عام 1977، وعلى الرغم من لغته الخطابية الشعبوية، منح بوتو بحرية تذاكر الانتخابات حزب الشعب الباكستاني إلى مالكي الأراضي الاقطاعيين[5].

في الثاني عشر من فبراير عام 1973، أقال بوتو فجأة حكومة بلوشستان ذات

(1) Ibid.
(2) The Herald, Karachi, July 1986.
(3) Manzoor Ahmad Baloch, Balochistan and Political Parties, pp. 3-21.
(4) مقابلة مع لال بَكش رِند.
(5) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 231.

العشرة أشهر، متهماً قادتها بالانتهاكات المتكررة لسلطاتهم الدستورية. وجاء القرار بعد يومين من اكتشاف مخبأ كبير للأسلحة السوفياتية الصنع في السفارة العراقية بإسلام آباد، التي زعم أنها كانت متجهة إلى بلوشستان الإيرانية. وكما لاحظ سليگ هاريسون، كانت إقالة بوتو لقادة البلوش «موقتة لأهمية دولية أوسع» من خلال ليس فقط الزعم أن قادة البلوش «مراراً وتكراراً تجاوزوا سلطتهم الدستورية» فحسب، ولكن فعلوا ذلك «بالتواطؤ مع العراق والاتحاد السوفياتي باعتباره جزءاً من مؤامرة شريرة ذات مدى طويل، لتفكيك كل من باكستان وإيران»[1]. وفي الكتاب الأبيض عن بلوشستان، الصادر في التاسع عشر من أكتوبر عام 1974، كررت الحكومة الباكستانية الاتهامات نفسها، ولكنها اعتمدت كلياً تقريباً على الأدلة الظرفية لدعم قضيتها بأن قادة حزب عوامي القومي البلوش قد سعوا بالتنسيق مع قوى أجنبية معادية لم يذكر اسمها لتفكيك البلاد[2].

بعد أن رفض العراقيون المزاعم الباكستانية، ادعوا أن هذه الأسلحة كانت متجهة للبلوش الإيرانيين فحسب، في حين رأى قادة البلوش الباكستانيون أن الحدث بكامله عبارة عن «مؤامرة» حاكها بوتو لتبرير عزلهم من السلطة[3]. وفي كلمة شيرباز خان مزاري، «لقد كانت تذكيراً مخيفاً بمؤامرة هتلر بإحراق الرايخستاگ، واستخدام ذلك ذريعة لحظر جميع أشكال المعارضة السياسية»[4]. وهكذا، استُخدمت أنباء عثور الاستخبارات الباكستانية على رشاشات سوفياتية صغيرة وذخيرة بأمر من قادة البلوش في السفارة العراقية في إسلام آباد كذريعة لحل حكومة حزب عوامي القومي، وفقاً للقوميين البلوش[5]. ولم يتم العثور على دليل على هذه المؤامرة، وليس حتى بعد القبض على قادة حزب عوامي القومي ومحاكمة حيدر آباد، أو لاحقاً تحت حكم الجنرال ضياء الحق[6].

ما هو الدافع الرئيسي وراء خطوة بوتو هذه ضد البلوش؟ يمكن على الأقل

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 35.
(2) Government of Pakistan, White Paper on Baluchistan, p. 39.
(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 35.
(4) Sherbaz Khan Mazari, A Journey to Disillusionment, p. 292.
(5) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 35,
(6) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 399.

استشفاف مجموعتين من التوضيحات من بعض التناقضات السياسية الأساسية التي وجدت ما بين القوميين البلوش، ونظامه. التفسير الأولي شدد على التناقض بين النخب البلوشية القومية الناشئة والنخبة الوطنية لباكستان. وقد زاد هذا التناقض بظهور حكومة حزب الشعب الباكستاني تحت حكم بوتو، الذي حشد الدعم السياسي من إقليمي السند والبنجاب. وكانت الحكومة المركزية ذات أغلبية بنجابية. وسواء ظلت بلوشستان جزءاً من باكستان أو انبثقت كدولة منفصلة، كان عليها التعويض عن سنوات من التخلف الذي فرضه البريطانيون وخلفاؤهم، من النظم الباكستانية، على البلوش. وكرئيس وزراء بلوشستان الجديد، كان اهتمام مينگل الرئيسي هو تعزيز البنية التحتية الاقتصادية والسياسية لإقليمه. وبالتالي يقول المؤرخ القومي، ديهوار: «كانت إقالة بوتو لحكومة حزب عوامي القومي مرتبطة في المقام الأول بانعدام الثقة العميق بمجموعات تطالب بالمزيد من الحكم الذاتي الإقليمي»[1]، ومع ذلك، ومن ناحية أخرى، فإن التفسير الثاني يعطي مزيداً من الأهمية إلى العوامل الخارجية. ولاحظ روبرت ويرسِنگ، وهو لا يقبل ولا يرفض اتهامات الحكومة ضد قادة البلوش، أن البلوش قد كسبوا بالفعل تنازلاً كبيراً من بوتو على مسألة الحكم الذاتي الإقليمي، ولذلك، «يبدو من غير المحتمل أن يخاطروا بتدميرها بهذه السرعة والطريقة غير المتقنة»[2].

هل يمكن القول إن السبب هو التهديد الفوري لحركة القوميين البلوش، الذي عجل بإقالة حكومة حزب عوامي القومي وضغوط من إيران؟ وفقاً لخان عبد الولي خان، الذي أدلى بهذه التهمة في البرلمان الوطني، وكذلك خلال محاكمته في المحكمة العليا، «كان بوتو متردداً في تثبيت حكومة حزب عوامي القومي في بلوشستان وقال: «لا أستطيع تسليم بلوشستان إلى حزب عوامي القومي، وذلك لأن شاهنشاه [ملك] إيران لا يوافق على ذلك»[3]. وإذا لم تشر الخلافات الدستورية بين بوتو والبلوش إلى أي «أهمية حاسمة في ذاتها»، يرى هاريسون «كانت العوامل الرئيسية التي

(1) Ibid., p. 387.
(2) Robert Wirsing, «The Baluchis and Pathans», in: The Minority Rights Group, Report No. 48. (This report was first published in March 1981) July 1987, p. 11.
(3) In the Supreme Court of Pakistan: «Written Statement of Khan Abdul Wali Khan», Peshawar,1975, p. 48.

ساهمت في إقالة بوتو لقادة البلوش والاندلاع التالي للقتال بين الجانبين هي أهداف بوتو السياسية الكبرى في باكستان، والضغط على إسلام آباد من شاه إيران، والتوتر الإيراني العراقي، والدعم السوفياتي لبغداد في نزاعها مع طهران»[1].

كان نظام الشاه، باعتباره المورد الرئيسي للمساعدات الاقتصادية لباكستان في ذلك الوقت، يخشى خصوصاً أن تثير الحكومة البلوشية ذات الحكم الذاتي في باكستان مطالب مماثلة للحكم الذاتي بين البلوش الايرانيين. وعلاوة على ذلك، اشتبه الشاه أيضاً في أن قادة البلوش اليساريي التوجه يقومون بمساعدة وإيواء جبهة تحرير بلوشستان المدعومة عراقياً (BLF)، التي كانت ناشطة حينئذ في بلوشستان الإيرانية. وكما لاحظ سليگ هاريسون، كانت ضغوط الشاه هي المسؤولة إلى حد كبير عن اتخاذ بوتو قرار إطاحة الحكومة البلوشية ذات الحكم الذاتي في عام 1973، وعن استخدام القوة الجوية، فضلاً عن القوات البرية في سحق ثورة البلوش. وأشار هاريسون في كتابه، تحت ظلال أفغانستان في عام 1981، «قال لي بوتو في مقابلة أجريتها معه عام 1977، إن الشاه كان مصراً جداً، بل مهدداً، ووعدنا بكل أنواع المساعدة الاقتصادية والعسكرية، وأكثر بكثير مما حصلنا عليه سابقاً. وشعر بقوة بأن منح البلوش الحكم الذاتي الاقليمي لا يشكل خطراً في ذاته فحسب بالنسبة إلى باكستان، ولكن من شأنه أن يعطي البلوش لديه أفكاراً خطيرة»[2].

ووفقاً لرئيس وزراء بلوشستان في حينه، عطاء الله مينگل، أُقيلت وزارته لسببين أولهما أنه كان على السيد بوتو أن يقول للملك الإيراني إنه كان يحاول حماية مصالحه في الخليج الفارسي ولهذا السبب كان يجب أن تُقال حكومة بلوشستان. وثانياً، كانت بعض السياسات التي اعتمدتها حكومة حزب عوامي القومي في بلوشستان والحدود الشمالية الغربية موافقاً عليها ومقدرة من قبل الشعب، الذي كان يقوم بمقارنات. وأضاف عطاء الله مينگل، «كان هناك إقليمان في باكستان مع وزارات حزب الشعب الباكستاني، وإقليمان آخران من وزارات تحالف جمعية علماء الاسلام وحزب عوامي القومي». «كان الناس يدركون أن القوانين واللوائح التي كنا نقررها، وموقفنا من القضايا الوطنية، هي أكثر عقلانية في طابعها. وكانت معظم الإصلاحات، على خلاف

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 34.
(2) Ibid., p. 97.

ما يقوله بوتو، قادمة من بلوشستان والإقليم الحدودي الشمالي الغربي؛ فكانت الإصلاحات التعليمية، وإصلاحات الأراضي، وقوانين العمال، هي أكثر تقدمية من أن يتحملها بوتو. ولذلك كان عليه التخلص من هذه الوزارات»[1]. وقال عطاء الله مينگل معبراً عن رفضه لادعاءات بوتو عن الخروج على القانون في بلوشستان: «وفيما كان يتعلق بحالة القانون والنظام؛ كيف بقتل العديد من الناس في السند، التي يحكمها حزب الشعب الباكستاني؟ بينما في كامل اضطرابات لاس بيلا في بلوشستان قتل أربعة أشخاص فقط، وهما اثنان من جانب الجيش واثنان من المدنيين. في حين قتل المئات في السند والمئات في البنجاب. وكانت هناك اغتيالات سياسية في الأقاليم التي يحكمها حزب الشعب الباكستاني، ولكن لم تتم معاقبة أي من هذه الوزارات عن ذلك. لا، لم يحصل ذلك على الاطلاق، وبذلك بالتأكيد لم تكن وزارات حزب عوامي القومي هي غير القادرة على السيطرة على وضع القانون والنظام»[2].

وبالمثل، ألقى حاكم بلوشستان، غوث بكش بيزَنجو باللائمة على الحزب الحاكم، حزب الشعب الباكستاني، لاستخدامه المعايير المزدوجة. ووفقاً له، عندما أضربت الشرطة في لاهور وجاء الشعب للقيام بواجبات الشرطة، تم مدحهم لإظهارهم شعوراً عالياً بالوطنية. بينما في ردة فعل مماثلة من جانب شعب بلوشستان، وصفت بالخيانة! وبالمثل، وفقاً لبيزَنجو، عندما قتل العشرات من الناس وشرد المئات في السند خلال أعمال الشغب اللغوية، لم يوضع أي لوم على حكومة حزب الشعب الباكستاني في الاقليم. في حين أُعتبرت اضطرابات على نطاق أضيق بكثير في بلوشستان سبباً كافياً لتدخل المركز العسكري وإقالة حكومة الإقليم[3].

الثورة البلوشية الثالثة (1973 ـ 1977): اختبار جديد للقومية البلوشية

كانت من المفارقات، مساهمة أنشطة الحكومة المركزية الباكستانية الاستفزازية في إحياء وتوحيد القوى الانفصالية البلوشية. وهكذا، أثارت إقالة بلوشستان الحكومة الاقليمية في عام 1973 واعتقال قياداتها المنتخبة، المواجهة المسلحة الثالثة بين البلوش

(1) People's Front, vol. 2, No ..l, 1974, p. 3.
(2) Ibid.
(3) People's Front, vol. 2, No. 6-7, 1975, pp. 3-4.

والحكومة المركزية الباكستانية. وشارك في هذه الحرب، وفقاً لهاريسون، أكثر من ثمانين ألف جندي باكستاني، وحوالى خمسة وخمسين ألفاً من مقاتلي البلوش في مختلف مراحل القتال[1]. وفي هذا الصدد، كتب جان محمد، «مسلحين بأسلحة عفا عليها الزمن قاتلوا الجيش الباكستاني الذي يبلغ عدده ثلاثة أقسام والقوات شبه العسكرية والشرطة المسلحة، الذين يصل تعدادهم إلى أكثر من مائة ألف رجل»[2]. ووفقاً لجان محمد، تأثر تقريباً كل قسم من السكان البلوش في وسط وشرق بلوشستان بهذه الحرب[3]، التي أدت إلى مقتل ما لا يقل عن ثلاثة آلاف جندي باكستاني وخمسة آلاف وثلاثمئة مقاتل بلوشي، مع خسائر أعلى من ذلك بين المدنيين الذين علقوا في تبادل إطلاق النار[4]. وزيادة على ذلك اضطر الآلاف إلى مغادرة قراهم التي سواها الجيش الباكستاني بالأرض. وانتهى الصراع بعد إطاحة قائد الانقلاب الجنرال ضياء الحق بوتو فقط، وإطلاقه سراح قادة البلوش.

وكما ذكر سابقاً، أدت الخلافات، على سبيل المثال، حول رغبة الحكومة القومية في كويتا في إعادة البيروقراطيين البنجابيين أو الآبادكار البنجابيين (المستوطنين) الذين خصصت لهم الأراضي الأكثر خصباً في مشاريع مثل منطقة قناة پَت فيدَر، ومقاومة التدخل العسكري وشبه العسكري في الادارة المحلية، إلى توتر العلاقات بين إسلام آباد وكويتا. ومع ذلك، كانت هذه الخلافات المحددة أعراضاً أكثر منها أسباباً لإقالة الحكومة. فالذي أدى دوراً مركزياً في هذه الدراما، هو رغبة حزب بوتو في الهيمنة على كل باكستان، وضغوط إيران من أجل استبعاد القوميين من السلطة في بلوشستان الباكستانية خشية أن يعدي مثالهم المشاعر القومية المحتدمة في بلوشستان الإيرانية[5].

كان الوكلاء الرئيسيون الذين مثلوا مصالح المركز في هذه المواجهة، هم سردار دودا خان زَركزئي، زعيم قبيلة زِهري، وجام لاس بيلا، غلام قادر. وقد استفاد هذان

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 97.

(2) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 305.

(3) Ibid.

(4) Selig S. Harrison, «Nightmare in Baluchistan», in: Foreign Policy, No. 32, Fall 1978, pp. 136-60.

(5) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 158-60.

الزعيمان القبليان سابقاً كعضوين في الرابطة الإسلامية خلال نظام أيوب خان الذي استمر عشر سنوات، وعارضا بشدة القوة القومية البلوشية الناشئة. ولكن لم يكن دودا خان وجام غلام قادر هما وحدهما من جندهما بوتو في استراتيجيته لإضعاف حكومة حزب عوامي القومي الإقليمية. وبحسب بيزَنجو، كان بوتو على أهبة الاستعداد أيضاً لتصديق القصص المبالغ فيها التي يرويها أكبر بُگتي عن استنفار جيش لحرب عصابية في بلوشستان. وكان دوافع بُگتي هي طموحاً محبطاً، بشكل واضح وبسيط، بسبب أن حزب عوامي القومي قد رفض أن يجعله الحاكم في صفقته التي توصل إلها مع بوتو لتشكيل حكومة حزب عوامي القومي - جمعية علماء الاسلام في بلوشستان. وكوفئ أكبر بُگتي على النحو الواجب لأنشطته المعادية لحزب عوامي القومي بتعيينه حاكماً بعد إقالة حزب عوامي القومي، ولكن لم يتمكن من الاستمرار أكثر من عام لأن الجيش لم يثق به تماماً، بينما كان الجيش في هذه المرحلة منخرطاً في مشاركة كاملة في عمليات مكافحة الثورة في الاقليم. ومع ذلك، وفي الأيام الأخيرة من توليه منصب الحاكم، طلب أكبر بُگتي من بوتو سحب قواته من بلوشستان وإعادة إدارة حزب عوامي القومي المقالة إلى السلطة[1]. ومع استقالة أكبر بُگتي(*)، في ليلة رأس السنة الجديدة (1973)، عين بوتو، أحمد يار خان، آخر خانات كلات، باسم حكومة حزب الشعب الباكستاني في كويتا. وقد فقدت صورة هذا الأخير بريقها بسبب إرادته الضعيفة أمام

(1) مقابلة مع نواب أكبر بُگتي.

(*) قامت قوات الجيش الباكستاني بالهجوم على معقل أكبر بُگتي (البالغ 79 سنة) في السادس والعشرين من أغسطس عام 2006، وقتلته في بَهمبور مع خمسة وثلاثين من أتباعه، بعد أن زاد موقفه راديكالية ضد باكستان في إثر مطالبته بتقسيم عادل لثروات بلوشستان ورفضه التغيير الديموغرافي الذي سعى إلى جلبه الجنرال برويز مشرف في مشروع گوادر، ووقف بناء المنشآت والحواجز العسكرية. مما أدى إلى تظاهرات عارمة في جميع أرجاء بلوشستان، مما زاد زخم الثورة البلوشية الخامسة التي أشعل شرارتها في عام 2004، والتي لا تزال مستمرة حتى الآن. وهي متمثلة في عمليات تفجيرية يستهدف المقاتلون البلوش بها المصالح الباكستانية والأفراد الممثلين لها. بينما قامت الأجهزة الباكستانية بخطف أكثر من عشرة آلاف بلوشي طبقاً للقوميين البلوش، ولا يعلم مصير المختطفين، بالإضافة إلى حملة اغتيالات وتصفية جسدية واسعة شملت العشرات من قادة البلوش والمئات من نشطائهم السياسيين، وخطف كل من له ارتباط بالحركة القومية البلوشية الجارية، ومن ثم تعذيبه ورمي جثته. وحتى الآن وجدت أكثر من ألفي جثة مشوهة منذ عام 2004. انظر تقرير هيومن رايتس ووتش الصادر في يوليو 2011، (تمت الزيارة في 5 - 7 - 2012):

http://www.hrw.org/sites/default/files/reports/pakistan0711WebInside.pdf

الضغوط الباكستانية واستجابته لها؛ وتحت حكمه كانت كويتا امتداداً لأجهزة الدولة في إسلام آباد[1].

أدى نواب أكبر بُگتي دوراً غامضاً ومثيراً للجدل في كثير من هذه الأحداث. كان أكبر بُگتي سردار قبيلة بُگتي، واحدة من القبائل الرئيسية الثلاث في بلوشستان. ولد عام 1927، في باركان، وهي بلدة صغيرة في بلوشستان الشمالية. تم انتخابه في عام 1956، عضواً في الجمعية الوطنية (MNA) ليشغل مقعد بلوشستان الوحيد، وسريعاً ما انضم بعد ذلك إلى مجلس وزراء السير فيروز خان نون وزير دولة للشؤون الداخلية. وبعد الأحكام العرفية (1958)، انضم بُگتي مع عطاء الله مينگل، وخير بكش مَري، وغوث بكش بيزَنجو، إلى النضال من أجل حقوق إقليمهم. وفي انتخابات عام 1970 فازت المجموعة التي قادها مينگل ومَري وبُگتي بالأغلبية في بلوشستان. وقدم التوتر بين شيخ مجيب الرحمن وبوتو، لبُگتي الفرصة للقاء وتأييد الأخير[2].

وعين أكبر بُگتي حاكماً بواسطة ذو الفقار علي بوتو بعد أن أقيل نظام حزب عوامي القومي. ولكن حتى بُگتي لم يقدر على مقاومة الضغوط لكونه بلوشياً واستقال من منصبه عندما بدأ الجيش بعملياته الأكثر تطرفاً في المنطقة، واحتجاجاً على استمرار اعتقال قادة حزب عوامي القومي[3]. وعلى الرغم من دور أكبر بُگتي في التعجيل بالحرب العصابية (حرب العصابات) في بلوشستان، ولكنه لم يصبح مدافعاً عن باكستان كما ادعى معارضوه. فاستمر في التحرك من أجل مزيد من الحكم الذاتي ومزيد من المشاركة في الموارد لبلوشستان ضمن باكستان، وإن كان ذلك في إطار معتدل نسبياً مقارنة بتطرف خطاب السياسيين البلوش خلال الحرب.

استقال أكبر بُگتي من منصبه كحاكم لبلوشستان بعدما واجه حقيقة أنه كان عاجزاً في منصبه الرمزي، في الواحد والثلاثين من أكتوبر عام 1973. وبحلول أواخر سبعينيات القرن العشرين، رددت خطبه دعوات بيزَنجو ومينگل لإعادة هيكلة الدولة لمنح المساواة للأقاليم الأربعة في كونفدرالية بدلاً من بنية فدرالية[4]. وخلال ثمانينات

(1) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, p. 138.
(2) Zainab Rizvi, «The Lion in Winter», in: Friday times, Lahore, May 23-29, 1997.
(3) MazharZaidi, «Whatever happened to the Nationhood», in: Jang (Daily) London, 18 October, 1997.
(4) Janmahmad, Essay on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 332-37; Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 191.

القرن العشرين، وبأسلوبه المميز والاستفزازي، قام بالاحتجاج شخصياً على قانون الأحكام العرفية لحكومة ضياء الحق من خلال رفض التحدث بالأوردية، اللغة الوطنية لباكستان. واستأنف التحدث بها عندما أجريت الانتخابات في عام 1988 فقط، ومع ذلك، فقومية بُگتي وموقفه المعادي لإسلام آباد، طوال ثمانينات القرن العشرين، عززا موقعه السياسي في بلوشستان، وذلك يتضح من حقيقة أنه كان أول من شكل حكومة بعد انتخابات عام 1988.

وكان من المفارقات، أن إقالة بوتو لحكومة حزب عوامي القومي جعلت نبوة نضال الحرب العصابية تحقق ذاتها ذاتياً. فلجأ القوميون البلوش إلى الجبال لشن المقاومة لانتهاك نظام بوتو حقوقهم الديمقراطية. وطالبوا بإعادة تثبيت حكومتهم في الاقليم، بناء على نتائج انتخابات عام 1970 (النتائج نفسها التي يستند إليها بوتو في دعواه بشرعيته باعتباره الزعيم المنتخب). وعندما أصبح مقاتلو البلوش، باستخدام معرفتهم الحميمة بأرض وطنهم، وتمتعهم بدعم شعبهم، فعالين على نحو متزايد في نصب كمائن لقوات الجيش والوحدات شبه العسكرية، طار بوتو في أبريل عام 1973 إلى طهران، حيث أعلن بعد لقاء الشاه أن إيران ستقدم مئتي مليون دولار في حالات الطوارئ والمساعدات المالية لمكافحة المقاومة البلوشية المقاتلة بتكتيك حرب العصابات[1]. وجاءت أكثر هذه المساعدات الايرانية أهمية في شكل ثلاثين طائرة هليكوبتر مقاتلة من طراز هيوي كوبرا قدمتها الولايات المتحدة الأميركية. وأثبتت هذه الخطوة أنها كانت حاسمة في تحسين قدرة الجيش على مواكبة واعتراض مقاتلي البلوش السريعين والراسخين، الذين عرفوا الجبال مثل ظهور أياديهم. وفي الوقت نفسه، وعلى الجانب الآخر من الحدود (بلوشستان الايرانية)، ركز الشاه خمس كتائب من القوات، ووفقاً للجبهة الشعبية كانت تضم أكثر من ثمانين ألف رجل مسلح[2].

ذروة الثورة

في بداية عام 1973 بعد حل حكومة حزب عوامي القومي، ألقي القبض على غالبية أعضاء البرلمان الاقليمي، فنظم الطلاب البلوش والنشطاء السياسيون الجبهة

(1) Ibid., p. 36.
(2) People's Front, May 1973.

الشعبية البلوشية لبلوشستان مستقلة[1]. ويشار إلى أن اثنين من الأحداث ساهما في تنامي الإحباط بين القوميين البلوش، الذين أصبحوا يشككون أكثر من أي وقت مضى في إمكانية تحول باكستان نحو الديمقراطية. وكان أولهما بنگلاديش، حيث الانتخابات، في رأي السردار عطاء الله مينگل، لم تؤد إلى الانتقال إلى المؤسسات الديمقراطية، ولكن لقمع عنيف من قبل الجيش غير الراغب وغير القادر على قبول القواعد الديمقراطية. وكان ثانيهما إقالة برلمانات بلوشستان والاقليم الحدودي الشمالي الغربي واعتقال قادتها في عام 1973[2]. ولم يكن الإحساس بخيانة نظام بوتو المدني، الذي وقع الضمانات الدستورية لبلوشستان على نحو تكون به شبه ذاتية الحكم، سوى جزء فقط من المشاعر القومية المتنامية التي غذت الثورة التي استمرت لمدة أربع سنوات متتالية. وفي هذا الصدد، قال مير غوث بخش بيزَنجو في بيانه لمحكمة باكستان العليا:

> لا بد لي من قبول أن استخدام القوة المتفوقة، يُمكن من الحفاظ على حدود الدولة، وحتى كسب أراض جديدة، وامتلاك المستعمرات أو العبيد المصفدين لفترات تاريخية معينة، ولكن لا يمكن إنشاء أخوية عن طريق الحِراب، وسفك الدماء، والموت والدمار. لا يمكنكم إنشاء دولة موحدة بالقوة. فالأمم نشأت، وجاءت إلى حيز الوجود بعمليات تاريخية من خلال الشعور بالمصالح المشتركة، وبالاتحادات الطوعية، ومن خلال اعتراف الأفراد بحقوق كل فرد بينهم، وذلك بالاحترام والمحبة الأخوية فيما بينهم. الحراب والرصاص لا يمكن لهما أن يشكلا أمة موحدة، ولكن يمكنهما إلحاق الضرر بهذا الهدف الذي لا يمكن إصلاحه فحسب[3].

في مطلع أبريل عام 1973، وصل القتال إلى أشُده تحت قيادة عدة مغاوير شباب في مناطق سَراوان، وجَهلاوان، ومناطق مَري وبُگتي، بقيادة مير هزار خان ومير لوَنگ خان، وعلي محمد مينگل، وسَفَر خان زَركزئي، وخيرجان بيَزنجو، وكانت المناطق الشمالية، كلات ومَستونگ، واقعة تحت قيادة سليمان خان أحمد زئي، في حين كان مير أسلم

(1) Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the right of self-determination», p. 205.

(2) Azad Baluchistan, London, July-August 1983, p. 8.

(3) People's Front, vol. 2, No. 6-7, London, 1975, p. 4.

گچكي ناشطاً في منطقة محمد حسني(*)[1]. العدد الإجمالي للمقاتلين في جَهلاوان وسَراوان كان أربعة آلاف رجل على التوالي لكل منهما، وقد اعتمدوا على تكتيكات الكر والفر ضد الجيش[2]. وتواصلت الحرب بعنف شديد خلال 1973 ـ 1974.

في الثامن من أغسطس عام 1973، حاول الجيش أن يقترب من القرى، ولكن واجهته مقاومة شرسة في مَلي، في مقر قطاع لوَنگ خان، الذي هتف عند القتال عالياً أنه آسف لأن الفرصة لم تتح له للدفاع عن بلوشستان إلا في شيخوخته[3]. وخلال المعركة قتل لوَنگ خان وخمسة وثلاثون بلوشياً آخرون[4]. وامتد الجيش الباكستاني معززاً بقوات جديدة، في جميع أنحاء المنطقة البلوشية التي شملت چاگي، وبولان، ومَكُران، وخاران. وعلى الرغم من هذه التغطية سد الثوار الطرق التي تربط بلوشستان بالأقاليم المجاورة من السند والبنجاب[5].

باعتمادهم على نهج حرب العصابات الكلاسيكي لتجنب أي مواجهات واسعة النطاق مع الجيش الباكستاني، استخدم مقاتلو البلوش معرفتهم بجبالهم المحلية، وهذا منحهم ميزة مهمة. وبدا أنهم كانوا مدربين بشكل جيد على حرب العصابات، حيث لم يدخروا فرصة لمهاجمة قوافل الجيش وقواعده. وتوسعت منطقة العمليات من مدينة ديره غازي خان في البنجاب إلى الشرق من مدينة كويتا في سيبي وبولان بما في ذلك ما يصل إلى كولپور، ودادو في إقليم السند إلى نوشكي على مقربة من الحدود مع أفغانستان[6]. وتحركت قوافل الجيش في منطقة عملياتهم تحت الحماية، وأُرسلت مفرزة لحماية الجيش من أي هجوم مفاجئ على الطرق ومن أجل استعادة حركة المرور في كل مكان[7].

(*) تعرف أيضاً (مَمْسَني، ويعتقد أن هذا الاسم هو الاسم الأصلي الذي تحور لاحقاً إلى محمد حسني) وسميت نسبة إلى قبيلة بلوشية منتشرة في بلوشستان، تعد من كبرى القبائل، ويعتقد أفرادها انهم منحدرون من جدهم الأكبر شاه سومال، وفي رواياتهم ينتسبون إلى البطل الأسطوري رُستم ابن زال (مقابلة مع أستاذ اللغة البراهوئية بجامعة بلوشستان كويتا، د. منظور محمد هاشم مَمسني بلوج، 27 ـ 5 ـ 2009).

(1) People's Front, London, October 1973.

(2) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 403.

(3) People's Front, London, October 1973.

(4) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan, p. 184.

(5) Ibid., p. 184.

(6) Ibid.

(7) Sherbaz Khan Mazari, A Journey to Disillusionment, p. 357.

نما الصراع بشراسة على مدى السنوات الأربع المقبلة. ولم تعلم بقية باكستان والعالم الخارجي بما كان يحدث إلا القليل بسبب التعتيم الذي فرضه بوتو على عمليات بلوشستان الحربية(1). وكان القتال على نطاق أوسع مما كان عليه خلال نضالات المقاومة السابقة، وتضرر معظم سكان بلوشستان في مرحلة ما أو أخرى. وبحلول منتصف عام 1974، تمكن الثوار من جعل السفر على أي من الطرق الرئيسية التي تربط بلوشستان بالأقاليم الأخرى عملاً محفوفاً بالمخاطر. فعطلوا دورياً مفتاح خط سيبي ـ هاراني للسكك الحديد، وبالتالي أعاقوا إرسال شحنات الفحم إلى البنجاب. وتم وضع شركة أموكو الأمريكية في وضع حرج على نحو فعال، بعد ما حاولت التنقيب عن النفط والغاز، وكان يحميها الجيش من هجمات المقاتلين. ورد نظام بوتو من خلال دعوة سلاح الجو الباكستاني لقصف المناطق التي يسيطر عليها المقاتلون. وبحلول صيف عام 1974، تم اعتقال سبعة آلاف عضو من حزب عوامي القومي في بلوشستان؛ ولكن تم القبض على عدد أكبر عندما زادت أنشطة المقاتلين. وقدرت الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان، أنه وبالإضافة إلى أعضاء حزب عوامي القومي، تم اعتقال ما بين خمسة إلى ستة آلاف من مؤيديها في نهاية عام 1974(2).

أطلق الجيش العنان لنفسه بقيادة الجنرال تِكا خان، أحد الموالين لبوتو، وتغلغل بأعداد كبيرة لتهدئة بلوشستان بقوة غاشمة. وكانت عمليات چَملانگ العسكرية في منطقة مَري القبلية في شتاء 1974 ـ 1975 نقطة تحول في الحرب. حيث تمت مهاجمة تجمعات لنساء وأطفال وكبار السن من الرجال من قبيلة مَري، والثروة الحيوانية المنتشرة على مساحة خمسين ميلاً، عندما كانوا يحاولون الفرار لتجنب عمليات الجيش العسكرية. وقد قام الجيش الباكستاني بذلك بغية إجبار المقاتلين على الخروج للدفاع عن عائلاتهم، وقطعانهم. فنجح التكتيك. وتخلى مقاتلو المقاومة عن تكتيكات حرب العصابات وقاتلوا في معركة ضارية في احتمالات ميؤوس منها، وتعرضوا لخسائر فادحة. وقال رشيد رحمن، المعروف باسم چاكر خان(*)، واصفاً مشهداً من

---

(1) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 388.

(2) Amnesty International, Report on the Islamic Republic of Pakistan, London: Amnesty International Publications, 1976, p 15.

(*) ورد في النص أن (رشيد رحمن) لقب بچاكر خان والصحيح أن مير هزار خان لقب أسد رحمن أخ =

غزو الجيش الباكستاني، وهو أحد المقاتلين في الحرب العصابية البلوشية في سبعينيات القرن العشرين، «أتذكر كيف أخذت امرأة، وهي زوجة أحد مقاتلينا، مسدس زوجها، وصعدت مع ابنها الصغير إلى أعلى التل وراء منزلها بمجرد رؤيته سيارات الجيب العسكرية تقترب. فجعلتهم يدافعون عن أنفسهم مع تلك البندقية الواحدة لمدة ست ساعات، حتى قتلت في نهاية المطاف»(1). ومن أصل خمسة عشر ألف شخص تجمعوا في چَملانگ، تم القبض على تسعمائة، مع مصادرة خمسين ألفاً من الماعز والأغنام وخمسمئة وخمسين من الإبل، التي قد بيعت في مزاد لاحقاً(2). وهذا النجاح هو ما أقنع بوتو أن يعلن في بداية عام 1975 ما يلي: «لقد قصمت ظهر التمرد»(3). وعلى الرغم من أن ذلك قد يكون فيه شيء من المبالغة أكثر منه من الواقع، ولكن الحقيقة هي أن معركة چَملانگ بددت قدرة المقاومة على القتال بالمستوى نفسه منذ ذلك الحين. وقال مير غوث بكش بيزَنجو في تبرير النضال البلوشي في عام 1975، في مقابلة مع الجبهة الشعبية:

في ظل هذه الظروف، لم يكن عند الشعب البلوشي أي وسيلة أخرى سوى اللجوء إلى الحق الطبيعي في الدفاع عن النفس، وإلى حمل السلاح ضد هجوم غير مبرر على أرواحهم وممتلكاتهم والدفاع عن منازلهم بقدر ما استطاعوا. ومن شأن أي رجل شريف يحترم ذاته أن يعتمد على النهج نفسه في مثل هذه الظروف، والبلوش ليسوا استثناءً من الغرائز البشرية الطبيعية من أجل البقاء على قيد الحياة. فكل ما قاموا به في هذا الصدد، فعلوه تحت الإكراه وأقصى أنواع الاستفزاز من جانب القوات المسلحة التابعة للحكومة الفيدرالية، التي ينبغي أن تكون مسؤولة عن هذا الصراع الأهلي والدمار(4).

= رشيد بهذا الاسم، انظر لقاء ملك سراج أكبر مع أسد رحمن في 19 ـ 10 ـ 2009، عن (تاريخه النضالي في الحركة البلوشية). (تمت زيارة الصفحة في 26 ـ 6 ـ 2012):
www.gmcmissing.wordpress.com/2009/10/19/revisiting-the-che-guevara-like-days-of-baloch-resistance-movement-with-asad-rehman/

(1) Jang, (Daily) London, 18 October, 1997.

(2) Syed Iqbal Ahmad, Balochistan, p. 184

(3) Rashed Rahman, «The Rise and Fall», p. 7.

(4) People's Front, vol. 2, No. 6-7,1975, p. 4.

كانت تلك حرب استنزاف، حيث قاتل فيها المقاتلون جيشاً ذا كفاءة عالية، نظراً إلى العوامل المواتية مثل التضاريس الجبلية الوعرة، وضعف الاتصالات، ومعرفتهم الجيدة بالأرض، والسكان المحليين المتعاطفين، ومخابئهم الآمنة. وفي النهاية قيل أنه كان للجيش أفضل المناورات. فقد كان لدى الجيش الخبرة، والنقل السهل للأسلحة النارية والموارد بما في ذلك طائرات الهليكوبتر المقاتلة وقاذفات القنابل. وفي الوضع المتغير، غير مير هَزار خان استراتيجيته. ففي أواخر عام 1975، انتقل إلى أفغانستان مع بعض القادة الآخرين، وأنشأ عدداً من الملاجئ على طول الحدود، وتبعه سَفر خان زَركزئي، وداد محمد، ومعهم ستون تابعاً، في حين تحول آغا أسلم، وشَيستان خان إلى منطقة چاگي. ومع ذلك، في نوفمبر عام 1975، نصب المسلحون كميناً للجيش في منطقة سورو قرب كلات وألحقوا به ضحايا بشرية ومادية جسيمة[1].

نجح نظام بوتو ضد الجبهات الست الأخرى أكثر من منطقة المَري. وتمكن من قتل، وتدمير، أو إجبار سائر المجموعات القبلية المنظمة على الفرار إلى أفغانستان. وكان الاستثناء هو الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان (BPLF)، التي كان عمادها قبيلة المَري. ولكنها اضطرت أيضاً إلى نقل النساء والأطفال لاجئين إلى أفغانستان المجاورة لتجنب عمليات الجيش العسكرية. وقدمت حكومة سردار داود في كابول الحد الأدنى من المساعدة للبلوش، حتى أطاحه الانقلاب الشيوعي في عام 1978، ووفقاً لمنتقديه فقد كان يتقرب من شاه إيران وبوتو[2]. وفي عام 1975، رداً على اغتيال زعيم حزب الشعب الباكستاني البارز في الاقليم الحدودي الشمالي الغربي، حيات محمد خان شيرپاؤ[*]، أرسل بوتو في إشارة إلى المحكمة العليا يطالب بها بفرض حظر على حزب عوامي القومي. فوافقت المحكمة العليا مجبرةً. وفي عام 1976، أقام نظام بوتو دعوى قضية مؤامرة حيدر آباد ضد خمسة وخمسين شخصاً من الاقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان، متهماً إياهم «بشن حرب ضد باكستان».

تواصل القتال داخل بلوشستان، في غضون ذلك، حتى أطاح الجنرال ضياء الحق ببوتو في يوليو عام 1977، وكان ضياء الحق الخصم الأكثر تصلباً في نظام بوتو

(1) M. M. S. Dehwar, Contemporary History of Balochistan, p. 405.

(2) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 376.

(*) ورد في النص (حيات أحمد شيرپاؤ) والصحيح هو ما ذكر (حيات محمد خان شيرپاؤ).

لإيجاد أي حل وسط مع المقاتلين البلوش، فكان من المفارقة أنه هو الذي نزع فتيل الثورة من خلال المفاوضات السياسية. ومع ذلك، ادعى بوتو في شهادته أن الجيش تجاهل خططه للانسحاب لأن الجنرالات أرادوا «نشر مجساتهم في جميع أنحاء بلوشستان»[1]. وهكذا، وليس لأن الجنرال ضياء الحق أصبح فجأة يكن أي مودة للقوميين البلوش، ولكن لأنه واجه جبهتين في شكل المقاومة المسلحة البلوشية وإطاحة بوتو وسجنه، فأعلن الجنرال ضياء الحق قراره إطلاق سراح قادة البلوش المسجونين، وسحب دعوى مؤامرة حيدر آباد، ومنح العفو العام لقيادة البلوش والبدء بمفاوضات سياسية[2].

وافقت القيادة البلوشية على إجراء محادثات مع نظام الجنرال ضياء الحق بعد الإفراج عنها فقط. وطرحت المطالب التالية؛ يجب أن ينسحب الجيش إلى ثكناته؛ يجب إطلاق سراح جميع السجناء السياسيين؛ يجب دفع تعويضات لجميع أولئك الذين عانوا ضرراً جسدياً، وتعويض الدمار الهمجي الذي لحق بالاقتصاد خلال الحرب. فراوغ الجنرال ضياء الحق، للحصول على الوقت «للتخلص» من بوتو. وانقسمت قيادة البلوش أكثر حيال الموقف الذي يجب اعتماده نحو النية السيئة التي كانت تزداد وضوحاً للجنرال ضياء الحق. ولم يقبل بعض قادة البلوش العفو المعروض على أساس أنهم حاربوا حكومة غير شرعية وغادروا إلى أفغانستان[3].

ومنذ ذلك الحين، فقدت الحركة البلوشية في باكستان زخمها. ولكن لم تتوقف الأنشطة السياسية البلوشية تماماً ولكنها بقيت في نطاق ضيق جداً. وتفككت الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان (BPLF)، التي كانت تأسست في عام 1973 على يد الطلاب البلوش المسلحين. فلجأ بعض أعضائها إلى أفغانستان، ومع تقليل الظهور، أبقوا على بعض من تنظيم الحزب على قيد الحياة هناك. وهكذا، فإن الحركة القومية البلوشية تراكمت لديها حصيلة ثقيلة من المعاناة الإنسانية والبؤس خلال الحرب. ونتج من هذه الضغوط والاختلافات الداخلية «انهيار» في حركة المقاومة. وتدفق اللاجئون من أفغانستان مرة أخرى في سلسلة من الرجوع المتعاقب. وكان آخر من عاد من المقاتلين

(1) Bhutto, If I Am Assassinated, cited in Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 226.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 39-40.

(3) Monthly, Azad Baluchistan, London, July 1982.

هم أنصار الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان، تحت الضغط العدائي الناتج من الانتصار الوشيك للمجاهدين في كابول. ومن المهم ملاحظة أنه، ومن جهة، سحقت من خلال الإجراءات العسكرية، الحركة البلوشية اقتصادياً وبشرياً، ووضع المثقفون في السجون أو اضطروا إلى مغادرة البلاد، وكانت كل القوى السياسية متخوفة حينئذ، ومن جهة أخرى، واصلت الحكومة سياسة الاختراق، من خلال وكالات مخابراتها. وعن هذا قال رئيس تحرير صحيفة ديلي بلوچستان اكسپرس، صديق بَلوُج، «مع سياسة الرشوة والتهديد، ومن خلال تشجيع ورعاية الفساد، نجحوا في قمع الحركة القومية البلوشية»[1]. ووفقاً للمدير العام لمستشفى جناح، في كراچي، قال الدكتور عبد المجيد بَلوُج، «لتدمير صحة شباب البلوش الجسدية والمعنوية، تم ترويج حتى الكحول والأفيون والهيروين كجزء من هذه اللعبة التي تمارسها الحكومة الباكستانية»[2]. ووفقاً للكاتب القومي جان محمد، ساهم عدم وجود التنظيم السليم، في تثبيط همم قوات التحرير[3].

ومع ذلك، يلقي رشيد رحمن المقاتل في الحرب العصابية في سبعينيات القرن العشرين، والصحافي الآن، باللائمة على قيادة السردارت في فشل الحركة. ووفقاً لرشيد رحمن، عندما خرج القادة السياسيون، ومعظمهم من السردارات، من السجن، شعروا بالتهديد من الاتجاه الراديكالي الذي كانت الحركة بصدد اتخاذه. وبرؤيتهم هذه السياسة تحت تأثير وضغط السواد الأعظم للقادة الواعين في الميدان، حاولت قيادة السردارات، التي قد صلبها النضال نفسه، فرض سلطتها على أساس سرداري وليس على أساس سياسي. ووفقاً لرشيد رحمن، فقد فشلوا، وخلق هذا تناقضاً هائلاً وانقساماً داخل الحركة[4]. وعلاوة على ذلك، وفقاً لرشيد رحمن، الذي كان جزءاً من حركة المقاومة وحصل على العفو في وقت لاحق، بسبب أن البلوش لم يمكنهم الحصول على أي مساعدة من أفغانستان أو الاتحاد السوفياتي، فشلت حركة المقاومة من الناحية الفنية واللوجستية والعسكرية في التغلب على أوجه القصور المادية[5].

(1) مقابلة مع صديق بَلوُج.
(2) مقابلة مع د. عبد المجيد بَلوُج، المدير العام لمستشفى جناح بكراچي.
(3) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 325-26.
(4) Mazhar Zaidi, «Whatever Happened to the Nationhood», in: Jang (Daily) London, 18 October 1997.
(5) Ibid.

كان أحد أخطر المشاكل التي واجهها القوميون البلوش هو الغياب المستمر للدعم الخارجي، حتى خلال الفترة الحديثة من تاريخهم في عام 1977 عندما كانوا يقاتلون مستخدمين بنادق الحرب العالمية الثانية، أو الأسلحة الصينية أو الأمريكية التابعة للجيش الباكستاني، أو بنادق القرن التاسع عشر. واعترف المؤرخون السوفيات منذ فترة طويلة «بقوميات» بلوشستان وپختونستان[1]، ولكن لم تحمل وجهات نظرهم وزناً مقارنة باعتراف الاتحاد السوفياتي بباكستان كدولة بعد الدعم الذي قدمته موسكو لمطالب الرابطة الاسلامية خلال التقسيم. بعد قرار العفو العام في 1977، قرر بعض مقاتلي البلوش بقيادة مير هَزار خان، البقاء في أفغانستان حيث نصبت مخيماتهم خلال الحرب. واختار خير بكش مَري، وهو عضو سابق في حزب عوامي القومي (NAP) الذي أقيل من الحكومة، أن يستقر في كابول مع هذه المجموعة. ومع ذلك، فإن «الارتباط بكابول» ليس جديداً. فالأنظمة الأفغانية المتعاقبة كانت مضطرة لإعطاء حق اللجوء إلى اللاجئين البلوش بسبب أهمية قضية الپختون في السياسة الوطنية لأفغانستان وانتماء الپختون المباشر والشعبي إلى بلوشستان. وعلى الرغم من هذه النظريات فقد تخلى الاستراتيجيون السوفيات عن اللعب بورقة «المسألة البلوشية» وسمحوا للاجئين بالبقاء على مستوى الكفاف[2].

وكان يعتقد أنه نتيجة للمساعدة العسكرية التي قدمها الشاه تغير مجرى الحرب لمصلحة الجيش الباكستاني إلى حد كبير. ففي ذروة القتال في نهاية عام 1974، انضمت المروحيات القتالية الإيرانية، التي زودتها بها الولايات المتحدة الأمريكية، يقودها الطيارون الإيرانيون، إلى غارات القوات المسلحة الباكستانية على معسكرات البلوش[3]. وكان لمروحيات الكوبرا المطورة لحرب فيتنام قوة هائلة في إطلاق النار، وقد تضمنت مدافع 20 ملم التي تطلق سبعمئة وخمسين طلقة في الدقيقة. وقبل هذا حاولت القوات إغلاق طرق الهروب على المقاتلين من خلال تركز الجنود في نقاط

(1) لمزيد من التفاصيل انظر،
Yur. V. Gankovsky, The Peoples of Pakistan: An Ethnic History, U.S.S.R. Academy of Sciences. Institute of Oriental Studies, Moscow. Nauka Publishing House, Central Department of Oriental literature, 1971.
(2) Taj M Breseeg, «Den Baluchiska rorelsen: Separatism or integration», pp. 50-53.
(3) People's Front, May 1973.

رئيسية على المسارات. ولكن تغلب المقاتلين البلوش على هذه التكتيكات بسهولة، حيث كان رؤساؤهم على معرفة بالتضاريس. ولكن مع مروحيات الكوبرا أمكن للجيش إرسال جنوده قبل أن يتمكن المقاتلون من الفرار. ومن ناحية أخرى لم يتلق البلوش من جانبهم، مساعدة أجنبية ذات أهمية، وكانوا مسلحين ببنادق الترباس وقنابل يدوية محلية الصنع، إلى جانب الأسلحة المستولى عليها فقط.

وكما ذكر سابقاً، بدأت العمليات العسكرية في بلوشستان في مطلع أبريل عام 1973. ويعد ذلك ذا دلالة، إذ بدأ البلوش ثورتهم، ليس من أجل الاستقلال وإنما من أجل الحكم الذاتي الاقليمي داخل باكستان، لإعادة هيكلتها جذرياً في الإطار الدستوري الكونفدرالي. ففي مقابلة له مع الجبهة الشعبية في عام 1975، فند مير غوث بكش بيزَنجو بشكل قاطع هذه الاتهامات ضد البلوش بشأن رغبتهم وحافزهم لبناء بلوشستان مستقلة خارج باكستان. وأكد أن حكام إسلام آباد صاغوا مصطلحات مثل «بلوشستان الكبرى». وقال بيزَنجو، «وبعد أن دمروا جميع المؤسسات الديمقراطية، قذفوا مثل هذه المصطلحات كاتهامات ضد المعارضين لأنظمتهم السياسية من أجل قمع المعارضة، وزيادة تشديد سيطرتهم على شعب باكستان، لترسيخ ديكتاتورية بيروقراطية الزمرة العسكرية»[1]. كان البلوش يسعون لإقامة إقليم ذي أغلبية بلوشية[2] كجزء من مشروع أكبر لإعادة ترسيم حدود الأقاليم، يتبعه تقسيم السلطة في الداخل، حيث تحتفظ إسلام آباد بالسيطرة على الاتصالات والدفاع والشؤون الخارجية والعملة، في حين سيكون للإقليم السلطة المحلية دون قيود على كل شيء آخر، بما في ذلك استغلال الموارد الطبيعية، وتوزيع الأموال المخصصة للتنمية.

زادت حرب 1973 ـ 1977 الانقسام بين حكومة باكستان المركزية والبلوش. وفي عام 1977، بحلول الوقت الذي هدأ به إطلاق النار، تكثف الشعور الانفصالي إلى حد كبير. فلم تفشل الحكومة الباكستانية في سحق ثورة المقاتلين البلوش المسلحة فحسب ولكن أدى أيضاً استخدام القوات الباكستانية والإيرانية القوة الجوية المشتركة خلال الصراع، ولا سيما القصف الجوي العشوائي على القرى البلوشية، إلى خلق استياء عميق الجذور ورغبة في الانتقام بين مقاتلي البلوش. وقال زعيم مقاتلي حرب العصابات مير

(1) People's Front, vol. 2, No. 6-7,1975, p. 5.
(2) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, pp. 126-130.

هزار خان في مقابلة مع سليگ هاريسون في معسكره بجنوب افغانستان، «إذا استطعنا الحصول على الأسلحة الحديثة فإنها لن تكون مرة أخرى مثل الماضي . . . في المرة المقبلة سوف نختار الزمان والمكان، وسنحصل على المساعدة أينما أردناها. في البداية لم يرد البنگاليون الاستقلال، ولكن إذا واصلت باكستان استخدام القوة لسحقنا، فلن يكون لدينا خيار سوى أن نتجه إلى ذلك الطريق»[1]. وهكذا ترك هذا الصراع (1973 ـ 1977) إرثاً من الكراهية المريرة والمستمرة. وبما أن جميع البلوش تقريباً يشعرون بأثر القمع الباكستاني، تم تسييس الجماهير البلوشية إلى درجة غير مسبوقة[2].

قال د. عبد الحي بَلوُج، العضو السابق في الجمعية الوطنية عن حزب عوامي القومي، وزعيم حزب حركة البلوش القومية، «للمرة الأولى في تاريخ بلوشستان الحديث، أيد جميع الشعب البلوشي حركة (1973 ـ 1977)»[3]. وكانت لحركة المقاومة الثالثة بعض العواقب البعيدة المدى للقومية البلوشية، وكذلك بالنسبة إلى المجتمع البلوشي ككل. فقد أدت قسوة الجيش الباكستاني إلى تعاطف البلوش حتى في البنجاب والسند، والعديد من المناطق الأخرى خارج بلوشستان مع إخوانهم البلوش داخل بلوشستان. وعلاوة على ذلك، قيل أن العديد من البلوش بين أعضاء حزب الشعب الباكستاني نفسه استقالوا في جميع أنحاء باكستان من مناصبهم من الحزب احتجاجاً. والعديد من هؤلاء الأشخاص وفقاً للكاتب والعضو السابق في حزب باكستان الوطني (PNP)، منصور بَلوُج، تظاهروا ضد العمليات العسكرية والاعمال الوحشية للجيش في شوارع كراچي[4]. ونظراً إلى طول مدتها، ونطاقها، وكثافتها، تأثر بالصراع المستمر منذ أربع سنوات تقريباً جميع السكان البلوش في مختلف المناطق على مختلف المراحل، وبالتالي ولد ذلك تسييساً لم يسبق له مثيل ووعي سياسي بين جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية البلوشية. وكتب لورانس زيرنگ في كتابه باكستان: أحجية التنمية السياسية (1980): «أصبح البلوش اليوم واعين سياسياً أكثر من أي وقت آخر في تاريخهم الطويل»[5].

(1) Selig S. Harrison, «Nightmare in Baluchistan», in: Foreign Policy, No. 32, (Fall 1978).
(2) Azad Baluchistan, London. July-August 1983.
(3) مقابلة مع د. عبد الحي بَلوُج.
(4) مقابلة مع منصور بَلوُج.
(5) Lawrence Ziring, Pakistan, The Enigma of Political Development, Wm Dawson & Sons Ltd., 1980, p. 165.

نفسياً، زادت هذه الحرب الفجوة الآخذة في الاتساع من الريبة وعدم الثقة بين البلوش والحكومة المركزية. فحتى بعد الافراج عن قادة البلوش من السجن وإعلان العفو العام من قبل الحكومة العسكرية، رفض غالبية مقاتلي البلوش، بما في ذلك القوة القتالية الرئيسية، الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان (BPLF) الاستسلام وإلقاء السلاح. وبدلاً من ذلك عبروا الحدود وذهبوا إلى أفغانستان(1). كتب سليگ هاريسون، «أثارت ثورة 1973 ـ 1977 وعياً سياسياً لم يسبق له مثيل في بلوشستان، ودرجة النفور النفسي من إسلام آباد واضحة الآن في بلوشستان ولافتة للنظر، ومذكره بالمناخ الغاضب الذي كان نامياً في شرق باكستان خلال أواخر ستينيات القرن العشرين»(2).

قوى الثورة الثالثة

ساهمت حرب 1973 ـ 1977 بجعل الحركة القومية البلوشية راديكالية جداً. وقبل بداية العمليات العدائية في عام 1973، كان حزب عوامي القومي هو القوة السياسية الرئيسية في بلوشستان. فكان بسبب تأثير بيزَنجو المعتدل أن اقتصرت العناصر الأكثر راديكالية إلى حد كبير في الداخل والخارج على مطالب حزب عوامي القومي بالحكم الذاتي ضمن باكستان معاد هيكلتها دستورياً كدولة فيدرالية، فشاركوا في العملية الديمقراطية، التي جلبت للمرة الأولى أول حكومة بلوشية تتمتع بالحكم الذاتي إلى السلطة في عام 1972. وفي هذا الصدد، شكل حل الحكومة الاقليمية المنتخبة والصراع الذي أعقب ذلك ضربة كبيرة للقوى المعتدلة التي يمثلها حزب عوامي القومي، الذي تم حظره في عام 1975.

بعد الحظر المفروض على حزب عوامي القومي، شكل أعضاء الحزب خلفاً له؛ الحزب الوطني الديمقراطي (NDP)، في السادس من أكتوبر عام 1975. ومع ذلك، فإن المقاومة المسلحة في بلوشستان، وتنامي الخلافات مع قادة الپشتون، وخصوصاً مع خان عبد الولي خان، فيما يتعلق بمسألة تحقيق المصالحة السياسية مع رئيس الوزراء بوتو، ولاحقاً مع الجنرال ضياء الحق، سارعا في عملية النفور بين قادة البلوش

(1) Munir Ahmad Marri, Balochistan: Seyasi Kash-makash, Quetta: Gusheh-e Adab, 1989, p. 105.

(2) Selig S. Harrison, «Ethnicity and Political Stalemate in Pakistan», p. 300.

والپشتون. فشكلت القيادة البلوشية في أوجها، في الأول من يونيو عام 1979، حزبها المستقل الخاص؛ حزب باكستان الوطني (PNP). ومثل حزب عوامي القومي، دعا حزب باكستان الوطني إلى الفيدرالية أيضاً وإلى مزيد من الحكم الذاتي، ولكن تم حظره في غضون ستة أشهر مع جميع الأحزاب السياسية الباكستانية الأخرى من قبل نظام ضياء الحق العسكري(1).

كما لوحظ سابقاً، لقد حرر أوهام أعضاء حزب عوامي القومي، إقالة حكومة حزب عوامي القومي، وتعيين أكبر بگتي حاكم بلوشستان، وتشكيل حكومة شكلية في كويتا. وأثبتت هذه الأحداث بوضوح للقوميين البلوش أن الطريق الوحيد إلى تحقيق حقوقهم القومية هو في تنظيم أنفسهم في جبهة موحدة. فلم تكن الثورة البلوشية المسلحة عفوية ونتاج فورة الحماسة القومية ولكن نتاج جهود تضافرت من قبل السردارات القبليين من الوسط اليسار لتغيير نمط العلاقات القديمة التي فرقت وبعدت بين القبائل. ومع ذلك، لم تكن محاولاتهم للتوصل إلى وحدة قومية بلوشية جامعة تتجاوز الولاءات العشائرية ناجحة(2). وكما لاحظ هاريسون، فأثناء الثورة عملت سبع مجموعات منفصلة من المقاتلين بشكل مستقل في الجبال تحت قيادة سبع مجموعات منفصلة من القادة(3). إلا أنه يعترف بأنه نتيجة للقيادة البلوشية الرفيعة المستوى المقبولة على نطاق واسع، لم تكن هناك توترات فيما بينها(4).

كانت القوى الرئيسية الثلاث هي الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان (BPLF)، ومقاتلي القبائل، ومنظمة الطلبة البلوش (BSO)، وكان أقواها وأنشطها في المشهد السياسي البلوشي هو الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان، التي انبثقت كالمركبة الرئيسية للأنشطة القومية البلوشية في باكستان عام 1973. وبتبنيها مذهباً ثورياً في برامجها، عُرفت الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان بميولها اليسارية، ودعوتها إلى مقصد حق تقرير المصير(5). وتولت قيادة الجبهة الغربية، أي أراضي المَري في الدرجة

(1) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, pp. 57-58.

(2) ShaihRagam, ShapRouchShap, pp. 75-76.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 71.

(4) Ibid.

(5) Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the right of self-determination», pp. 205-206.

الأولى[1]. ولكونها منظمة خلفت حركة المقاتلين البَراري، اعتمدت الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان اسمها في عام 1973[2]. وكان لا يزال جهاز صنع القرار فيها، القيادة الشعبية الثورية، برئاسة القائد العسكري السابق للبَراري، مير هَزار خان، وهو أيضاً مريد لشير محمد مَري، مؤسس حركة البَراري. وقد ألقي القبض على شير محمد مَري في عام 1973 وأمضى بقية سنوات الحرب في السجن[3]. وبعد معركة چملانگ في عام 1975، حولت المنظمة الشعبية لتحرير بلوشستان بعض معسكراتها إلى داخل أفغانستان. ويقال إن للجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان قوة تقديرية تقدر بسبعة آلاف إلى اثني عشر ألف مقاتل[4]. وحصلت الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان كما ذكر سابقاً، على التأييد من كل الطلاب وقبيلة مَري، وبلغ تعدادها حوالى ستين ألف مؤيد. وكما لوحظ من قبل المؤرخ، إيان تالبوت، كانت للجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان قواعد في كندهار وبغداد وكذلك في بلوشستان[5]. وعزز الدعم الضمني من سردار المَري، خير بكش مَري، بالتأكيد وإلى حد كبير قوتها وشرعيتها.

وبالإضافة إلى ذلك، نظمت في المناطق القبلية، جَهلاوان، وسَراوان، قبائل المينگل، والبيزَنجو، والمحمد حَسني، والزَركزئي، والزِهري قواتها القبلية الخاصة. ومن خلال عملها في لاس بيلا، وخاران، ومَكُران، أضافت حوالى ثمانية آلاف مقاتل، اعتمدوا تكتيكات الكر والفر ضد الجيش الباكستاني[6].

وكانت قوة أخرى هامة في الحركة القومية البلوشية 1973 ـ 1977 في بلوشستان الباكستانية هي «منظمة الطلبة البلوش»، (BSO). في الستينيات المضطربة من القرن العشرين، خلق جهد القوميين السياق الذي تعرض فيها العديد من الطلبة البلوش للتأثيرات الخارجية، فخرجوا من الطراز القبلي وأصبحوا مسيسين إلى حد كبير، فانتشروا وأصبحوا على رأس النضال ضد المركز الذي يهيمن عليه البنجاب. أعلن الطلبة تشكيل منظمة الطلبة البلوش في السادس والعشرين من نوفمبر عام 1967، بعد

(1) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 226.
(2) S. Mahmud Ali, The Fearful State, p. 149.
(3) Ibid.
(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism» p. 257.
(5) Ian Talbot, Pakistan: A Modern History, p. 226.
(6) M. M. S. Dehwar, Contemporary; History of Balochistan, p. 403.

مؤتمر دام ثلاثة أيام في كراچي. وعين عبد الحي بَلوُچ، طالب الطب، رئيسها الأول[1]. ومع ذلك، في عام 1969، وبعد غضون سنوات قليلة على إنشائها، تحولت منظمة الطلبة البلوش واستقطبت معسكرين من المعتدلين والثوريين، وعرفت باسم منظمة الطلبة البلوش (BSO)، ومنظمة الطلبة البلوش ـ عوامي(BSO - Awami) أو المعادية للسردارات على التوالي. وأدى تقارب حزب عوامي القومي وحزب الشعب الباكستاني إلى ازدياد اتساع الفجوة بين المجموعتين، والتشكيل الرسمي لمنظمتين طلابيتين منفصلتين في عام 1972، على النحو الوارد أعلاه[2].

وفقاً لهاريسون، مالت منظمة الطلبة البلوش ـ عوامي بشكل لا لبس فيه تجاه الجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان. وكتب هاريسون، «هذا التوجه يعود إلى الجدل بين قادة البلوش بشأن شروط وقف إطلاق النار في عام 1969»[3]. وبالقدر نفسه من الأهمية، كانت النشاطات الفكرية لمنظمة الطلبة البلوش، ومنظمة الطلبة البلوش ـ عوامي، كما وردت في منشوراتها. وأصدرت منظمة الطلبة البلوش نشرة شهرية تدعى گِروك (البرق)، في حين أن منشورات الأخرى شملت بَجار(الهوية)، لَبزانك (الأدب)، وكلتاهما مجلة شهرية. يقدر هاريسون أنه بين 1967 و1981، انضم خمسة وعشرون ألف طالب إلى المنظمتين الطلابيتين في فترات مختلفة[4]. وفي هذا الصدد، كانت كذلك منظمة الطلبة البلوشية واحدة من أكثر الأرضيات خصباً والهامة في خدمة المنظمات القومية للتجنيد.

صرح الكاتب القومي جان محمد، في كتابته عن منظمة الطلبة البلوش، «إن أهم منظمة بعد الأنجُمَن، إلى حزب دولة كلات القومي، وأُستمان گل، وحزب عوامي القومي، في سياق النضال القومي البلوشي هي منظمة الطلبة البلوش (BSO)»[5]. اعتقل خلال الحكم العسكري للجنرال ضياء الحق، الكثير من أعضائها، أو أعدموا، أو اضطروا إلى المغادرة والعيش في المنفى. تقف منظمة الطلبة البلوش مع الاشتراكية والحق في تقرير المصير، بما في ذلك الانفصال.

(1) مقابلة مع د. عبد الحي بلوچ.
(2) اندمج الأفرقاء بعضهم في بعض تحت اسم منظمة الطلبة البلوش، في الخامس والعشرين من سبتمبر عام 1983.
(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 85.
(4) Ibid., p. 83.
(5) Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan, p. 214.

ولكونها جماعة ضغط قوية، أدت منظمة الطلبة البلوشية دوراً رئيسياً في تنظيم الطلبة البلوش ليس في المجالات التعليمية والثقافية فحسب، ولكن أيضاً حول القضايا المتعلقة بالحقوق القومية البلوشية، خلال العقود الثلاثة الماضية. ونافس أحد قادتها، الدكتور عبد الحي بَلوُج، على مقعد الجمعية الوطنية الباكستانية. وهزم بها الأمير يحيى، نجل أحمد يار خان، حاكم كلات السابق. وكان اختيار عبد الحي اعترافاً بتضحيات منظمة الطلبة البلوش ودورها الملموس في الحركة السياسية البلوشية(1). في الوقت الحاضر تعد منظمة الطلبة البلوش مؤيدة كبيرة «لحركة بلوشستان القومية» (BNM).

ليس من اختصاص هذه الدراسة تحليل المسألة القومية البلوشية في ما بعد ثمانينيات القرن العشرين. وما يلي مجرد ملاحظات قصيرة بشأن التطورات السياسية في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين. بعد أن جرب ذو الفقار علي بوتو مزيجاً من القمع والتعبئة الاجتماعية والخطاب الشعبوي لهزيمة الحركة القومية البلوشية، زاد ضياء الحق هذا المزيج بمزيد من القمع مع خطاب إسلامي وسياسة خارجية بارعة بمواجهة أفغانستان، مما جلب للأخير كميات كبيرة من المساعدات الخارجية الأمريكية. البلوش، وعلى العكس من ذلك لم يعثروا على راعٍ أجنبي.

وكما ذكر من قبل، منذ مطلع عام 1980، انتصر الجيش الباكستاني في الصراع المسلح ضد حركة الحكم الذاتي البلوشية، وبالنسبة إلى المستقبل القريب، هُزمت الحركة القومية البلوشية مرة أخرى. وبينما لا يوجد آفاق للحكم الذاتي في ظل النظام الحالي، فإن أي صدع خطير في بنية الدولة في إسلام آباد سيضع بلوشستان تحت سيطرة الأحزاب البلوشية مرة أخرى.

بعد اغتيال الجنرال ضياء الحق في أغسطس عام 1988، أثارت عدة جهات مطالب بإجراء انتخابات جديدة. فأعلن الرئيس غلام إسحق خان، وهو من كبار بيروقراطيي البَشتون، إجراء انتخابات جديدة في نوفمبر عام 1988. وفي هذه المرة كانت الأحزاب السياسية حرة في التنافس باسمها. ففاز تحالف بلوشستان القومي(BNA) في الاقليم، وقد شكل هذا التحالف من قبل الانتخابات. وأصبح نواب أكبر بُگتي الذي كان على

(1) Ibid., p. 221.

رأس التحالف، رئيس وزراء بلوشستان، في حين شكل حزب الشعب الباكستاني لبينظير بوتو الحكومة في المركز. غير أن هذه الحكومة لم تدم طويلاً، حيث في السادس من أغسطس عام 1990، أقال الرئيس غلام إسحق خان، بينظير بوتو من منصبها كرئيسة للوزراء، متهماً حكومتها بالفساد. وحلت المجالس الوطنية والاقليمية ودعي لإجراء انتخابات جديدة في شهر أكتوبر عام 1990(1).

كان عهد الجنرال ضياء الحق، كما هو مبين أعلاه، كارثة في كثير من النواحي للقوميين البلوش. فقد أدى التشكيك في مؤهلات قادتهم ونشطائهم، إلى تقسيم القوى القومية بشدة(2). وفشلت جهود قادة البلوش المتكررة في عام 1988، وعام 1990، وعام 1993، وعام 1997، في إعادة توحيد القوميين. ومع ذلك، ونتيجة لجهود عطاء الله مينگل انبثق حزب بلوشستان القومي (BNP)، كأكثر الأحزاب القومية قوة في انتخابات عام 1997. وأصبح ابنه، أختر مينگل رئيس الوزراء، وذلك بدعم من «حزب جَمهوري وطن»، وجمعية علماء الاسلام – قسم مولانا فضل الرحمن، ونجا لاحقاً بدعم من الرابطة الاسلامية لباكستان. ومع ذلك، بالنسبة إلى القوميين لم يعنِ فوز حزب بلوشستان القومي «نهضة قومية» من أي نوع في بلوشستان. وانتقاداً للسياسات القومية لحزب بلوشستان القومي، ادعى زعيم حركة بلوشستان القومية (BNM)، الدكتور عبد الحي، في أكتوبر عام 1997، أن فوز حزب بلوشستان القومي، ليس قومياً، ولكن إحياءً للكُرسي (المنصب)، والسياسة الانتهازية. ووفقاً للدكتور عبد الحي، ينتقي حزب بلوشستان القومي موقفه الإيديولوجي بواسطة علاقته مع المركز والدعم الساحق الذي يحظى به من الرابطة الإسلامية لباكستان(3).

ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن أطول فترة للحكم الديمقراطي في باكستان هي الفترة ما بين 1988 – 1999. لكن شابت هذه الفترة الديموقراطية الممتدة أحد عشر عاماً إقالة أربع حكومات منتخبة وتعيين عدد مماثل من الحكومات الموقتة غير المنتخبة خلالها. كما تم وصف هذه الفترة، بأنها ديموقراطية «متحكم فيها» يخول فيها

(1) Ishtiaq Ahmed, State, Nation and Ethnicity in Contemporary South Asia, p. 205.

(2) Siddiq Baloch, «Partyless Elections and Balochistan», Unpublished Manuscript, Quetta, March 2001.

(3) Dr. Abdul Hayee, quoted in Jang, London, October 18,1997.

الرئيس، منذ عام 1985، من خلال التعديل الثامن، إقالة الحكومة المنتخبة بإرادته(1). وهكذا فإن الفترة المسماة بالفترة الديمقراطية لوجود باكستان، ومثل الحكم العسكري أدت إلى زيادة تنفير البلوش من الحكومة المركزية لباكستان.

مع القليل من النفوذ في البرلمان، وعدم المشاركة في البيروقراطية المدنية والعسكرية، وعدم حيازتهم إلا دوراً هامشياً للمشاركة في عملية صنع القرار، وجد البلوش أنفسهم مهمشين في جهاز الدولة الباكستانية أكثر من أي وقت مضى. وينظر إلى أن الحكومة المركزية أنها أفرطت في توسيع دورها ليس في القطاع المالي فقط، ولكن أيضاً في الحياة السياسية في الإقليم وإدارته. قياسياً، ظلت الحكومة الفيدرالية منذ بدايتها تقيل الحكومات الإقليمية والبرلمانات بإرادتها، من دون أي اعتبار لمشاعر الشعب البلوشي وتطلعاته. وإدارياً، مارست الحكومة المركزية في باكستان سيطرة تامة على الاقليم. وتمت تعيينات الحكام والأمناء الرئيسيين، والمفتشين العامين للشرطة، وجميع التعيينات الرئيسية الأخرى في بلوشستان من قبل المركز(2).

في الثاني عشر من أكتوبر عام 1999، أقال الجنرال برويز مشرف حكومة نواز شريف. وبانتهاء ما يسمى بالفترة الديمقراطية (1988 ـ 1999) اتخذت شؤون بلوشستان منحىً جديداً. ففي السابع عشر من أكتوبر عام 1999، بعد أسبوع واحد من توليه السلطة، أعلن مشرف جدول أعمال من سبع نقاط حول الإصلاح بما في ذلك استعادة الديمقراطية وتداول السلطة. ومع ذلك، رفض قادة البلوش خطته لتداول السلطة ووصفوها بأنها إنكارٌ ورفض للحكم الذاتي الإقليمي. ففي الثاني والعشرين من أغسطس عام2000، قال عطاء الله مينگل، رئيس حزب بلوشستان القومي، في مؤتمر للصحفيين، إن مخطط النظام للحكم المحلي هو وضع يفرض فيه شكل وحدوي للحكومة باسم اللامركزية. وقال مينگل في مقارنتها بخطة الوحدة الواحدة، أنها ستحيي تجارب خمسينيات وستينيات القرن العشرين المريرة، التي كانت سبباً رئيسياً في تفكك باكستان عام 1971(3). تجدر الإشارة إلى أن النظام الجديد على النحو الذي

(1) Torbjom Pettersson, Pakistan och Demokrati (Pakistan and Democracy) i serien «Varldspolitikens Dagfrltgor», Stockholm: Utrikespolitiska Institutet, 1990, p. 22.

(2) مقابلة مع محمد أكرم بلوچ.

(3) Ibid, 29 March 2000.

اقترحه الجنرال مشرف يحول السلطة من الأقاليم إلى المقاطعات، ولكن ليس من المركز إلى الأقاليم، وبالتالي فإنه سيؤدي إلى مزيد من التراجع للسلطة الاقليمية(1).

يستخدم القوميون البلوش حالياً(*) بعد تشكيل جبهة قومية (حركة أمم باكستان المضطهدة، PONM)، مع أربع قوميات أخرى من باكستان، وهي المهاجرون، والسنود، والسَرائيكيون، والپَشتون، والبلوش، المطالبة بكونفدرالية استناداً إلى قرار لاهور ذاته عام 1940، للدعوة إلى وضع دستور جديد(2). ولحركة أمم باكستان المضطهدة برنامج يستند إلى هدف واحد وهو الحصول على الحكم الذاتي الكامل للأقاليم وإعادة ترسيم حدودها. وتفضل منح ثلاث حقائب للفيدرالية، وهي الشؤون الخارجية والدفاع والعملة(3).

كانت السمة الغالبة منذ نهاية الحرب الباردة، مزيجاً من الصراعات القومية الإثنية العابرة للحدود، وفي الجيوسياسية المتغيرة لجنوب ـ غرب آسيا، أي المنطقة التي تضم باكستان وإيران وأفغانستان، وكذلك جمهوريات آسيا الوسطى. ومثلت هذه التطورات بالفعل تحدياً لوجود الدول المذكورة أعلاه. في باكستان، زادت الأحكام العرفية لعام 1999 الفجوة بين البلوش والمركز. ومنذ ذلك الحين، إما تم تطويق عدد كبير من زعماء بلوشستان القوميين وإما أُخرجوا من البلاد. فعلى سبيل المثال ضُيِّقَ على الحاكم ورئيس الوزراء السابق، نواب أكبر بگتي ليبقى في بلدته ديره بُگتي، ويقبع نواب خير بكش مَري، الزعيم القومي الحازم ذو الخلفية العسكرية، وعبد النبي بَنگلزئي، وهو زعيم سابق للثوار، وراء القضبان، ويعيش زعيم حزب بلوشستان القومي (BNP) السردار عطاء الله مينگل مرة أخرى في لندن في منفى اختياري، خاشياً أن تفعل به الحكومة بطريقة أو بأخرى ما فعلته بالآخرين(**)(4).

(1) See the «Text of Gen Pervez Musharraf's Speech, in ibid, 18 October 1999.

(*) يؤخذ في الاعتبار أن تاريخ كتابة هذه الأطروحة يعود إلى 1998 ـ 2002، وقد غيرت الأحداث اللاحقة منذ عام 2004 السياسة البلوشية إلى منعطف جديد تماماً يطالب بالاستقلال التام والدولة البلوشية، أنظر، شاهين البلوشي، البلوش وبلوشستان، دمشق: دار المحبة، 2011، ص286 ـ 311.

(2) Shiraz Raj, «Panic Reaction?» in The Herald, November 2000.

(3) Ibid.

(**) أطلق سراح خير بكش مَري وعبد النبي، ورجع عطاء الله إلى بلوشستان مرة أخرى.

(4) Haroon Rashid, «Resurgent Nationalism» in: The Herald, November 2000.

صرح مؤسس حركة البَراري في مطلع ستينيات القرن العشرين، شير محمد مَري بعد عودته من أفغانستان، بعد سقوط حكومة الدكتور نجيب الله في عام 1992، «إن التاريخ متقلب، وأنا أؤكد لكم أن الوضع والظروف القائمة لن تكون قادرة على أن تستمر»(1). بيد أنه في هذه اللحظة فوجود حركة قومية تامة وعلنية في بلوشستان أمر بعيد الاحتمال. ولكن في الوقت نفسه أظهرت الانتخابات الأخيرة انتشار الطابع الإثني القوي في السياسة الباكستانية. فلم يكن لانتخابات عام 1997 بالكاد أي أهمية «وطنية» لأي حزب حقاً: حظى حزب الرابطة الاسلامية لنواز شريف (PML) بتأييد ساحق في البنجاب. ولكنه كان ضعيفاً في جميع الأقاليم الأخرى. وسيطر حزب الشعب الباكستاني (PPP) على المناطق الريفية، وحركة المهاجرين القومية (MQM) على المناطق الحضرية في السند. وهيمنت في بلوشستان وبدرجة أقل في إقليم الحدود الشمالية الغربية (NWFP)، الأحزاب القومية(2). ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه ومنذ انتخابات (1970) الأولى في باكستان التي كانت تقوم على امتياز الكبار، زادت الكتلة التصويتية للقوميين البلوش بشكل مستمر. فعلى سبيل المثال حصل القوميون البلوش في عام 1988 على سبعة وأربعين فاصل ثمانية في المائة من الأصوات في بلوشستان، بينما في عام 1970، حصلوا على خمسة وأربعين فاصل واحد في المائة، وفي انتخابات عام 1990، حصلوا على واحد وخمسين فاصل أربعة وسبعين في المائة(3).

وكما قد بين، خلال العقود الثلاثة الماضية زاد تفتيت النظام السياسي في باكستان إلى حد كبير، ونما الطابع «الإقليمي» أكثر من الوطني. ومع ذلك، صرح الجنرال برويز مشرف في برنامجه ذي السبع نقاط، برعاية قضية الحكم الذاتي الإقليمي عن طريق إزالة شعور الأقاليم بالحرمان. لكن خطته بتداول السلطة، التي من المرجع

(1) The News International, 3-9 July, 1992.

(2) Dawn, Karachi, 5 February 1997.

لمزيد من المعلومات حول القوميين البلوش وانتخابات عام 1997، انظر،

Dr. Jehan Zeb Jamaldini, «BNP Ka Qeyam (the emergence of BNP) in: Monthly Balochi Labzank, February 1997, pp. 45-47.

(3) Inayatullah Baloch, «Nationality Problems and Political Parties of Pakistan: The National Awami Party (NAP) and its Successors» in: Georg Berkemer, Tilman Frasch, Hermann Kulke, and Jurgen Lutt.(ed.), Explorations in the History of South Asia, New Delhi: Manohar, 2001, p. 364.

أن تشكل مئة وستة حكومات لكل منطقة، ويجري النظر إليها على أنها تتناقض مع دستور باكستان الحالي (1973)، الذي يعترف بالدولة كفيدرالية من أربع قوميات متمتعة بالحكم الذاتي. في ضوء كل ما سبق، يبدو أن هناك قلقاً باكستانياً محدوداً حيال النمو المتناغم للبلوش والأقليات القومية الأخرى، مع ميزانيتها العسكرية المتضخمة جداً وسباق التسلح النووي مع الهند.

القومية البلوشية والثورة الإيرانية

كانت ثورة 1978 ـ 1979 النضال السياسي الأكثر شعبية في تاريخ إيران الحديث. حيث أنها جذبت غالبية السكان، لا سيما في المناطق الحضرية، إلى النشاط السياسي لإسقاط الديكتاتورية الملكية. ومع ذلك، فإن المشاركين في هذه الثورة لم يكن لديهم هدف مشترك. وكانت الرؤى لمستقبل إيران متنوعة، وتراوح ما بين نظام حكم إسلامي إلى دولة ديمقراطية واشتراكية. وسعى النشطاء بين الشعوب غير الفارسية، وخصوصاً في كوردستان، وبلوشستان، وتركمان صحرا، وخوزستان، إلى دولة ديمقراطية وعلمانية وفيدرالية تمنح حكماً ذاتياً موسعاً في الإدارة واللغة والثقافة والاقتصاد(1). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الثورة كانت بمنزلة الحافز في إيقاظ التطلعات القومية وتسييس الشعوب الإيرانية، خصوصاً البلوش، إلى حد لم يعرف من قبل في تاريخ هذه الشعوب أو تاريخ إيران. وفي الحادي عشر من فبرايرعام 1979، أعلن الثوار إقامة جمهورية إيران الإسلامية تحت قيادة آية الله روح الله الخميني، وهو فقيه شيعي. ومرة أخرى، أُضعفت الحكومة المركزية أثناء الصراع الذي جرى بين العلمانيين ورجال الدين. وفي بلوشستان، استغل القوميون البلوش ميزة فراغ السلطة لنشر ودفع قضيتهم.

أدت الثورة إلى انهيار كامل لسلطة الحكومة في بلوشستان. فاستجابت الحكومة الموقتة لمهدي بازرگان بسبب مواجهة احتمال فقدان السيطرة على بلوشستان، لمطالبة تعيين البلوش في مواقع السلطة في الاقليم. وهكذا عين دانِش ناروئي، وهو بروفيسور الرياضيات في جامعة بلوشستان والمفضل من البلوش، في منصب الحاكم العام لإقليم سيستان وبلوشستان. كانت هذه هي المرة الأولى التي يسمح بها للبلوش بتولي هذا

(1) Akherdad Baloch, Siasat Dar Balochistan, 75-81.

المنصب منذ إدماج بلوشستان في إيران في عام 1928. وبالمثل، كان من بين المواقع الأخرى التي عين بها بلوش عمادة جامعة بلوشستان، التي ذهبت لأمير گمشاد زئي، بروفيسور الإحصاء. ومع ذلك، تم استبدال كلا المسؤولين بفارسي، في أقل من ستة أشهر.

عززت الثورة اتجاه الابتعاد عن السلطة المركزية بين البلوش في محاولة للتنظيم على أساس الهوية العرقية والدينية. وبالتالي تم تشكيل أولى المنظمات السياسية البلوشية العلنية في إيران. وبدأت «سَازمان دموكراتيك مَردُم بَلوُچستان» (منظمة شعب بلوشستان الديمقراطية، وستدعى من الآن «سازمان دموكراتيك»)، و«بَلوُچستان راجي زُرُمبِش» (حركة بلوشستان القومية، وستدعى من الآن، زُرُمبِش)، و«حزب اتحاد المُسلمين» بأنشطتها في العلن. وفي العديد من النواحي تمثل الثورة بداية القوى القومية الجديدة في بلوشستان الإيرانية، من خلال تنظيم الحركة القومية العلمانية غير القبلية للأحزاب السياسية. وعلى سبيل المقارنة، بدأت مثل هذه التنمية السياسية في بلوشستان الشرقية في عشرينيات القرن العشرين، أي أبكر بخمسة عقود من بلوشستان الغربية[1].

وكان سازمان دموكراتيك، الذي تم تشكيله قبل فترة قصيرة من الثورة، أكثرها تنظيماً، وصخباً في مطالبته بالحكم الذاتي. واستمد سازمان دموكراتيك دعمه الرئيسي من المثقفين والطلاب البلوش والطبقة الوسطى الناشئة. ولكونها منظمة ديمقراطية وعلمانية، استوعبت مجموعات كبيرة من ذوي التوجه اليساري من غير البلوش الذين كانوا يعملون ويعيشون في بلوشستان. وتمت مناقشة تسمية المنظمة فاعتمدت كلمة بلوچستان (سازمان دموكراتيك مردم «بلوچستان») بدلاً من بلوچ، لجعلها ليست ذات قاعدة عريضة فقط ولكن لتشمل الفرس الذين يعيشون في بلوشستان، إذا أرادوا أن ينضموا. ومع ذلك، كان يتشكك بعض المثقفين البلوش في هذه التسمية ودلالتها[2].

بيد أنه، ومنذ بداية تشكيلها، كانت سازمان دموكراتيك جبهة قومية يسارية[3]. ومثلت كواجهة، تحالفاً فضفاضاً من الفصائل القومية اليسارية التوجه، بما في ذلك

(1) Aziz Mohammad Bugti, Tarikh-e Balochistan, p. 83.
(2) M. H. Hosseinbor, «Iran and its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», p. 220.
(3) مقابلة مع أيوب حسينبور.

«كانون فرهنگي وسياسي خلق بلوچ»، وهي منظمة شبابية تمثل الطلاب القوميين ذوي الميول الاشتراكية، و«نبرد بلوچ» (نضال البلوش) بوصفها الذراع الإقليمية لتنظيم «پيكار»، و«بام إِستار» (نجمة الصباح)، وهي فرع محلي لتنظيم «فدائي»، و«زُرُمبِش». ومن بينها كانت زُرُمبِش حركة مسلحة سرية تتبع تكتيكات حرب العصابات.

ومثل حزب عوامي القومي في بلوشستان الشرقية، رفضت سازمان دموكراتيك في بيانها، «كل مظاهر الانفصالية» لمصلحة خُود مُختاري (الحكم الذاتي) في إيران متحدة. وحددت الحكم الذاتي من حيث الاستقلال الإداري الكامل للبلوش، واعتماد اللغة البلوشية باعتبارها اللغة الرسمية للتعليم والإدارة في بلوشستان، وإحياء الثقافة البلوشية، وسيطرة البلوش الكاملة على مواردهم الطبيعية، وتمثيلهم ومشاركتهم في أعلى هيئات الحكومة المركزية، وحماية المذهب السني[1]. وكما هو مبين كانت مطالبة السازمان الرئيسية، هي الحكم الذاتي في إدارة الشؤون المحلية، وإعادة تأكيد أنها ستلتزم بسلامة ووحدة الأراضي الإيرانية والقانون الدستوري. وكان هذا يعد تناقضاً أساسياً في النظام الأساسي، حيث أن الدستور الإيراني لا ينص على مثل هذا النوع من الحكم الذاتي المحلي الذي يطالب به البلوش. ومع ذلك، اتهمت السلطات الإيرانية السازمان بأنها انفصالية، ورفضت إجراء محادثات مباشرة مع قادتها[2].

وفي معرض حديثه عن العلاقة بين سازمان دموكراتيك مع نظرائها القوميين في بلوشستان الباكستانية، قال أيوب حسينبور، وهو ناشط سابق في المنظمة، «إن سازمان دموكراتيك أرسلت وفداً إلى باكستان للقاء غوث بكش بيزَنجو والقادة القوميين الآخرين. ولكن نظراً إلى حالة الشك وعدم الاستقرار السياسي في إيران لم يتمكن الوفد من تحقيق مهمته، وعاد مرة أخرى من منتصف الطريق»[3]. ولكن في الجانب الباكستاني التقى صديقٌ مقرب من مير غوث بكش بيزَنجو، وهو گُل محمد هُوُت، قادة سازمان دموكراتيك في زاهدان عام 1979. وفي مقابلة أجريت مع گُل محمد هُوُت،

(1) للاطلاع على برنامج حزب دموكراتيك بلوچستان، انظر،
Mai Balochistan, Karachi, August 1980, p. 10.
(2) مقابلة مع د. حبيب الله ملك.
(3) مقابلة مع أيوب حسينبور.

في عام 1997 في كراچي، قال للمؤلف «في عام 1979 التقيت قادة سازمان دموكراتيك في زاهدان، ولقد تأثرت كثيراً بمشاعرهم القومية»[1].

شكل الزُرُمبش، وعلى النحو المذكور أعلاه، في عام 1971[2]. وبسبب اختلافه مع سياسات جبهة تحرير بلوشستان (BLF)، المجموعة القتالية المدعومة عراقياً والتي يتزعمها رحيم زَردكوهي، أعلن القائد الميداني للجبهة داخل بلوشستان، أنها منظمة مستقلة، باسم «بلوچ راجي زُرُمبش» في مطلع سبعينيات القرن العشرين. وبعد وقت قصير من اتفاق السلام بين إيران والعراق في عام 1975 (الذي يعرف عموماً باسم «اتفاقية الجزائر»)، أنهى العراقيون دعمهم للقوميين البلوش. وبناءً على ذلك، توقفت جبهة تحرير بلوشستان (BLF) التي كانت مدعومة من قبل الحكومة العراقية، ولم يعد لها وجود. الزُرُمبش، ومع ذلك، واصل أنشطته السرية في معظمها داخل بلوشستان الإيرانية. وفقاً لسليگ هاريسون، تزعم زَردكوهي حوالى خمسة وسبعين مقاتلاً مسيساً إلى حد كبير[3]. ومع الثورة، بدأت المنظمة بممارسة نشاطها علناً[4]. ولكن عملياً، عمل الزُرُمبش أساساً كجناح عسكري مقاتل بتكتيكات حرب العصابات لسازمان دموكراتيك في عام 1979.

دعم الزُرُمبش بلوشستان ذات حكم ذاتي مع هيئة تشريعية ذات سيادة في إطار إيران فيدرالية. وطالب بضرورة إعادة رسم حدود الأقاليم لضم جميع المناطق البلوشية في إيران إلى إقليم بلوشستان، التي هي الآن في مختلف المقاطعات الإدارية في الدولة، وذلك من أجل إنشاء كيان ثقافي وإثني[5]. ووفقاً لأحكام المادة السابعة من بَرنامه (برنامج) زُرُمبِش، تشمل منطقة الحكم الذاتي بلوشستان الإيرانية؛ وتحدد حدود الحكومة ذات الحكم الذاتي من خلال الأخذ في الاعتبار العوامل التاريخية والجغرافية والاقتصادية، وإرادة الغالبية العظمى من شعب بلوشستان[6].

(1) مقابلة مع گُل محمد هُوت.

(2) Baluch Raj-e Zrombesh., Tarikh-cheh-e Jombesh-ha-e Milli Dar Baluchistan, Kabul, 1986, p. 75.

(3) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 107.

(4) Monthly Balochi, Quetta, January-February 1979. See also, Baluch Raj-e Zrombesh., Tarikh-cheh-e Jombesh-ha-e Milli Dar Baluchistan, Kabul, 1986, p. 75.

(5) Baluch Raj-e Zrombesh., Barnama-e Khodmokhtari wa Asasnama (Manifesto), Karachi, 1983, pp. 1-18.

(6) Ibid.

وكان بَرنامه (برنامج) الزُرمبِش، الذي صدر في عام 1983 من كراچي، مماثلاً جداً لذلك الذي لسازمان دموكراتيك. وطالب بأنه ينبغي اعتبار اللغة البلوشية اللغة الرسمية للاتصالات في بلوشستان. وسوف تحل حكومة بلوشستان، إذا تولى الحزب السلطة، محل كل القوات المسلحة الفارسية المفروضة في بلوشستان، وذلك بإنشاء قوة بلوشية شبه عسكرية، ستكون مسؤولة عن الحفاظ على القانون والنظام الداخلي والدفاع عن حدود بلوشستان. وستدعم حكومة بلوشستان كل الحركات الثورية البلوشية في الدول المجاورة التي تناضل من أجل تحقيق حقوقها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية الأصيلة. وينبغي أن تكون بمنزلة الملاذ الآمن لجميع المنفيين البلوش لأسباب سياسية من أي من الدول المجاورة. ودعت الحركة إلى الكفاح المسلح لتحقيق هذه الأهداف[1]. وعلاوة على ذلك، يؤكد برنامه زُرُمبِش، في المادة الرابعة والخمسين، على أنه ينبغي لحكومة بلوشستان ذات الحكم الذاتي تقديم كل المساعدة الممكنة للثوار البلوش في بلوشستان الشرقية (بلوشستان الباكستانية) والمناطق البلوشية الأخرى، الذين يكافحون من أجل تحقيق حقوقهم القومية[2].

حالما أنشئت أول حكومة بعد الثورة في طهران، في فبراير 1979، بدأت المناقشات والمفاوضات حول الوضع المستقبلي لإقليم بلوشستان بين ممثلي البلوش والسلطات الثورية في طهران. وفي مارس عام 1979، التقى آية الله الخميني وفداً بلوشياً برئاسة مولوي عبد العزيز مُلا زاده، ويقال أنه وعده بمعاملة متساوية لكل من فرعي الاسلام، المذهبين الشيعي والسني في الدستور المتوقع[3]. فأعلن مُلا زاده حال عودته من طهران للبلوش «كل رغباتكم القومية والدينية قد قبلت» من قبل القيادة الإسلامية الجديدة[4]. ودعا البلوش للتصويت لمصلحة تأسيس الجمهورية الإسلامية على النحو المقترح في استفتاء أبريل عام 1979[5].

قاطعت سازمان دموكراتيك الاستفتاء اعتراضاً على مفهوم «الجمهورية الاسلامية»، لكونه يفتقر إلى تعريف دقيق له في الشكل والجوهر والمضمون. وكانت السلطات

(1) Ibid.

(2) Ibid.

(3) مقابلة مع د. حبيب الله ملك.

(4) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», p. 211.

(5) Ibid.

المركزية الجديدة، لأسباب مفهومة، تواقة إلى تأكيد سيطرتها على كامل الدولة ولم تثق بنيات البلوش بشدة. وفي الأشهر التالية، رأى كل من البلوش والسلطات المركزية ثبوت عدم الثقة المتبادلة بينهما. وفي عدة أماكن كانت هناك اشتباكات عنيفة بين القوميين البلوش وأنصار النظام الإسلامي، وكان كلاهما يتهم الآخر بالاستفزاز[1]. فأيدت اللجنة الإسلامية والحرس الثوري الأقليات الشيعية المحلية وغيرها من المجموعات التي اشتبكت مع القوميين البلوش. ولم تكن مطالبة البلوش بالحكم الذاتي هي السبب الوحيد لعدم وثوق السلطات الإسلامية بهم. فقد كان حزب اتحاد المسلمين محض تنظيم سني بينما كان للسازمان برنامج علماني صريح[2].

لكن، على الرغم من المعارضة القوية من قبل الأقليات القومية والعلمانية، فازت قوى الخميني في استفتاء ابريل عام 1979 بأغلبية ساحقة للجمهورية الاسلامية. والتفاتاً إلى المعارضة القوية التي أبدتها مختلف الجماعات القومية، حاول آية الله الخميني تهدئة مخاوفهم في رسالة له عند تهنئة الأمة بالموافقة على الجمهورية الاسلامية بالنص على أن: «. . . تهانينا على مثل هذه الحكومة [الحكومة الإسلامية] التي لا تميز بين الأجناس، أسود أو أبيض، تركي، فارسي، كوردي، أو بلوشي. كلهم إخوة ومتساوون. حيث يمنح التفوق إلى الأخلاق والتقوى والفضيلة والعمل الصالح . . . »[3].

ذهبت مسودة الدستور الأصلي للجمهورية الاسلامية، التي صدرت للجمهور في الثامن عشر من يونيو عام 1979، إلى مسافات كبيرة في الجهود الرامية إلى استرضاء الأقليات. فذكرت المادة الخامسة أن الأقليات حقوقها متساوية مع الفرس: «سوف يتمتع كل الناس في جمهورية إيران الإسلامية، مثل الفرس والأتراك والكورد والعرب والبلوش والتركمان وغيرهم، بالمساواة في كامل حقوقهم»[4]. وأعطت المادة الثالثة

(1) Nikki R. Keddie, Roots of Revolution, New Haven: Yale University Press, 1981, p. 258.

(2) Cf., M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», pp. 210.

(3) Government of Iran (The Ministry of Islamic Guidance), The Dawn of the Islamic Revolution, Tehran: Echo of Islam, 1982, p. 50.

(4) Fereshteh Koohi-Kamali, «The Development of Nationalism in Iranian Kurdistan», in: Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl (ed.), The Kurds: A Contemporary; Overview, New York: Routledge, 1992, p. 185.

عشرة المسلمين الحق في اتباع مذاهبهم الخاصة في الفكر الديني[1]، وأعطت المادة الحادية والعشرون الإذن باستخدام اللغات المحلية في المدارس والصحافة: «إن لغة إيران وكتابتها الرسمية والمشتركة هي الفارسية، فيجب أن تكون جميع الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية بهذه اللغة والكتابة. ولكن يجوز استخدام اللغات المحلية في المدارس المحلية والصحافة»[2]. ولم تحظ مسودة الدستور بموافقة الأحزاب العلمانية، ومع ذلك، أصرت على أن الممثلين المنتخبين على النحو الواجب للشعب ينبغي لهم الموافقة على الدستور.

منحت اعتراضات العلمانيين الثغرة التي كان يبحث عنها رجال الدين المتشددون. فاتفق الجانبان على جمعية منتخبة من الخبراء لمراجعة المسودة. فكان مجلس خبرگان (جمعية الخبراء) المنتخب مسيطراً عليه من قبل رجال الدين المؤيدين للخميني. وهكذا أقرت مسودتهم المنقحة، التشيع فقط باعتباره دين الدولة واللغة الفارسية فقط كاللغة الرسمية في المادتين الثالثة عشرة والخامسة عشرة، على التوالي[3]. ولم تمنح أي اعتراف متساوٍ بالفرع السني من الإسلام، كما أنها لم تتضمن أي نص بمنح الحكم الذاتي الإداري أو الثقافي للقوميات غير الفارسية. ونتيجة لذلك، حاول الأعضاء البلوش في جمعية الخبراء، مولوي عبد العزيز مُلا زاده وحميد الله مير مُراد زئي، وهو محام، عبثاً إقناع المجلس بإدخال التغييرات اللازمة في المسودة لتلبية مطالب البلوش[4]. وكان مير مُراد زئي الشخص الوحيد في مجلس‌خبرگان الذي رفض كل جانب من جوانب ولاية الفقيه (المرشد الديني الأعلى). ولكنه لم يُسمح لَه بتبرير وجهة نظره، وذلك لأن رئيس الدورة الذي اختار أن يتحدث بها أعلن أنه تم إغلاق باب المناقشة في هذا الموضوع[5]. وفي نهاية المطاف، عبأ أنصار رجال الدين الجمعية، وأثبتوا مفهوم ولاية الفقيه في

(1) Charles G. MacDonald, «The Kurdish Question in the 1980s», in: Milton J. Esman and Itamar Rabinovich (ed.), Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East, Ithaca: Cornell University Press, 1988, p. 245.

(2) Fereshteh Koohi-Kamali, «The Development of Nationalism in Iranian Kurdistan», p. 185.

(3) Government of Iran, Constitution of the Islamic Republic of Iran (ratified in Dec. 1979), Translated by Hamid Algar, Berkeley: Mizan Press, 1980., see, articles 13 and 15.

(4) مقابلة مع د. حبيب الله ملك.

(5) Majlis-e Khobregan, «Mashruh-e Mozakerat-e Majles-e Islami, Tehran, 1980-94», (minute), MK 1/382, p. 46.

الدستور. والنسخة النهائية من الدستور، التي تم التصديق عليها في نهاية المطاف في 2 ـ 3 ديسمبر 1979، لم تشر إلى الأقليات العرقية، وحقوقهم، أو مدارسهم الدينية والفكرية. وسمحت باستخدام اللغات المحلية في الصحافة إذا كانت إلى جنب اللغة الفارسية، ولكن يجب أن تكون الكتب الدراسية بالفارسية.

جاءت معارضة الخميني للبلوش من خلال تفسيره للإسلام: «ليس هناك قوميات في الإسلام، الذي يلغيها ويحل محلها جميعاً. بمعنى من المعاني، إن القومية هي من «تراث ما قبل الإسلام». فقد جاء الإسلام للقضاء على التعصب (القومي). وموضوع الإسلام هو الانسان وليس قوميته... ولم يطرح الاسلام مسألة القوميات. فجميع المسلمين هم أخوة في نظر الإسلام ويجب على المسلمين كافة إلقاء كل ما يفرق بينهم، مهما يكن مصدره سواء القومية أو العرق أو اللون»[1]. ولم يلق تفسير الخميني للدين، وتشديده على الإسلام وليس القومية، القبول العالمي بين السنة. ومثلما صرح مولوي عبد العزيز مُلا زاده، صرح عالم سني بارز آخر، وهو عزالدين الحسيني منتقداً وجهات نظر الخميني حول التفسير الإسلامي للحكم الذاتي، وحقوق الأقليات: «في الوقت الحاضر، نحن لا نقاتل من أجل الإسلام لأننا لسنا في بداية الإسلام. فإن الإسلام حاضرٌ، وبقوة»[2]. وخلافاً لرجال الدين الشيعة، شدد مولوية السنة على المساواة في الحقوق للأقليات القومية في إيران.

وعلاوة على ذلك، لم يكن النظام الإسلامي متجانساً ايديولوجياً وسياسياً؛ واتبعت فصائله المختلفة (ليبرالية، راديكالية، المحافظة؛ مؤيدة لزيادة نفوذ رجال الدين، وغير مؤيدة لذلك) أكثر أو أقل نهجاً مماثلاً تجاه الحركات المنادية بالحكم الذاتي. ولم يفرقوا بين الأقاليم المتخلفة مثل بلوشستان أو كوردستان والأقاليم الوسطى الأكثر تطوراً مثل أصفهان وطهران. ومثل القوميين الفرس، لم يعترف القادة الإسلاميون بوجود الاضطهاد القومي. وكما قال الخميني، لم يكن هناك فرق، بين «الأقاليم»، حيث كانت جميعها مضطهدة على السواء[3]. وهكذا لم يكن هناك تمييز

(1) Talal Salman, «Interview with Khomeini at Movement of Shah's Downfall and Eve of Creation of Islamic Republic», in: Al-Safir (in Arabic), 18-19 January 1979.

(2) Al-Hawadith, London (Arabic), 18 May 1979, pp. 37-38.

(3) Government of Iran (The Ministry of Islamic Guidance), The Dawn of the Islamic Revolution, p. 50.

بين الفرس وغير الفرس؛ فقد كانوا جميعاً من المسلمين؛ وكانوا جميعاً يعانون في عهد النظام السابق. ووجهة نظر كهذه، لا محالة، سترفض مطالب الحكم الذاتي، وستساوي بينها وبين «الانفصالية»[1].

عندما وافق مجلس خبرگان في الثالث من ديسمبر عام 1979 على الصيغة النهائية للدستور، تظاهر البلوش، جنباً إلى جنب مع معظم الأقليات، ضد ذلك. وبين الخامس والسادس من ديسمبر عام 1979، اندلعت أعمال شغب في مدينة تبريز بين مؤيدي آية الله شريعتمداري الأذربيجاني للاحتجاج على الدستور الجديد[2]. وعلى الرغم من الانقسام الايديولوجي الحاد بينهما، فإن كلاً من حزب اتحاد المسلمين وسازمان دموكراتيك، فضلاً عن غيرهما من المنظمات القومية الأقل شأناً، وحدوا صفوفهم لتنظيم تظاهرة كبيرة احتجاجاً على الدستور الجديد.

وسرعان ما انتشرت الاحتجاجات في جميع أنحاء الاقليم، واتخذت منحىً عنيفاً. وسرعان ما أصبحت الاشتباكات المسلحة بين البلوش والحرس الثوري من الحوادث اليومية في عاصمة الإقليم التي بها وجود كبير من السكان الشيعة[3]. ونمت الاضطرابات نمواً قوياً لدرجة أن المتظاهرين الغاضبين اقتحموا مكتب الحاكم العام، جواد جَريري، وهو فارسي في چابهار، وأخذوه أسيراً[4]. وتمت استعادة الهدوء مؤقتاً فقط عندما دعا قادة البلوش إلى ضبط النفس بعد وعد الخميني في منتصف يناير عام 1980 بتعديل الدستور[5]. ولم يطالب البلوش بالحكم الذاتي الإقليمي فقط، ولكن بحقوق متساوية أيضاً لأهل السنة، وزيادة تخصيص الأموال الحكومية لتنمية

(1) تعترف الشخصيات الأكثر ليبرالية أو ديمقراطية مثل آية الله طالقاني بوجود الفروق الاقتصادية والاختلافات اللغوية والثقافية. ومع ذلك، لم يوص طالقاني باتخاذ تدابير إدارية حسبما نص عليه دستور 1906 وتعديلاته التي سمحت بالإدارة الذاتية المحلية المحدودة (انظر على سبيل المثال، تصريحاته قبل وفاته في عام 1979، اقتبست من:
Hamid Rahsepar, Melliyat-ha wa Faje'eye Kordestan, Ketab-e Mehrab, no 3, Tehran: Entesharat-e Sabz, n.d., p. 114.

(2) كان شريعتمداري مساوياً للخميني دينياً إن لم يكن متفوقاً عليه، ومع ذلك فإن الدستور أعطى السلطة النهائية للخميني فقط، وتجاهل آيات الله الكبار الآخرين.

(3) New York Times, December 23,1979.

(4) مقابلة مع غلام محمد خان زئي، انظر أيضاً،
Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 16.

(5) David Menashri, Iran, A Decade of War and Revolution, New York, 1990, p. 141.

منطقتهم[1]. واعتمدت القوة الداعمة لنفوذ رجال الدين المهيمنة والموالية للخميني على الوثيقة الختامية التي اعتمدها «مجلس خبرگان» باسم «دستور جمهورية إيران الإسلامية» في الثالث من ديسمبر عام 1979، برغم أنها لم تلتفت إلى هذه الاحتجاجات.

انتهكت الدولة الإسلامية مثل النظام البهلوي إلى حد كبير، على الدوام الحق بالتعلم باللغة الأم. فوفقاً للمادة التاسعة عشرة من الدستور الاسلامي، «جميع الناس في إيران، بغض النظر عن المجموعة العرقية أو القبيلة التي ينتمون إليها، يتمتعون بحقوق متساوية؛ ولا يمنح اللون أو العرق أو اللغة، وما شابه ذلك، أي امتياز». ولكن هذه المساواة خيالية. ففي واقع الحياة، ليس هناك مساواة في توزيع السلطة اللغوية في إيران. فالفرس وحدهم هم من يتمتعون بالحق في الحصول على التعليم باللغة الأم. ومع ذلك، فإنه من المسموح استخدام اللغات المحلية والاثنية في الصحافة ووسائل الإعلام. ويسمح أيضاً بتدريس الأدب الاثني في المدارس، إلى جانب تعليم اللغة الفارسية»[2]. ومع ذلك، فتدريس «الأدب البلوشي»، لم يتحقق حتى الآن، بعد واحد وعشرين عاماً من الثورة[*]. ورغم أن تدريس الأدب لا ينطوي بالضرورة على استخدام لغة الأدب، فرفض النظام الاسلامي تنفيذ المادة الخامسة عشرة، يشير من بين أمور أخرى، إلى ايديولوجيتها القومية الفارسية القوية.

في عام 1981، بما أن جميع الأنشطة السياسية للقوميين البلوش قد حظرت، أعلنت غير قانونية سازمان دموكراتيك، وبدأ اعتقال جماعي للقوميين البلوش، وعبر العديد من أعضاء زُرُمبش وأعضاء المنظمات البلوشية الأخرى الحدود لطلب اللجوء في باكستان وأفغانستان. وبحلول منتصف فبراير عام 1982، عبر ما يقدر بثلاثة آلاف بلوشي، معظمهم «متهم بالانتماء إلى حركة البلوش الانفصالية، الحدود بحثاً عن ملجأ في باكستان، في حين ورد أن أربعة آلاف من زملائهم محتجزون في سجون زاهدان عاصمة الاقليم»[3].

(1) Bamdad (Daily Tehran), 21 December 1979; Kayhan, (Daily Tehran) 23 December 1979.

(2) Government of Iran, Constitution of the Islamic Republic of Iran, pp. 22-3.

(*) يستمر هذا الوضع حتى هذه اللحظة.

(3) The Economist, February 13, 1982, p. 50.

مثل إخوانهم من بلوشستان الشرقية، رحب الثوار الأفغان في كابول بالبلوش الايرانيين. ومنحت الحكومة البلوش الإيرانيين، ومعظمهم من زُرُمبش الدعم لنشر أفكارهم. واصل القوميون البلوش من المنفى، ومن خلال البرنامج السياسي لزُرُمبش، نضالهم ضد نظام إيران الإسلامي. ومع ذلك، حولت الحياة في المنفى ومحدودية الموارد في أفغانستان التي مزقتها الحرب، استراتيجيتهم في النضال من المواجهة المباشرة مع نظام آيات الله إلى حقول ثقافية وتعليمية أكثر. وبدأ زُرُمبش بنشر صحيفته، بلوچستان من كابول، التي حملت المقالات والكتابات المنبثقة من بلوشستان، والمنتقدة لحكومة الخميني وسياساتها المناهضة للشعبوية. ودعت الورقة إلى الحقوق الاجتماعية والثقافية والسياسية للشعب البلوشي في إيران وغيرها[1].

أبقى زُرُمبش على مكتبه في أفغانستان حتى هزيمة حزب أفغانستان الديمقراطي على يد المجاهدين الاسلاميين المتشددين المدعومين من قبل باكستان وإيران في عام 1992. بينما لجأت مجموعات بلوشية إلى بريطانيا العظمى وكذلك الدول الاسكندنافية. وكانت الأغلبية الساحقة من هؤلاء المنفيين هم أعضاء سابقين في «سازمان دموكراتيك»، في حين أن عدداً أقل كانوا من الأتباع البلوش للمنظمات اليسارية، وهي «فدائي خلق»، و«فدائيان خلق»، و«پيكار». وكذلك تم إعدام العشرات من المعتقلين بعد محاكمتهم واتهامهم بأنشطة معادية للثورة[2].

هكذا، وكما هو مبين أعلاه، سحق النظام الإسلامي في مطلع ثمانينات القرن العشرين الحركة البلوشية في إيران. لكن، مع اندلاع الحرب بين إيران والعراق في سبتمبر عام 1980، حاول النظام العراقي استخدام البلوش ضد نظام آيات الله الحاكم. فجندت بغداد ميليشيات بلوشية مسلحة تسليحاً خفيفاً، يترأسها زعماء القبائل التقليديون. وكان أكبرها «وحدة بلوچ» (وحدة البلوش) بإمرة مير مولاداد سردار زئي، وهو سردار مؤيد للملكية، و«جُنبِش مجاهدين بلوچ» بإمرة محمد خان مير لاشاري، العضو السابق في المجلس الأخير (برلمان) للشاه. وكان لوحدة بلوچ صلات مع جماعات المعارضة الإيرانية الداعمة لعودة النظام الملكي في إيران[3]. ووفقاً لحسينبور، في عام 1984،

(1) Balochistan (Organ-e Sazeman-e Jonbesh-e Khalq-e Baloch-Iran), No. 1, 1364/1985.

(2) Akherdad Baloch, Siasat Dar Balochistan, pp. 120-122.

(3) M. H. Hosseinbor, «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», PhD. Thesis, The American university, 1984, p. 227.

صعدت «وحدة بلوج» حملتها بتكتيكات حرب العصابات ضد الحكومة الإسلامية إلى حد أنها أجبرت طهران على تحويل عدد كبير من الحرس الثوري من جبهة الحرب مع العراق إلى بلوشستان[1]. وفي عام 1985، مع وفاة زعيمها مير مولاداد، تفككت وحدة بلوج. وواصل جُنبِش مجاهدين بدعم من الحكومة العراقية، أنشطته حتى معاهدة السلام بين إيران والعراق في عام 1988. ولاعتمادها على القوى الخارجية تركت هذه الجماعات نضالها، بانسحاب الدعم الخارجي. ومن الواضح، أنه في الوقت الحاضر قد هزمت القومية البلوشية في إيران، وليس هناك أي آفاق للحكم الذاتي في ظل النظام الإسلامي. حيث تشكل المطالبة البلوشية بالحكم الذاتي سعياً ديمقراطياً غير متوافق مع الحكم الاستبدادي وقومية إيران القائمة على أساس العرقية الفارسية.

ومع ذلك، ومن أجل كسب قلوب البلوش، عرضت الجمهورية الاسلامية عدداً من التنازلات بما في ذلك المكافآت المادية. فعلى سبيل المثال، أجريت بعض الاستثمارات في بلوشستان، كإيصال الكهرباء إلى بعض القرى، وبناء الطرق والجسور في المناطق الريفية، ومشاريع التنمية الحضرية مثل التوسع في الشوارع وبناء الحدائق العامة. ولا بد من الإشارة، مع ذلك، إلى أن معظم هذه مشاريع لها أهمية عسكرية، حيث بنيت شبكة ضخمة من البؤر الاستيطانية للجيش وقوات الدرك في جميع أنحاء الإقليم مما يقزم أهميتها. ومثال آخر على تقديم تنازلات هو تقديم حصص محدودة في مؤسسات التعليم العالي لخريجي المدارس الثانوية[2]. وعلاوة على ذلك، تم توسيع جامعة بلوشستان وأُسست فروع لمؤسسات التعليم العالي، بما في ذلك الجامعات الاسلامية الحرة، في بعض مدن بلوشستان[3].

القومية البلوشية والسيستانيون

اكتسبت الهوية القومية البلوشية في بلوشستان الإيرانية أهمية متزايدة خلال الثورة الإيرانية، وذلك بسبب التنافس في الموارد مع السيستانيين الشيعة الناطقين بالفارسية.

(1) Ibid., pp. 227-228.

(2) Government of Iran (Vazarat-e Farhang wa Amuzesh-e 'Ali, Sazeman-e Sanjesh-e Amuzesh-e Keshwar), Rahnema-e Entekhab-e Reshteh-ha-e Tahsili, No. 2, Tehran, 1372/1994, p. 6

(3) مقابلة مع عظيم شاه بكش.

وكما نوقش في الفصل الخامس، مثل المنطقة المأهولة بالسكان البشتون في شمال بلوشستان الباكستانية، هناك شهرستان (مقاطعة)، يسيطر عليه الشيعة، وهو شَهرستان زابُل في الجزء الشمالي من الإقليم، والمعروف تاريخياً باسم سيستان. في عام 1865، بهزيمة أمير أحمد خان، الحاكم البلوشي على لاش ـ جوين، احتل الفرس سيستان، ووصل الحكم البلوشي إلى نهايته[1]. ناشد إبراهيم خان، أقوى سردارات قبيلة السَنجراني، الملك الأفغاني للحصول على المساعدة ولكن قد رفض طلبه. فتحول السردار البلوشي بسبب إحباطه من فشل الأفغان في دعمه، إلى البريطانيين للحصول على المساعدة ولكن دون جدوى[2]. وصودرت الأراضي الصالحة للزراعة في سيستان، والبالغ مجموع مساحتها تسعين ألف هكتار في عام 1865، وأعلنت في العام نفسه لتكون خالصه (ملك للحكومة)[3]. حيث كان هذا هو العقاب في منتصف القرن التاسع عشر ضد سردارات البلوش الذين ملكوا معظم الأراضي في سيستان ورفضوا قبول الحكم الفارسي.

تعرضت في بداية القرن العشرين الأهمية السياسية لسيستان لمزيد من الانحسار. ففي عام 1894، قسم البريطانيون رسمياً سيستان بين إيران وأفغانستان وبلوشستان البريطانية. وهكذا، واجهت سيستان المقسمة سياسياً، شحاً في المياه وأصبحت ملكية الأراضي معقدة على نحو متزايد، وخسرت أيضاً أهميتها الاقتصادية نتيجة لذلك. وبسبب هذا التقلص الجغرافي وعدم وجود أهمية سياسية، استبدل التنظيم الإداري لإيران اسم «الجزء الايراني من سيستان» رسمياً باسم عاصمتها زابُل، وهي تشكل شهرستاناً (مقاطعة) في إقليم بلوشستان الأكبر، في حين أن اسم «سيستان» يضاف إلى اسم الاقليم «سيستان وبلوشستان». والسبب، وفقاً للمصادر البلوشية، هو اهتمام الحكومة المسيطر عليها فارسياً للعب بورقة الأقلية الفارسية أو السيستانية ضد القومية البلوشية[4]. ومع ذلك، فإن الكاتب الفارسي، الدكتور پيروز مجتهد زاده، يعتقد أن

(1) Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri Baloch, Searchlight On Baloches and Balochistan, p. 288.

(2) Pirouz Mojtahed-Zadeh, The Amirs of the Borderlands and Eastern Iranian Borders, UROSEVIC Foundation, 1995, pp. 375-76.

(3) Ibid., p. 79.

(4) مقابلة مع د. دانش ناروئي.

ضم الاسم إلى إقليم بلوشستان الأكبر هو بسبب عدد السكان البلوش الكبير الذين يعيشون في سيستان[1].

تم ضم زابُل رسمياً إلى بلوشستان في عام 1959[2]. مع مساحتها البالغة ثمانية آلاف ومئة وسبعة عشر كم مربعاً[3] وتعد زابُل أصغر شهرستان في الإقليم، ويسكنها خليط عرقي من السيستانيين (الفرس) والبلوش[4]. ومع ذلك، فإن التفاوت في أرقام الإحصاء السكاني الرسمي والادعاءات القومية في إيران مشابه لذلك الذي في باكستان. فالتعداد السكاني لعام 1978 يقدر وجود ستمائة وتسعة وخمسين ألفاً ومئتين وسبعة وتسعين نسمة في إقليم سيستان وبلوشستان، ويضم حوالى مئتين وسبعة عشر ألفاً من العرقية السيستانية، ويستبعد الاحصاء الكثير من البلوش الذين يعيشون في المقاطعات التي تم ضمها إلى الأقاليم الأخرى لمصلحة الجماعات الأخرى. ومنتقدين للأرقام المذكورة أعلاه، يقول القوميون البلوش إنهم كانوا في إيران أكثر من مليوني نسمة[5]. ويعتقد أن أكثر من نصف سكان زابُل يتألفون من الشيعة. وبسبب هذين العاملين (كونهم من الفرس وعلى المذهب الشيعي)، أدرج اسمها في تعيين اسم الإقليم الرسمي «سيستان وبلوشستان». وهذا يعكس الأهمية المعطاة إلى الشيعة السيستانيين في المناصب الرئيسية في الإدارة الاقليمية، على الرغم من كون الجزء الأكبر من سكان الإقليم هم من البلوش. وبسبب سياسة الدولة الايرانية المناهضة للقومية، لا يوجد إحصاء دقيق لعدد السكان البلوش في زابُل، ولكن حتى بعض المصادر القومية الفارسية تؤكد الأغلبية البلوشية في شهرستان زابُل[6]. لكن، وكما ذكر سابقاً، بلغت الخلافات بين السنة البلوش والشيعة السيستانيين ذروتها مع قيام الثورة الإيرانية عام 1979. ففي حين أن البلوش المطالبين بحكم ذاتي أكبر قاطعوا الاستفتاء الذي جرى على مستوى الأمة للموافقة على الجمهورية الاسلامية في أبريل 1979، أيد السيستانيون ذلك بشكل علني.

(1) Pirouz Mojtahed-Zadeh, The Amirs of the Borderlands and Eastern Iranian Borders, p. 80.
(2) Robert G. Wirsing, «The Baluchis and Pathans», p. 13.
(3) Pirouz Mojtahed-Zadeh, The Amirs of the Borderlands, p. 80.
(4) Government of Iran, Shonasai-e Mokhtasar-e Ostan-e Sistan wa Balochistan, Zahedan, 1357/1979, p. 11.
(5) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 96.
(6) Pirouz Mojtahed-Zadeh, The Amirs of the Borderlands, p. 81.

القومية البلوشية: دور القوى العظمى

القضية البلوشية، وفقاً للدكتور عناية الله بلوج، الخبير الأبرز في موضوع القومية البلوشية، ليست قضية أقلية إثنية في باكستان أو إيران، ولكن «عبارة عن قصة حزينة ومأسوية لأمة ودولة مستقلة قد احتلت من قبل جيرانها الأقوياء بمساعدة الإمبريالية البريطانية والأمريكية»[1]. من وجهة نظر القوميين البلوش، قاسى البلوش مصيرهم التعيس هذا ببساطة لمجرد كونهم يعيشون في منطقة ذات أهمية عسكرية حيوية بالنسبة إلى بريطانيا، على النقيض من وضع الأفغان الأكثر حظاً[2]. وتأكيداً لهذا الرأي، كتبت رئيسة البعثة الأنثروبولوجية التاريخية والأثرية الايطالية في مَكُران (جنوب بلوشستان)، فاليريا ف. بياسنتيني:

تقع بلوشستان في موقع مركزي، على مفترق طرق «محورين»، وهما الشرق والغرب والشمال والجنوب، لثلاث مناطق كبرى هي: آسيا وأفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط وهي في الواقع، في ذاتها وفي الوقت نفسه (أ) الفاصلة بين شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى والسهوب الأوروبية الآسيوية والهضبة الإيرانية؛ (ب) الرابطة بين تلك المناطق التي تحتاج أو تتحرك نحو المحيط الهندي و«طرق بحراه» الغربيين، وهما الخليج الفارسي والبحر الأحمر. ولهذا السبب، فإنها لا تزال تحتفظ بأهمية حيوية من وجهة النظر الجيوستراتيجية والجيواقتصادية[3].

تتجذر مسألة بلوشستان وتقسيمها كما هو قائم اليوم، بكاملها في «اللعبة الكبرى» الشهيرة، التي كانت حتى بداية القرن العشرين، مواجهة كبيرة بين بريطانيا والإمبراطورية القيصرية من أجل التفوق والسيادة في جنوب ووسط آسيا، بما في ذلك بلوشستان. وبخصوص الدفاع عن الهند، أفضى اختلاف التصورات السياسية عند الساسة والمسؤولين البريطانيين إلى نشوء سياسات متناقضة: وهي ما يسمى «بسياسة الحدود المغلقة (أو السياسة الخاملة البارعة)، و«السياسة التقدمية». في ستينيات القرن

(1) Baloch, Inayatullah, «Resistance and National Liberation in Baluchi Poetry», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.
(2) Selig S. Harrison, «Ethnicity and Politics in Pakistan», p. 297.
(3) Valeria F. Piacentini, «Introduction», in: Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th - 20th Century), Firenze: II Maestrale, 1997, p. 21.

التاسع عشر، ومع تقدم الروس جنوباً، وإنشاء إقليم تركستان الروسي (1867)، ازداد القلق البريطاني من غزو قيصري للهند. ومنذ ذلك الحين، أصبح النهج الثاني «السياسة التقديمة» هو المهيمن. ووفقاً لأبطال «السياسة التقدمية»، ينبغي القيام بالدفاع عن الهند ليس من داخل حدودها، ولكن من خلال تحدي العدو في الهضبة الإيرانية[1].

بالتالي جعلت «اللعبة الكبرى» بلوشستان تحت هيمنة بريطانيا كقاعدتها المتقدمة لتأمين إيران وأفغانستان كدول عازلة للحيلولة دون مزيد من التقدم الروسي نحو الإمبراطورية الهندية البريطانية[2]. وفي إطار السياسة التقدمية يكمن أفضل دفاع عن الهند في وضعها الجغرافي الفريد، فتحدها نطاقات جبلية شاهقة، وأنهار عظيمة، وصحراء جدبة وقبائل مولعة بالحرب[3]. وهذا ما سيجعل الجيش الروسي، الذي يصل إلى الهند بعد التغلب على كل هذه العقبات، ضعيفاً بحلول ذلك الوقت، وبهذا لن يكون نداً للجيش البريطاني المترقب.

سعت القوى العظمى بنشاط خلال الحرب الباردة، إلى توسيع مناطق نفوذها في جميع أنحاء العالم. وتأثرت المسألة البلوشية بهذا التنافس منذ البداية عندما دخلت باكستان وإيران في أحلاف عسكرية مع الغرب في منتصف خمسينيات القرن المنصرم. وفي عالم ما بعد الحرب، حل الأميركيون محل البريطانيين كاللاعبين المهيمنين على الحياة السياسية في المنطقة، كما هو واضح من ناحية الدور الأمريكي في إعادة شاه إيران إلى السلطة في عام 1953، وبما في ذلك ضم باكستان كجزء من الاستراتيجية الغربية لتطويق الاتحاد السوفياتي في منتصف خمسينيات القرن العشرين. ولحماية مصلحة أمريكا في الخارج في حين تخفيض الالتزامات الأميركية، وضع الرئيس ريتشارد نيكسون مبدأ نيكسون، الذي دعا به الرئيس الأميركي إلى دعم مالي إضافي لحلفاء الولايات المتحدة، بدلاً من تقديم الوعود بإرسال القوات الأميركية إلى بؤر التوتر في العالم.

(1) Riccardo Redaelli, The Fathers Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th -20th Century), p. 47.

(2) Inayatullah Baloch, The Problem of Greater Baluchistan, p. 200.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر،

Reza RaeesToosi, «Isteratezhi-e Sarzaminha-e Sookhteh» (The Backward strategy), in: Tarikh-e Ma'aser-e Iran (The Contemporary History of Iran), Tehran: Mo'assesah-e Motale'at-e Tarik-e Ma'aser-e Iran, Winter 1376/1997 (pp. 19-69).

وسوف يصبح الحلفاء بعد ذلك، وليس الولايات المتحدة الأمريكية، العناصر الفاعلة الرئيسية في مناطقهم من العالم. وبالتالي، ولكون شاه إيران أحد حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية الرئيسيين في المنطقة، ربط نيكسون أمريكا بسياسات الشرق الأوسط.

لم يكن لدى الولايات المتحدة الأمريكية أية مصالح متعلقة بالأمن الوطني على المحك في قضية البلوش، عدا الرغبة في الحفاظ على السلامة الإقليمية لإيران وباكستان. ومع ذلك، اتخذ دعم الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تقوية إيران وباكستان، موقفاً غير مبالٍ على ما يبدو نحو قضية البلوش. فعلى سبيل المثال، عندما جاء إلى باكستان في زيارة رسمية عام 1962، سئل وزير الخارجية الأميركية السابق، هنري كيسنجر، الأستاذ في جامعة هارفرد سابقاً، من قبل أحد الصحفيين عن الثورة البلوشية المتنامية في بلوشستان. فكان رده «أنا لن أعترف بمسألة بلوشستان. . .»[1](*) وتعكس هذه الاجابة المتعجرفة عموماً موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القوميات الصغيرة وسعيها للحصول على الحكم الذاتي. وبالمثل، فإن الاتحاد السوفياتي أيضاً لم يظهر أي اهتمام مباشر أقله علناً ولم يتورط مباشرة في القضية القومية البلوشية، على الرغم من حقيقة أن الحركة البلوشية كانت دائماً موضع اشتباه من قبل إيران وباكستان بدعم موسكو لها من خلال أصدقائها في كابول وبغداد[2].

(1) Marvin and Bernard Kalb, Kissinger, Boston: Little, Brown, 1974, pp. 63-64.

(*) يقول الكاتب البحراني إبراهيم بشمي: «عندما زار هنري كيسنجر باكستان في عام 1962 موفداً من قبل الرئيس الامريكي جون كينيدي. . . وسأله آنذاك أحد الصحفيين المحليين عن رأيه في الاضطرابات التي بدأت تسود إقليم بلوشستان، كان رد كيسنجر سريعاً: «إنني لن أعترف بالقضية البلوشية حتى لو صفعتني على أنفي!» .بلوشستان قوس الخليج المشدود، البحرين: دون اسم الناشر، 1985، ص7 ـ 8. بيد أن الموقف الأمريكي بدأ بالتحول دراماتيكياً بعد الثورة الايرانية والعداء المستحكم بين إيران والولايات المتحدة بسبب المسألة النووية، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وغزو أفغانستان والحرب على الارهاب، والمواجهة بين الولايات المتحدة وباكستان الداعمة للشبكات التي تهاجم القوات الأمريكية في أفغانستان، مما يرجح الموازين لمصلحة القضية البلوشية،التي أخذت طابعاً مهماً عندما بدأ ثلاثة من أعضاء الكونجرس الأمريكي في السابع عشر من فبراير عام 2012، وهم العضو الجمهوري لكاليفورنيا دانا روهرابتشر، وعن تكساس لوي گومهرت، وعن آياوا ستيف كينگ، بدعم قانون في الكونجرس الأمريكي لمنح الشعب البلوشي حق تقرير المصير، غير أن الموقف الرسمي الأمريكي ما زال متحفظاً بشأن القضية البلوشية رغم تصريحات مكتب وزارة الخارجية المتكررة على لسان فيكتوريا نولاند عن القلق الأمريكي إزاء انتهاكات حقوق الانسان والقتل خارج نطاق القضاء والاختفاء القسري في بلوشستان على يد الأجهزة الباكستانية. أنظر، (تمت الزيارة في 2012 ـ 06 ـ 28):

www.balochwarna.com/modules/articles/article.php?id=2253

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, See, Chapter 7.

وبسبب احتلالها أراضي بلوشستان الشاسعة، تعتبر دولتا إيران وباكستان أن السعي البلوشي من أجل الحكم الذاتي هو تهديد لسلامة وحدة أراضيها. وهكذا فقد تعاملتا دائماً بقوتهما المشتركة ضد القضية البلوشية لقمع القومية البلوشية، وكان ظهور باكستان في عام 1947 حدثاً ذا أهمية كبيرة بالنسبة إلى إيران(1). وتعاملت كل من إيران وباكستان مع القومية البلوشية على أنها قوة «تخريبية» و«مناهضة للوضع الراهن» ويشتبه في أنها جزء من مؤامرة سوفياتية شاملة لتحقيق الوصول إلى المحيط الهندي والسيطرة على الخليج من خلال بلوشستان.

طوال سنوات الحرب الباردة، ثار البلوش ضد حكومات الدول التي عاشوا فيها. ولخوفهم من الانفصالية البلوشية، اتبع الحكام الايرانيون ونظراؤهم الباكستانيون سياسة قمعية مشتركة تجاه الحركة القومية البلوشية في السينتو والاتفاقات العسكرية الأخرى. وكان أفضل تعبير عن جوهر سياساتهم ما صرح به وزير خارجية الشاه، عباس علي خلعتبري، وأيضاً المدير العام السابق للسينتو، خلال مقابلة مع سليگ هاريسون في عام 1977، بصراحة أنه «في السينتو، كنا نفترض دائماً أن البلوش من شأنهم أن يحاولوا إنشاء دولتهم المستقلة في يوم من الأيام، مع دعم الاتحاد السوفياتي، لذلك كان من المستحسن أن يُبقى عليهم مفككين وضعفاء سياسياً، ومتخلفين قدر المستطاع»(2).

خلال التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران وباكستان في السينتو (1954 ـ 1979)، كان القوميون البلوش شديدي الخطورة لهذه المعاهدة الدولية. فقد عارض القوميون البلوش تقديم المساعدة السياسية والعسكرية لدعم لكل من باكستان وإيران، لأنهم كانوا يخشون أن مثل هذه المساعدة ستعمل على زيادة تقوية الدولتين في محاولاتهما قمع المطالب البلوشية بالحكم الذاتي(3). وبطبيعة الحال، كانت تحالف السينتو العسكري الذي صممته الولايات المتحدة الأمريكية وفقاً لاستراتيجيتها العالمية لاحتواء التوسع السوفياتي في المنطقة، وعلى هذا النحو، لم يكن موجهاً ضد

(1) Marvin and Bernard Kalb, Kissinger, p. 180.
ينبغي التذكير أن شاه إيران هو أول من اعترف بباكستان دولة مستقلة ذات سيادة.

(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 159.

(3) مقابلة مع أكبر باركزئي.

الحركة القومية البلوشية في ذاتها. لكن من الناحية العملية، كان لذلك التأثير نفسه لأن الأسلحة المزودة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية استخدمتها مراراً وتكراراً إيران وباكستان لقمع الحركة القومية البلوشية في كلا الدولتين. بهذا الصدد، كان أوضح مثال هو استعمال الأسلحة الأمريكية المتطورة من قبل نظام الشاه ضد الثوار البلوش في باكستان من 1973 إلى1977(1).

اعتبر أن أفغانستان كانت ودية. وكتبت الجبهة الشعبية في عددها العاشر عام 1974، «إن جمهورية أفغانستان عزيزة بشكل خاص على جميع البلوش والپشتون لأنها أيدت بقوة وثبات الجماهير البلوشية والپشتونية»(2). وهكذا فلم ينو الأفغان في أي سيناريو التكاتف مع باكستان أو إيران لسحق حركة التحرير البلوشية في أي من الدولتين في سبعينيات القرن العشرين. ويبدو أن الميل التقليدي الجيد بين البلوش والأفغان تواصل على الرغم من المطالبات الشوفينية بالأرض البلوشية من قبل العديد من القوميين الپشتون. وبحسب رئيس الوزراء السابق، السردار عطاء الله مينگل، ينبغي أن لا تشكل التسوية الإقليمية مع أفغانستان أي مشكلة. وقال لصحفي في عام 1982 إن القضايا الإقليمية، التي قد تنشأ عندما تحصل بلوشستان على حريتها، يمكن أن تحل ودياً. وقال:

فيما يخص أفغانستان، ليس لدينا مطالب إقليمية. كل ما يمكننا قوله هو أنه يمكن إعادة ترسيم الحدود. هنالك أراضٍ أفغانية في بلوشستان (المقاطعات الناطقة بالبشتونية، وهي ژوب، لورالاي، وپشين) تقول أفغانستان إنها أراضيها. وهناك مناطق في أفغانستان، يعتقد البلوش أنها ملكهم. لذلك يمكن أن يكون هناك ترتيب وإعادة ترسيم للحدود في بعض المناطق. فيمكن أن تذهب بعض المناطق إليها وتأتي بعض المناطق إلينا(3).

في عام 1973، خلال زيارة بوتو لطهران، قال الشاه في تصريح علني أن ما يحدث في باكستان «أمر في غاية الأهمية بالنسبة إلينا، ولا يمكننا التسامح مع أي حدث

(1) Rashed Rahman, «The Rise and Fall of Baloch Nationalism», p. 7.

(2) People's Front, vol. 1, No. 10-11,1974, p. 2.

(3) مقابلة السردار عطاء الله مينگل مع لورانس لفشولتز،
cited in Janmahmad,Essay on Baloch National Struggle in Pakistan, pp. 402-403.

آخر يصيب تلك الدولة. والسبب في ذلك ليس فقط المودة الأخوية لها بوصفها دولة مسلمة، ولكن للمصالح الإيرانية؛ولن نكون قادرين على تحمل أي تغيرات أو صعوبات أخرى في باكستان . . . ونحن لن نغمض أعيننا عن أي حركة انفصالية، معاذ الله، في بلدكم»[1]. وقال رئيس الوزراء بوتو للمؤلف الأميركي، هاريسون في عام 1977، أن شاه إيران كان يصر كثيراً، بل يتهدد ويتوعد باكستان بكل أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية. ولقد شعر بقوة أن السماح للبلوش بالحصول على الحكم الذاتي الاقليمي ليس خطيراً بالنسبة إلى باكستان في ذاته فحسب، ولكن سوف يعطي البلوش لديه أفكاراً خطيرة[2].

لم تنجح سياسات الشاه المتشددة تماماً، كما نوقش سابقاً، في سحق النشاط القومي، الذي اندلع في حادثة داد شاه 1957 ـ 1958، وفي الثورة المسلحة المدعومة عراقياً 1968 ـ 1975 في بلوشستان الإيرانية[3]. أصبح الشاه واعيًا أن مشاكله المستمرة مع البلوش من شأنها أن تتفاقم بسبب الاضطرابات في مناطق البلوش الباكستانية، خصوصاً بعد انفصال بنگلاديش. وعلاوة على ذلك، كان مهووساً بكابوس جيوسياسي: كون موسكو سترسخ موطئ قدم لها في أفغانستان، وسيترافق ذلك مع دعم قوات القوميين البلوش القوية بالفعل في باكستان، ومع محاولات ذات صلة لجعل استياء البلوش في إيران أكثر حدة. وقال الشاه في مناقشة مع وزير بلاطه أسد الله عالم، في الرابع عشر من مايو عام 1972: «من خلال السعي إلى دولة بلوشية مستقلة وضعيفة، فإنهم [الروس] يأملون الوصول إلى المحيط الهندي بسهولة أكبر من العبور إلى بنگلاديش، أو من خلال العراق الذي ليس لديه سوى خط قصير من الساحل في أقصى نهاية الخليج الفارسي»[4]. خَلُص الشاه إلى أن الطريقة الوحيدة التي سيتيقن بها أن مشكلته البلوشية لن تخرج عن نطاق السيطرة، هي بمعاملة بلوشستان الباكستانية كمحمية إيرانية عملياً. فكانت ضغوط من الشاه كما ذكر سابقاً هي المسؤولة

(1) New York Times, 15th May 1973.
(2) Selig S. Harrison, In Afghanistan's Shadow, p. 97.
(3) مقابلة مع عبد الصمد أميري.
(4) Asadollah Alam, The Shah and I: The Confidential Diary of Iran's Royal Court (1969-1977), London. 1991. p. 216.

إلى حد كبير عن قرار بوتو إطاحة الحكومة الاقليمية البلوشية في عام 1973 واستخدام القوة الجوية، فضلاً عن القوات البرية في سحق الثورة البلوشية[1].

وبسبب خوفه من الحركة البلوشية في بلوشستان الشرقية، كما ذكر من قبل، ركز الشاه أكثر من ثمانين ألف جندي في إقليم بلوشستان الإيراني في بداية عام 1973. وكما أعلن صراحة من قبل الملك نفسه، كان الخوف من تمزق باكستان أكثر، هو ما جعل الحكام في طهران يقررون اتخاذ قرار بإظهار عرض للقوة في بلوشستان الغربية. ووفقاً للصحيفة القومية الجبهة الشعبية، عند حديث الشاه عن الحفاظ على القانون والنظام، كان هدفه الحقيقي هو استغلال حالة الاستنزاف التي كان عليها جهاز الدولة في إسلام آباد، والتي نتجت من هزيمتها أمام حركة الحرية في بنگلاديش، والتطورات اللاحقة في بلوشستان الشرقية، ليوسع إمبراطوريته شرقاً[2].

مع نهاية الحرب الباردة واختفاء الاتحاد السوفياتي، أصبح العالم بسرعة معتاداً الصراعات التي لم تعد مرهونة بمنافسات القوى العظمى. وكان لقدرة الدول التي خلفت الاتحاد السوفياتي، روسيا في المقام الأول، للعمل بالتعاون مع الولايات المتحدة، تأثير قوي في كيفية تحديد أمريكا لمصالحها القومية في العالم الثالث. فلم تعد تنظر إلى الصراعات المحلية بين الدول العميلة لطرفي الحرب الباردة كأرض معارك بديلة؛ حيث يمكن الآن للولايات المتحدة أن تختار تجاهل اندلاع أعمال العنف في أفريقيا أو أميركا اللاتينية أو آسيا إذا شاءت ذلك. فبعد انسحاب القوات السوفياتية من أفغانستان في عام 1988، والسقوط اللاحق لحكومة الدكتور نجيب الله، لم تخسر باكستان الدعم الاقتصادي الغربي السخي فحسب ولكن أيضاً أهميتها الجيوسياسية(*).

وبالإضافة إلى ذلك، شهد الربع الأخير من القرن العشرين ازدياداً للوعي

(1) مقابلة مع عبد الصمد أميري.
(2) People's Front, May 1973.
(*) استعادت باكستان أهميتها الجيوسياسية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، لمحاربة طالبان الأفغانية، غير أن العلاقات الأمريكية ـ الباكستانية وصلت إلى أسوأ حالاتها في هذه المرحلة (2012) مما قد ينهي الحلف بانسحاب القوات الأمريكية المرتقب، كما يرى العديد من المحللين السياسيين، بسبب سلسلة من الأحداث بدأت بالعثور على المطلوب الأول لأمريكا أسامة بن لادن مختبئاً قرب إحدى كبرى القواعد العسكرية الباكستانية، وإصرار دعم باكستان للشبكات التي تقاتل القوات الامريكية في أفغانستان، وعلى رأسها شبكة حقاني، التي يرى المراقبون أن باكستان تستبقيها لاستخدامها بعد انسحاب قوات حلف الأطلسي من أفغانستان عام 2014 لاستعادة وضعها السابق.

السياسي في جميع أنحاء العالم عن القوميات الفرعية والجماعات الاثنية والإقليمية، المطالبة بدور أكبر في إدارة شؤونها الخاصة. اليوم لا يوجد محلل جاد سيرتاب بوضع الحرمان الثقافي والاجتماعي الذي ترك عليه البلوش منذ ضمهم قسراً إلى إيران (1928) وباكستان (1948). ولكن يشكك الكثير منهم في تأثير التنمية الاقتصادية الأخيرة للإقليم، والانهاء التقدمي للبنية الهيكلية القديمة، وأخيراً إمكانية وجود واستمرارية البلوش ككيان منفصل.

الخلاصة

بعد تفكك باكستان في عام 1971، تغيرت البيئة السياسية بشكل كبير. فحرمت الحركات الديمقراطية والقومية في الجناح الغربي السابق من أحد المصادر الرئيسية لقوتها السياسية: التعاون مع البنگاليين. مع استقلال بنگلاديش تمكن ما تبقى الآن من باكستان من التخلص من هيمنة البيروقراطية القديمة، وحتى أنه ألجأ الجيش إلى الثكنات؛ أقله لبضع سنوات. ولكن في الوقت نفسه عززت الأوضاع المسبقة الهيمنة البنجابية، بواسطة فقدان الثقل الموازن الرئيسي المحتمل، أي البنگال.

في أعقاب الأحداث الصادمة في بنگلاديش، وجب على الجناح الغربي الباقي من باكستان العثور على بعض التسوية المؤسسية القابلة للحياة إن كانت تأمل النجاة. فدعي حزب عوامي القومي وجمعية علماء الإسلام (NAP - JUI)، اللذان فازا بالأغلبية في إقليم بلوشستان والاقليم الحدودي الشمالي الغربي(NWFP) بواسطة ذو الفقار علي بوتو للتوقيع على اتفاق ثلاثي في مارس 1972. ودعا هذا إلى رفع الأحكام العرفية، وصوغ دستور جديد، والمشاورات بين أحزاب الأغلبية والأقاليم لتعيين الحكام، وإمكانية كل إقليم تشكيل حكومة خاصة به وفقاً للأغلبية البرلمانية.

عندما تولى بوتو السلطة رئيساً لباكستان في العشرين من ديسمبر عام 1971، كان حزبه، حزب الشعب الباكستاني (PPP)، يسيطر بشكل تام على البنجاب والسند، ولكن كان لديه دعم ضئيل جداً في الإقليم الحدودي الشمالي الغربي وبلوشستان. وفي الانتخابات العامة لعام 1970 كسب حزب الشعب الباكستاني مقعداً واحداً فقط في الجمعية الوطنية لمقاطعة الحدود الشمالية الغربية، حيث حصل فيها على أقل من خمسة عشر في المائة من الأصوات الشعبية، ولم يكسب شيئاً في بلوشستان، حيث

كانت حصته من الأصوات حوالي اثنين في المائة. وكان نصيب الحزب سيئاً في الجمعيات الاقليمية بعد كسب أربعة من أصل أربعين مقعداً في الإقليم الحدودي الشمالي الغربي، وواحد من أصل عشرين مقعداً في بلوشستان. ومن بين أحزاب المعارضة الكثيرة، برز حزب عوامي القومي (NAP) في موقف أقوى، بعد أن حصل على ثلاثة مقاعد في الجمعية الوطنية في كل من الاقليمين، وثمانية وثلاثة عشر مقعداً على التوالي، في المجلس التشريعي الاقليمي لبلوشستان وفي الأقليم الحدودي الشمالي الغربي. وبالتالي شكل البلوش والپشتون حكوماتهم في هذه الأقاليم. وكانت العلاقة بين المركز وهاتين الحكومتين الاقليميتين متوترة. واتهم القوميون البلوش بوتو بتنفيذ سلسلة من الاستفزازات من أجل تمهيد الطريق لإقالة وزارة رئيس الوزراء السردار عطاء الله مينگل في بلوشستان. فاستقالت حكومة حزب عوامي القومي وجمعية علماء الاسلام في الاقليم الحدودي الشمالي الغربي احتجاجاً. ومع ذلك، كما هو متوقع، أقال بوتو الحكومة البلوشية في فبراير عام 1973، مما أدى إلى ثالث مقاومة بلوشية مسلحة ضد باكستان.

أثارت ثورة 1973 ـ 1977 وعياً سياسياً لم يسبق له مثيل في بلوشستان. مع إقالة حكومة حزب عوامي القومي وجمعية علماء الاسلام في بلوشستان، دخلت القوات الفيدرالية في الاقليم لمساعدة الادارة الاقليمية على «استعادة النظام والقانون»، ولكن الوضع بقي متدهوراً. وبدأت العناصر الراديكالية في حزب عوامي القومي بالنضال المسلح وانضمت إليها قبائل المَري والمينگل، الذين اعتبروا قرار الحكومة المركزية اعتداءً على «حقوقهم القومية». وشكل عدد كبير ممن اشترك منهم في الكفاح المسلح الجبهة الشعبية البلوشية للتحرير (BPLF) تحت قيادة مير هزار رَمخاني، الذي عين رسمياً زعيماً لقيادتها الشعبية الثورية.

استمرت المواجهة الثالثة لأربع سنوات (1973 ـ 1977)، وشارك في أوجها أكثر من ثمانين ألف جندي باكستاني وما لا يقل عن خمسة وخمسين ألفاً من مقاتلي البلوش. واندلعت عندما أقال ذو الفقار علي بوتو حكومة بلوشستان المنتخبة في الثاني عشر من فبراير عام 1973 تحت حجة أنها شاركت في مؤامرة لبدء تمرد مسلح. وحصل بوتو على مئتي مليون دولار أمريكي في صورة مساعدات عسكرية ومالية عاجلة من إيران لسحق الثوار. حتى أن إيران أرسلت ثلاثين مروحية مقاتلة من طراز هيوي كوبر لمساعدة الجيش الباكستاني.

عثر المقاتلون البلوش على ملاذ في أفغانستان، التي منها شنوا الهجمات المفاجئة على الجيش الباكستاني. ووفقاً لأحد التقديرات قتل وجرح حوالى خمسة آلاف وثلاثمئة بلوشي. وكانت الخسائر في صفوف الجيش ثلاثة آلاف وثلاثمئة. في حين أن تقديرات بعض المعارك الكبرى، مثل چملانگ في سبتمبر عام 1974، كان لها مراقبون موثوق بهم، ويبدو أنه بالإضافة إلى ذلك قتل الآلاف من المدنيين البلوش خلال القصف والعمليات العسكرية المختلفة. وفي ذروة الحرب لجأ حوالى ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف بلوشي (ومعظمهم من قبيلة مَري) إلى أفغانستان. والعديد من التقارير تشهد بأن التعذيب كان ممارسة شائعة ضدهم.

في عام 1977، أطاح الجنرال ضياء الحق حكومة بوتو. وكان أول التدابير التي اتخذها الجنرال هو إعلان وقف إطلاق النار وإطلاق سراح قادة حزب عوامي القومي من سجن حيدر آباد وفتح المفاوضات. فعقدت عدة اجتماعات في إسلام آباد في 1977 و1978. على الرغم من أن بعض زعماء الپشتون، مثل خان عبد الولي خان، وافقوا بسبب استيائهم الشديد من بوتو، على التباحث مع الجنرالات، بينما أوضح قادة البلوش أنهم لا يقاتلون أفراداً ولكن النظام برمته. وفي عام 1978، ومع ذلك، تم إطلاق سراح أكثر من ستة آلاف سجين بلوشي، وأعلن منح العفو العام لهؤلاء الذين لجأوا إلى أفغانستان. وتجدر الإشارة إلى أن ضياء الحق أفرج عن قادة البلوش وعرض شروطاً سمحت لقادة البلوش بسحب المقاتلين دون تحقيق أي شيء في الواقع أكثر من وقف إطلاق النار. وبعد ذلك تلاشت الثورة البلوشية داخل باكستان. ومع ذلك، وبعد سنة واحدة من التفاوض، وصل خير بكش مَري وعطاء الله مينگل إلى الاستنتاج بأن احتمال التوصل إلى حل للمسألة القومية البلوشية في إطار الدولة الباكستانية غير قابل للتطبيق، فغادروا البلاد في عام 1980.

في 1978 ـ 1979، حولت الثورة الإسلامية إيران من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري. وفي خلال هذه الفترة المضطربة، عاد كفاح القوميين البلوش إلى الظهور مرة أخرى. ومن بين المنظمات القومية الرئيسية التي ظهرت أثناء أو مباشرة بعد الثورة وطالبت بالحكم الذاتي كانت «سازمان دموكراتيك مَردُم بلوچستان» (منظمة شعب بلوشستان الديمقراطية)، وشكل حزب اتحاد المسلمين من قبل مجموعة من المولوية والمثقفين ذوي التوجه الديني، وبلوچستان راجي زُرُمبِش (حركة بلوشستان القومية)،

وهي منظمة اعتمدت تكتيكات حرب العصابات وتشكلت في منتصف سبعينيات القرن العشرين.

الحياة السياسية البلوشية، مع ذلك، لم تدم طويلاً في إيران. اعتمدت المسودة النهائية للدستور الجديد مفهوم ولاية الفقيه (المرشد الديني الأعلى)، ورفضت الحقوق السياسية والثقافية والدينية للبلوش والقوميات الأخرى في إيران. وأصبح واجباً دينياً على جميع الشيعة دعم الحكومة المركزية، ومعارضة القوميين الإقليميين. ومندفعة بخيبة الأمل في تحويل الوعود الأولى إلى واقع ملموس، شاركت بعض القبائل البلوشية في حركات المقاومة الجديدة، ولكن المنظمة بشكل سيئ، ضد الحكومة. ونتيجة لذلك، اضطر العديد من البلوش إلى مغادرة البلاد خلال ثمانينات القرن العشرين. وأصبحت كراچي مركزاً لهم، ونتيجة لذلك مركزاً لنشاطات الاستخبارات الإيرانية السرية.

ظل بلوش أفغانستان معزولين إلى حد كبير من هذه الأحداث ومحاولات الحكومة الأفغانية لبسط سيطرتها الإدارية عليهم. وبناءً على ذلك، وخلافاً للبلوش الايرانيين والباكستانيين، لم يحتشدوا للمطالبة بقدر أكبر من الحكم الذاتي السياسي أو الثقافي. ومنذ حكم عبد الرحمن لم تحشد الأقلية البلوشية السيستانية الصغيرة في الصحارى النائية والقاحلة في جنوب غرب أفغانستان على أساس الحصول على مصالح اقتصادية أو سياسية أوسع، وكانت اهتمامات مالكي الأراضي البلوش بالدرجة الأولى هي زيادة أرباحهم الشخصية.

في حين أن التطورات التي حدثت في العقدين الماضيين، والأحكام العرفية في ثمانينات القرن العشرين، وما يسمى بديموقراطية تسعينيات القرن العشرين، عملت كابحاً للنشاط السياسي، وربما قد فقدت القومية البلوشية توقدها، ولكن كما ذكرنا آنفاً، فإنها لم تمت. فبعد سقوط حكومة نواز شريف في أواخر عام 1990، يبدو أن القومية البلوشية أصبحت مرة أخرى ناشطة. والاعتقاد السائد بين القوميين البلوش هو أن المؤسسة العسكرية حاولت إما تهميش القوى السياسية الرئيسية في بلوشستان وإما وضعت نفسها في مواجهة مباشرة معها. وفي هذا السياق، فقد حصل تحالف الحركة القومية المتحدة (MQM) (متحده قومى موومنت) في الآونة الأخيرة مع القوميين البلوش على أهمية كبيرة.

ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه ومنذ مطلع عام 2000، أعلنت مجموعة مسلحة جديدة، تطلق على نفسها اسم «جيش التحرير البلوشي» (BLA) مسؤوليتها عن سلسلة من التفجيرات وإطلاق صواريخ على منشآت حكومية في مدينة كويتا، بما فيها مساكن الوزير الأعلى، الوزير المحلي، مكاتب المفوض، مقر المفتش العام للشرطة ومجموعة أهداف حساسة منتقاة من مختلف أرجاء معسكر كويتا، فضلاً عن منشآت الغاز في سيوي وحركة المرور في مناطق مناجم چملانگ للفحم في مقاطعة كوهلو[1].

وهكذا، فإن القومية البلوشية الجديدة والناشئة من رماد ما بعد الحرب الباردة، قد تشكل تحدياً أكبر بكثير في مجال تماسك المنطقة المضطربة بالفعل في باكستان وإيران أكثر مما أمكن للجبهة الشعبية لتحرير بلوشستان (BPLF) وجبهة تحرير بلوشستان (BLF) في أي وقت مضى. ومع ذلك، يتوقف القادم على ما ينتج من فترة ما بعد الديمقراطية تحت حكم الجنرال برويز مشرف.

(1) Surat Khan Marri, «Baloch Liberation Movement, Romanticism, Fact or Fiction», in: DailyBalochistan Express, Quetta, May 18, 2001.

الفصل السابع

الخاتمة

شهد القرن العشرون نمو وتطور سياسات الهوية والقومية البلوشية. ويمكن تعريف القومية في إحدى الطريقتين؛ بواسطة المعايير الاثنية أو المعايير الإقليمية. في حين تستند القومية الاثنية إلى وعي الهوية المشتركة والثقافة والاعتقاد بالأسلاف المشتركين والتاريخ، كانت القومية الإقليمية مشمولة ضمن أرض محددة جغرافياً. وفي الواقع، كان للقومية الإثنية ميزة على القومية الإقليمية أو المدنية لأن الأولى كما يبدو هي استمرار طبيعي للإثنية الموجودة مسبقاً. ويعتقد القوميون أن أفضل طريقة لحماية مصالحهم المشتركة تكون بامتلاك دولتهم الخاصة بهم في النظام الدولي.

يكون للمجتمع هوية عندما يكون أعضاؤه قادرين ليس على تمييزه من غيره من المجتمعات فحسب، ولكن أيضاً عندما ينقلون طابعه المميز بالكلمات والإيماءات والممارسات، وذلك لطمأنتهم بأنه ينبغي أن يكون موجوداً، وبأن لديهم سبباً للانتماء إليه. وبالتالي فنشوء هوية قومية ينطوي على شعور متزايد بين الناس أنهم ينتمون معاً بشكل طبيعي، وأنهم يتشاركون في المصالح المشتركة والتاريخ المشترك والمصير المشترك. وللبلوش إلى هذا الحد مطالبة واضحة لا شك فيها بالهوية القومية، كما يتبين من فهم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتميز بها الشعب البلوشي.

وكما هو مُبَين في الفصل الثالث، من الناحية التاريخية، كانت الفترة التي ما بين القرن الثالث عشر ونهاية القرن الخامس عشر هي الفترة الأكثر أهمية في تطور الجماعة الإثنولغوية البلوشية. وفيما يتصل بهذا، كانت العملية معقدة وأساسية. وداخلياً، تحرك المجتمع البلوشي من الوحدة الصغرى وهي العشيرة إلى الوحدة الكبرى وهي القبيلة، وإلى التمايز الإقليمي. وخارجياً، بدأ المجتمع البلوشي باستيعاب شرائح واسعة من الجماعات العرقية الأخرى: الإيرانيون، والهندو ـ آريون من البنجاب والسند، والعرب، والپشتون، إلخ.

يمكن أن تُقسم الأمة بين عدة دول. ومثل هذه الأمة هي أمة متعددة الدول أو بالأحرى، أمة عابرة للدولة. والبلوش اليوم هم أمة عابرة للحدود الدولية. فمنذ عشرينيات القرن العشرين، و«تماسكهم ووحدتهم» ينموان نمواً مطرداً، وهم يقصدون إنشاء «بلوشستان الكبرى» المستقلة، التي تشمل أساساً إقليم بلوشستان الباكستاني، وإقليم سيستان وبلوشستان الإيراني، والمناطق المجاورة في جنوب أفغانستان. وإذن فإن أواصر التاريخ والأرض والإثنية تحافظ على هوية قومية بلوشية موحدة تتجاوز حدود الدولة، وكذلك تجتسر القومية البلوشية الحدود الدولية، التي تتقاطع مع وطنها الإثنو ـ لغوي. ولذلك، فمن المهم وضع كفاح البلوش القومي في بلوشستان الشرقية (داخل دولة باكستان) في سياق حركة قومية أوسع تشمل البلوش في إيران وأفغانستان.

يُعد البلوش الذين يبلغ عددهم أكثر من عشرة ملايين نسمة (1981)، إحدى أكبر الأمم العابرة للدول في جنوب ـ غرب آسيا. وفي الوقت الحاضر، تنقسم بلادهم سياسياً إلى قسمين رئيسيين: بلوشستان الشرقية التي تدار مع كويتا عاصمة لها من جانب باكستان منذ عام 1948؛ وبلوشستان الغربية، المعروفة رسمياً باسم «سيستان وبلوشستان» مع زاهدان كعاصمة لها، والخاضعة لسيطرة إيران منذ عام 1928. ولايزال يعيش العدد الأكبر من البلوش في بلوشستان، على الرغم من تكون شتات بلوشي كبير في هذا القرن، خصوصاً في كراچي، ومدن أخرى في إقليم السند والبنجاب، وسلطنة عُمان، وكذلك خلال العقود الأخيرة في دول الخليج.

ومع ذلك، فإن موقع بلوشستان الاستراتيجي، وساحلها الطويل على الخليج ودورها كواحدة من بوابات آسيا الوسطى وأفغانستان، وإحدى أهم نقاط عبور نفط الخليج، هو ما وضعها في موقع بالغ الأهمية في شبه القارة، ومنذ سنوات ما بعد الاستعمار في باكستان وإيران.

ظهرت القومية البلوشية كفكر مع تجذر أصولها في جغرافية وثقافة وبيئة وتاريخ البلوش المتمايز، في بداية عشرينيات القرن العشرين. وكان هدفها الرئيسي بما تمثله من حركة شعبية ضد السيطرة الأجنبية، هو استقلال البلوش القومي في وطنهم، وهو هدف سعى إلى الحفاظ على هويتهم القومية والثقافية. ولذلك دعا إليه البلوش في جميع الأحوال والأمكنة ومن جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية.

يشكل العنصر الإثني السمة البارزة في القومية البلوشية. ومع ذلك، فضعف

الانتماء الإثني، هو عدم قدرته على الحفاظ على ولاء الجماهير النهائي على الصعيد القومي. فقسمت الولاءات القبلية التي هي دون المستوى القومي، الحركة القومية البلوشية. ثم تم استخدام هذه المنافسات من قبل الحكومات المركزية لإضعاف البلوش، في كل من إيران وباكستان. وهكذا فإن الحركة البلوشية، على النقيض من العديد من حركات التحرر الوطني، شهدت وجود تناقض مستمر بين زعمائها التقليديين، والمجتمع المتطور نسبياً الذي يسعون إلى تحريره.

وُجِد بين البلوش شعورٌ قوي بالإثنية لفترة طويلة جداً. حيث كانت معظم أرجاء بلوشستان منذ القرن السابع عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، تحت حكم خانية بلوشستان المستقلة، والإمارات البلوشية المستقلة (بلوشستان الغربية) التي أنتجت حياة ريفية وحضرية مزدهرة في القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من كونهم من أصول متعددة، يشكل البلوش إثنية أثبتت حيويتها وقوتها على مر العصور. فصمدوا أمام غارات الشعوب الأكثر عدداً وتطوراً مثل المغول والأتراك والفرس، وعلى الرغم من بعض أوجه التشابه مع هذا الأخير، فقد نجحوا في الحفاظ على هوية منفصلة. وكانت تتضح هذه الحيوية في التوسع في المناطق غير البلوشية وكذلك بجعل الشعوب المجاورة من البلوش.

يمكن تقسيم البلوش إلى مجموعتين رئيسيتين. أكبرها وأكثرها انتشاراً هم البلوش الذين يتحدثون باللغة البلوشية أو بأي من اللهجات المرتبطة بها. وتمثل هذه المجموعة «بامتياز» البلوش. وتتألف المجموعة الثانية من مختلف الجماعات غير المتحدثة بالبلوشية، ومن بينها بلوش السند والبنجاب، والبراهوئيون في بلوشستان الشرقية، الذين يتكلمون اللغات السندية، والبراهوئية، والسرائكية على التوالي. وعلى الرغم من حقيقة أن المجموعة الأخيرة تختلف لغوياً، إلا أنها تعتقد بأنها بلوشية، وهذا الاعتقاد لا يرتاب فيه جيرانهم المتحدثون بالبلوشية. وعلاوة على ذلك، فقد جاء العديد من قادة البلوش البارزين من المجموعة الثانية. وبالتالي، فاللغة تؤدي دوراً أقل أهمية في الحركة القومية البلوشية في بلوشستان الشرقية، لأنه، وكما هو مبين أعلاه، لا توحد العلاقات اللغوية المجتمع البلوشي بأكمله.

وعلى الرغم من التركيبة غير المتجانسة للبلوش، التي تشهد لها في بعض الحالات التقاليد التي تحافظ عليها القبائل، إلا أنهم يعتقدون أن لهم سلفاً مشتركاً.

وقد ادعى بعض العلماء سلفاً سامياً للبلوش، وهو زعمٌ تدعمه أيضاً تقاليد البلوش وأنسابهم، ووجد قبولاً رحباً بين كتاب البلوش. على الرغم من أن هذا الاعتقاد قد لا يتفق بالضرورة مع الحقائق (التي ينبغي الاشارة إليها، أنه من الصعب جداً إثباتها، في أي من الاتجاهين)، فالمهم هو المفهوم المعتقد به بين أعضاء الجماعة عموماً. وفي هذا الصدد تقدم القومية الكوردية مقارنة جيدة. كما أن الحقيقة هي أن هناك العديد من العوامل الإثنية المشتركة التي ساهمت في تشكيل الأمة الكوردية؛ فهناك أيضاً العوامل التي أدت إلى انقسامات داخل الكورد أنفسهم. ففي حين أن اللغات التي تم تحديدها على أنها كوردية وهي ليست كما الفارسية والعربية أو التركية، فهي كذلك غير مفهومة بين المتحدثين بها. وجغرافياً، يتطابق الانقسام بين المناطق الناطقة بالكورمانجية والسورانية مع الانقسام بين المذاهب السنية والشيعية من الإسلام. وعلى الرغم من كل هذه العوامل، يشكل الكورد إحدى أقدم الأمم في منطقة الشرق الأوسط. ومن المهم ملاحظة أنه ومثل القبائل الكوردية الحاكمة، زعمت مختلف القبائل البلوشية الحاكمة أنها من أصول عربية وعرضت أنسابها العربية متفاخرةً، وهو واقعٌ لا شك أنه بسبب المكانة الدينية التي تلازم الأصول العربية بين الشعوب الإسلامية. ومع ذلك، فحتى أولئك الذين زعموا مثل هذا النسب لم يعتبروا أنفسهم أي شيء سوى كونهم بلوشاً.

إن خلفية البلوش الإثنية والتنظيم الاجتماعي والثقافة والتاريخ والشعور بالانتماء الاقليمي، كل ذلك دليل على أن هناك أمة بلوشية قديمة جداً. وفي نواح كثيرة، يُعد هذا إسقاطاً للمفاهيم الحديثة على الماضي. ومع ذلك، فإن للبلوش بلا شك مجموعة من السمات التي شجعت على تطوير هوية منفصلة قبل وقت طويل من القرن العشرين، وأدت إلى نشوء أيديولوجيا قومية بلوشية جازمة خلال الحركات القومية في عشرينيات القرن العشرين فصاعداً. وبالتالي فهم متحدون بإيمانهم بالأسلاف المشتركين والتاريخ والثقافة والإسلام السني. وفي حين أنه لا يوجد لهجة أو لغة واحدة مشتركة بين جميع البلوش، يعد المتحدثون بمختلف اللهجات واللغات أنفسهم بلوشاً ويعتبرون بعضهم بعضاً كذلك. فيستعاض بوحدة التقاليد والثقافة مقابل الوحدة اللغوية. وفي حين أنه من الصحيح أن البلوش منقسمون اليوم بين القبائل (المهاجرة أو المستقرة) والمناطق الحضرية، فإن أعرافهم الاجتماعية قد تشكلت في البوتقة القبلية.

وربما كان العنصر الأكثر أهمية بين مختلف العناصر التي تدخل في صياغة الهوية

القومية البلوشية، هو عنصر التنظيم الاجتماعي والاقتصادي المشترك. ولبعض الوقت ساهمت العديد من السلالات العرقية في تشكيل الشعب البلوشي. وبينما كانت هناك اختلافات متفاوتة في اللغة واللهجة بين مختلف المجموعات، فإن نوعاً فريداً من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، الذي يشكل ما وصف «بالثقافة القبلية»، هو القاسم المشترك بينها جميعاً. وهذه الثقافة القبلية هي نتاج البيئة والقوى الجغرافية والتاريخية، التي تضافرت لتكوين عموم حياة البلوش ومؤسساتهم.

خصائص البلوش المذكورة أعلاه لا توحدهم فقط ولكن أيضاً تفصلهم عن الثقافات المهيمنة في الجوار. ويعزز فصل البلوش عن الاقتصادات الوطنية الباكستانية والإيرانية إدراكهم لاستقلالهم الإثني. وإذا ما كانت تستند عدم المشاركة هذه إلى الفرق بين المركز والأطراف، أو المناطق الحضرية مقابل الريفية، أو الصناعة مقابل الزراعة، أو التمييز المقصود، فإن بلوشستان تفتقر إلى المصانع والصناعات الحديثة. ولم تُشارك في كل من تنمية البنية التحتية لهذه الدول ولا في عائدات تنميتها الاقتصادية.

يكون تاريخ البلوش وتقاليدهم وثقافتهم ولغتهم، وانتماؤهم الاقليمي وخلفيتهم الإثنية المشتركة، قواعد متماسكة للقومية البلوشية، في حين أن الجغرافيا كان لها آثار إيجابية وسلبية في ذلك. ولم تمنح العزلة الجغرافية، بطبيعة الحال، نشوء القومية، ولكن هناك بعض العوامل التي تساهم في تعزيز النزعة القومية للشعب أكثر من اعتقاده بأنه فريدٌ ثقافياً وتاريخياً في العالم. وكانت الجغرافيا مسؤولة إلى هذا الحد عن الطابع الفريد للتاريخ والثقافة والشخصية البلوشية، وساعدت على خلق خصوصية قومية، كانت بدورها بمثابة قوة حافزة لنمو الشعور القومي في بلوشستان.

غير أن الظروف المناخية والجغرافية نفسها التي ساعدت على نمو القومية البلوشية، قد أعاقت، من وجهة نظر أخرى هذا النمو. فمن ناحية حمت الجبال الوعرة والتضاريس الصحراوية استقلالهم تاريخياً، وجعلت من الصعب على الغزاة ضم أراضي البلوش، ولكن من ناحية أخرى، لم تمنح الظروف المناخية القاسية وندرة المياه البلوش الفرصة لينشئوا دولة إقطاعية. فالمناخ القاسي وندرة المياه أجبرا البلوش أن يعيشوا حياة البدو الرحل وشبه الرحل أو إلى الهجرة إلى شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى وشرق أفريقيا، أو الشرق الأوسط العربي.

يمكن لبلوشستان أن تعتز بأن بها مكامن للغاز واسعة، فضلاً عن المعادن مثل

الكروم والنحاس والحديد والفحم. وتم العثور على الغاز بكميات مجدية تجارياً في سيوي وبيركوه (باكستان). وهذا عاملٌ مهم في مواقف الحكومات المركزية المختلفة حول مسألة حق البلوش في تقرير المصير، مما قوى شعور البلوش بأنهم يلقون معاملة جائرة.

لقد أدت التجارب التاريخية دوراً هاماً في تشكيل الهوية القومية البلوشية. وفي هذا الصدد تظهر التجربة السويسرية تشابهاً ملحوظاً. في الحالة السويسرية، كانت التجربة التاريخية المشتركة، والتطلعات المشتركة، كافية في إدماج جماعات ليس لها خلفية لغوية أو ثقافية مشتركة. وينبغي التذكير أن تاريخ الشعب البلوشي على مدى السنوات المائة الماضية كان تاريخاً من التطور، من المجتمع التقليدي إلى مجتمع أكثر حداثة. (و«أكثر حداثة» هو مصطلح نسبي، ولا يعني ضمناً مجتمعاً «حديثاً» بلغ نقطة الذروة في التطور). وعلى هذا النحو، فالاعتماد على المعايير القبلية كان أقوى في الحركات السابقة، والاعتماد على القومية كان أقوى في اللاحقة. وبالمثل، فإن عناصر التنظيم في الحركات الأولى كانت القبائل؛ وحلت الأحزاب السياسية تدريجاً محل القبائل بتوجيه التعبئة الجماهيرية إلى المؤسسات السياسية.

لذلك، كما نوقش في هذه الأطروحة، يشكل البلوش أمة متمايزة من تلك التي للفرس والبنجابيين بكل اختبار أساسي للأمة، وأولها الماضي التاريخي المنفصل في المنطقة الذي لا يقل قدماً عن ذلك الذي لجيرانهم، وثانياً من واقع كونهم كياناً ثقافياً ولغوياً مختلفاً تماماً عن ذلك الذي للفرس والبنجابيين، مع تراث كلاسيكي لا مثيل له، ولغة متقدمة، الأمر الذي يجعل البلوش متناسبين تماماً مع جميع احتياجات الوقت الحاضر، وأخيراً بسبب سكناهم الإقليمي في مناطق محددة وواضحة.

أنضج الوجود والقوة المتزايدة لشركة الهند الشرقية البريطانية على طول الاقاليم الساحلية والشرقية للهند، والتفكك المتزامن للإمبراطوريات المغولية والأوزبكية والصفوية في الهند وآسيا الوسطى وفارس على التوالي، الظروف الملائمة لتتوحد جميع أرجاء بلوشستان في إطار دولة إقطاعية واحدة (دولة كلات). وأنجز أقوى حكام الخانية هذا التوحيد. وجاؤوا من سلالة القَمبراني أو أحمد زئي (من مؤسس السلالة ميرأحمد الذي حكم في 1666 ـ 1695). ومع ذلك، فقد كان الخان السادس من هذه السلالة، نصير خان الأول، والمعروف باسم العظيم، هو من جعل حدود خانية كلات

تصل شمالاً إلى أفغانستان، وجنوباً إلى مَكُران، وغرباً إلى داخل عنق الأراضي الفارسية، وشرقاً في البنجاب والسند وحتى كراچي.

غير أن مصير البلوش تغير تغيراً جذرياً في الوقت الذي قسم البريطانيون والفرس فيه بلوشستان إلى مناطق نفوذ، واتفاقهما على الحدود في منتصف القرن التاسع عشر. وكما ذكر أعلاه، وحتى مجيء البريطانيين، تطور البلوش إلى قوة رئيسية في المنطقة. وكانوا يحكمون ليس بلوشستان فحسب، ولكن أيضاً أغنى إقليمين في المنطقة وهما السند وسيستان. وكان البريطانيون، الذين بدء احتلالهم للجزء الشرقي من بلوشستان في أربعينيات القرن التاسع عشر، مهتمين ببلوشستان لأسباب جيوسياسية. فمن أجل حماية مستعمرتهم (الهند) من منافسيهم التوسعيين الأقوياء مثل روسيا وفرنسا وألمانيا، استخدم البريطانيون بلوشستان قاعدة لحماية مصالحهم في مجال نفوذهم (أفغانستان ومنطقة الخليج).

استغل البريطانيون نظام البلوش القبلي للحيلولة دون وحدة البلوش ولقمع ميولهم القومية. وكان السير روبرت ساندمان مؤيداً لنظام سياسي واجتماعي جديد، سُمي «نظام ساندمان» أو سرداري نظام، لتطوير سلطة زعماء القبائل. وفي عام 1854، أصبح خان كلات تحت الوصاية البريطانية. وكانت بمعاهدة عام 1876، ولادة قوى سياسية جديدة في المجتمع البلوشي، حيث تراجعت قوة الحاكم الأعلى الإقطاعي (الخان) وصعدت نخبة إقطاعية جديدة (السَردارات: زعماء القبائل). حيث منح نظام ساندمان الحكم الذاتي الكامل لمنطقة القبائل. وتغير وضع السردار (قائدٌ بين متساوين) إلى مالك إقطاعي، يعتبر رجال القبائل رعيته.

كان انتشار التعاليم الحديثة للقومية بين البلوش، والمشاركة الناشطة الناتجة عنها للمثقفين البلوش في النشاطات القومية بفعالية ردة فعل ضد الهيمنة البريطانية والفارسية. وشكلت الحرب العالمية الأولى، ومرحلة ما بعد الحرب مرحلة هامة في نمو القومية البلوشية. وتأثر مدى وعمق الشعور القومي بين البلوش بالثورة الروسية كثيراً، وهزيمة وتفكك الدولة العثمانية، وإلغاء الخلافة، والحركات المناهضة للإمبريالية في صفوف الأفغان والهنود، والأفكار الثورية التي بدأتها هذه الأحداث، وكذلك بانتشار المبادئ الويلسونية لتقرير المصير القومي.

حددت الانقسامات الداخلية المتكررة للطبقات القبلية والاجتماعية بداية تنمية

القومية البلوشية منذ ظهورها في عشرينيات القرن العشرين. وجزأت الحدود الوطنية أيضاً جماعات البلوش القومية وجعلت من الصعب تشكيل جبهة موحدة أمام الحكومات. وأصبحت الحكومات أيضاً ماهرة في استغلال الانقسامات البلوشية. وشكلت سياستهم تجاه الأقليات البلوشية في كثير من الأحيان أهداف الأحزاب القومية البلوشية، التي وفي أوقات مختلفة دعت إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية، والحكم الذاتي أو الاستقلال.

وكان الرائد الأول للحركة القومية البلوشية هو يوسف علي مَگسي. أنشأ مَگسي وأصدقاؤه في مطلع عشرينيات القرن العشرين، «انجُمَن اتحاد بَلوُچان» (منظمة توحيد البلوش)، وهي منظمة سياسية سرية، من أجل تحرير بلوشستان. ومنذ عام 1931، بدأ الأنجُمَن مع مَگسي رئيساً له للعمل علانية. وعاش مَگسي في شبابه في لاهور الكوزموبوليتانية (الهند البريطانية)، مطلعاً على النضال ضد الامبريالية والنهوض المادي للأمم الحديثة. وكان تعريف مَگسي للقومية البلوشية، وفهمه لمن هم البلوش، قائماً على التاريخ والأسلاف والتقاليد والدين.

وهكذا كانت المادة التي بدأ البناء بها أوائل القادة القوميين البلوش القومية البلوشية هي الخصائص الإثنية لشعب بلوشستان والمناطق المحيطة بها. وكما نوقش في الفصل الثالث، فإن للبلوش تاريخاً طويلاً، يعود إلى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف سنة. وتمتد أساطيرهم إلى مرحلة الخلق، ولديهم محفوظات ومجموعات من الأعمال الأدبية (شفاهية في عمومها). وفي حين أن الشعوب الفارسية والبنجابية تشترك في العديد من السمات الثقافية الأولى، فهناك ما يكفي من الاختلافات لوسم البلوش كشعب متفرد. ولكونها حركة في ظل العهد الاستعماري، اختارت الحركة القومية البلوشية خطاب القومية الأوروبية في مطلع عشرينيات القرن العشرين. وبالتالي، أخذت مفاهيم مثل الأمة الحديثة، ووطن محدد المعالم، وحق تقرير المصير، من الحركات الإثنية الأوروبية.

قاوم البلوش باستمرار كل محاولات التعدي على وضعهم المستقل، سواء من قبل البريطانيين أو الحكومات الإيرانية. وكانت الثورات المختلفة في بلوشستان الشرقية والغربية، إلى جانب كونها مظاهر عنيفة للمشاعر القومية البلوشية، دفاعاً عن الأسلوب البلوشي في الحياة. وصاحب بسط السلطة الخارجية البريطانية في بلاد

البلوش، عمليات اقتصادية وتكنولوجية جديدة غير مألوفة للحضارة القديمة، وقد أيقظت المقاومة القبلية بالطريقة نفسها التي كانت قد أثارت بها مقاومة قبائل البِشتون في منتصف القرن التاسع عشر، وزادت من شدة القومية البلوشية.

يبدو أن البريطانيين عكسوا سياستهم فيما يتعلق ببلوشستان بعد وقوع الثورة البلشفية في روسيا في عام 1917. وبعد ذلك، وبسبب قلقهم لرغبتهم في احتواء انتشار ثورة أكتوبر، قدموا العون لإيران لإدماج بلوشستان الغربية في عام 1928 من أجل تعزيز هذا البلد الأخير ليكون بمثابة حاجز يحول دون التوسع السوفياتي جنوباً. والقلق نفسه أدى لاحقاً أيضاً إلى ضم بلوشستان الشرقية إلى باكستان في عام 1948. ومن الآن فصاعداً، تم تقسيم البلوش ووطنهم رغماً عنهم بين ثلاث دول، وذلك لتمكين كل قوة كبيرة من تعزيز موقعها الاستراتيجي ضد القوى الكبرى الأخرى.

وهكذا، وكما هو مبين أعلاه، فإن التقسيم المركب، في المقابل، أثار انبعاث قومية البلوش ومشاعرهم التحريرية والوحدوية، مما جعلهم في حالة صراع مع دولهم، التي هي مصممة على الحفاظ على الوضع الراهن الموروث من القوى الكبرى. وهذا التقسيم المركب كان السبب الرئيسي للصراع بين البلوش والدول التي تم ضمهم إليها. ومنذ ذلك الحين، تواجه الأمة البلوشية، مع مجتمعها وثقافتها المتميزة، كل أنظمة الدول «المضيفة» المركزية القومية القائمة على أساس عرقي، أي الفرس والبنجابيين، مع تسامح ضئيل أو معدوم للتعبير عن الاستقلال القومي في إطار حدودها.

بعد سقوط مير دوست محمد خان في بلوشستان الغربية عام 1928، أدت عدوانية القومية الفارسية الوليدة إلى ظهور مظالم ومخاوف جديدة، فبالإضافة إلى جرح الكبرياء القومي البلوشي؛ هُددت الهوية القومية البلوشية بالانقراض. حيث كان النظام البهلوي عازماً على بناء أمة علمانية ذات نمط غربي على أساس الهوية القومية واللغوية والثقافية الفارسية. فكانت ردة فعل البلوش في سلسلة من الثورات طوال ثلاثينيات القرن العشرين، قادها زعماء القبائل. ومع ذلك، بحلول نهاية عام 1937، قُمعت آخر هذه الثورات بوحشية. وفي إثر ذلك، هاجر الآلاف من البلوش إلى بلوشستان الشرقية والسند. وتجدر الإشارة إلى أنه في حين أن بعض هذه الثورات كانت منظمة بشكل جيد ولها أهداف سياسية محددة جيداً، لم تكن الأخرى أكثر من

احتجاج عنيف على بعض المظالم الحقيقية أو المتخيلة. وأياً كان السبب، بدا أن كل ثورة جديدة تملأ أكثر كأس المرارة البلوشية.

كان من الواضح أن أحد الأسباب الرئيسية لفشل الثورات البلوشية الأولى، هي الخصائص المحلية والاقطاعية والقبلية والأبوية للثورات، التي تركزت في كثير من الأحيان حول القائد صاحب النفوذ المحلي، الذي يتبعه أفراد قبيلته. وحتى البَارانزئي في بلوشستان الإيرانية، وعلى الرغم من كونهم منظمين تنظيماً جيداً في المستويات العليا، لم يخترقوا قط جماهير الشعب البلوشي الواسعة. وبالمثل، فإن السبب الرئيسي لفشل الحركات القومية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين هو عدم وجود أساس اجتماعي لبناء الدولة الحديثة. فعارض السردارات المؤسسات والإصلاحات الحديثة. فمن عام 1929 وحتى 1948 لم تكن هناك كليات وجامعات أو صناعات. ووجدت فقط النخبة القبلية والطبقة المقهورة من البدو الرحل والفلاحين. ولم يكن القوميون، الذين خلفية معظمهم من الطبقة المتوسطة الأقل شأناً، في وضع يمكنهم من تعبئة الشعب البلوشي في المناطق القبلية بسبب السيطرة القوية للزعماء، فضلاً عن المعارضة البريطانية. ولإضعاف زعماء القبائل بحثوا عن المساعدة من خارج حدود بلوشستان. فدخلوا في تحالف مع حزب مؤتمر عموم الهند (All India Congress) (في حين رفضت الرابطة الاسلامية تقديم الدعم نظراً إلى تحالفها مع الخان والسردارات).

كان لتشكيل الدول القومية الجديدة في القرن العشرين بعد الحرب العالمية الأولى وتقسيم شبه القارة الهندية في عام 1947، تأثيرٌ عميق في المجتمع البلوشي. ومنذ ذلك الحين، هيمنت على تاريخ البلوش الصراعات بين المجتمعات المحلية، التي أصبحت أقليات في الدول القومية الجديدة، وسعت الحكومات القومية إلى التقسيم والهيمنة على تطلعاتهم وقمعها. وخلقت هذه الصراعات تحركات سكانية كبيرة. فاضطر الآلاف إلى ترك منازلهم وأراضيهم وهاجر الكثير منهم للتخلص من الفقر والاضطهاد. وكما نوقش في الفصل الثاني، بقيت مناطق البلوش في إيران وباكستان وأفغانستان من بين أقل المناطق تطوراً في تلك الدول. ولا تزال الروابط القبلية قوية في العديد من المجالات، ولا يزال زعماء القبائل مؤثرين على المستوى المحلي، خصوصاً في بلوشستان الشرقية (باكستان). ومع ذلك، قد خلقت تحركات السكان إلى المدن، وعملية التحضر في العقود الأخيرة أشكالاً جديدة من التنظيم السياسي والاجتماعي.

في عام 1947، واجه القوميون وضعاً جديداً في سياسات بلوشستان بسبب فترة

انتقال السلطة. فمن المهم ملاحظة أن تفكك الامبراطورية البريطانية منح البلوش فرصة لاستعادة حريتهم من البريطانيين. فبعد نهاية الحرب، تطورت أنشطة سياسية مكثفة بين القوميين البلوش في بلوشستان. وحصلوا على الأغلبية البرلمانية في انتخابات عام 1947. وفي عام 1948، بينما كان القوميون يناضلون من أجل الاستقلال، عقد السردارات، تحالفاً مع الرابطة الاسلامية. وفي المقابل وعد محمد علي جناح برعاية مصالحهم. ولم يمكن للنخبة القبلية الرجعية الانضمام إلى الخان الذي أراد أن ينشئ مؤسسات عصرية، بدلاً من حماية النظام القبلي والاقطاعي. وهكذا، فإن ضم بلوشستان إلى باكستان كان نتيجة للنظام القبلي والاقطاعي البالي والمحتضر الممثل بزعماء القبائل البلوشية. ومثل الأنجُمَن (1920 ـ 1933)، وحزب دولة كلات القومي (1937 ـ 1948) الجماهير البلوشية المعارضة للنظام السرداري.

وفي مارس عام 1948، وخلافاً لاتفاق شهر أغسطس عام 1947، ضمت باكستان خانية بلوشستان بالإكراه والقوة. وبالتالي، فإن الدولة البلوشية، التي ظهرت مع الكونفدرالية البلوشية الأولى تحت قيادة مير جلال هان في القرن الثاني عشر، وصلت إلى نهاية مأسوية في عام 1948، بعد سنة واحدة من تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان في عام 1947. ومع ذلك، ولفترة وجيزة (1952 ـ 1955)، أعطيت الخانية وضع الحكم شبه الذاتي كولايات بلوشستان المتحدة. ولكن انتهى هذا الوضع عندما أعلنت باكستان الغربية إقليماً واحداً في أكتوبر عام 1955. وفي يوليو عام 1970، استعادت بلوشستان الوضع الاقليمي المنفصل، وضمت حدودها بلوشستان البريطانية السابقة وولايات بلوشستان المتحدة.

وخلال الخمسين سنة من وجود باكستان، تم شن ثلاث حروب في بلوشستان. كانت ثورة آغا عبد الكريم هي الأولى في سلسلة من الثورات ضد حكومة باكستان. وتحت ضغط حكومة باكستان، أعلن خان كلات أن آغا عبد الكريم والحزب القومي من المتمردين في الرابع والعشرين من مايو عام 1948. فحظرت حكومة بلوشستان حزب كلات القومي بسبب مقاومته للضم وتعاونه مع أمير الثوار، آغا عبد الكريم، في يونيو عام 1948. وفي السادس والعشرين من مايو عام 1948، دخل آغا عبد الكريم مع جماعة ثواره أفغانستان ونصب مقره في مزار محمد كاريز في منطقة شورواك، على أمل الحصول على الدعم لحرب متواصلة ضد باكستان. ولكن لم توافق الحكومة الأفغانية على وجود الأمير والحزب القومي في أراضيها.

كانت موارد آغا عبد الكريم محدودة، وكذلك منطقة عملياته. وبدأ آغا عبد الكريم حركته في منطقة جَهلاوان، بدعم من بعض القادة القوميين ومع موافقة سرية من الخان. وكان أتباعه الثوار بين خمسمئة وسبعمئة رجل. وبسبب سوء التخطيط وعدم الحصول على الدعم المتوقع من أفغانستان، اضطر الأمير وأنصاره إلى دخول باكستان والاستسلام. وكان واضحاً أنه كان لثورة آغا عبد الكريم أهمية فورية قليلة لأنها تفتقر إلى كل من الدعم الموحد للسياسيين البلوش والمساندة العسكرية الأفغانية. ولكن ما منحها الأهمية على المدى البعيد هو الاعتقاد السائد بين البلوش بأن باكستان خانت اتفاق الأمان الذي منحته. واعتبر البلوش أن هذه الأولى في سلسلة من «المعاهدات المنكوث بها» التي خلقت جواً في عدم الثقة في العلاقات مع إسلام آباد. وحكم على آغا عبد الكريم وأتباعه بالسجن لمدد طويلة، وأصبحوا رموزاً جامعة للحركة القومية البلوشية.

كانت خمسينيات وستينيات القرن العشرين عقوداً من الاضطراب السياسي في باكستان. وعانت الهياكل القبلية في بلوشستان من نكسات كبيرة، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى توطين البدو وارتفاع عدد السكان المناطق الحضرية، ولاحقاً إصلاحات الأراضي التي بدأتها الحكومات المركزية. وبالمثل، طرأ تغير ملحوظ على المشهد الثقافي. ففي بداية خمسينيات القرن العشرين، أسست الصحافة البلوشية. وفي السنوات اللاحقة من ستينيات وسبعينيات القرن العشرين وصفت العديد من الكتب، والدوريات، بفخر معالم الماضي. وبالتالي لزيادة الوعي القومي، فتحت آفاقاً جديدة للتعرف إلى الماضي، وإلى ثقافة الحاضر، وإنجازات القوميات الأخرى من خلال الكلمة المكتوبة. ومنذ ذلك الحين، أدت الصحافة البلوشية دوراً مهماً لخيال الأمة البلوشية، بجعل تاريخ البلوش في متناول مدارك الجمهور، والشعر البلوشي الكلاسيكي والتوصيف الإيجابي للشخصية والمجتمع البلوشي.

بعد سقوط الخانية، قبلت القيادة البلوشية الواقع السياسي لباكستان. أما بالنسبة للأيديولوجية فشكل «أُستمان گل» (حزب الشعب) علامة فصل، فلأول مرة في تاريخ البلوش، توقف بعض البلوش عن مطالبتهم بالاستقلال التام. حيث صاغ الحزب مطالبه في إطار الحكم الذاتي. وأكد الحزب، مع ذلك، أن الحكومات الديمقراطية على المستوى الإقليمي والوطني هي من يضمن الحكم الذاتي للأقليات القومية في إطار أحكام الدستور.

حال استمرار وجود الحكم العسكري في باكستان في الفترة من 1958 إلى مطلع سبعينيات القرن العشرين دون التوصل إلى حل ديمقراطي لمسألة بلوشستان، وقد فاقم التوتر أيضاً بين الأقاليم. وفقد احتمال نظام سياسي ديمقراطي عندما رفض الجيش الباكستاني قبولَ نتائج أول انتخابات عامة في باكستان في عام 1970، والتي أدت إلى تفكك النصف الشرقي من البلاد، الذي يعرف الآن باسم بنگلاديش. وعلاوة على ذلك، أدى الشعور بالخيانة من قبل نظام بوتو المدني، الذي وقع الضمانات الدستورية لوضع بلوشستان المتمتع بالحكم الذاتي، إلى تنامي المشاعر القومية، التي غذت الثورة لمدة أربع سنوات في سبعينيات القرن العشرين.

طوال الفترة التي انقضت منذ التقسيم، كانت العلاقات بين البلوش وحكومة باكستان غير مريحة: ووصلت العلاقة إلى الحضيض في عام 1973، عندما اشتبك البلوش مع ثلاث فرق من القوات المسلحة الباكستانية في كفاح مسلح كثيف ومرير. واكتشفت في عام 1973، أجهزة الأمن الباكستانية أسلحة سوفياتية في السفارة العراقية في إسلام آباد. وزعمت الحكومة أن هذه الأسلحة كانت من أجل حركة تحرير بلوشستان. لم يرفض القوميين البلوش هذا الادعاء فحسب، ولكن اعتبروه أيضاً مؤامرة من قبل بوتو وحلفائه لتوفير سبب للتدخل العسكري بغية السيطرة على الإقليم.

وعلى الرغم من الدستور الجديد، الذي ضمن فيه للأقاليم نسبة من الحكم الذاتي، في أقل من عام أقال رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو، الحكومة البلوشية في الثاني عشر من فبراير عام 1973. ولتبرير الإقالة اتهم المركز حكومة الإقليم بالمسؤولية عن العديد من حالات الخروج على القانون في بلوشستان وزعم أنها دعمت بالتواطؤ مع الحكومات الأجنبية، الانفصاليين البلوش والپشتون. وفي الممارسة العملية، ومع ذلك، تصرف بوتو ضد حزب عوامي القومي، لأن وجود حكومات إقليمية تديرها الأحزاب الأخرى عدا حزبه، من شأنه أن يحد من سلطته الشخصية، وأيضاً بسبب ضغوط شاه إيران.

وهكذا، أرهقت بلوشستان الحرب المفتوحة بين الجيش الباكستاني ومقاتلي القوميين البلوش المتبعين لتكتيكات حرب العصابات في سبعينيات القرن العشرين، الذين راوحت مطالبهم بين الحكم الذاتي والاستقلال التام. وصلت الحرب المستمرة لأكثر من أربع سنوات، إلى توقف في عام 1977، عندما أطاح الجنرال ضياء الحق

بوتو. ومع ذلك، فإن الحركة البلوشية، التي جاءت إلى حيز الوجود في أعقاب حكومة السردار عطاء الله مينگل، ربما قد فقدت توقدها، ولكنها لم تمت، كما تدعي السلطات الباكستانية. في الواقع، ربما يمكن إثبات أن المشاعر القومية قد نمت في المجتمع البلوشي أكثر، وبالنظر إلى الظروف المناسبة، يمكن أن تشن تحدياً أكبر للدولة الباكستانية. وأشارت مطالبة ميرغوث بكش بيزَنجو بتضمين محدد لحق الانفصال للوحدات الفيدرالية في حادثة انقلاب الجيش في انتهاك للدستور، إلى انعدام الثقة العميق عند البلوش بالنظام السياسي للدولة في ثمانينات القرن العشرين.

زادت ثورة 1973 ـ 1977 حدة الفجوة الآخذة في الاتساع من عدم الثقة بين البلوش والحكومة المركزية. وأعطى هذا الارتياب في نهاية المطاف وسيلة لزيادة المطالبة بكونفدرالية للشعوب الأربعة في باكستان. وشكل قادة القوميات الفرعية، في منفى اختياري، الجبهة السندية البلوشية البختونية (SBPF)، في أبريل عام 1985 في لندن للمطالبة بكونفدرالية في باكستان. وبالمثل، أدى ما يسمى بديمقراطية تسعينيات القرن العشرين في باكستان مثل الحكم العسكري إلى مواصلة نفور وعزلة البلوش. وفي هذا الصدد، ألقى أختر مينگل، رئيس وزراء بلوشستان السابق، اللوم على حكام باكستان في قمع إرادة الشعب البلوشي والانتهاك الصارخ لجميع الاتفاقات السابقة، بما في ذلك الاتفاق المعقود مع خان كلات في الرابع من أغسطس عام 1947، في حديث له في مايو عام 2001، في برنامج التلفزيون الباكستاني (PTV) عن الحكم الذاتي الإقليمي(1).

وعلى النقيض من ذلك، في بلوشستان الإيرانية، تبنى رضا شاه، وبعد ذلك نجله محمد رضا سياسة القبضة الحديدية تجاه البلوش. فعلى مدى العقود العديدة الماضية لم يتوان الفرس في استخدام قوتهم العسكرية ضد البلوش لإسكات أصواتهم. وعكست السياسة الرسمية الإيرانية تصميمها على قمع أي حركة قومية في الدولة. وبسبب هذه الخلفية كانت الحركة القومية البلوشية في إيران أقل صخباً من نظيرتها في باكستان في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

استخدم الايرانيون الأساليب القاسية لسحق الهوية البلوشية. فكان محظوراً

(1) Daily Balochistan Express, Sunday, 6 May 2001.

ارتداء اللباس التقليدي البلوشي في العلن أو التحدث باللغة البلوشية في المدارس، وكانت تعد جريمة جنائية نشر وتوزيع أو تملك حتى الكتب والمجلات أو الصحف باللغة البلوشية. وتم عزل بلوشستان عن العالم الخارجي، وأغلقت أمام الأجانب. ويمكن أن تكون السياسة الإيرانية في تدمير الهوية البلوشية، أو تفريس البلوش تحت الحكم البهلوي مماثلة كثيراً لسياسة الحكومة التركية ضد الكورد تحت حكم كمال أتاتورك (1923 ـ 1938). حيث اتبعت الحكومة التركية سياسة الإبادة المنهجية وتتريك الشعب الكوردي في كوردستان الخاضعة للسيطرة التركية. وتم ترحيل الآلاف من الكورد إلى الأناضول الغربية، وحظرت رسمياً اللغة الكردية وتمت مصادرة الكتب الكوردية وإحراقها. وحتى تم حذف عبارة «كوردي» و«كوردستان» من جميع الكتب المدرسية. وكانت تتم تسمية الكورد بالأتراك أي «أتراك الجبال». وبناءً على ذلك، زادت سياسة التتريك توقد القومية الكوردية وعمقت تطلعاتها الانفصالية. وكما أثار تتريك الكورد في تركيا القومية الكردية، كذلك فعلت سياسة السلطة الإيرانية في التفريس تجاه القومية البلوشية في إيران.

فخلال الحقبة البهلوية واصل الفرس سياسات الاستيعاب والتفريس في بلوشستان الغربية. واستعملت الادارة البهلوية في 1957 ـ 9، ومرة أخرى في 1969 ـ 73، القوة العسكرية لسحق المقاومة البلوشية في محاولاتها فرض الإدماج. ولاحقاً، استخدمت أساليب «التهدئة» الأكثر دهاءً. فعين زعماء البلوش القبليين وسطاء وممثلين عن المصالح الحكومية وذلك بغية كبح التنمية الاقتصادية والاجتماعية في سيستان وبلوشستان. وعلى الرغم من تطبيق وسائل متنوعة من الاخضاع، حافظ البلوش الإيرانيون على نظرتهم إلى أنفسهم على أنهم أمة مستقلة من الناحية الثقافية. وقد تجلى ذلك من خلال الحركات الثورية ضد نظام الخميني، الذي رفع في البداية آمال البلوش بمزيد من الحكم الذاتي الاقليمي.

منح شاه إيران أهمية كبيرة للمنطقة، التي اعتبرها دائماً مهمة جداً لأمن بلاده. وبما أنه كانت لدى إيران مشكلة الأقلية البلوشية، فكان لأي اضطراب في بلوشستان الشرقية التأثير المباشر في إيران. فبقيت الحكومة الإيرانية في عهد الشاه تراقب عن كثب التطورات في الجزء الباكستاني من بلوشستان. وتعاونت في هذا الصدد، إيران وباكستان، وذلك بسبب خوفهما المشترك من التطلعات القومية البلوشية. وقيل إن أحد

الأسباب التي دعت رئيس الوزراء الباكستاني ذو الفقار على بوتو لإقالة الحكومة القومية في الاقليم هو اعتقاد الحكومة الإيرانية أن القوميين البلوش في بلوشستان الشرقية، قد يشجعون المعارضين في بلوشستان الغربية (الإيرانية).

ومع انهيار النظام الملكي في عام 1979، بدأ البلوش بأنشطتهم السياسية علناً. فتشكلت «سازمان دموكراتيك» و«اتحاد المسلمين» و«زُرُمبِش»، والعديد من المنظمات السياسية والثقافية في بلوشستان. واستمرت هذه الفترة، مع ذلك، شهوراً وليس سنوات. وقد تكرر هذا النمط بظهور طموحات القوميين البلوش كلما ظهر ضعف الحكومة المركزية. واتبع النظام الجديد سياسة التفوق العرقي الفارسي تجاه بلوشستان، وهي استمرار لسياسات النظام الملكي.

وعلى سبيل المقارنة، ومثل الأحزاب السياسية البلوشية في بلوشستان الشرقية(باكستان)، ركزت المنظمات القومية الكبرى، التي دخلت حيز الوجود أثناء أو بعد الثورة الإيرانية، على المطالبة بالحكم الذاتي لإقليم بلوشستان في إيران. وكما ذكر سابقاً، لم تدم الحياة السياسية البلوشية طويلاً في إيران. حيث في بداية ثمانينات القرن العشرين، أمر نظام الملالي بحل الأحزاب البلوشية، لتحل محلها اللجان الثورية الإسلامية وقوات الحرس الثوري التي تسيطر عليها الحكومة المركزية. ولم يثق آية الله الخميني بالبلوش لأسباب ليس أقلها أجندتهم العلمانية البحتة. وعلاوة على ذلك، كان هو مسلماً شيعياً، والبلوش في غالبيتهم العظمى هم من السنة. وفي حين أمكن الاعتراف بأن البلوش من أهل السنة، لم يتم الاعتراف بالأقليات الإثنية أو «القومية» في الدستور الجديد للجمهورية الإسلامية.

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حدثت تغييرات كبيرة تدريجاً في البداية بالنسبة إلى البلوش في جميع أنحاء بلوشستان، ولكن تسارعت منذ عام 1970 بسبب تغير الاقتصاد السياسي في الخليج. وفي أفغانستان كانت العوامل الرئيسية المؤثرة في البلوش هي مخططات تطوير نهر هلمند، وسياسة پختونستان التي اتبعتها الحكومة والثورة الأفغانية في عام 1978. وفي إيران حاولت الحكومات البهلوية المتعاقبة تحييد السردارات وفي الوقت نفسه قمع أي نشاط بين البلوش يمكن أن يؤدي إلى وعي وتضامن قومي.

ونسبياً، كانت ظروف البلوش في باكستان أفضل بالتأكيد من تلك التي في إيران

وأفغانستان. ولكنهم لا يزالون بعيدين عن أن يكونوا راضين، فقد حارب البلوش في باكستان باستمرار لتحسين وضعهم اقتصادياً وثقافياً وسياسياً. وقاسى البلوش في باكستان أيضاً الكثير من الظلم. ويؤخذ في الاعتبار، على سبيل المثال، ما حدث للبلوش في ثورة 1973 ـ 1977. ومثل إخوانهم في باكستان، قاوم البلوش في إيران باستمرار هيمنة الرجعية الفارسية وأظهروا حماسة الرغبة في العيش في ظل دولة بلوشية مستقلة أو الحكم الذاتي كما هو حقهم الطبيعي.

ومنذ مطلع سبعينيات القرن العشرين، حل المثقفين الحداثيون بشكل متزايد محل المثقفين التقليديين، الذين هم في عمومهم من السردارات والملالي في المراكز الحضرية. وفي انتخابات عام 1993، نجح حزب بلوشستان القومي (BNM) وهو حزب الطبقة الوسطى عموماً، في الفوز بمقعدين من مقاعد الجمعية الوطنية وستة مقاعد في الجمعية الاقليمية. وفي الانتخابات الاقليمية لعام 1993، حصل حزب بلوشستان القومي على أكثر من 60٪ من أصوات مَكُران[1]. وصورة أخرى لتغير العلاقات الاجتماعية هي الاقبال المتزايد للنساء في المناطق الحضرية على التعليم، ومشاركتهن في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية خارج منازلهن. وتركت هذه التحولات تأثيرها في الحركة القومية، موسعةً قواعدها الاجتماعية ومضيفة التوتر السياسي والفكري والتنظيمي.

وعلاوة على ذلك، منح تداول الأموال خلال فترة بوتو، وثمار عائدات الخليج، القوة إلى الطبقة البلوشية الوسطى التي اصطدمت مصلحتها أكثر بنظريتها البشتونية القوية والراسخة. وكنتيجة، تشهد قطاعات الأعمال، مثل النقل، التي كانت حكراً في السابق على قبائل البشتون، الآن دخول الطبقة البلوشية الوسطى. وكانت الشهادة على هذا الواقع هي التغيير في ملكية بعض شركات النقل مثل مواصلات چيلتان من البشتون إلى أيدي البلوش في عام 1992[2].

القومية البلوشية، كما بينت في هذه الأطروحة، هي نقيض لقومية الدولة الايرانية (الفارسية) والبنجابية (الباكستانية) الاستغلالية والمهيمنة اقتصادياً وسياسياً، وذلك نمط

(1) Nek Buzdar, «Social Organization, Resource use, and Economic Development in Balochistan» in: Monthly Balochi Labzank, Hub (Balochistan), March-April 2000, p. 76.

(2) Abbas Jalbani, «Can Balochistan Survive?» in: The Herald, March 1992.

مماثل لصعود القومية الكوردية في الشرق الأوسط(إيران والعراق وتركيا). وعلى الرغم من أكثر من سبعين عاماً على وجودها، لم تنجح القومية البلوشية في تحقيق هدفها، وهو حق الأمة البلوشية في تقرير مصيرها. ومن الصعب التوصل إلى تفسير واحد معقول، ولكن انطلاقاً من نتائج هذه الدراسة، يمكن للمرء أن يستنتج بحذر أنه بحلول ذلك الوقت وبسبب القاعدة الاجتماعية والقبلية السائدة، لم يتطور الشعور بالبلوشية بما فيه الكفاية ليكون قوياً بما فيه الكفاية ليفرض مجرى مختلفاً للأحداث.

ومع ذلك، نمت القومية البلوشية بشكل مطرد. ففي كل مرة، تسحق فيها، تعود الحركة القومية إلى الظهور، بقوة أكبر من ذي قبل. ونسبياً، في عام 1948، كان عدد أتباع آغا عبد الكريم الثوار ما بين خمسمائة إلى سبعمائة رجل. وفي عام 1958، قاتل نوروز خان في منطقة أوسع ضد الجيش الباكستاني وحوله من ألف إلى خمسة آلاف مقاتل كانوا معه. وبحلول يوليو عام 1963، زادت أنشطة الحرب العصابية تحت قيادة شير محمد مَري في مناطق جَهلاوان ومَري، التي أنشأ بها المقاتلون عدداً من المخيمات، حيث تم تقديم تدريب للأهالي على تكتيكات حرب العصابات. وتشير التقديرات إلى أنه كان هناك ما يقرب من أربعمائة اشتباك شديد في كل منطقة، بالإضافة إلى المئات من جنود الاحتياط العاملين جزئياً والمنظمين بشكل فضفاض. وفي الوقت نفسه، شارك في الحرب الأخيرة (1973 ـ 1977) أكثر من خمسة وخمسين ألف مقاتل بلوشي في مختلف مراحل القتال، وتقريباً تأثر عدد من السكان البلوش في كل جزء من وسط وشرق بلوشستان بهذه الحرب. ويبدو أن عملية تطورية مماثلة حدثت في بلوشستان الإيرانية، فبعد تآكل السلطة المركزية في إيران بعد إطاحة الشاه في عام 1979، بدت آفاق القومية البلوشية في إيران واعدة أكثر مما كانت عليه في باكستان.

أدت الحرب الباردة بصورة غير مباشرة إلى إضعاف الحركات القومية البلوشية على السواء في كل من إيران وباكستان. بسبب أن هاتين الدولتين كانتا حليفتين لأميركا ضد التوسع السوفياتي في منطقة الخليج، وكانت الولايات المتحدة مستعدة لتقديم الدعم إلى الدولتين لتقويتهما في مبادرات السياسة الخارجية. وبما أن الغرب دعم طهران وإسلام آباد، تحول بذلك البلوش إلى بغداد وكابول. وهكذا فإن سياسات الولايات المتحدة بشكل غير مباشر ساعدت على تقوية البلدين في محاولاتهما قمع الحركة البلوشية للحكم الذاتي خلال فترة الحرب الباردة بأكملها. وفي هذا الصدد،

كان استخدام الايرانيين للأسلحة المزودة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ضد الحركة البلوشية في 1973 ـ 1977 هو المثال الأكثر لفتاً للنظر.

يعكس الوضع السياسي البلوشي اليوم اتجاهين متناقضين. كما قال المحارب المخضرم شير محمد مَري في مطلع تسعينيات القرن العشرين، «تغلغلت القومية البلوشية في الجماهير ولم تعد مقتصرة على النواب والسردارات وحدهم»[1]. ساهم التحضر، وتوطين البدو الرحل، وهجرة الشعب البلوشي إلى مدن المنطقة، في تنمية الوعي القومي الجماعي. ورغم ذلك، كثيراً ما سقطت القيادات السياسية في كثير من الأحيان فريسة للانقسامات الداخلية سواء بسبب الخطوط الأيديولوجية أو القبلية. فالانقسامات بين الأحزاب السياسية البلوشية بدأت مع الانتخابات غير الحزبية لضياء في عام 1985، وزادت حدتها لاحقاً خلال ما يسمى بديمقراطية تسعينيات القرن العشرين. وأدى الجانب الإقليمي للقضية البلوشية، فضلاً عن التعقيدات المتزايدة للمجتمع البلوشي، إلى تعقيد مهمة الحركة القومية البلوشية في تحقيق استراتيجية الوحدة والتلاحم لتحقيق أهدافها.

المادة التي تم تحليلها في هذه الأطروحة تثبت الاستنتاج بأن البلوش يشكلون أمة متمايزة ومستقلة، وبأن وعيهم القومي قويٌّ بما فيه الكفاية لاعتبار أن لحركتهم القومية جذوراً عميقة في معتقدات وتطلعات هذه الأمة. وسيميل عامل الولاءات القبلية إلى أداء دور أضعف بشكل مستمر بسبب أثر الحضارة الحديثة، التي تغير الأنماط الثقافية في جنوب ـ غرب آسيا بأكملها.

حاولت هذه الدراسة ربط القضية البلوشية إلى سياسات الماضي. وليس إلى سياسات الدول التي يقطنها البلوش فحسب ولكن أيضاً سياسات القوى العظمى، في محاولة لإثبات أنه لا تستطيع قوة كبرى مهتمة بالمنطقة أن تتجاهل القضية البلوشية أو تتجنب صوغ السياسة البلوشية كجزء من السياسة الآسيوية الجنوب ـ غربية الشاملة.

هناك العديد من الآثار المترتبة على هذه الدراسة. من حيث أنها تقدم دعماً تجريبياً لفرضية أن القومية الإثنية أو العرقية بين البلوش، هي أساسٌ أقوى للشرعية من القومية المدنية أو الإقليمية. كما أنها توفر نموذجاً تفسيرياً، يمكن استخدامه لتفسير

(1) The News International, 3-9 July 1992.

الصراعات الحالية في تركيا والعراق وأفغانستان، والاتحاد السوفياتي السابق، ومنطقة البلقان، وغيرها من مناطق الصراع الإثني. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة توفر معايير تنبئية لاستخدامها لتكهن نتائج هذه الصراعات.

أخيراً، ينبغي الإشارة إلى أن الأدلة التجريبية التي ورد ذكرها في هذه الحالة الدراسية شهادة على أن ثمة أمة واحدة عابرة لحدود الدول في جنوب ـ غرب آسيا. وعلى الرغم من أن هذه الصيغة واسعة بما فيه الكفاية ليتم تطبيقها على الجماعات العرقية الأخرى في مكان آخر، فإنها تحتاج إلى مزيد من الاختبار قبل أن يمكن استخلاص استنتاج نهائي في ما يتعلق بظاهرة هي قيد التحقق. وإلى نهاية ذلك المطاف، يقترح أنه ينبغي درس حالات إثنية أكثر في جميع المناطق الجغرافية للعالم الثالث، وبعد ذلك ينبغي مقارنة نتيجة هذه الأبحاث ومناقضتها بنتائج الدراسات التي أجريت على الحالات الإثنية في الدول المتقدمة.

مسرد المصطلحات

هذه قائمة مختارة من المصطلحات الهامة، التي ظهرت مرة، أو مرتين في النص. تم تعريف المصطلحات البلوشية والسندية والأوردية والفارسية الأخرى بين قوسين داخل النص. وعدة مصطلحات لها معانٍ وتعابير مختلفة في مختلف البلدان. ونقدم هنا الترجمة والمعاني المستخدمة في المجتمع البلوشي(*).

إعلامية: الاعلان، المشار إليه هنا هو «إعلان استقلال كلات».

عالم: المسلم المتلقي للعلوم الدينية الإسلامية.

أمير: الحاكم، القائد، الزعيم.

انَجُمَن: منظمة سياسية.

آزاد: حر، مستقل.

باهوت: اللجوء، المستجيرون.

بَلوُچيَت: النزعة البلوشية.(**)

(*) يشار إلى أن لفظ هذه الحروف باللغة البلوشية هو كالتالي (ص ث: س، ض ظ ذ: ز، ع: أ، ف: پ، ح خ: هـ، ط: ت، غ: گ، ق: ك.
غير أن بعض اللهجات البلوشية التي تحيط باللهجة المركزية المَكُرانية، والتي تمثل البلوشية الأدبية الفصيحة، في أقصى الشمال الشرقي (مناطق مَري ـ بُگتي) تنطق (ث، غ، ف، خ، ذ)، وفي الشمال (الرخشانية) تنطق (خ، ف، غ)، وأقصى الجنوب الغربي (الگباوانية) (ف، ذ، خ)، وذلك متأتي من اللغة الدينية القديمة، الأفستائية، لغة الديانة الزرادشتية، التي تحتوي على الأحرف (ث، ذ، غ، ف، خ). للاستزادة،

Gernot Windfuhr, The Iranian Languages, London and New York: Routledge, 2009, pp. 44-195.

جليل دوستخواه، اوستا: كهن ترين سرودها ومتنهاى ايراني، (مجلدين)، تهران: انتشارات مُرواريد، 1389.

(**) يقابلها في العربية «العروبة».

بَرنامَه: البرنامج.

بيگلربيگي: قائد القادة.

بيّر: الثأر.

بولَك: قبيلة، مقاطعة.

دَربار: بلاط الحاكم.

ديره: مخيم.

ديره جات: عدة مخيمات، يستخدم هذا المصطلح للمناطق البلوشية ديره غازي خان وديره فتح خان وديره إسماعيل خان.

ديوان: البرلمان، المجلس.

فَرَمان: أمر ملكي.

فَرماندار: الحاكم.

فتوى: مرسوم من قبل شخصية دينية.

هَان: لقب رؤساء أول كونفدرالية بلوشية.

هِجرَت: هجرة ذات دوافع دينية، الهجرة.

جاگير: أرض ممنوحة من الحكومة.

جاگيردار: ذاك الدي يدير الجاگير.

جيرگا (جِرگه): اجتماع.

قَوم: أمة، قبيلة.

خليفة: مرشد روحي، قائد.

خان: لقب حكام بلوشستان.

لَج: الشرف.

لَشكَر: الجيش، الجيش القبلي.

مجالس: البرلمان.

مولانا: مولوي.

مولوي: العالم المسلم المتفقه في المدارس القرآنية.

مير: لقب للاحترام، ولقب الحكام البلوش في السِند.

مُريد: تلميذ الخليفة أو الپير(*).

مُعَظَم: العظيم.

مُهاجر: المهاجر.

مُلا: الشخص المتعلم، رجل الدين المسلم.

نايب: الوكيل، الحاكم.

ناموس: الكرامة.

نَواب: الحاكم.

نيابَت: المقاطعة، الوكالة.

أُستان: الاقليم.

قبيلة: قبيلة.

قاضي: القاضي.

سَالار: اللواء، القائد.

شريعَت: القانون الاسلامي.

شيخ: زعيم قبلي، الحاكم.

تِحصيل: أكبر وحدة إدارية داخل المقاطعة.

عُلماء: جمع عالم.

أُولس: الشعب.

والي: الوالي.

وَطَن: الأرض الأم.

وَزير: رئيس الوزراء، وزير.

زيارَت: ضريح ولي، مَزار، ملاذ.

(*) پير (الشيخ).

المراجع

الكتب

Abrahimian, Ervand, Iran Between Two Revolutions, New Jersey: Princeton University Press, 1982.

Acton, Lord, Essay on Freedom and Power, London, 1965.

Adenag, A. B., Salarani Karawan, (the Caravan of Martyrs) no detail, 1999 (Balochi).

Afghanistan, Government, Qanoon-e Asasi-e Jamhuri-e Afghanistan (Constitution of the Republic of Afghanistan), Kabul, 1366/1987.

Afshar (Sistani), I., Balochistan wa Tamaddon-e Dirineh-e An (Balochistan and its Ancient Civilization), Tehran, 1371/1993 (Persian).

__________, Negahi be Sistan wa Baluchistan (A Glimpse to Sistan and Balochistan), Tehran, 1363/1985 (Persian).

Afzal, M. Rafique, Political Parties in Pakistan, (National Commission on Historical Research), Islamabad, 1976.

Ahlin, Per ochWrange, Pal, Folkens Sjalvbestammanderatt, (Right of Self-determination of People), i serien «Varldspolitikens Dagfragor» Stockholm: Utrikespolitiska Institutet, 1990 (Swedish).

Ahmad, Syed M. Faruq, Tarikh Pakistan-wa-Baluchistan (The History of Pakistan and Balochistan), Karachi, 1977 (Urdu).

Ahmadi, Hamid, Qaumiwat wa Oaumgarai dar Iran: Az Afsaneh ta Waqiyyat (Ethnicity And Nationalism in Iran: From myth to reality), Tehran 1378/1999 (Persian).

Ahmadzai, Mir Naseer Khan, Tarikh-e Baloch wa Balochistan (History of the Baloch and Balochistan), Quetta: Balochi Academy, 1988(Urdu).

Ahmed, Feroz, (ed.), Focus on Baluchistan and Pushtoon Question, Lahore: People's Publishing House, 1975.

________, Ethnicity and Politics in Pakistan, Karachi: Oxford University Press 1998.

Ahmed, Ishtiaq, Separatistrorelser i Svdasien (Separatist Movements in South Asia), i serien «Varldspolitikens Dagfragor», Stockholm: Utrikespolitiska Institute, 1991(Swedish).

________.State, Nation and Ethnicity in Contemporary South Asia, London 1996.

Alam, Asadollah, The Shah and I: The Confidential Diary of Iran's Royal Court (1969-1977). London, 1991.

Ali, S. Mahmud, The Fearful State: Power. People and Internal war in south Asia London, 1993.

Ali, Tariq, Can Pakistan Survive? 2nd printing, Penguin Books, 1983.

Allah-Bakhsh, Malik (ed.), Tarikh-e Khawanin-e Baloch (History of the Baloch Khans), Quetta, 1970 (Urdu).

_______, Baluch Qaum Ke Tarikh ke Chand Parishan Dafter Auraq (Few Pages of the Troublesome History of Baloch Nation), Quetta: Islamiyah Press 1957(Urdu).

Allami, AbulFazl, A'in-e Akbari, translated into English by H. Blochmann (2nd Edition), Calcutta: Asiatic Society of Bengal, 1927.

Amin, Tahir, Ethno-National Movements of Pakistan: Domestic and International Factors, Islamabad: Institute of Policy Studies, 1988.

Amnesty International, Report on the Islamic Republic of Pakistan, London: Amnesty International Publications, 1976.

Anderson, Benedict, Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism, London: Verso, 1983.

Ansari, Sarah F. D., Sufi Saints and State Power, Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Arfa, General Hassan, Under Five Shahs, London, 1964.

Arfah-Zadeh, Mehrdad, 188-Paveqah-e Mardom-Salari (188 bases for democracy), Paris, 1376/1998 (Persian).

Aristotle, Poetics, London: Penguin, 1996.

Askari, Naser, Moqaddamehi Bar Shonakht-e Sistan wa Balochistan (An Introduction to the Recognition of Sistan and Balochistan), Tehran: Donya-e Danish, 1357/1979 (Persian).

Avery, Peter, (ed.) The Cambridge History of Iran, vol. 7, Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

Awan, A. B., Baluchistan: Historical and Political processes, London,1985.

Aziz, K. K., Party Politics in Pakistan 1947-1958, Islalmabad: National Commission on Historical and Cultural Research, 1976.

Baloch, Inayatullah, The Problem of Greater Baluchistan: A Study of Baluch Nationalism, Stuttgart: Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987.

Baloch Student Organisation, Dastur-ul-amal (Manifesto), Karachi, 1968 (Urdu).

Baloch, Abdul Rahman, Baloch kai ant (who are the Baloch), Kabul, 1362/1984 (Balochi).

Baloch, Akherdad, Siasat Dar Balochistan (Politics in Balochistan), Karachi 1361/1983(Persian).

Baloch, Manzoor Ahmed, Balochistan and Political Parties, Quetta: Kalat Press n.d.

Baloch, Mir Khuda Bakhsh Bijarani Marri, Searchlight on Baloches and Balochistan, Quetta: Nisa Traders, 1985.

_______, A Judge May Speak, Lahore: Ferozsons LTD, 1990.

Balochi LabzankiDiwan, Noukeen Tam (Balochi Poetry), Karachi 1981 (Balochi).

Balochistan, Government, Balochi Rasm ul-Khatte Kanwinshin (Convention for Balochi Script), Quetta, Text Book Board, 1972 (Balochi).

Baluch Raj-e Zrombesh, Barnama-e Khodmokhtari wa Asasnama (Manifesto) Karachi, 1983 (Persian).

_______, Tarikh-cheh-e Jombesh-ha-e Milli Dar Baluchistan (Chronicle of Nationalist Movements in Balochistan), Kabul, 1366/1986 (Persian).

Baluch, Mir Ahmad Yar Khan, Mukhtaser Tarikh-e-Baloch aur Khawanin-e-Baloch (A Brief History of the Baloch and the Khans of Baloch) Quetta: Aiwan Kalat 1972 (Urdu).

Baluch, Mir Ahmad Yar Khan, Inside Baluchistan, Karachi: Royal Book Co. 1975.

Baluch, Muhammad Sardar Khan, A Literary History of the Baluchis, Quetta 1977.

_______, History of Baluch Race and Baluchistan, Quetta: Khair - un -Nisa Nisa Traders, Third Edition 1984.

_______, The Great Baluch: The Life and Times of Ameer Chakar Rind 1454-1551 A.D., Quetta, 1965.

_______, Baluch a Nation. Lahore, 1947.

Baluchistan, Government, Development Statistics of Baluchistan, Vol. 1, No. 10 Quetta, 1981.

Banuazizi, Ali and Weiner, Myron (ed.), The State, Religion, and Ethnic Politics: Afghanistan, Iran and Pakistan, Syracuse: Syracuse University Press, 1986.

Baron, Wittamayer, Modern Nationalism and Religion, New York 1947.

Barth, Fredrik, Ethnic Groups and Boundaries: The Social Organization of Cultural Difference, Oslo: Johansen & Nielsen Boktrykkeri, 1970.

Barthold, W., A Historical Geography of Iran, Princeton: Princeton University Press, 1984.

Bashmi, Ibrahim, Qaus al-Khalij al-Mashdood (The Stretched Bow of the Gulf) Bahrain: Al-Aiyam, 1998 (Arabic).

Bayliss, G.M. (ed.), Operations In Persia 1914 -1919, London (Imperial War Museum), 1987.

Behzadi, Abdul Reza Salar, Balochistan Dar Sal-ha-e 1307-1317 Qamari (Balochistan Between the Years 1307/1889-1317/1899), Tehran 1372/1994 (Persian).

Bell, D., Coming of the Post Industrial society, no. detail, 1973.

Bellew, Henry, From Indus to Tigris: a Narrative of Journey Through the Countries of Baluchistan, Afghanistan. Khorasan and Iran (1874), Karachi: Royal Book Co., 1976.

Bendix, Reinhard, Kings or People: Power and the Mandate to Rule, Berkeley: University of California, 1978.

Bennigsen, A., and Wimbush, S. E., Muslims of the Soviet Empire, A Guide Bloomington-Indianapolis, 1986.

Best, Geoffrey, (ed.) The Permanent Revolution: The French Revolution and its Legacy, Chicago: University of Chicago Press, 1988.

Bill, James A. and Robert Springborg, Politics in the Middle East, (3rd Edition) Glenview, Illinois: Little, Brown and Company, 1990.

Bizenjo, Taher, Balochistan: Kia Howa, Kia Hoga (Balochistan: what did happen and what will happen), Karachi: Pakistani Adab Publisher, 1989 (Urdu).

Blaut, J. M., The National Question, London: Zed Books Ltd. 1987.

Bloom, William, Personal Identity, National Identity and International Relations Cambridge: Cambridge University Press, 1990.

Brailvi, Mujahid, Balochistan - What is the Issue?, Quetta, 1984.

Brass, Paul R., Ethnicity and nationality: Theory and Practice, New Delhi: Sage Publications, 1991.

_______, Language, Religion and Politics in North India, Cambridge: Cambridge University Press, 1974.

Bray, Denys, The Life-History of a Brahui, Karachi, 1977 (Repr.).

Breuilly, John, Nationalism and the State, Manchester: Manchester University Press, 1982.

Bugti, Aziz Mohammad, Tarikh-e Balochistan (The History of Balochistan) Quetta, 1996 (Urdu).

________, Balochistan: Siasi Culture aur Qabaeeli Nizam (Balochistan: The Political Culture and the Tribal System), Lahore, 1995 (Urdu).

Burki, ShahidJaved, Pakistan under Bhutto, London: the Macmillan press LTD 1980.

Backman, Hans, (ed.), Intebara Shi'a: en bok om Iran och dess minoriteter, (Not Only the Shiite: A book about Iran and its minorities), Stockholm: Gildlunds, 1992(Swedish).

Calhoun, Craig, Nationalism, Buckingham: Open University Press, 1997.

Cardi, Beatrice de, Excavation at Bampur: A Third Millennium Settlement in Persian Baluchistan, 1966. Volume 51: Part 3, Anthropological papers of the American Museum of Natural History, New York: 1970.

Caroe, Olaf, The Pathan, London, 1958, (Reprinted) Karachi: Union Book Stall 1973.

Cashmore, E., Dictionary of Race and Ethnic Relations, London: Routledge, 1988.

Charpentier, Carl Johan, Afghanistan mellan Mecca och Moskva, (Afghanistan between Mecca and Moscow), Varnamo: FaltsTryckeri, 1980.

Connor, Walker, Ethnonationalism: The Quest for Understanding, New Jersey: Princeton University Press, 1994.

Corfield, Sir Conrad, The Princely India I Knew: From Reading to Mountbatten, India: Indo- British Historical Society, 1975.

Cottam, W. Richard, Nationalism in Iran, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1979.

Curzon, George N., Persia and the Persian Question, (in two volume), London: Longmans, Green, and Co., 1892.

Dames, M. Longworth, Popular Poetry of the Baloches, (in two volume), London: Royal Asiatic Society, 1907.

________, The Baloch Race: A historical and ethnological sketch, London: Royal Asiatic Society, 1904.

Dashti, M. Ismail, Al-Balosh: Tarikh wa Harazat-e Arabiah (The Baloch: The Arabic History and Culture), Al-Ain, 1997 (Arabic).

Dehwar, M. M. S., Contemporary History of Balochistan, Quetta: Third World Publication, 1994.

Deutsch, Karl, Nationalism and Social Communication, Cambridge, Mass: MIT Press, 1966.

Dictionary of Oriental Literatures, vol. 2, London, 1974.

Dost, Dost Muhammad, The Languages and Races of Afghanistan, Kabul, 1975.

Dowson, John, (ed.), History of India: As Told by its own Historians, London, 1872.

Dupree, Louis, Afghanistan, Princeton: Princeton University Press, 1980.

Dyer, R. E., The Raiders of the Sarhad, London, 1921.

Eggermont, P. H. L., Alexander's Campaigns in Sind and Baluchistan and the siege of the Brahmin town of Harmatelia, Leuven: Leuven. University Press 1975.

Fanon, Franz, The Wretched of the Earth, New York: Grove Press, 1963.

Fardoost, Hossein, Zahoor wa Soqoot-e Saltenat-e Pahlavi (Rise and Fall of the Pahlavi Dynasty), vol. 1, Third Edition, Tehran: Intesharat-e Itlaat, 1370/1991(Persian).

Farrokh, Syed Mehdi, Tarikh-e-Seyasi-e Afghanistan, Tehran, 1371/1992.

Fasnacht, G. E., Acton's Political Philosophy, An Analysis; London, 1952.

Ferdowsi, Shahnamah: Matn-e Inteqadi (Shahnamah: A Critical Text), vol. 4-5 and 8, Mascow, 1967 (Persian).

Field, Henry, An Anthropological Reconnaissance in West Pakistan, 1955. Cambridge: Peabody Museum, 1959.

Foucault, Michel, Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977. NewYork: Pantheon, 1977.

Gankovsky, Yu. V., The Peoples of Pakistan: An Ethnic History, U.S.S.R. Academy of Sciences. Institute of Oriental Studies. Moscow: Nauka Publishing House, Central Department of Oriental literature, 1971.

Gellner, Ernest, Thought and Change, London: Weidenfeld & Nicolson, 1964.

________, Nations and Nationalism, Oxford: Basil Blackwell Ltd, 1983.

Giddens, A. The Nation-State and Violence, Cambridge: Polity Press, 1985.

Greerups Forlag AB, Geerups Skolatlas, Uppsala: Gleerups, 1993 (Swedish).

Goldsmid, F. J., Central Asia and Its Question, London, 1873.

Gramsci, Antonio, Selections from the Prison Notebooks (edited and translated by Quintin Hoare and Geoffrey Nowell Smith), International Publishers, New York, 1971.

Great Britain. Admiralty. Naval Intelligence Division. Persia (Geographical Handbook series,B.R. 525), Oxford: Stationary office at the University Press, 1945.

________, Parliamentary Papers, 1918, xviii (Cmd 9178), London.

Greenfeld, Leath, Nationalism: Five Paths to Modernity, Cambridge: Harvard University,1992.

Harrison, Selig S., In Afghanistan's Shadow: Baluch Nationalism and Soviet Temptations, New York: Carnegie Endowment for International Peace, 1981.

Hassan, Mohammad Usman, Balochistan: Mazi, Hal aur Mustaqbel (Balochistan: Past,Present and Future), Karachi: Indus Publications, 1976.

Hettne, Bjorn, Att Studera Internationella Relationer, (To Studey International Relations),Goteborg: Padrigu Papers 1990 (Swedish).

Hobsbawn, E. J., Nations and Nationalism Since 1780, Cambridge: Cambridge UniversityPress, 1992.

Holdich, Thomas, The Gate of India: Being a Historical Narrative, London, 1910.

Hughes, A. W., The Country of Balochistan: its geography, topography, ethnography and history, London: George Bell and Sons, 1877.

Hughes-Buller, R., (ed.) Baluchistan, Calcutta, 1908.

________, Baluchistan District GazetteerSeries: Quetta-Pishin, 2nd Edition (1st Published,1906), Quetta: Gosha-e Adab, 1986.

Hutchins, Robert Maynard (ed.), Great Book of the Western World, Chicago: EncyclopaediaBrittannica, Inc., 1982.

India, Government, Frontier and Overseas Expeditions from India, Selection from Government Records, vol. III. (Baluchistan and the First Afghan War, 1sted., 1910) Quetta: Nisa Traders, 1979.

________, Gazetteer of Province of Sind,Culcutta, 1907.

________, Military Report on Baluchistan: Part III (Kalat and Las Bela States),Simla:Government of India Press, 1929.

Iran, Government, Constitution of the Islamic Republic of Iran (ratified in Dec. 1979),Translated by Algar, Hamid, Berkeley: Mizan Press, 1980.

________, Shonasai-e Mokhtasar-e Ostan-e Sistan wa balochistan (A Brief Description of the Province of Sistan and Balochistan), Zahedan, 1357/1979 (Persian).

________ (Ministry of Islamic Guidance), The Dawn of the Islamic Revolution, Tehran:Echo of Islam, 1982.

________ (Vazarat-e Farhang wa Amuzesh-e 'Ali, Sazman-e Sanjesh-e Amuzesh-e Keshwar), Rahnema-e Entekhab-e Reshteh-ha-e Tahsili, No. 2, Tehran,1372/1994 (Persian).

________, Natija-i Amar Giri Edara-i Koll-e Amouzesh wa Parvaresh Ostan Sistan wa Baluchistan dar Sale Tahsili 2536/1977-2537/1978 (The Results of Statistics done by the Department of Education, Province of Sistan and Balochistan, in the Educational Year 1977-1978), Tehran, 1978 (Persian).

________, Salnameh Amari Keshwar 1375, (Statistical Yearbook, 1997), Tehran: Markaze Amar-e Iran, 1377/1999 (Persian).

________, Shonasai-e Mokhtasar-e Ostan Sistan-wa-Balochistan (A Brief Description of the Province of Sistan and Balochistan), Zahedan, 1358/1980 (Persian). Iran Yearbook 1977. Tehran, 1977.

Iran Statistical Yearbook: 1377 [March-1998-1999], Tehran, 2000.

Italconsul, Plan Organization of Iran Socio-Economic Development Plan For the South-Eastern Region: Preliminary Report (Agricultural Survey), Rome, 1959.

Jahanbani, Amanullah, Amaliyat-e-Qushun dar Balochistan (The Army Operations in Balochistan), Tehran, 1957. (Persian).

________, Sargozasht-e Balochistan wa Marzha-e-an (Balochistan and its Boundaries),Tehran, 1959. (Persian).

Jahani, Carina, Standardization and Orthography in the Balochi Language, Uppsala: ACTA UNIV. UPS. Studia Iranica Upsaliensia 1,1989.

Jahanzeb, Miangul, The Last Wall of Swat: An Autobiography as told to Frederick Earth, Oslo: Univesitetsforlaget, 1985.

Janmahmad, Essays on Baloch National Struggle in Pakistan. Emergence Dimensions Repercurssions, Quetta: Gosha - e -Adab, 1989.

Jansson, E., Pakistan och Indien 1947-83: Sydasiatiska Sakerhetsperspektiv, (FAO, raport C10258-M3), maj 1984, Stockholm, (Swedish).

Karttunen, K., India in Early Greek Literature, Studia Orientalia, no. 65, Helsinki: Finish Oriental Society, 1989.

Kasrawi, Ahmad, Tarikh Pansad Saleh-e Khozistan (Khozistan's Five Hundred Year History),Tehran, 1373/1995 (Persian).

Kausar, Inamul Haq, Balochistan Men Urdu, (Urdu in Balochistan), Lahore, 1967 (Urdu).

Keddie, Nikki R., Roots of Revolution, New Haven: Yale University Press, 1981.

Kedourie, Elie, Nationalism, 4th edn. Oxford: Blackwell (first published 1960), 1994.

Khan, Imtiaz Muhammad, Baluchistan, London, 1950.

Khan, M. A., Generals in Politics: Pakistan 1958-1982, New Delhi: Vikas Publishing House PVT Ltd, 1983.

Khan, Sardar Muhammad Ishaq (ed.), The Constitution of Islamic Republic of Pakistan, Lahore,1973.

Khanlari, Prviz Natel, Zaban-shonasi wa Zaban-e Farsi (Linguistics and the Persian Language), Tehran: Intesharat-e Bonyad-e Farhang-e Iran, 1347/1969(Persian).

Khoury, Philip S. and Kostiner, Joseph (ed.), Tribes and State Formation in the Middle East,Berkeley: University of California Press, 1990.

Kohn, Hans, Nationalism: Its Meaning and History, Princeton, 1965.

Kuper, Leo, International Action Against Genocide, London: Minority Rights Group, ReportNo. 53, revised edn.

Le Strange G., The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1905.

Lenin, V. I., The National Liberation Movement in the East, Moscow. Progress Publishers,1969.

Mahmud, M., Tarikh-e Rawabet-e Siasi-e Iran wa Englis Dar Qarn-e Nuzdahum Miladi (The History of Political Relations of Iran and Britain in the 19th century), Tehran,1335/1956 (Persian).

Majlis-e Khobragan, Mashruh-e Mozakerat-e Mailes-e Islami, Tehran. 1980-94. (minute), MK1/382.

Makki, Hossein, Tarikh-e Bistsaleh-e Iran (The Twenty Years History of Iran), Tehran: Amir Kabeer, 1362/1983 (Persian).

Mansbach, R. The Global Puzzle: Issues and Actors in World Politics, Boston, 1994.

Mansergh, Nicholas, The Transfer of Power 1942-7, Vol. XII, (London: her Majesty's Stationery Office, 1982) No. 317, August 2,1947.

Marri, Mir Mitta Khan, Rahm Ali Mamrri, Quetta: Balochi Academy, 1978, (Balochi).

Marri, Munir Ahmad, Balochistan: Seyasi Kash-makash (Balochistan: The Political Row), Quetta: Gusheh-e Adab, 1989 (Urdu).

Marri, Shah Mohammad, Baloch Qaum (The Baloch Nation), Lahore: Takhliqat, 2000 (Urdu).

Marvin and Bernard Kalb, Kissinger, Boston: Little, Brown, 1974.

Marvi-Wazir, Mohammad Kazim, Alam Ara-e Naderi, Tehran, 1364/1986 (Persian).

Marx, Karl, Notes on Indian History (664-1858), Moscow: Progress Publishers, Third ed.,1986.

Masson, Charles, Narrative of Various Journeys in Balochistan, Afghanistan, the Panjab and Kalat, Karachi, 1977 (first published in 1844).

Mazari, Sherbaz Khan, A Journey to Disillusionment, Karachi: Oxford University Press, 1999.

McConaghey, A., Balochistan District Gazetteer, Quetta-Pishin, Quetta: Gosha-e-Adab, 1986.

Mehdinia, Jafar, NakhostWaziran Iran, No 4: Zendagi-e Seyasi-e Syed Ziauddin Tabatabai (The Prime Ministers of Iran, No.4: The Political Life of Sayyed Ziaul-Din Tabatabi), Tehran, 1369/1991 (Persian).

Meinecke, Friedrich, Cosmopolitanism and the National state, Princeton: PrincetonUniversity, 1970.

Mellor, Roy E. H., Nation. State, and Territory. London and New York: Routledge, 1989.

Menashri, David, Iran, A Decade of War and Revolution, New York, 1990.

Mill, John Stuart, Representative Government, London: J. M. Deut and Sons, 1910.

Maududi, Abu Ala, Tarikh-e Azadi-e Hind aur Musliman (the Indian liberation History and the Muslims), Lahore, 1968.

Mo'aser, Hasan, Tarikh-e Esteqrar-e Mashrutiat Dar Iran (The History of Establishment of Constitutional System in Iran), Second edition, Tehran: Intesharat-e Ibn-e Sina, 1353/1974 (Persian).

Mo'assesa-e Tahqiqat Strategic America, Tarh-e Strategic America Dar Bareh-e Iran wa Khawar Mayaneh (The Strategic Plan of America about Iran and the Middle Eastern Countries), London, 1987 (Persian).

Mojtahed-Zadeh, Pirouz, The Amirs of the Borderlands and Eastern Iranian Borders, URQSEVIC Foundation, 1995.

Nairn, Tom, The Break Up of Britain: Crisis and Neo-Nationalism. Verso, 1981.

Naqvi, Syed Nawab Haider, Mahmood Hasan Khan, M. Ghaffar Chaudry, Structural change in Pakistan's agriculture, Islamabad: PIDE, 1989.

Naseh, Zabihullah, Balochistan, Tehran, 1344/1965 (Persian).

Naseri, Abdullah, Farhang-e Mardom-e Baloch (The Culture of the Baloch People), Tehran,1980 (Persian).

Nasir, Gul Khan, Koch wa Baloch (Koch and Baloch), First Edition 1969, Karachi, 1983 (Urdu).

________, Baluchistan Kadim aur Jadid Tarikh ki Roshani men (Balochistan on thelight of The old and the new history), Quetta: Nisa Traders, 1982. (Urdu).

________, Gulbang, Quetta, 1952 (Balochi).

________, Tarikh-e-Balochistan (The History of Balochistan), Quetta, 1952-1954 (Urdu).

Nasr, Seyyed Hossein, Traditional Islam in the Modern World, New York: Methuen Inc., 1987.

National Awami Party (NAP), The Manifesto of National Awami Party of Pakistan, Karachi: Anjuman Press, nd.

Nationalencyklopedin (The National Encyclopaedia), Hoganas: Bokforlaget Bra Bocker AB,1992 (Swedish).

Nenarokov, Albert and Proskurin, Alexander, How the Soviet Union Solved the Nationalities Question, Moscow: Novosti Press Agency Publishing House, 1983.

Nezam al-Molk, Khaje, Siyasat-Nameh (also known as Siyar al-Muluk, 11th Century A.D. Texts), Tehran: Sherkat-e Sahami-e Ketabha-e Jibi, 1364/1986 (Persian).

Nyberg, Henrik Samuel, A Manual of Pahlavi, (Part II: Glossary), Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1974.

Pakistan, Government, Ministry of Information and Broadcasting, Directorate of Research, Reference and Publications, Speech of Quaid-e-Azam Muhammad Ali Jinnah: As Governor General of Pakistan 1947-48, Karachi: Pakistan Publications,n.d.

Pakistan, Government, 50 Years of Pakistan in Statistics, Vol. III (1972-82), Karachi, 1997.

________, Office of the Census Commissioner, Census of Pakistan, Karachi: Manager of Publications, 1951.

________, Office of the Census Commissioner, Population Census of Pakistan, 1961: District Census Report (Jacobabad). Karachi, 1962.

________, Population Census Organisation, 1981 Population Census of Pakistan Islamabad, 1984.

________, Report of the Committee on Constitutional and Administrative Reforms in Balochistan, Karachi, 1950.

________, The Frontier of Pakistan, Karachi: The National Publishing House, 1971.

________, White Paper on Baluchistan, Rawalpindi, 19 October 1974.

Panahiyan, Mahmud, Farhang Joghrafiya-e Milli Balochistan Iran, (The encyclopedia of national geography in Iranian Balochistan), Baghdad, 1971, (Persian).

Pearson, Roger, Introduction to Anthropology, New York, 1974.

Pikulin, M. G., Baloch (Istoriia I Ekonimia, the Baloch: History and Economy), Moscow: Nauka Publishing House, 1959: translated by Dr. Shah Mohammad Marri (inUrdu), Lahore: Takhliqat, 1995.

Pettersson, Torbjorn, Pakistan och Demokrati (Pakistan and Democracy) i serien «Varldspolitikens Dagfragor», Stockholm: Utrikespolitiska Institute, 1999 (Swedish).

Possehl, Gergory L., Kulli: An Exploration of Ancient Civilization in Asia, Durham: Carolina Academic Press, 1986.

Pottinger, Henry, Travels in Beloochistan and Sinde, London, 1816.

Qaisarani, M. A. Shaheen., Balochistan, Tarikh wa Mazhab (Balochistan: History and Religion), Quetta: EdarehTadris, 1994 (Urdu).

Quddus, Syed Abdul, The Tribal Balochistan, Lahore: Ferozsons (Pvt.) Ltd., 1991.

Ragam, Shaih, Shap Roch Shap (Day Night Day), Quetta: Balochi Publications, 2000 (Balochi).

Rahsepar, Hamid, Melliyat-ha Va Faie'eye Kurdistan (The Nationalities and the slaughterin Kurdistan), (Ketab-e Mehrab, no 3), Tehran: Entesharat-e Sabz, n.d.

Ram, Hittu, Tarikh-e Balochistan (History of Balochistan), Quetta, 1997 (first published in Urdu in 1904).

Rawlingson, G., Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World, (3 volumes), London, 1862.

Razm-Ara, Hossein Ali, Joghrafiya-e Nezami Shahrestan-ha-e Marzi (The Military Geography of the Border Cities), Tehran: Chapkhaneh Sherkat-e Matbu-at, 1940 (Persian).

Redaelli, Riccardo, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th - 20th Century), Firenze: II Maestrale, 1997.

Reis, Sidi Ali, The Travels and Adventures of the Turkish Admiral in India. Afghanistan, Central Asia, and Persia, during the Years 1553-1556, translated from the Turkish, with notes by A. Vambery, London: Luzac and Co., 1899.

Renner, Karl, Staat und Nation (State and Nation), Vienna 1899.

Rizvi, Hasan-Askari, The Military and Politics in Pakistan, Lahore: Progressive Publishers, 1986.

Roman, Anwar, Aina-e Baloch, Multan: Qasar-e Adab, n. d.

Rothschild, Joseph, Ethnopolitics: A Conceptual Framework, New York: Columbia University Press, 1981.

Sabine, G. H. and Thorson, T. L, A History of Political Theory, Hinsdale: Dryden Press, 1973.

Sadr, Ziya, Kasrat-e Qaumi wa Huwiyat-e Milli-e Iranian (The Multi-ethnicity and the national Identity of Iranians), Tehran: Andishah-e Now, 1377/1998 (Persian).

Saldanha, J. A., Précis of Mekran Affairs, Calcutta: Superintendent of Government Printing, 1905.

Saleh, Akhund, Kurd-Gal-Namak, Quetta: Balochi Academy, 1991 (Persian).

Samad, Yunas, A Nation in Turmoil: Nationalism and Ethnicity in Pakistan, 1937-1958. NewDelhi: Sage Publications, 1995.

Sarbazi, Qazi Abdul Samad, Baloch wa Balochistan, Translated by Mohammad Saleem Azad,Sanandaj: Intesharat-e Kurdistan,1378/1999 (Persian).

Saxena, J. N., Right of Self - Determination: From Blafra to Bangla Desh; New Delhi, 1978.

Sayeed, Khalid bin, Politics in Pakistan: The Nature and Direction of Change, New York: Praeger, 1980.

Seyed-Sajjadi, S. M., Bastan-shonasi wa Tarikh-e-Balochistan (Archaeology and the History of Balochistan), Tehran: Sazeman-e-Miras-e Farhangi-e Keshwar, 1374/1996 (Persian).

Shahbakhsh, Azim, Pozhuheshi Dar Tarikh-e Ma'aser-e Balochistan: Majera-e Dad Shah (A Research on the Contemporary History of Balochistan: the legacy of Dad Shah), Shiraz, 1373/1995 (Persian).

Sheikhmous, O., Kurdernas kamp for sjalvstyre (The Kurds' Movement for self-rule), i serien «Varldspolitikens Dagfragor», Stockholm: Utrikespolitiska Institutet, 1991 (Swedish).

Snyder, Louis L., The New Nationalism, New York: Cornell University Press, 1968.

Smith, A.' D., National Identity, London: Penguin Books, 1991.

________, The Ethnic Origins of Nations, Oxford: Blackwell, 1986.

________, Theories of Nationalism, London: Duckworth, 1983.

________, The Ethnic Revival, Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

________, Nations and Nationalism in a Global Era, Cambridge: Polity, 1995.

Stalin, Marxism And The National Question, Moscow: F.L.P.H., 1947.

Steenbegen, Frank van, Institutional change in local water resource management: cases from Balochistan, Utrecht, 1997.

Sykes, Percy, A History of Persia, (3rd ed., vol. II), London: MacMillan and Co., 1930.

________, Ten Thousand Miles in Persia or Eight Years in Iran; London, 1902.

Talbot, lan, Pakistan: A Modern History, London: Hurst & Company, 1998.

Tate, G. P., Seistan: A Memoir on the History, Topography. Ruins, and People of the Country, (in Four Parts, Part IV, The People of Siestan), Calcutta, 1912.

________, The Frontiers of Baluchistan, (First Published in 1909), Lahore: East and West Publishing Company, 1976.

The Gazetteer of Baluchistan: Makran, Quetta: Gosha-e Adab (repr. 1986).

The Imperial Gazetteer of India, vol. VI, Oxford: Calaredon Press, 1908.

Tibi, Bassam, Arab Nationalism: A Critical Enquiry (Translated by Marion Farouk Sluglettand Petter Sluglett), New York: St. Martin's Press, 1990.

Titus, Paul (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Tucker, A. L. P., Sir Robert G. Sandeman Peaceful Conqueror of Balochistan, Lahore: Yakki Gate, 1979.

Turner, B., Orientalism. Postmodernism and Globalism, London and New York: Routledge, 1994.

Vadiei, Dr. Kazem, Moqhaddameh-i bar Joghrafiya-e Iran, (An Introduction to the Geography of Iran), Tehran, 1974 (Persian).

Vaziri, Mostafa, Iran as Imagined Nation: The Construction of National Identity, New York: Paragon House, 1993.

Wakefield, Sir Edward, Past Imperative: My Life in India, 1927-1947, London: Chatto and Windus, 1966.

Williams, Charles Reynolds, The Defence of Kahun, London, 1886.

Wilson, A. T., The Persian Gulf: An Historical Sketch from the earliest Times to the Beginning of the Twelfth Century, London, 1928.

Wolpert, S., A New History of India, New York and Oxford: Oxford University Press, 1982.

Yarshater E. (ed.), Encyclopaedia Iranica, London etc. 1982.

Yusufzai, Malik Faiz Mohammad, Yaddashtain (The Memories), Progressive Writers Association, Balochistan, Quetta, 1997 (Urdu).

Zandmoqaddam, Mahmud, Heka'yat-e-Baloch (The Story of the Baloch), Karoon, 1370/1992 (Persian).

Ziring, Lawrence, Pakistan, The Enigma of Political Development. Kent: Wm Dawson & SonsLtd., 1980.

________, The Subcontinent in World Politics, New York & London: Praeger Publishers, 1978.

Yule, Sir Henry (ed.), The Book of Ser Marco Polo, The Venetian Concerning the Kingdoms and Marvels of the East, translated and edited with notes, maps andillustrations in two volumes by Sir Henry Yule, London, 1903.

المقالات

Abdun-Nabee, Hajee, «Notes Taken on a Tour through Parts of Baluchistan», In: Journal of the Asiatic Society of Bengal, No. CLLIII and CLIV of 1844.

Achakzai, Khan Abdul Samad Khan «A Brief Summary of Evidence, Before the Joint Parliamentary Committee, London», in: Daily Gazette Press, Ltd.. 1st May 1933.

Afshar, Iraj, «The Problem of Nationalism and the Unity of Iran», in: Ayandeh. Spring 1927, (pp.566-67).

Ahmad, Aijaz, «The National Question in Baluchistan», in: Feroz Ahmed (ed.), Focus on Baluchistan and Pushtoon Question, Lahore: People's Publishing House, 1975.

________, «Balochistan's Agrarian Question», in: Feroz Ahmed (ed.), Focus on Balochistan and the Pushtoon question, Lahore: People's Publishing House, 1975.

Ahmed, Feroz, «Ethnicity, Class and State in Pakistan» in: Sangat, March 1997.

Alavi, Hamza, «Politics of ethnicity in India and Pakistan» in: H. Alavi and J. Harriss (eds), Sociology of Developing Societies': South Asia, London: Macmillan, 1989.

Ali, B., «Political forces in Sind», in S.A. Zaidi (ed.), Regional Imbalances and the National Question in Pakistan, Lahore: Vanguard, 1992.

Ali, Salamat, «Balochistan: An Upheaval is forecast», in: Far Eastern Economic Review, October 19, 1979.

Amiri, Abdul Samad, «Chest o Eyr» (Struggle), in: Monthly Balochi, Quetta, Feb. 2001 (Balochi).

Amiri, Ismail, «Maulavi Abdullah-e Shaeri-e Raji Pahnat», in Taptan, No. 3, Karachi, March 1989 (Balochi).

Anka, M. Hossein, «Baloch Sardarounka Ghair Mustahsen Rawiya», in: Al-Baluch, Karachi,13 August 1933.

Appadurai, A., «Disjuncture and Difference in Global Cultural Economy», in: Public Culture, 2:2,1990.

Ardebili, Ali Reza, «Dad-Nameh-e Azerbaijan», in: Tribun,Solna, No. 4, Winter 1999 (Persian).

Azat, «Mas'aleh-e Milli wa Samad Morted», in: Baloch Komitte, Tran: Boliten-e Mobahesat, No. 5, Stockholm, June 1999 (Persian).

Badalkhan, Sabir, «A Study of Balochi Oral Poetry: Problems and Prospects», in: Newsletter of Balochistan Studies, No. 8, Naples, 1991.

________, «Balochi Songs Genres, Balochi Dances, Instrumental Musicians, Singer, Musical Instruments», in: A. Arnold (ed.), The Garland Encyclopaedia of Worlds Music, in 10 vol., vol. 5, (South Asia: The Indian Subcontinent), New York, London, 2000.

________, «A Brief Note on Balochi Folktale and Folktale Studies», in: K. Maeda, (ed.), The Studies of the Ethno-Religious Images in Jhalawan and Las Bela Provinces in Balochistan, University of Wako, 1999.

Badini, Yar Jan, «Turkmenistan: Panjah Hazar Balochani Watan» (Turkmenistan: The Country of Fifty thousand Baloches), in: Monthly Balochi Labzank, Hab, June-July 1998 (Balochi).

Bailey, H. W., «Mleccha, Baloc, and Gadrosia», in: BSOAS, No. 36, London, 1973.

Baloch, Bashir Ahmad, «The Beginning of Radio Broadcasting in Baluchi: A Brief Report», in:A. V. Rossi and M. Tosi (ed.), News Letter of Baluchistan Studies, Naples: Dipartmento di studiasiatici Istituto Universitario Orientale, No. 2, Spring 1985.

Baloch, Inayatullah, «Afghanistan-Pashtunistan-Baluchistan», in: Aussen Politik, no. 3 (1980).

______, «Baloch Qaumi Tahrik Men 'Kalat State National Party' Ka Kerdar», in: Monthly Azad Baluchistan, London, December 1982.

________, «Mir Mohammad Yusuf Ali Khan Magasi», in: Monthly Azad Baluchistan, London, December 1984.

________, «Islam, The State, and Identity: The Zikris of Balochistan», in Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Baloch, Inayatullah, «Islam, the state and nationality problems: a study of ethnic rights in the Middle East, in: Gudmundur Alfredsson and Peter Macalister-Smith (ed.), The living Law of Nations, Strasbourg: N. P. Engel Publisher, 1996.

________, «The Baluch Question in Pakistan and the right of self-determination», in: W. Zingel (ed.), Pakistan in its Fourth Decade, Hamburg, 1983.

________, «Nationality Problems and Political Parties of Pakistan: The National Awami Party (NAP) and its Successors» in: Georg Berkemer, Tilman Frasch, Hermann Kulke, and Jurgen Lutt (ed.), Explorations in the History of South Asia: Essays in Honour of Dietmar Rothermund, New Delhi: Manohar, 2001.

Baluch, Saeedi, «Azad Baluchistan aur Hokumat-e-Iran» in: Weekly, Baluchistan, 4 March 1936.

Banton, Michael, «Ethnic Bargaining», in: Dennis L. Thompson, and Dov Ronen (ed.). Ethnicity, Politics and Development, Boulder, Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1986.

Barth, Fredrik, «Pathan Identity and its Maintenance», in: Fredrik Barth, (ed.), Ethnic Group and Boundaries, Boston, 1969.

Bhutto, M. Musa, «Balochi Zaban ke Rasmulkhatka Masla», in: Jasarat, September 14, 1972 (Urdu).

Bizenjo, Mir Ghous Bakhsh, «Introduction», in: Janmahmad, The Baloch Cultural Heritage, Karachi: Royal Book Company, 1982.

Bondarevski, G., «Bolshevik Policy and the Peoples of the East», in: Mainstream Decembers, 1977.

Brass, Paul R., «Ethnic Groups and Ethnic Identity Formation», in: John Hutchinson & Anthony D. Smith (ed.), Ethnicity, Oxford University Press 1996.

Buzdar, Nek, «Social Organization, Resource use, and Economic Development in Balochistan» in: Monthly Balochi Labzank, Hub (Balochistan), March-April 2000.

Chundrigar, I. I., «Memorandum to Wiceroy, 1946», cited in Inayatullah Baloch, «The Baluch Question in Pakistan and the Right of Self Determination», in: Zingel Lallement (ed.), Pakistan in the 80s. Lahore, 1985.

Cohn, Bernard S., «Representing Authority in Victorian India», in: E. Hobsbawn, T. Ranger(ed.), Invention of Tradition, Cambridge: Cambridge University Press, 1983.

Connor, Walker, «Nation-Building or Nation-Destroying?», In World Politics 24 (April 1972).

________, «Eco- or ethno-nationalism?», in Ethnic and Racial Studies 7, No. 3,1984.

Elfenbein, J. H., «The Baluchi Language: A Dialectology with Text», in: Royal Asiatic Society, vol. 27, London 1966, (pp. 41-45).

Eriksen, Thomas H., «Ethnicity, Race, Class and Nation», in: John Hutchinson & Anthony D.Smith (ed.), Ethnicity, New York: Oxford University Press 1996.

Esman, Milton J. and Rabinovich, Itamar, «The Study of Ethnic Politics in the Middle East», In: Milton J. Esman, and Itamar Rabinovich (ed.), Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East, Ithaca: Cornell University Press, 1988.

Etzioni, Amitai, «The Evils of Self-Determination», in: Foreign Policy, no. 89, Winter 1992-93.

Frye, N., «Remarks on Baluchi History», in: Central Asiatic Journal, Vol. 6, No.l, 1961 (pp. 44-50).

Geertz, Clifford, «The integrative revolution: Primordial sentiments and civil politics in the new states», in: C. Geertz (ed.) Old Societies and New States: The Quest for Modernity in Asia and Africa, New York: Free Press, 1963 (pp. 107-113).

Grant, N. P., «Journal of a Route through the Western Part of Meran (1809)», in: Royal Asiatic Society, Vol. 5,1839, (pp. 329-340).

Griffith, William E., «Iran's Foreign Policy in the Pahlavi Era», in: George Lenczowski (ed.), Iran Under the Pahlavis, Stanford: Hoover Institution Press, 1978.

Hall, Raymond L., «Introduction», in: Raymond L. Hall (ed.), Ethnic Autonomy - Comparative Dynamics: The Americas. Europe and the Developing World, New York, 1979.

Hamid, Abdul, «Balochi Zaban ke Rasmulkhatka Convention», in: Jang, October 1, 1972.

Hansman, J., «A Periplus of Magan and Melukha», in: BSOAS, London, 1973.

________, «Nightmare in Baluchistan», in: Foreign Policy, No. 32, (Fall 1978).

________, «Ethnicity and Political Stalemate in Pakistan» in: Ali Banuazizi and Myron Wiener, The State. Religion and Ethnic Politics: Afghanistan. Iran and Pakistan, Syracuse and New York: Syracuse Press, 1986.

Hashimi, Sayyid, «Balochi Zaban aur uska Rasmulkhat», in: Daily Jang, Jan 9, 1973 (Urdu).

Howell, L., «Ethnic Conflict Threatens International Stability», in: USA Today Magazine, July 31,1993.

Jahani, Carina, «Notes on the use of Genitive construction Versus IZAFA construction in Iranian Balochi», in: Studia Iranica, Leuven, 23, 1994.

________, «Poetry and Politics: Nationalism and Language Standardization in the Balochi Literary Movement» in: Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Jalbani, Abbas, «Can Balochistan Survive?» in: The Herald, March 1992.

Jamaldini, Dr. JehanZeb, «BNP KaQeyam» (the emergence of BNP) in: Monthly Balochi Labzank, February 1997 (Urdu).

Kloos, Peter, «Secessionism in Europe in the Second Half of the 20th Century» in: Nadeem Ahmad Tahir (ed.), The Politics of Ethnicity and Nationalism in Europe and South Asia, Karachi, 1998.

Koohi-Kamali, Fereshteh, «The Development of Nationalism in Iranian Kurdistan», in: Philip G. Kreyenbroek and Stefan Sperl (ed.), The Kurds: A Contemporary Overview, New York: Routledge, 1992.

Lalzad, Gholam Mohammad, «Baloch Kist», in: Tran No 5 (Baloch Komitte), June 1999, Stockholm.

MacDonald, Charles G., «The Kurdish Question in the 1980s», in: Milton J. Esman and Itamar Rabinovich (ed.), Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East, Ithaca: Cornell University Press, 1988.

Marri, Surat Khan, «Baloch Liberation Movement, Romanticism, Fact or Fiction», in: Daily Balochistan Express, Quetta, May 18, 2001.

________, «Baloch Heterogeneity, Concept of Autonomy and Consensus», in: Daily Balochistan Express, Quetta, June 2, 2001.

Mockler, E., «Origin of the Baloch», in: Journal of the Asiatic Society of Bengal, Culcutta, 1895.

Naby, Eden, «The Iranian Frontier Nationalies: The Kurds, the Assyrians, the Baluchis, and the Turkmens», in: William O. McCagg, Jr., and Brian D. Silver (ed.), Soviet Asian Ethnic Frontiers, New York: Perganom, 1979.

Nagel, Joanne, and S. Olzak, «Ethnic Mobilization in New and Old States: An Extension of Competition Model», In: Social Problems, 30, no.2, 1982.

Negwari, Ibrahim J., Balochistan-e Siasi Tarikh o Gall o Sarokani Kerd» (The political history of Balochistan and the role of parties and leaders) in: Monthly Balochi Labzank, Hab (Balochistan), May-June 1996 (Balochi).

Nietschmann, Bernard, «The Third World War», in Cultural Survival Quarterly, 11, No. 3, 1987.

Nizamani, K. B., «Kaumi Azadiki Council BNP ka Qeyam», in: People's Front, London, May 1980.

Noormohamed, Abdulkadir, «Balochs in East Africa», in: Monthly, Balochi Labzank, Hub (Balochistan), August-September 1999.

Orywal, Erwin, «Periphery and Identity: Process of Detribalization Among the Baloch of Afghanistan», in: Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Piacentini, Valeria F., «Introduction», in: Riccardo Redaelli, The Father's Bow: The Khanate of Kalat and British India (19th - 20th Century), Firenze: II Maestrale, 1997.

Qambrani, Nadir, «Brahvi AdabiAkabereen», in: Pakistan Studies, Vol. I: No. I, 1990 (Urdu).

Ragam, Shaih, «Aqelan Sassa Kan et» in: Monthly, Balochi, Quetta, February 1988 (Balochi).

Rahman, Rashed, «The Rise and fall of Baloch Nationalism», in: The Quetta Times (Weekly), Quetta, October 27-November 2, 1997.

Rahman, Tariq, «The Balochi/Brahvi Language Movements in Pakistan», in: Journal of South Asian and Middle East Studies Vol. XIX, No.3, Spring 1996.

Raj, Shiraz, «Panic Reaction?» in: The Herald, November 2000.

Rashid, Haroon, «Resurgent Nationalism» in: Herald, November 2000.

Razi, G. Hossein, «Legitimacy, Religion, and Nationalism in the Middle East», in: American Political Science Review, 84, no. 1, March 1990.

Renan, Ernest, «What is a Nation?» in: Homi Bhabha (ed.), Nations and Narration, London: Routledge, 1990, pp. 8-22.

Richmond, A. H., «Ethnic nationalism and post-modernism», in: Ethnic and Racial Studies 7:1,1984.

Rizvi, Zainab, «The last warrior», in: Weekly, Friday Times, Lahore, April 18-24, 1997.

________, «The Lion in Winter», in: Friday times, Lahore, May 23-29, 1997.

Salim, Ahmad, «Balochistan ke Awam Kabi Por-amn aur Kabi Mossallah Jadd ow Johd Kartey Rahey Hem», in: Monthly, Rastah, Lahore, July 1990 (Urdu).

Salman, Talal, «Interview with Khomeini at Movement of Shah's Downfall and Eve of Creation of Islamic Republic», in: Al-Safir, 18-19 January 1979 (Arabic).

Salzman, Philip C., «Islam and Authority in Tribal Iran: A Comparative Comment», in: Muslim World (Hartford Seminary Foundation) 1975, no. 3.

________, «Why Tribes have Chiefs: A Case from Baluchistan», in Richard Tapper(ed.), The Conflict of Tribe and State in Iran, and Afghanistan, London, 1983.

________, «National Integration of the Tribes in Modem Iran», in: Middle East Journal, 25, No. 3 (Summer 1971).

Shaidai, Moulai, «Education During British Rule in Balochistan», in: Monthly, Ouman, Karachi, August 1951 (Balochi).

Slimbach, Richard A., «Ethnic Binds and Pedagogies of Resistance: Baloch Nationalism and Educational Innovation in Karachi», in: Paul Titus (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Smith, Anthony D., «The Ethnic Sources of Nationalism», in: Survival, vol. 35, no. 1, Spring 1993.

________, «National Identity and the Idea of European Unity» in: International Affairs 6, no.l, 1992, pp. 55-76.

Spooner, Brian, «Baluchistan: Geography, History, and Ethnography» (pp. 598-632), In: Ehsan Yarshater, (ed), Encyclopedia Iranica, Vol. Ill, London - New York: Routledge & Kegan Paul, 1989.

________, «Note on the Baluchi Spoken in Persian Baluchistan» (pp. 51-71), in: Iran, Journal of the British Institute of Persian Studies, 5 (1967).

________, «Religion and Society Today: an Anthropological Perspective», In: Ehsan Yarshater (ed.), Iran Faces the Seventies, New York: Praeger, 1971.

Svanberg, Ingvar, «Etniska och sprakliga minoriteter i Iran», in: Hans Backman (ed.), Inte bara shi'a: en bok om Iran och dess minoriteter, Stockholm: Gildlunds, 1992 (Swedish).

Swidler N., «Beyond Parody», in: Paul Titus, Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

________, «Brahui Political Organization and the National State», in: Ainslee T. Embree(ed.), Pakistan's Western Borderlands, N. Delhi, 1977

Titus, Paul, «Routes to Ethnicity: Roads, Buses, and Differential Ethnic Relations in Pakistani Balochistan», in: Paul Titus, (ed.), Marginality and Modernity: Ethnicity and Change in Post-Colonial Balochistan, Karachi: Oxford University Press, 1996.

Toosi, Reza Raees, «Isteratezhi-e Sarzaminha-e Sookhteh» (The Backward or masterly inactivity strategy) in: Tarikh-e Ma'aser-e Iran (The Contemporary History of Iran), Tehran: Mo'asseseh-e Motale'at-e Tarikh-e Ma'aser-e Iran, Winter1376/1997 (Persian).

Vanly, Ismet Sheriff, «Kurdistan in Iraq», in: Gerard Chaliand (ed.), People Without A Country: The Kurds and Kurdistan, London: Zed Press 1980.

Vos, George de, «Ethnic Pluralism», in: George de Vos and Lola Romanucci-Ross (ed.), Ethnic Identity: Cultural Continuities and Change, Palo Alto, Calif.: Mayfield Publishing Co., 1975.

Weber, Max, «The Origin of Ethnic Groups», in: John Hutchinson & Anthony D. Smith (ed.), Ethnicity, New York: Oxford University Press 1996.

________, «The Nation.» In: H.H. Gerth and Mills C. Wright (ed.), From Max Weber: Essays in Sociology, London: Routledge, 1991.

Welsh, David, «Domestic Politics and Ethnic Conflict», in: Survival, vol.35, no.l, Spring 1993.

Wirsing, Robert, «South Asia: The Baluch Frontier Tribes of Pakistan», in: Robert G. Wirsing(ed.), Protection of Ethnic Minorities, Comparative Perspective, New York: Pergamon, 1981.

________, «The Baluchis and Pathans», In: The Minority Rights Group, Report No. 48. July 1987.

Wittrock, B., «Kulturell identitet och den moderna staten», in: G. Winai-Strom (ed.), Konfliktlosning i det flerkulturella samhallet, Uppsala: Uppsala Universitet,1988 (Swedish).

Zaidi, Mazhar, «Whatever happened to the Nationhood», in: The Daily Jang, London, 18October 1997 (Urdu).

الصحف والدوريات

Al-Baluch, Karachi, (1932-33, Urdu and Balochi).

Al-Hawadith, Beirut, 18 May 1979 (Arabic).

Al-Safir, 18-19 January 1979 (Arabic).

Balochi Dunya, (1968-73, Urdu andBalochi).

Balochistan, Organ of «Jonbesh-e Khalq-e Baloch-Iran» (1985-86, Persian).

Daily Balochistan Express, Sunday, 6 May 2001.

Daily, Bamdad, Tehran, 21 December 1979 (Persian).

Daily Iran Emrooz, 12 December 2000 (Persian).

Daily, Zamindar, Lahore, 1932 (Urdu).

Dawn, Delhi, February 1, 1946.

Dawn, Karachi (1972-2001).

Far Eastern Economic Review, 19 October 1979.

Jabal, Organ of «BPLF», 1975-78 (Urdu).

Jang, (Daily) Karachi, 6 Aug 1972 (Urdu).

Jang, (Daily) London, 18 October 1997.

Kayhan, (Daily) Tehran, 23 December 1979 (Persian).

Mai Balochistan, Karachi, 21 August 1980 (Balochi).

Monthly, al-Hanif, Special Number on Balochistan, Jacobabad, 1937 (Urdu).

Monthly, Azad Baluchistan, London (1982-84,Urdu).

Monthly, Balochi Labzank,Hab (Balochistan), (1995-99, Balochi).

Monthly, Balochi, Karachi and Quetta (1957-79 Balochi).

Monthly, Rastah, Lahore, July 1990 (Urdu).

Monthly Makkoran, No. 1, Tehran, 1979 (Baloch).

Nawai Waqt, Aug. 6 & Sep. 8, 1972 (Urdu).

New York Times, (1973-1980).

Nokien Dour, Quetta, 21 October 1966 (Urdu and Balochi).

Outlook, Weekly, Karachi (1973-75).

Pakistan Progressive, New York, Vol. Ill, No. Ill and IV, December 1980.

Pakistan Times, Lahore, 20 June 1969.

People's Front, London (1973-79).

RIPEH (Review of Iranian Political Economy and History), IV, No. 1, Spring 1980.

The Economist, 13 February 1982.

The Herald, Karachi (1986, 1992, 2000).

The Muslim, Islamabad, 28 July 1979 (Urdu).

The News International, 3-9 July 1992.

The Pakistan Time, Lahore, December 21, 1971.

The Quetta Times (Weekly), Quetta, October 27-November « 2, 1997.

Time, New York, (1997-98).

Tribun,Solna, No. 4, Winter 1999 (Persian).

Wall Street Journal, February 15, 1980. Washington Post. 9 February 1980.

Weekly, Bolan,Mastung, 8 April, 2 May and 16 May 1947 (Urdu).

Weekly, Friday Times, Lahore (1997-98).

Weekly, Young Baluchistan, Karachi, 15 January 1934.

الوثائق والمقالات والأطروحات غير المنشورة

1.India Office Library Records and Public Record Office (London)

FO 60/385.

IOR. R/l (34-52).

IOR. L/P&S/12/45 file PZ 7548/31.

IOR. L/P&S/13/184.

IOR. L/P&S/13/1847.

IVPS/13/1846.

L/PS/10/1136.

IVPS/10/875.
MSS EUR F131/24-27.
MSS F.131/24-27.
V/10/636.
V/23/72/349.
V/23/6/34.

2. Unpublished Dissertations and Essays

Badalkhan, Sabir «A Brief Note of Balochistan», unpublished, 1998. This article was submitted to the Garland Encyclopedia of World Folklore, New York-London, (in 13 vols): vol. 5, South Asia, edited by Margaret Mills.

Baloch, Inayatullah, «Resistance and National Liberation in Baluchi Poetry», Paperpresented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.

Baloch, Siddiq, «Partyless Elections and Balochistan», Unpublished Manuscript, Quetta, March 2001.

Breseeg, Taj M., «Den Baluchiska rorelsen: Separatism or integration», (How the choice between separatism and integration is influenced by the degree of democracy or dictatorship). A study of Baloch Nationalism between the years 1948 and 1994», Research essay, Stockholm University, 1995 (Swedish).

Farrell, Tim, «Mother Tongue Education and the Health and Survival of the Balochi Language», University, Sweden, 16th August 1997 (unpublished manuscript). Hosseinbor, M. H., «Iran and Its Nationalities: The Case of Baluch Nationalism», PhD. paper for the Symposium on the Balochi Language at Uppsala Thesis, The American university, 1984.

Khan, Muhammad Kamal, «The Coming of Baluchis to East Africa», Mombasa, September 1980, unpublished manuscript.

Mahmudzai, Mussa, «Moqayeseh-e Zaban-e Balochi Ba Zabanha-e Irani-Bastan» (Comparison of Balochi language with the old Iranian languages), PhD Dissertation, Danishgah-e Azad Islami, 1999 (Persian).

Majlis-e Khobregan, «Mashruh-e Mozakerat-e Majles-e Islami, Tehran, 1980-94», (minute), MK1/382.

Momeni, Djamchid A., «The Population of Iran: A Dynamic Analysis», PhD Dissertation, The University of Texas at Austin, August 1970, p. 50.

Mozaffar, Shaheen, «The Politics of Cabinet Formation in Pakistan: A Study of Recruitment to the Central Cabinets, 1947-1977», Ph.D. dissertation, Miami University, Ohio, 1980.

Pesaran, M. H. «Income Distribution and Its Major Determinants in Iran», Paper presentedat Aspen-Persepolis Symposium, September 15-19, 1975, in Persepolis.

Shahbakhsh, Azim, «Barrasi-e Hemasah-Sarai Dar Zaban-e Balochi» (A Study of Balochi Heroic Peotry), Shiraz: Shiraz University, 1995 (Persian).

__________, «The Baloch Race and Migrations», Paper presented at Balochi Symposium at the University of Uppsala on 17-20th August 2000, Uppsala, Sweden.

Shiranzai, Syed Mohammad, «Baloch-ha-e Afghanistan» (The Baloch of Afghanistan), Unpublished Manuscript, Australia, September 1999.

Swidler, Nina, «The Political Structure of a Tribal Federation: The Brahui of Baluchistan». PhD. dissertation, Columbia University, 1969.

المقابلات

من أجل فهم أفضل للوضع السياسي في عهد ما بعد الاستعمار، أجريت مقابلات مع الشخصيات التالية:

أحمد زئي، آغا نصير خان. وزير بلاط خان كلات، مير أحمد يار خان، ومؤرخ بارز. أجريت المقابلة في كويتا في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

أحمد زئي، داود خان. نجل خان كلات الراحل، مير أحمد يار خان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية). وأيضاً محادثات خاصة كثيرة.

علم، خزيمه أمير حسين. تم تعيينه في منصب الحاكم العام لبلوشستان في أربعينيات القرن العشرين بواسطة رضا شاه. وشغل منصب نائب الزراعة في فترة ما بعد الحرب، وكان نائباً في المجلس فترات عديدة، وبعد ذلك عينه الشاه سيناتوراً عن سيستان وبلوشستان والمقاطعات المجاورة، في 1975–1979. أجريت المقابلة في لندن في يونيو 1999، (مسجل بالفارسية).

أميري، عبد الصمد. سياسي سابق، وشاعر وكاتب من بلوشستان الإيرانية، حكم عليه بالسجن مدى الحياة في عهد نظام الشاه بسبب نشاطاته السياسية، ويعيش في الوقت الحاضر في المنفى بدولة خليجية. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

آزاد، رحيم بكش. صحافي، الأمين العام لجمعية الذكرين في كراچي. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوج، عبد الحي. طبيب، سيناتور وزعيم حركة بلوشستان القومية BNM، أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية والانكليزية).

بلوج، عبد المجيد، المدير العام لمستشفى جناح. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوج، عبد المالك. طبيب، ووزير التعليم السابق في بلوشستان. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوج، عزيز الله. كان عضواً في سازمان دموكراتيك. بعد حظر المنظمة، أصبح من مؤيدي فدائيان خلق. يعيش في الوقت الحاضر لاجئاً سياسياً في السويد. أجريت المقابلة في استوكهولم في ابريل 1998، (مسجل بالبلوشية).

بلوج، بشير أحمد. مدير هيئة الإذاعة الباكستانية (راديو باكستان) كويتا، ورئيس الأكاديمية البلوشية (بلوجي اكديمي). أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوج، چاكر خان. رئيس تحرير مجلة بلوچي دُنيا الشهرية، مُلتان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوچ، منصور. كاتب في الموضوعات الاجتماعية والسياسية. وعضو سابق في حزب باكستان الوطني PNP، أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوچ، مولانا عبد الحق. أمير «جمعية إسلامي» في بلوشستان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوچ، مير خدا بكش بجاراني مَري. حاكم تصريف الأعمال الموقت السابق لبلوشستان، الرئيس السابق للمحكمة العليا في بلوشستان، ومؤرخ بارز. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (غيرمسجل، ملاحظات مكتوبة فقط).

بلوچ، محمد أكرم. المتحدث السابق عن البرلمان الاقليمي في بلوشستان، والوزير السابق للثقافة والرياضة في حكومة ذو الفقار علي مگسي، الأمين العام المتحدث باسم حركة بلوشستان القومية BNM ورئيس تحرير رهبر اليومية، هَبْ، بلوشستان. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوچ، صديق. كان يشغل منصب السكرتير الشخصي لمير غوث بكش بيزنجو الراحل في حزب عوامي القومي NAP، يشغل حالياً منصب رئيس تحرير صحيفة اكسپرس بلوچستان، كويتا. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بلوچ، محمد سردار خان. الرئيس السابق لمجلس بلوشستان للكتب الدراسية، والرئيس السابق للأكاديمية البلوشية (بلوچي اكديمي) في كويتا. وقد كتب عدداً من الكتب بالإنجليزية عن التاريخ السياسي البلوشي. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

باركزئي، أكبر. شاعر قومي وسياسي، وكان أحد الرموز الرائدة في الحركة القومية لبلوشستان الايرانية ومقرها في بغداد في مطلع سبعينيات القرن العشرين. منذ عام 1975 وهو يعيش في المنفى في لندن. أجريت المقابلة في لندن في فبراير 1998، (مسجل بالبلوشية).

بِجاراني، مير هَزار خان. الوزير الفيدرالي لشؤون الأقليات من أغسطس إلى أكتوبر عام 1991، في حكومة تصريف الأعمال. الوزير الفدرالي في حكومة تصريف الأعمال بعد حل الجمعية الوطنية في 18 أبريل 1993. وهو الآن عضو في الجمعية الوطنية لباكستان. أجريت المقابلة في كراچي في نوفمبر 1997، (مسجل باللغة الإنجليزية).

بُگتي، عزيز محمد. أستاذ العلوم السياسية في جامعة بلوشستان، كويتا ومؤرخ. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

بُگتي، نواب أكبر خان. سردار قبيلة البُگتي، الحاكم السابق لإقليم بلوشستان، ورئيس الوزراء السابق في الحكومة الاقليمية، وزعيم حزب جمهوري وطن JWP، وعضو في الجمعية الوطنية لباكستان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجلة باللغة الإنجليزية).

دِهواري، محمد علي. عضو سابق في سازمان دموكراتيك. وأصبح لاحقاً من مؤيدي فدائي خلق. يعيش في الوقت الحاضر لاجئاً سياسياً في استوكهولم في السويد. أجريت المقابلة في ستوكهولم في ابريل 1998، (مسجل بالبلوشية).

گِچكي، أمان الله. سفير سابق، ووزير في حكومة تصريف الأعمال قبل نواز شريف. أجريت المقابلة في خُزدار في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

گِچكي، منير أحمد. حاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ. أستاذ التاريخ في جامعة بلوشستان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

حُسينبور، أيوب. كان عضواً باللجنة المركزية لسازمان دموكراتيك. التحق فيما بعد بسازمان پيكار. في الوقت الحاضر يعيش لاجئاً سياسياً في لندن. أجريت المقابلة في لندن في مايو 1998، (مسجل بالبلوشية).

حُسينبور، غلام رضا. آخر رئيس لحزب رستاخيز الإيراني في بلوشستان. يعيش منذ الثورة الإيرانية لاجئاً سياسياً في لندن. أجريت المقابلة في لندن في يناير عام 1998، (مسجل بالبلوشية).

هُوُت، گُل محمد. أصله من بلوشستان الإيرانية، ويعيش في كراچي، وكان زعيماً بارزاً لحزب عوامي القومي وصديقاً مقرباً من رغوث بكش بيزَنجو. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

جمالديني، عبدالله جان. أستاذ اللغة البلوشية في جامعة بلوشستان، كويتا. وهو رمز ريادي في السياسة والأدب منذ عام 1950. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية). وأيضاً محادثات خاصة كثيرة.

جمالديني، جِهان زيب. طبيب، رئيس جمعية الثقافة البلوشية BCS في كراچي. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

كلاتي، عبد الرحيم. ولد في مدينة مومباسا الكينية، طالب في جامعة لندن (SOAS). أجريت المقابلة في لندن في ديسمبر 1998، (غير مسجل، ملاحظات مكتوبة فقط).

خان زئي، غلام محمد. من سكان دَشتياري، في بلوشستان الإيرانية، تلقى تعليمه في جامعة كراچي، وكان مرشحاً لرئاسة المجلس الأول (الجمعية الوطنية) لجمهورية إيران الاسلامية، ولكن تم رفضه في الجولة الثانية من الانتخابات من قبل شوراي نگهبان (مجلس صيانة الدستور). أجريت المقابلة في لندن في يوليو 1998، (مسجل بالبلوشية).

كورد، عبد الرحمن. من سكان كويتا، شخصية قومية بلوشية بارزة ورائدة، وهو سكرتير حزب عوامي القومي. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر عام 1997، (مسجلة بالأوردية).

كورد، عبد محمد. ولد في مدينة كويتا في الخامس عشر من مارس عام 1930، ويعيش الآن في لندن، وكان رئيس منظمة البلوش العالمية (WBO) في 1982–1985. أجريت المقابلة في لندن في يوليو عام 1998، (مسجلة بالبلوشية).

ملك، حبيب الله. كان أحد مؤسسي حزب اتحاد المسلمين في بلوشستان الإيرانية. وأصبح المدير العام للصحة في ادارة الدكتور دانش ناروئي بعد الثورة الإيرانية (1979). يعيش في الوقت الحاضر في لندن لاجئاً سياسياً. أجريت المقابلة في هِستنگز، إنجلترا في يناير 1998، (مسجل بالبلوشية).

مَري، شاه محمد. طبيب، رئيس تحرير مجلة سَنگت الشهرية. كتب الكثير من المقالات عن السياسة والقضايا الاجتماعية، وترجم كتباً في التاريخ السياسي. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجل بالبلوشية).

مَزاري، سردار شيرباز خان. سردار قبيلة مَزاري، والرئيس السابق للحزب الديموقراطي الوطني NDP. أجريت المقابلة في كراچي في تشرين الثاني 1997، (مسجلة بالإنجليزية).

مير لاشاري، محمد خان. زعيم قبيلة لاشاري، عضو البرلمان السابق للنظام بهلوي، زعيم جُنبِش مجاهدين بلوچ (حركة المجاهدين البلوش). يعيش الآن في لندن لاجئاً سياسياً. أجريت المقابلة في لندن في فبراير 1998، (مسجلة بالبلوشية).

ممتاز، إسماعيل. ولد في مطرح، سلطنة عُمان. يعيش في الوقت الحاضر في البحرين. وهو رئيس «بلوچي أدَب جُهد كار»، منذ عام 1987، وهي جمعية أدبية في البحرين. أجريت المقابلة في لندن في يوليو 1998، (مسجلة بالبلوشية).

نديم، عبد الغفار. رئيس التحرير السابق لمجلة «أُولُس»، ووزير سابق للتعليم في حكومة إقليم بلوشستان. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر عام 1997، (مسجلة بالبلوشية).

ندَوي، مولانا خير محمد. نشط في المجال التعليمي والأدبي منذ عام 1950. رئيس تحرير مجلة أومان ولاحقاً مجلة سوغات الشهرية. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

ناروئي، دانِش. حاصل على درجة الدكتوراه في الرياضيات. وكان حاكم بلوشستان الإيرانية عام 1979، يعيش منذ عام 1982 في لندن. أجريت المقابلة في لندن في أغسطس 1998، (مسجلة بالفارسية).

ناروئي، شير علي. سردار قبيلة ناروئي في بلوشستان الإيرانية. يعيش منذ عام 1992، في لندن لاجئاً. أجريت المقابلة في لندن في أغسطس 1998، (مسجلة بالبلوشية).

نَسكنتي، يوسف. ولد في نَسكنت/نَسكند، بمقاطعة إيرانشهر، في بلوشستان الإيرانية، ويعيش في كراچي، شارك في أواخر الستينات وأوائل السبعينات في حركة التحرير البلوشية في بلوشستان الإيرانية. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

نيكخواه، عيسى. ولد في گياوان، في الجزء الذي يقع في أقصى جنوب-غرب بلوشستان الإيرانية.

وهو حفيد سردار بَركت من جاسك والذي قد أعدم بأمر الشاه رضا بهلوي، وسجن بسبب نشاطاته السياسية في عهد الخميني، يعيش في الوقت الحاضر في السويد لاجئاً سياسياً. أجريت المقابلة في استوكهولم في يونيو 1998، (مسجلة بالبلوشية).

قَمبراني، نادر. أستاذ اللغة البراهوئية ورئيس التحرير السابق لمجلة أُولس. رئيس كلية اللغة البراهوئية، جامعة بلوشستان، كويتا. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

راهين، رسول. صحافي، أمين مكتبة، وأستاذ اللغة الانكليزية في جامعة كابول في ظل النظام الموالي للاتحاد السوفياتي في أفغانستان. أجريت المقابلة في استوكهولم في مايو 1999، (مسجلة بالفارسية).

رِند، لال بَكش. شخصية سياسية بارزة منذ عام 1950، وهو زعيم في حزب عوامي القومي، ورئيس مجلس الفنون في بلوشستان في ظل حكومة حزب عوامي القومي، والرئيس السابق للحزب الشيوعي الباكستاني. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

رُوديني، بهادُر خان. أستاذ، ونائب رئيس جامعة بلوشستان، كويتا. أجريت المقابلة في كويتا في نوفمبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

ساحر، مُراد. رئيس تحرير مجلة بلوچي لَبزانك الشهرية (هَبْ)، وهو شاعر قدير وكاتب قصص قصيرة منذ عام 1960. أجريت المقابلة في كراچي في شهر نوفمبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

ساجدي، أنور. رئيس تحرير صحيفة انتخاب اليومية الصادرة من هَب وكراچي. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجلة بالبلوشية).

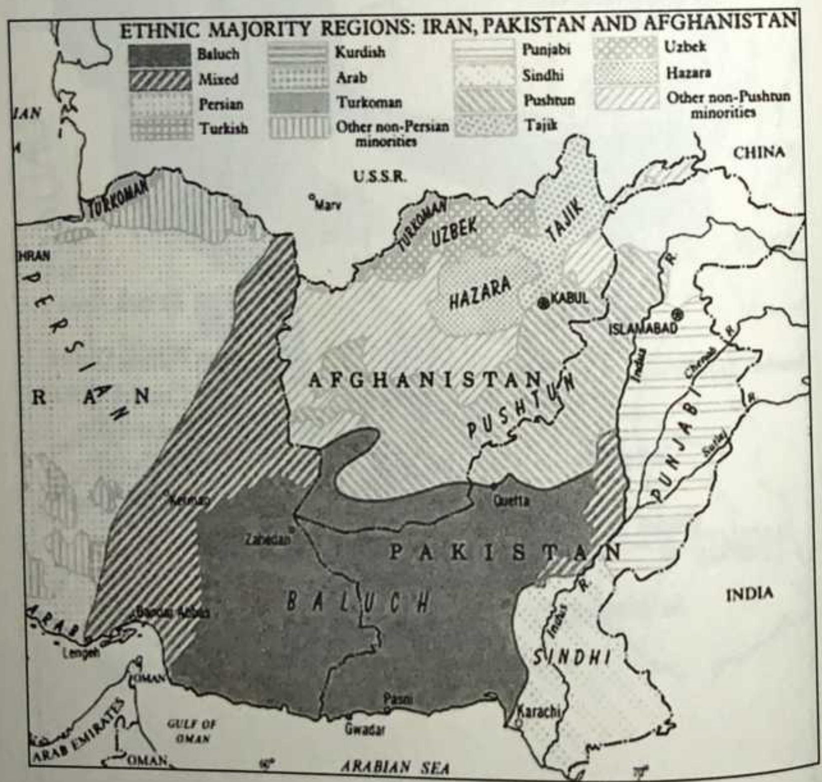
شاه بكش، عظيم. ولد في بمپور (1968). محاضر في جامعة سيستان وبلوشستان (قسم التاريخ). وهو كاتب سيرة داد شاه. وحالياً طالب باحث في جامعة لندن (SOAS). أجريت المقابلة في لندن في مارس 2000، (مسجلة بالبلوشية). وأيضاً الكثير من المحادثات الخاصة.

شاهين، علي محمد. يعيش في كراچي، لغته الأم هي السرائيكية. وهو أستاذ للتاريخ الإسلامي في الكلية الأوردية، كراچي. أجريت المقابلة في كراچي في أكتوبر 1997، (مسجلة بالإنكليزية والفارسية).

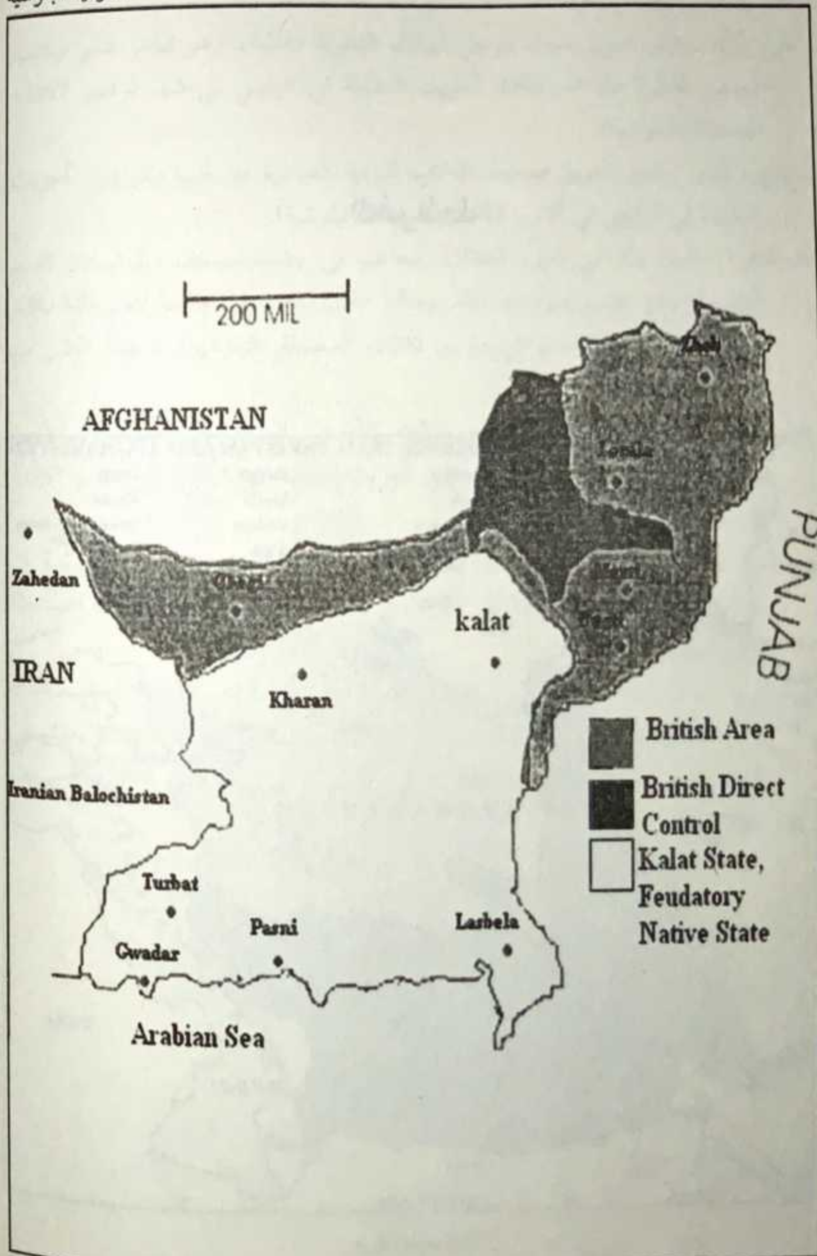
شير دِل، محمد. ولد في تركمانستان، وهو مدرس وكاتب للكتب المدرسية البلوشية في تركمانستان. أجريت المقابلة في ايلاتان، تركمانستان، في فبراير 1998، (مسجلة بالبلوشية).

السيستاني، محمد أعظم. مؤرخ، ولديه نحو خمسة عشر مؤلفاً تاريخياً عن تاريخ سيستان وخراسان وأفغانستان، وكان أكاديمياً في كابول، أفغانستان. منذ عام 1995، يعيش في گوتنبرگ، السويد. أجريت المقابلة في گوتنبرگ في أغسطس 1998، (مسجلة بالفارسية).

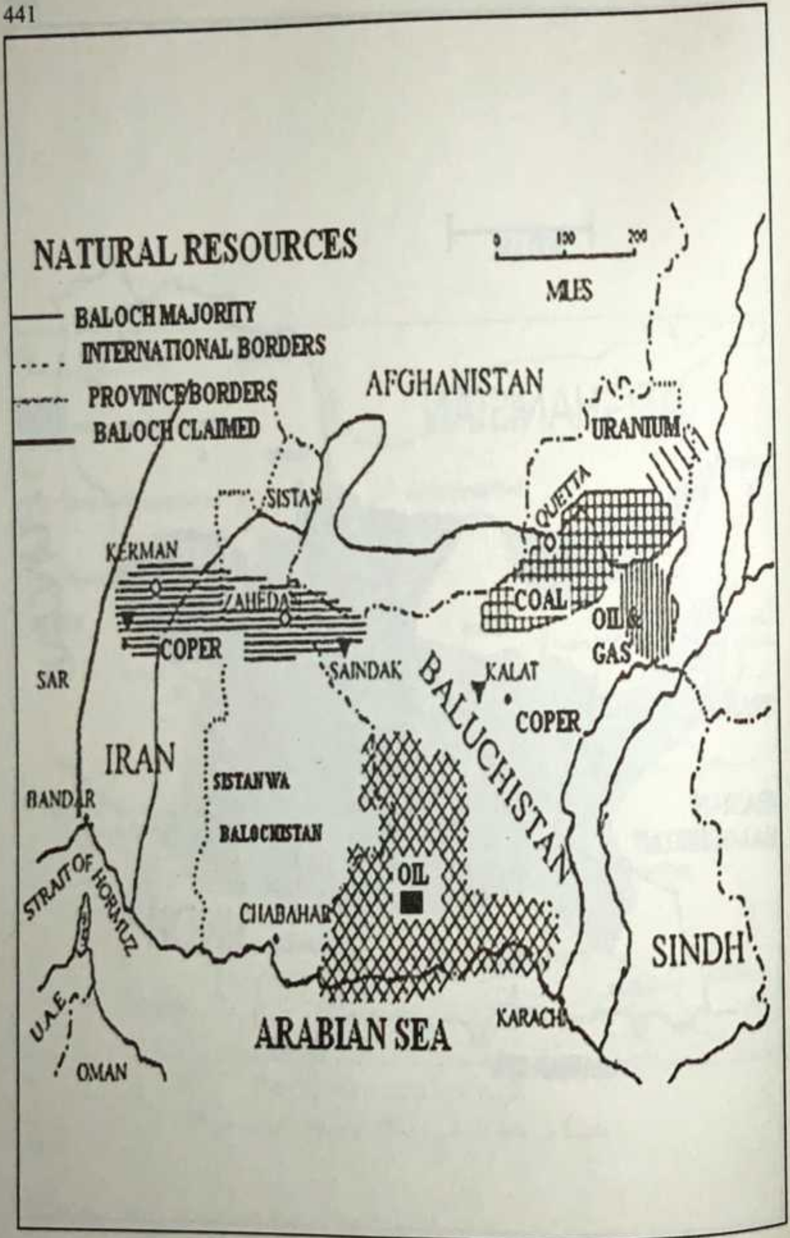
الخرائط



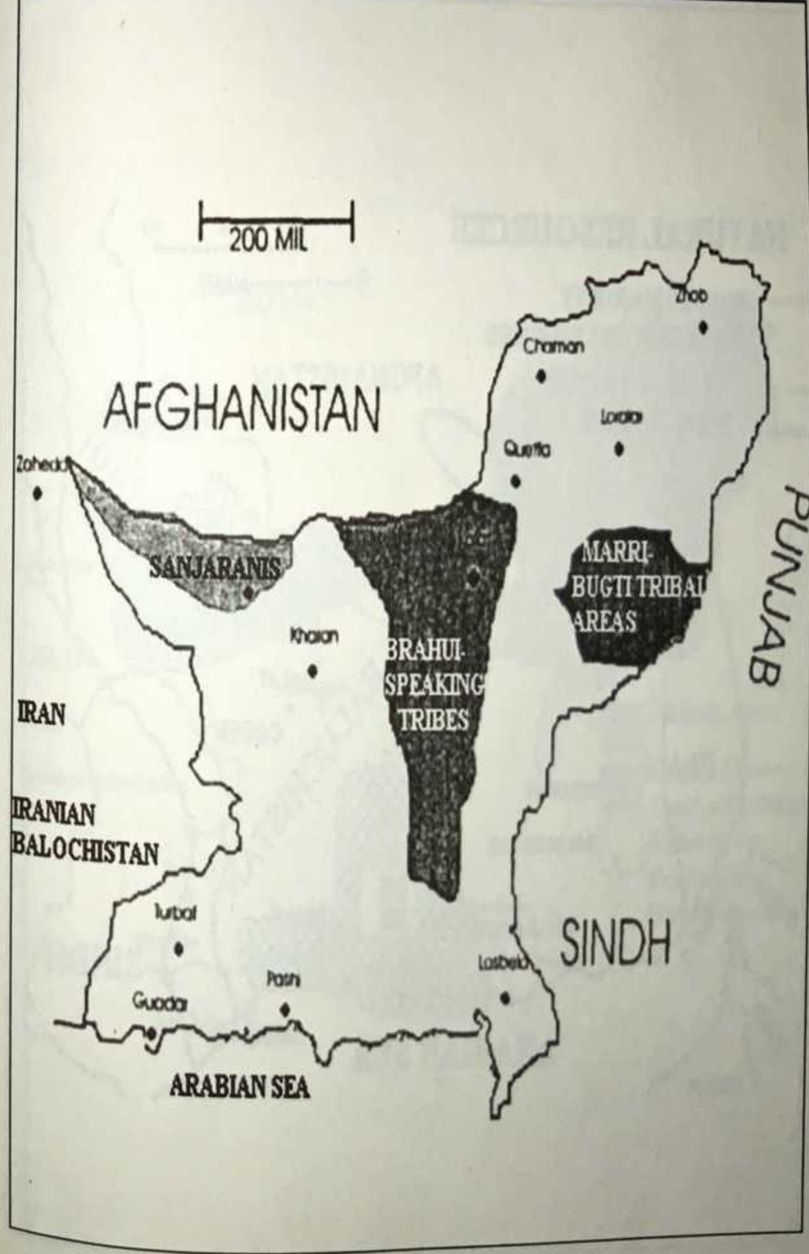
خريطة بلوشستان



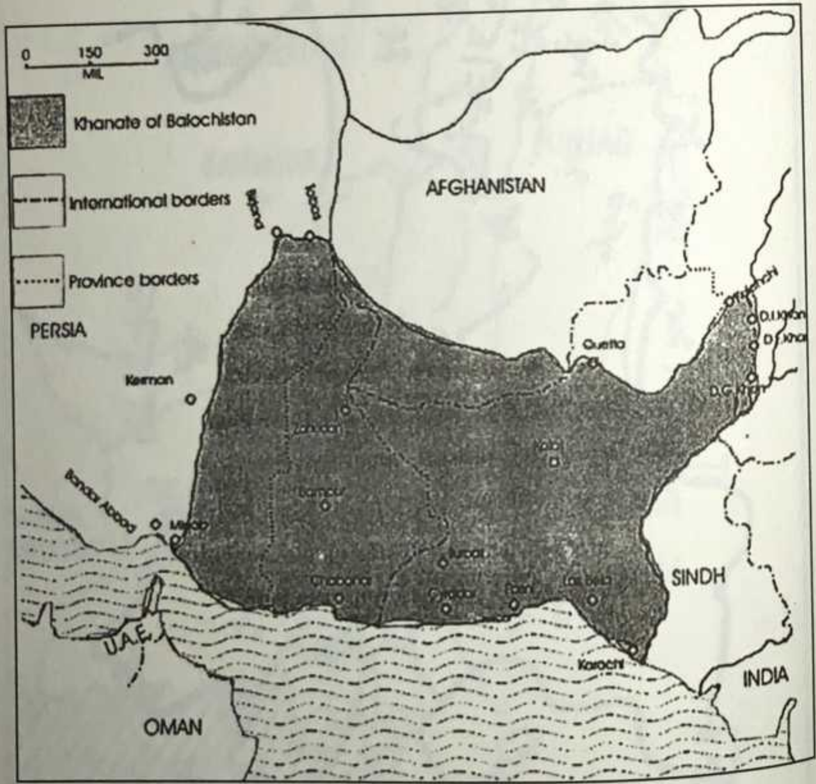
خريطة بلوشستان البريطانية



خريطة الموارد الطبيعية

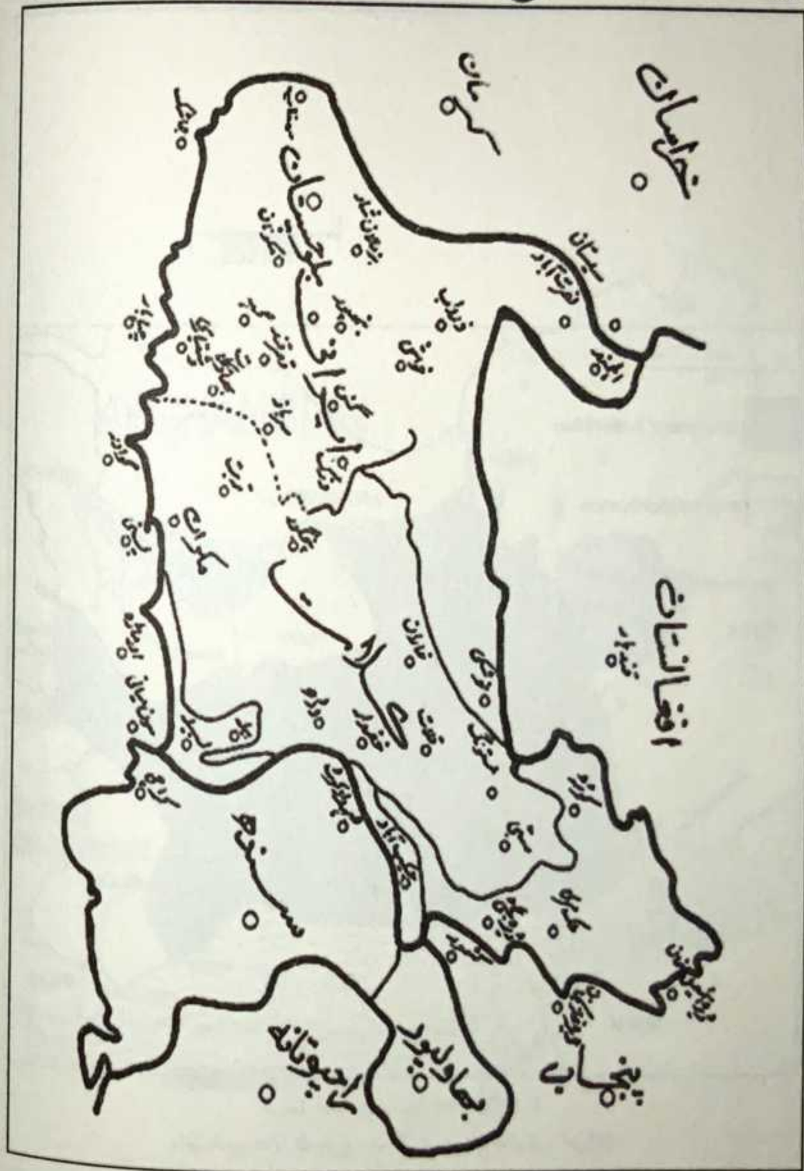


خريطة المناطق القبلية الرئيسية في بلوشستان الشرقية (1981)



خريطة خانية بلوشستان (1758 ـ 1795)

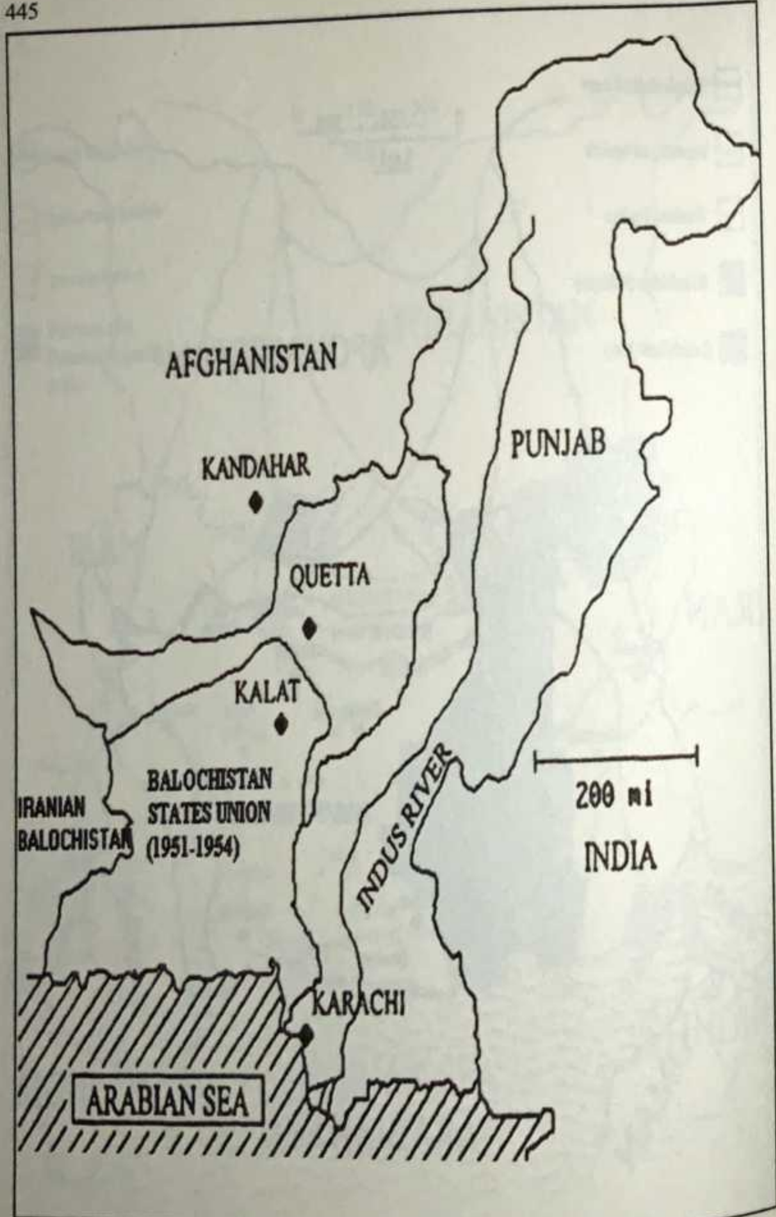
مقتبسة من عناية الله بلوج، مسألة بلوچستان الكبرى، ص281.



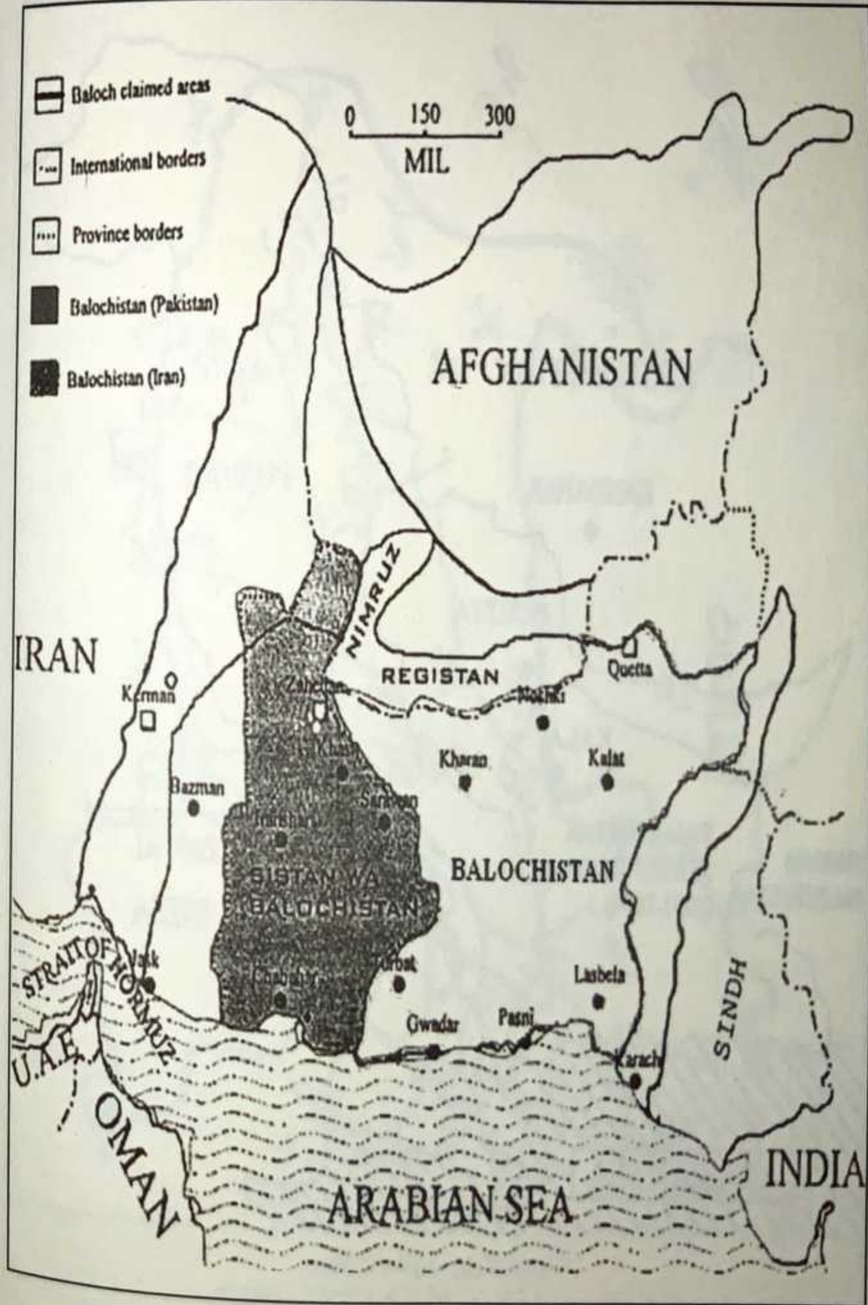
الخريطة الأولى لبلوشستان الكبرى

رسمها: عبد العزيز كورد، الأمين العام للأنجمُن (1933)،

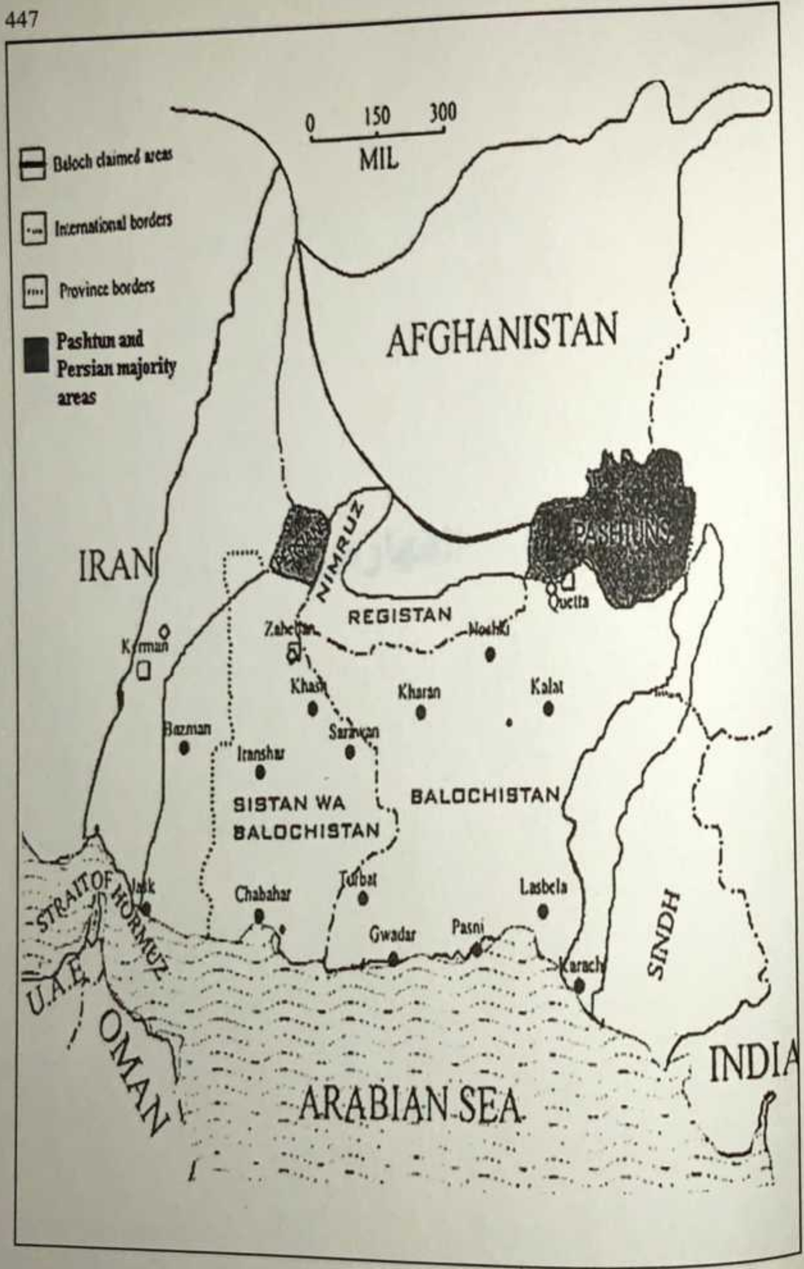
مقتبسة من الصحيفة الأسبوعية البَلوُج، كراچي، الخامس والعشرون من ديسمبر عام 1932.



خريطة ولايات بلوشستان المتحدة (1951 ـ 1954)



خريطة أقاليم بلوشستان: (في إيران وباكستان وأفغانستان)



خريطة المناطق ذات الأغلبية الفارسية والبشتونية

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

ب

پ

ت

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

ف

فهرس الشعوب والجماعات

فهرس الهيئات

فهرس البلدان والاماكن

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

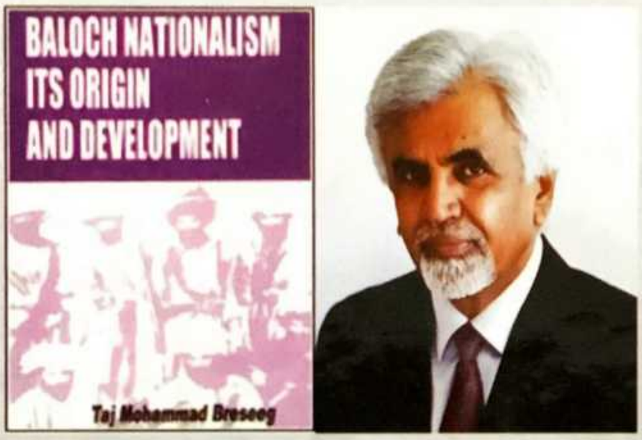
ن

هـ

و

ي

يمثل هذا الكتاب، في الأصل، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن. وقد قام مؤلف الكتاب، صاحب الأطروحة، بجهد ميداني وفكري فريد لبحث موضوع الدراسة، والذي يتعلق بمسألة هل هناك حركة قومية بَلوُشية؟ وما هي أصول ومراحل تطور هذه الحركة في إيران وباكستان وأفغانستان؟ يحكي هذا الكتاب في إجابته عن هذه الأسئلة مسيرة الشعب البلوُشي حتى بداية الألفية الثانية، وهو يصف ويحلل القواعد والديناميات والآثار المترتبة على الحركة القومية البَلوُشية في الإطار الإقليمي والعالمي، والطريق الذي يُرجَح أن تسلكه في القرن الواحد والعشرين.



- **د. تاج محمد بريسيك:** أحد أبرز الأكاديميين البَلوُش في التاريخ والعلوم السياسية. ولد في بَلوُشستان الغربية، عام ١٩٥٤، أكمل دراسته الجامعية ونال درجة الماجستير من جامعة كراتشي، ودرجة الدكتوراه من جامعة لندن. عكس مسار حياته ارتباطه مع الحركات القومية البَلوُشية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، وسنوات من العمل والدراسة في عدد من الجامعات في أجزاء مختلفة من العالم (المملكة المتحدة والسويد وألمانيا وأفغانستان وإيران وباكستان). مما منح عمله في مجال البحث الاكاديمي منظوراً فريداً في الدراسات الإثنية. يعمل حالياً كأستاذ لمادة «دراسات بَلوُشستان» في معهد لغات الأعمال في ميونيخ، ألمانيا.

- **أحمد يعقوب:** كاتب وباحث في الانثروبولوجيا الثقافية. مهتم باثنولوجيا منطقة جنوب ـ غرب آسيا، وتحديداً الدراسات البَلوُشية والكوردية والخليجية. صدر له كتاب (**البَلوُش وبلادهم في دليل الخليج 1908 ـ 1515** (2012) عن مؤسسة الانتشار العربي)، ضمن بحوث ومقالات منشورة. يعمل أحمد حالياً على (**ألف عام من الأدب البَلوُشي**).

ISBN 978-614-404-337-0